بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القـــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي): محمد بن علي محمد آل عمر كلية: الدعوة وأصول الدين قسم: العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة: الماجستير في تخصص: العقيدة

عنوان الأطروحة: ((عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٩/٩/١٤٢٤هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الداخلي
الاسم: أ.د. علي نفيع العلياني	الاسم: أ.د. أحمد عبد الرحيم السايح	الاسم: أ.د. محمد عمر بن محمد حسن
التوقيع: [signature]	التوقيع: [signature]	التوقيع: [signature]

يعتمد

رئيس قسم

الاسم: د. عبد العزيز بن أحمد الحميدي

التوقيع: [signature]

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة.



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين

(عرض ونقد)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
محمد بن علي بن محمد آل عمر

إشراف
الدكتور / علي بن نفيع العلياني
الأستاذ بقسم العقيدة بجامعة أم القرى

١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

" ملخص الرسالة "

الحمـــد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد :

فهـــذه الرسالة تحمل عنوان : " عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين .. عرض ونقد " وهي تعالج مسألة من أهم مســائل الصراع بين الإسلام وأعدائه ، خاصة أهل الكتاب " اليهود والنصارى " وهذا الصراع قديم قدم الإسلام نفسه ، وهو مستمر إلى قرب قيام الساعة ، فهو من أشراطها الكبرى .

ومـــن أنـــواع الصراع الذي بيننا وبين أهل الكتاب ، صراع على موروث مقدس عندنا جميعاً ، وهو على الأرض المباركة " أرض فلسطين وما حولها " .

وقـــد حاولـــت في هذه الرسالة التركيز على إبراز ناحية من هذا الصراع مع اليهود ، من الناحية الدينية . حيـــث أن الـــيهود يدعـــون أن الأرض المباركة " فلسطين وما حولها " قد كتبها الله لهم وراثة من بعد إبراهيم عليه السلام من خلال نصوص مقدسة عندهم بالوعد بالأرض المباركة .

فعملت على حصر هذه النصوص من أسفار العهد القديم " التوراة وباقي الأسفار عندهم " . ثم بينت بطلان هذا الأدعاء من عدة أوجه :

١ – نفـــي قدســـية بعض أسفار العهد القديم ، وذلك بدلالة القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ، وعن طريق الباحثين في علم اللاهوت حتى من اليهود أنفسهم .

٢ – نقد تلك النصوص من داخلها من حيث السند والمتن .

٣ – رؤية تلك النصوص من عدة زوايا ، وبيان بطلان تلك النصوص من خلال تلك الزوايا .

٤ – نقـــد تلك النصوص من الناحية التاريخية التي يتشدق بها اليهود ، وحاولت نقد هذه الحجة التاريخية عندهم. من خلال منظور إسلامي ، وحاولت تجنب انتقادها من المنظور القومي العلماني الذي يصطدم بالمنهج الشرعي .

ثم عرجـــت عـــلى عقـــيدة النصـــارى في مسألة احتلال اليهود أرض فلسطين ، وبيان أن هذه المساعدات النصرانية لليهود إنما هي منطلق عقدي صرف تتمثل في نصوص مقدسة عندهم في الأناجيل ، مع إيمانهم بالتوراة التي تُعتبر عند النصارى هي أساس دينهم وشريعتهم .

ثم ذكـــرت موقف الإسلام من هذا الوعد متمثلاً في قوله تعالى : { إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقـــبة للمـــتقين } سورة الأعراف الآية ١٢٨ ، وقوله تعالى : { ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون } سورة الأنبياء ١٠٥ . وذلك من خلال الكلام في أربع نقاط :

١ – المهدي . ٢ – المسيح عيسى عليه السلام . ٣ – المسيح الدجال . ٤ – الملحمة الأخيرة بين المسلمين واليهود.

<u>وقد توصلت إلى نتائج من أهمها :</u>

١ – بطلان حجية اليهود في الوعد بوراثة الأرض المباركة " فلسطين وما حولها " .

٢ – بيان أن مساعدة النصارى لليهود إنما هي من منطلق ديني عقدي .

٣ – أن الأمة الإسلامية هي التي لها الحق في الأرض المباركة " فلسطين وما حولها " لإيمانها بالله ورسله .

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

اسم الطالب	المشرف على الرسالة	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
محمد بن علي محمد آل عمر	أ.د. علي بن نفيع العلياني	أ.د. عبدالله بن عمر الدميجي

المقدمة:

إن الحمد لله ؛ نحمده ، ونستعينُه ، ونستغفره، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله ؛ فلا مضل له، ومن يضلل ؛ فلا هادي له.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَ وَأَنتُم مُسلمُونَ ﴾ (١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم من نَفسٍ وَاحدَة وَخَلَقَ منهَا زَوجَهَا وَبَثَّ منهُمَا رِجَالاً كَثيرًا وَنسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تَتَسَاءَلُونَ به وَالأَرحَامَ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقيبًا ﴾(٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولاً سَديدًا ۝ يُصلح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزًا عَظيمًا ﴾ (٣).

أما بعد :

فالأفكار الناتجة عن العقيدة هي أساس الحقائق التاريخية القائمة على الحركة المستمرة التي لا تتوقف.

فالصراع بين الإسلام وأعدائه، خاصة أهل الكتاب ((اليهود والنصارى))، قديم قِدَم الإسلام نفسه، وهو مستمر إلى قرب قيام الساعة، فهو من أشراط الساعة الكبرى.

وأهل الكتاب من المفترض أن يكونوا أول مصدق بدعوة النبي محمد ﷺ ، فقد أخذ الله ميثاق أنبيائهم بالإيمان به عليه السلام ، فقال عز من قائل : **﴿ وَإِذ أَخَذَ اللَّهُ ميثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيتُكُم من كتَاب وَحكمَة ثُمَّ جَاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لمَا مَعَكُم لَتُؤمنُنَّ به وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقرَرتُم وَأَخَذتُم عَلَى ذَلكُم إصرِي قَالُوا أَقرَرنَا قَالَ فَاشهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم من الشَّاهدينَ ﴾**(٤).

وكان اليهود يخبرون بمجيئه عليه السلام، قال تعالى **﴿ وَلَمَّا جَاءَهُم كتَابٌ من عند اللَّه مُصَدِّقٌ لمَا مَعَهُم وَكَانُوا من قَبلُ يَستَفتحُونَ عَلَى الَّذينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا به فَلَعنَةُ اللَّه عَلَى الكَافرِينَ﴾**(٥).

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان ٧٠، ٧١.

(٤) سورة آل عمران الآية ٨١.

وفي كتابي، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى للإمام ابن قيم الجوزية، بيان واضح لوجود خبر رسالة نبينا محمد ﷺ في التوراة والإنجيل. وانظر ص ١٩٨ من هذا البحث.

(٥) سورة البقرة الآية ٨٩.

قال ابن عباس ﷺ : إن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه[1].

ولكن حكمة الحكيم العليم اقتضت أن يكون أهل الكتاب، وخاصة اليهود، أول من يكفر بهذه الدعوة الجديدة، التي كانوا من قبل يستفتحون بها على العرب.

وكان ردهم لهذا الدين الجديد، لأن رسوله لم يكن منهم، ولأنه جاء مصححاً لما حرفوه من تعاليم نبيهم موسى عليه السلام، ومبيناً لزيفهم وكذبهم على الله عزوجل وعلى أنبيائه الكرام، ولأنه جعلهم كالناس لا فرق بين أبيض وأسود إلا بالتقوى.

فغاظهم ذلك الأمر، وعزموا على محاربته والوقوف في طريقه. حتى لقد قال قائلهم : ((عزمت على عداوته، والله، ما بقيت))[2].

وفي كثرة ما كان النصارى يمارون النبي محمداً ﷺ لإثبات باطلهم وأنهم على الحق، أنزل الله تعالى فيهم ﴿ **فَمَن حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلمِ فَقُل تَعَالَوا نَدعُ أَبنَاءَنَا وَأَبنَاءَكُم وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُم وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعَل لَعنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ** ﴾[3].

فأهل الكتاب من يهود ونصارى متمسكون بباطلهم الموروث. وينطلقون منه في شؤون حياتهم من أفكار وسلوك وادعاء حقوق وغير ذلك. وسيظل أثره فيهم حتى آخر الزمان[4].

ولا شك أن هذا التمسك سيصطدم بتمسك الأمة الإسلامية بدينها الصحيح، وما تعتقده من الحق في قوله تعالى ﴿ **وَلَقَد كَتَبنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعدِ الذِّكرِ أَنَّ الأَرضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾[5]. وقوله تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُمُ الَّذِي ارتَضَى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أَمنًا يَعبُدُونَنِي لاَ يُشرِكُونَ بِي شَيئًا وَمَن كَفَرَ بَعدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ** ﴾[6].

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكون بيننا وبين أهل الكتاب ((اليهود والنصارى)) أنواع من الصراع، فهناك صراع معهم للمحافظة على ديننا من غزوهم العقدي والفكري الموجّة ضدنا، قال تعالى : ﴿ **وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم** ﴾[7]. وقال سبحانه : ﴿ **وَلاَ**

---

(١) تفسير الإمام ابن جرير الطبري ١ / ٤١٠.

(٢) وهذا الرجل هو، حُيَيّ بن أخطب، زعيم يهود بني النضير. السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٦٠.

(٣) سورة آل عمران الآية ٦١. تفسير الإمام الطبري ٣ / ٢٩٧.

(٤) كما تثبت ذلك أبواب هذه الرسالة.

(٥) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

(٦) سورة النور الآية ٥٥.

(٧) سورة البقرة الآية ١٢٠.

يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم إِن استَطَاعُوا ﴾[1]. وقال : ﴿ وَدَّت طَائِفَةٌ مِن أَهلِ الكِتَابِ لَو يُضِلُّونَكُم ﴾[2]. وقال : ﴿ وَدُّوا لَو تَكفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾[3]. وغيرها من الآيات التي تبين هذا النوع من الصراع.

وهناك صراع بيننا وبينهم على موروث مقدس عندنا جميعاً، وهو على الأرض المباركة وما حولها ((أرض فلسطين وما جاورها)).

((وقد انفرد الوطن الفلسطيني بقيمة دينية، لازمته ابتداءً من إبراهيم عليه السلام، واستمرت إلى أن بلغ الوحي الإلهي أعلى درجاته مع رسالة نبي المسلمين محمد ﷺ. وكان هذا الانفراد الملازم دليل ارتباط حميم بين الدين وفلسطين، مما جعل فلسطين رمزاً مكانيّاً للدين، شهد صراعاً متواصلاً بين الهداة إلى الحق وعتاة الباطل ؛ أو بين رؤية بصيرة للوجود ورؤية ذاتية مظلمة ؛ أو بين دعوة النبوة المهدية وضلال الكفر. وقد انتهت تطورات التاريخ إلى تأهيل الوطن الفلسطيني مرة أخرى ليكون ساحة الصراع بين الضلال الإنساني مكثفاً في الدولة اليهودية، وحركة جهاد إسلامية تستأنف المسار الإنساني تحت راية الهداية الإلهية))[4].

وينتج عن هذا الصراع معارك دامية ومواجهات قوية على تلك الأرض المباركة ((فلسطين وما حولها من أرض الشام)). كما سيأتي بيانه في هذا البحث، إن شاء الله تعالى.

فالنصارى ما قاموا بحملاتهم الصليبية إلا من منطلق ديني[5] ، فهم يرون أن لهم الوراثة الحقيقية بعد كفر اليهود بعيسى عليه السلام، وأن النصوص الواردة في التوراة بالوعد بأرض فلسطين بل ((من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات))، هم الأحق به من اليهود الذين كذّبوا بعيسى عليه السلام، وأنها الأرض التي ولد فيها عليه السلام وبها أماكن مقدسة لهـــم هناك. ثمّ تغيرت نظرتهم أو بالأصح نظرة طائفة منهم[6]، بأن تجميع اليهود ما هو إلا مقدمة لنزول عيسى

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٧.

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٩.

(٣) سورة النساء الآية ٨٩.

(٤) رؤية دينية للدولة الإسرائيلية. حسن محمد ميّ، ص ٨.

(٥) ارجع في مسألة أساس الحملات الصليبية إلى : الخلفية الأيديولوجيّة للحروب الصَّليبيَّة ((دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥ -١٠٩٩م))، د. قاسم عبده قاسم. والحروب الصّليبيّة هل انتهت ؟، عبدالوهاب زيتون. وأخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي، د. صابر طعيمة، تحت عنوان ((الحروب الصليبية والتحول الحضاري)).

(٦) وهـــم الطوائـــف البروتستانتية . وقد بلغ عدد الأصوليين منهم في أمريكا في إحصائية بداية الثمانينات من(٣٠) إلى(٥٠) مليون ينتشرون في معظم الطوائف البروتستانتية وبعض الكاثوليك ووصلوا في إحصائية في آخر التسعينات إلى (٩٠) مليون أصـــولي إنجيلي في أمريكا وحدها . البعد الديني في السياسة الأمريكية ص١٢د. الحسن، المنظمات اليهودية الأمريكية ص ٢٧٧ لي أوبرين، حُمّى سنة ٢٠٠٠ ص١٦١ عبدالعزيز كامل ، والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ص١٩٥ للكيلاني .

عليه السلام، فيتحول اليهود إلى المسيحية ويغطي دينهم كل الأرض[1].

وهاهم اليهود يفعلونها على هذه الأرض المباركة في القرن العشرين، مكونين دولتهم الدينية عليها باسم ((إسرائيل)) تنفيذاً لما يُسمى عندهم بدولة ((إسرائيل الكبرى)) من ((النهر الكبير نهر الفرات إلى نهر مصر)) انطلاقاً من نصوص مقدسة عندهم، كما سيتم توضيحه، إن شاء الله تعالى، في هذا البحث، حيث إن ذلك أساسه وموضوعه والهدف منه، مع انتقاد ذلك المعتقد اليهودي.

وقد كان من توفيق الله تعالى ومنته أن يسر لي أن يكون البحث الذي أتقدم به في مرحلة ((الماجستير)) عبارة عن دراسة في ((عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين.. عرض ونقد)).

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب كثيرة من أهمها :

١- بيان أن الأمة الإسلامية تمر الآن بأحرج الأوقات في تاريخها الطويل. حيث يُراد منها أن تنسى عدوان أهل الكتاب، وخاصة اليهود، في ظل ما يُسمى بعملية السلام. حيث تهدف هذه المرحلة إلى دمج اليهود في المنطقة الإسلامية العربية، وإزالة الحواجز العقدية والنفسية فيما بين المسلمين واليهود، مما يُسهّل عملية سلخ الأمة الإسلامية من هويتها ودينها وعقيدتها. قال تعالى : ﴿ **وَدُّوا لَو تَكفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** ﴾[2].

٢- بيان أن الدولة اليهودية ((إسرائيل)) القائمة على أرض فلسطين إنما هي كيان قائم على أساس توراتي محض. وإظهار النصوص التوراتية في ذلك.

٣- توضيح أن التأييد المسيحي الغربي المحموم والمتواصل للعدو اليهودي الصهيوني إنما يرجع إلى أسس دينية عميقة الجذور في البنية الثقافية المسيحية.

٤- أن فهمنا لعقيدة أعدائنا يزيدنا من فهمه وتقدير مدى خطره ومطامعه وتآمره وقراراته.

٥- أن حقيقة هذه القضية وهذا الصراع متواجدة وحيَّة ومتفاعلة في عقول وقلوب اليهود والنصارى، بينما هي غائبةٌ في وجدان أبناء الأمة الإسلامية خاصة في العصر الحاضر.

٦- بيان أن المعركة مع أهل الكتاب في أساسها ومبناها معركة دين واعتقاد لا معركة أرض واقتصاد، كما يدّعي أتباع القومية العربية. وأن كثيراً من الكتب التي تتحدث عن هذا الصراع ((الصراع الإسلامي- اليهودي)) للأسف تتحدث عنه من خلال نظرة قومية عربية بحتة، وتسميه ((الصراع العربي – الصهيوني)).

٧- محاولة للفت انتباه بعض طلبة العلم الشرعي لمثل هذه الموضوعات الحيويّة والمهمة، وبيان أن إغفالها وعدم التذكير بها سبب عظيم في ضياع هذه الأمة، ضياع حاضرها في براثن الغزو

---

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الأول من هذا البحث.

(٢) سورة النساء الآية ٨٩.

الفكري المدمّر، وضياع مستقبلها في الانسلاخ من هويتها وعقيدتها الإسلامية الصحيحة، وضياع ماضيها بحيث لا تستفيد الأمة من تلك الدروس الخالدة التي تعتبر زاداً لنا في مواصلة رفع راية الإسلام عالية خفّاقة.

فليعلم طلبة العلم الشرعي، أن طلب هذا العلم يُجدي أكثر، ويأتي بثمار أفضل، إذا ألصقناه بالواقع المعاصر.

ومن خلال العلم المبني على القرآن والسنة الصحيحة ومنهج السلف الصالح ((أهل السنة والجماعة))، تستطيع أن تتربى أمتنا الإسلامية التربية المرجوة التي تجعلها خير أمة أخرجت للناس، وتجعلها مؤهَلَه لحمل رسالة الله الخاتمة ونشرها بين الأمم إلى قيام الساعة. ومن وسائل هذه التربية توعية الأمة بما يُحاك ضدها ويُعمل من أجل إفسادها وانحرافها عن المنهج الصحيح وقطع صلتها بربها. ومن أخطر من يقوم بمثل هذه الأدوار للإيقاع بأمتنا الإسلامية : اليهود والنصارى.

وهناك أمثلة كثيرة من تاريخ أمتنا المجيد تتحدث عن رجال من حملة العلم الشرعي ألصقوه بالواقع، فارتفع المسلمون في وقتهم على أعدائهم . فأصبحوا قوة حضارية يستنير أعداؤهم بها، وقـــوة عسكرية يخشى الأعداء منها . ومنهم العز بن عبد السلام[1]. وشيخ الإسلام ابن تيمية[2] ، ومجدد الدعوة السلفية محمد بن عبد الوهاب[3]، وغيرهم ممن ألصق العلم الشرعي بالواقع، وعالجه من خلاله .

---

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُّلمي، أبو محمد، القاضي، الفقيه الشافعي ، المفسر ، اللغوي، الورع ، الزاهد، الآمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، سلطان العلماء. ولد بدمشق سنة ٥٧٧ هــ على الراجح الموافق ١١٨١م ونشأ بها، ودرس علوم الشريعة والعربية، وتولى الخطابة بالجامع الأموي، والتدريس في زاوية الإمام أبي حامد الغزالي، هاجر إلى مصر، فعين قاضياً للقضاة، ومارس التدريس والإفتاء والخطابة بجامع عمرو بن العاص، حرّض الناس على ملاقاة التتار، وقتال النصارى الصليبيين ، وشارك في الجهاد ، مات بالقاهرة سنة ٦٦٠ هــ / ١٢٦٢ م ودفن بها. انظر : الأعلام ٢١/٤ لخير الدين الزركلي. و للدكتور محمد الزحيلي كتاب مستقل عنه.

(٢) هو احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله النميري الحراني، أبو العباس، شيخ الإسلام، الفقيه الحنبلي، المجتهد المطلق، برع في علوم متنوعة منها الفقه والحديث والعقائد والنحو والفلسفة. ولد بحران في الشام يوم الاثنين العاشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ((٦٦١هــ)). تعرض لمحن كثيرة ورد وأفحم المبتدعة والقبورية والرافضة والنصارى واليهود، حرّض على قتال التتـــار وشارك في قتالهم في معركة ((شقحب)) المشهورة سنة ٧٠٢هــ في أول شهر رمضان المبارك. مات وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق في العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هــ. انظر : الأعلام ١٤٤/١، والعقود الدُّرّيّة من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية للإمام محمد بن عبدالهادي.

(٣) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي المشرفي الوهيبي التميمي، محيي السنة ومجدد الدعوة. ولد سنة ١١١٥ هــ في بلدة العيينة من أرض نجد. برع في الفقه الحنبلي، أخذ ينصر الحق ويحارب البدع ويقاوم ما أدخله الجاهلون في هذا الدين الحنيف، و لم يزل مثابراً على الدعوة حتى توفاه الله. صنف مصنفات شهيرة سارت فـــي الآفاق. تـــوفي سنة=

أما خطة البحث التي سرت عليها فقد تضمنت -بعد المقدمة- الباب التمهيدي ، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وهي كالتالي :

الباب التمهيدي :

وفيه فصلان :

الفصل الأول : نظرة على أهم الدراسات السابقة في الموضوع.

الفصل الثاني : تاريخ اليهود منذ بدايتهم حتى استقرارهم في فلسطين بعد موسى عليه السلام، ثم تشتتهم على أيدي أعدائهم حتى بدايات القرن العشرين.

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : نبذة مختصرة عن جغرافية أرض فلسطين.

المبحث الثاني : دراسة حول أسماء اليهود.

المبحث الثالث : تاريخ اليهود من خلال أسفارهم من بدايتهم حتى تشتتهم على أيدي الرومان.

المبحث الرابع : تاريخ اليهود ما بعد السبي الروماني حتى قيام دولة اليهود الحالية (إسرائيل).

الباب الأول : الوعد في أسفارهم.

ويشمل ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التعريف بهذه الأسفار.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أسفار التوراة والعهد القديم.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بهذه الأسفار.

المطلب الثاني : أهم تراجم هذه الأسفار.

المبحث الثاني : التلمود.

=١٢٠٦ هـ. انظر : الأعلام ٦ / ٢٥٧. وسيرته في رسالة الدكتوراه ((عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية)) للدكتور صالح بن عبد الله العبود.

الفصل الثاني : نصوص هذا الوعد ودراستها.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الوعد الإلهي وما يحتويه.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تحديد هذا الوعد من أسفار العهد القديم.

المطلب الثاني : ما يحتويه هذا الوعد.

المبحث الثاني : الصهيونية والوعد.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالصهيونية.

المطلب الثاني : الصهيونية واليهودية.

المطلب الثالث : هل الصهيونية تحقيق للوعد التوراتي المزعوم ؟.

الفصل الثالث : موقف النصرانية من هذا الوعد، وأثره.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : موقف الكنيسة الكاثوليكية.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الموقف العدائي لليهود.

المطلب الثاني : ما حصل في هذا الموقف من تغيير.

المبحث الثاني : موقف الكنيسة البروتستانتية.

المبحث الثالث : أثر هذه المواقف على إنشاء دولة اليهود الحالية على أرض فلسطين المسلمة.

الباب الثاني : تفنيد هذا الوعد وإثبات بطلانه :

ويشمل على فصلين :

الفصل الأول : إثبات وقوع التبديل والتحريف في أسفار اليهود.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : إثبات وقوع التبديل والتحريف في أسفار توراة ((موسى)) الخمسة.

المبحث الثاني : إثبات وقوع التبديل والتحريف في باقي أسفار العهد القديم.

الفصل الثاني : إثبات بطلان هذا الوعد.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : إثبات بطلان هذا الوعد من خلال أسفارهم. ((الحجة الدينية)).

المبحث الثاني : إثبات بطلان هذا الوعد من الناحية التاريخية. ((الحجة التاريخية)).

الباب الثالث : موقف الإسلام من هذا الوعد :

ويشمل على فصلين :

الفصل الأول : موقف القرآن والسنة من أسفار اليهود.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : موقف القرآن من أسفار اليهود.

المبحث الثاني : موقف السنة من أسفار اليهود.

الفصل الثاني : نصوص هذا الوعد في ضوء الكتاب والسنة.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : وقفات مع بعض آيات الله.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : وقفة مع بعض آيات سورة المائدة.

المطلب الثاني : وقفة مع بعض آيات سورة الإسراء.

المبحث الثاني : النظر إلى هذا الوعد من خلال الأحاديث الصحيحة.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفتح الإسلامي لفلسطين.

المطلب الثاني : مستقبل الصراع الإسلامي – اليهودي.

الخـــاتـــمة .

ومع إحساسي الكبير بأن الأمر يحتاج إلى دراسة وبحث يستحق أن تكتب فيه رسائل جامعية كثيرة، وكتب جادة متعددة، فإني قد ترددت بعض الوقت في الإقدام على الكتابة في هذا الموضوع حتى شرح الله صدري لذلك، لأنه كما لا يخفى واسع ودقيق وذو حساسية، ولا أستطيع أن أوفيه حقه، فهو يحتاج إلى جهد جماعي كبير.

هذا وإني لأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث، فإن كنت قد أصبت فمن الله تعالى وحسن توفيقه، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان. وأستغفر الله وأساله الرشد والسداد والرجوع إلى الحق.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة في هذا البحث، وعلى رأسهم الوالد العزيز، الذي حثني على الكتابة في هذا الموضوع، وكان يناقشني في كثير من مسائله، ويبدى آراءه فيها بالموافقة والتصويب حيناً، وبالانتقاد حيناً آخر. وأتقدم بالشكر الخالص إلى فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور علي بن نفيع العلياني الذي شُرِّفت به مشرفاً على هذا البحث ؛ لما أولاني به من رعاية وتوجيه وعناية وحرص رغم كثرة مشاغله العلمية والدعوية فجزاه الله خيراً ، والشكر موصول إلى المشرف الأول على هذا البحث فضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم والذي حال سفره دون مواصلة إشرافه عليه حيث كنت في بدايات كتابتي فيه ، وكذلك إلى فضيلة الشيخ الدكتور عبد الشكور بن محمد العروسي، الذي لم يبخل عليّ بأي كتابٍ طلبته من مكتبته العامرة ، وإلى فضيلة الشيخ موسى بن علي النهاري الذي استفدت من توجيهاته ومتابعته لهذا البحث.وإلى كل من ساعدني بتقديم كتاب أو مشورة أو تصويب أو انتقاد أو ملاحظة لغرض الوصول إلى الحق. فجزاهم الله عني جميعاً الأجر والثواب.

والشكر موصول إلى فضيلة الشيخين الأستاذ الدكتور : محمد عمر بن محمد حسن ، والأستاذ الدكتور : أحمد بن عبدالرحيم السايح ؛ على موافقتهما على قراءة هذه الرسالة وتقويمها على كثرة مشاغلهما العلمية من إشرافٍ على بحوث ومناقشات علمية ، وأسأل الله أن يوفقهما لما يحبه ويرضاه ، وأن يوفقني سبحانه أن أخذ تقويمهما وملاحظاتهما وما يوجهانني به من توصيات مأخذ العزيمة والتنفيذ المباشر .

كما لا يفوتني أيضاً أن أتوجه بالشكر إلى جامعة أم القرى ممثلةً في كلية الدعوة وأصول الدين وإلى قسم العقيدة بشكل أخص. وأسال الله أن يثيب القائمين عليها.

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الباب التمهيدي

وفيه فصلان :

الفصل الأول : نظرة إلى أهم الدراسات السابقة في الموضوع.

الفصل الثاني : تاريخ اليهود منذ بدايتهم حتى استقرارهم في فلسطين بعد موسى عليه السلام ، ثم تشتتهم على أيدي أعدائهم حتى بدايات القرن العشرين:

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : نبذة مختصرة عن جغرافية أرض فلسطين.

المبحث الثاني : دراسة حول أسماء اليهود.

المبحث الثالث : تاريخ اليهود من خلال أسفارهم من بدايتهم حتى تشتتهم على أيدي الرومان.

المبحث الرابع : تاريخ اليهود ما بعد الشتات الروماني حتى احتلالهم أرض فلسطين في العصر الحديث .

٣٩٩٤

الفصل الأول
نظرة إلى أهم الدراسات السابقة في الموضوع

لا أزعم أني أتيت بجديد في بحثي هذا ؛ إذ أن أغلب مادته معلومة من قبل، و لم يزد دوري فيه عن إعادة البناء والتأليف، ذلك أن الحقائق يؤلف بينها، ثم تعرض للدراسة والتمحيص كي تبقى نقيه بعد أن يتراح عنها ما عساه أن يكون قد لحق بها من زيف وأباطيل.

وعلى حسب اطلاعي وجدت أن هناك بعض الكتب تكلمت في الوعد المزعوم من قبل اليهود أن الله وعدهم بتملك أرض فلسطين، ومن هذه الكتب :

أولاً : كتاب فضيلة الدكتور عابد الهاشمي ((عقيدة اليهود في تملك أرض فلسطين)) ويعتبر أقرب الكتب إلى موضوع بحثي. وهناك فروق بينه وبين ما كتبته، وهي :

حاولت في بحثي أن أتتبع تاريخ بني إسرائيل من يعقوب عليه السلام إلى ما حصل لليهود من تشتت على أيدي الرومان، من أسفارهم خاصة، ومما كتبه عنهم بعض المؤرخين. ثمّ حاولت في تتبع تاريخ اليهود من بعد الشتات الروماني -بنوع اختصار- إلى أن احتلوا أرض فلسطين المسلمة في منتصف مايو (أيار) ١٩٤٨م. وكان هدفي من هذا التتبع مدى التزام الطائفة اليهودية في تاريخها بذلك الوعد في فلسطين، والتي تدعي أنه من الرب خاص لهم، فهم في زعمهم أنهم الورثة الحقيقيون لإبراهيم علية السلام.

أما فضيلة الدكتور عابد الهاشمي فبدأ مباشرة بذكر محاولة اليهود وعلى رأسهم زعيمهم الروحي ((تيودور هرتزل)) في بداية القرن العشرين لاحتلالهم أرض فلسطين ؛ معللين ذلك بأنه تنفيذ لأمر الرب الذي أعطاهم فلسطين.

١- ذكرت في بحثي هذا أن هناك رؤوس من اليهود الصهاينة قبل هرتزل بدءوا بمحاولة احتلال أرض فلسطين المسلمة، منهم بطرق نظرية، ومنهم بطرق عملية.

٢- اقتصر فضيلة الدكتور الهاشمي على ذكر بعض نصوص الوعد في أسفار اليهود المقدسة، وركز خاصة على أسفار توراة موسى الخمسة ويشوع والمزامير.

وحاولت في بحثي هذا أن أجمع نصوص الوعد من كل أسفار كتابهم المقدس، على قدر معرفتي بمكانها في أسفارهم.

٣- لم أكتفي بذكر الموقف العملي -من منظمات ورؤساء دول ومسئولين- للنصرانية، وخاصة البروتستانت في مساعدة اليهود لاستيطانهم أرض فلسطين،وإنما حاولت إبراز الناحية العقدية

في ذلك؛ والتي هي كامنة في مسألة الألفية السعيدة، ومجيء المسيح عليه السلام، مع دراسة لرؤيا يوحنا. كما إني ذكرت اختراق اليهود للكاثوليكيين من النصارى.

٤- ناقشت الحجة التاريخية من منظور مختلف عما ناقشها منه الدكتور عابد الهاشمي، فقد بيّن أن ((هذه العهود الربانية المكذوبة على أكثر من ١٢ نبياً في عشرات المواضع في التوراة ابتداءً من إبراهيم عليه السلام (١٨٥٠ ق. م) حتى ملاخي (٣٩٧ ق. م) في فترة (١٤٥٠) سنة لم تتحقق تاريخياً قط، إلا جزئياً في فترات محدودة جداً مشتتة لا تتجاوز بمجموعها قروناً ثلاثة، كما لم يتحقق بعدئذ -منذ ملاخي حتى منتصف القرن العشرين ١٩٤٨م- أيّ امتلاك إلا ما ندر وكاد لا يذكر))[١]. بينما ذكرت أن هذه الحجة التاريخية التي يستند إليها اليهود كقولهم : ((فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ينسى))[٢]. وقولهم : ((إن فلسطين التي نريد فلسطين داود وسليمان))[٢]، حجة ليست متعلقة بقوم أو جنس أو نسل إنما هي متعلقة باتباع دين الله الحق في كل زمان ومكان. فالمسلمون أتباع الشريعة الإسلامية الخاتمة هم أولى بوعد الله لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وكل أنبياء الله، قال تعالى ﴿ **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٣]. وقال ﷺ : ((أنا أحق بموسى منكم))[٤]. فرصيد الأنبياء هو رصيد الأمة الإسلامية.

٥- ذكرت باباً مستقلاً لم يذكره فضيلة الدكتور عابد الهاشمي في كتابه، وهو الباب الثالث من البحث : موقف الإسلام من هذا الوعد. ومن القضايا التي ذكرتها فيه :

أ)- وقفة مع بعض آيات سورة المائدة والإسراء.

ب)- موقف السنة من أسفار اليهود.

جـ)- مستقبل الصراع الإسلامي - اليهودي من خلال الأحاديث الصحيحة.

ثانياً : كتاب فضيلة الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي ((القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى)).

أصل هذا الكتاب محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور سفر الحوالي بعد معاهدة السلام التي أبرمت في مدريد بأسبانيا في ٣٠ أكتوبر ١٩٩١م. فقد ركز فيها فضيلته على دور النصارى

---

(١) عقيدة اليهود في تملك فلسطين، ص ٢٣٣ د. الهاشمي.

(٢) انظر ص ٣٣١ من هذا البحث.

(٣) سورة آل عمران الآية ٦٨.

(٤) انظر في تخريجه ص ٤٤ من هذا البحث.

بهيئاته، ومنظماته، ورؤسائه على تنفيذ الوعد الذي يدعيه اليهود أنه من الرب لهم لامتلاك أرض فلسطين المسلمة. وبيّن فضيلته أن هذا الدور من منطلق ديني وعقدي.

ويختلف بحثي عن هذا الكتاب في أمور، منها :

١ــ حاولت ذكر مدى تمسك اليهود بهذا الوعد المزعوم في تاريخهم المدون في أسفارهم وعند بعض المؤرخين.

٢ ــ حاولت جمع ما أجده من نصوص هذا الوعد من أسفارهم المقدسة.

٣ ــ ذكرت الاختراق اليهودي للنصرانية بشكل أوسع.

٤ ــ ذكرت مستقبل الصراع الإسلامي - اليهودي بشكل أوسع.

٥ ــ قمت بدراسة أسفار العهد القديم وبيان ما حصل فيها من تحريف وتبديل.

٦ــ عرفت الصهيونية ونشأتها، وأنه ليس هناك فرق بينها وبين اليهودية، وبيان خطأ من فرق بينهما، فهما وجهان لعملة واحدة.

٧ــ ذكرت المسيح المنتظر اليهودي واستخراج النصوص -على قدر معرفتي- من أسفار اليهود والتي يستدلون بها عليه، لزعمهم أن الرب سيكمل الوعد على يديه.

٨ــ بينت بطلان هذا الوعد من أسفارهم المقدسة ومن الناحية التاريخية، حيث أن أكثر حجج اليهود في ذلك الحجة الدينية والحجة التاريخية.

وقريباً من كتاب فضيلة الشيخ سفر الحوالي كتاب الأستاذ إسماعيل الكيلاني ((الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي)). فقد وضح فيه العقيدة النصرانية في استيطان اليهود أرض فلسطين. مع ذكره أيضاً أن الصهيونية اليهودية قائمة في مسألة احتلالهم أرض فلسطين على أسس عقدية دينية، واكتفى فضيلته بذكر بعض نصوص الوعد من بعض أسفار توراة موسى الخمسة ؛ وخاصة سفر التكوين دون باقي أسفار العهد القديم.

أما كتاب ((النبوءة والسياسة))، تأليف : غريس هالسل، ترجمة : محمد السماك. فقد اهتم هذا الكتاب بذكر إيمان النصارى بوقوع معركة آخر الزمان ((هرمجدون))، وأن اليهود وقتها يجب أن يكونوا مستوطنين أرض فلسطين. ولم يتطرق الكتاب إلى الوعد الذي يدعيه اليهود بأرض فلسطين بشكل مباشر.

وكذلك كتاب ((البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي-الصهيوني)) تأليف الدكتور يوسف الحسن. فقد اهتم المؤلف أيضاً بذكر العقيدة النصرانية في استيطان اليهود أرض فلسطين، وبيان دور الأصولية الإنجيلية والمنظمات والهيئات النصرانية ورؤساء دولها خاصة الأمريكان منهم. ومثلهما كتاب الأستاذ : محمد السماك ((الصهيونية المسيحية)). في بيان عقيدة

النصارى في مسألة استيطان اليهود أرض فلسطين، وتوضيح معركة آخر الزمان ((هرمجدون)) من منظور نصراني.

ثالثاً : كتاب ((إسرائيل و عقيدة الأرض الموعودة))، تأليف : أبكار السقاف.

أرادت المؤلفة من كتابها هذا أن تثبت أن اليهود أجادوا الاستغلال السياسي للعقائد الدينية، فإن هدفهم هو إقامة إمبراطورية يهودية عالمية -التي حلم بها هرتزل- تحكم العالم وتستعبد شعوبه عن طريق امتلاك فلسطين أولاً ومن بعدها بلاد الشرق الأوسط.

وبين هذا الكتاب وبين بحثي اختلاف في أمور :

١ ـــ أن المؤلفة ناقشت أنه ليس لليهود حق في فلسطين من منظور القومية العربية. وهذه الزاوية هي التي بينت بطلانها في بحثي ؛ خاصة عندما تكلَّمْتُ عن الحجة التاريخية التي يحتج بها اليهود في احتلالهم أرض فلسطين.

٢ ـــ اقتصرت المؤلفة على ذكر بعض نصوص الوعد من بعض أسفار اليهود، وهي أسفار توراة موسى الخمسة فقط. بينما حاولت في بحثي أن أذكر -على قدر معرفتي- جميع نصوص الوعد من كل أسفار اليهود.

٣ ـــ قد ذكرت في بحثي هذا أمور مهمة في صلب موضوع الوعد المزعوم عند اليهود وتنفيذه، والرد على ذلك، لم تذكرها المؤلفة في كتابها، ومنها :

أ - ذكرت عقيدة المسيح المنتظر اليهودي.

ب- ذكرت دور النصارى في احتلال اليهود أرض فلسطين وعقيدتهم في ذلك.

ج- بيّنت بطلان الوعد الذي يدعيه اليهود بفلسطين من خلال أسفارهم.

د- ذكرت باباً مستقلاً في بيان موقف الإسلام من هذا الوعد، معتمداً في ذلك على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة.

رابعاً : مدى مشروعية أسانيد السّيادة الإسرائيلية في فلسطين ((دراسة في إطار القانون الدولي العام))، تأليف الدكتور : محمد إسماعيل علي السيد.

اقتصر المؤلف في كتابه هذا على دراسة الحجج الصهيونية التي وردت في أول وثيقة رسمية صهيونية تعلن ميلاد دولة إسرائيل القائمة على أرض فلسطين في إطار القانون الدولي العام لهيئة الأمم المتحدة. ومن ضمن هذه الحجج الوعد الذي تدعيه اليهود في أسفارهم المقدسة بتملك أرض فلسطين. وقد اكتفى المؤلف بذكر بعض نصوص هذا الوعد ؛ خاصة ما جاء في سفر التكوين. ثم وصل إلى نتيجة قال فيها : ((ولما كان الإدعاء الإسرائيلي بالسيادة على فلسطين وفقاً للوعد

الإلهي، إدعاءاً ذا صيغة دينية، فإنه يغدوا إدعاءاً باطلاً في إطار القانون الدولي العام. فالدين ليس مصدراً من مصادر الالتزامات في القانون الدولي))[1].

ثم درس الحجة التاريخية لليهود من خلال نفس الإطار وهو ((إطار القانون الدولي العام لهيئة الأمم المتحدة)). ووصل إلى نتيجة أنه ليس لليهود أي حق تاريخي في احتلال أرض فلسطين، وذلك ضمن قواعد القانون الدولي العام.

ولكن هذه الدراسة بها محظورات من جهة المنهج الشرعي القويم، ومن هذه المحظورات :

١- تقريره للمنهج العلماني للقومية العربية في دراسة الحجج اليهودية، وهذا ما بينت خطأه في دراستي للحجة التاريخية عند اليهود.

٢- لا أحد ينكر ما لهيئة الأمم المتحدة من تأثير على الدول الإسلامية في هذه الأوقات المعاصرة، وهذا التأثير ناتج عن بعد الدول الإسلامية عن المنهج الإسلامي الصحيح الذي لا يقر أن يكون هناك سلطة كافرة تتحكم في الشعوب الإسلامية، ولكن إلى الله المشتكى. فكان أقل ما يجب أن يقدمه الباحث المسلم عدم الاعتراف بمثل هذه الهيئة الكافرة، بل ويبين مواطن خطرها على الأمة الإسلامية[2] ؛ لا أن يقرر قوانينها في علاج مشاكل أمتنا المسلمة لأنه لن يجد حينها الحل الذي يرضي الله وعباده المؤمنين ، قال تعالى : **﴿وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم قُل إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِن اتَّبَعتَ أَهوَاءَهُم بَعدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾**[3].

خامساً : الصهيونية العالمية وأرض الميعاد. تأليف : علي إمام عطية.

الناظر إلى عنوان الكتاب يعتقد أن المؤلف اهتم بذكر نصوص الوعد الذي يدعيه اليهود بأرض الميعاد (فلسطين وما حولها). ولكن المؤلف كان همه يدور حول إبراز دور اليهود من الناحية العملية والسياسية منذ بدايات القرن الماضي، ومن بدايات الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين مروراً بالانتداب البريطاني ومساعي اليهود عند الدول الكبرى في تثبيتهم في أرض فلسطين، وإبراز الموقف القومي العربي للرئيس المصري جمال عبدالناصر من القضية الفلسطينية.

لذلك فإن بحثي يختلف عنه في أمور كثيرة وجوهرية، منها :

---

(١) مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية ص ٨٠ د. محمد إسماعيل السيد.

(٢) انظر في ذلك إلى كتاب أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرّد على الطوائف الضالة فيه، وخاصة من ص ٤٣٨ إلى ٤٤٨. للدكتور علي بن نفيع العلياني. وانظر في مسألة إلغاء الجهاد في سبيل الله من قوانين هذه المنظمة ص ٣٤٧-٣٤٩ من ذلك الكتاب. وإلى الرد على من قصر الجهاد على جهاد الدفع فقط من ص ٣١٨ إلى ٣٤٧ منه.

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٠.

١ ــ ذكرت في بحثي نصوص الوعد الذي يحتج بها اليهود في احتلالهم أرض فلسطين.

٢ ــ ذكرت دور النصارى في احتلال اليهود أرض فلسطين ؛ وأن هذا الدور مرتكز على العقيدة النصرانية المتمثلة في حدوث الألفية السعيدة، ومجيء المسيح.

٣ ــ رددت على نصوص الوعد اليهودي من أهم ناحيتين في التحجج به عندهم، وهي من خلال أسفارهم المقدسة ومن الناحية التاريخية.

٤ ــ عقدت باباً مستقلاً نظرت فيه إلى مستقبل الصراع الإسلامي ــ اليهودي من خلال الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة.

سادساً : الصهيونية بين الدين والسياسة، تأليف : عبدالسميع سالم الهراوي.

اهتم المؤلف في هذا الكتاب بإبراز كل ما يتعلق بالصهيونية من حيث نشأتها وتعريفها ومناهجها وأنشطتها ومنظماتها والأسباب التي أدت إلى التأييد الدولي لأطماعها في فلسطين، وأبرز المؤلف أن هذا التأييد خاضع للنفوذ المالي والاقتصادي والسياسي للصهيونية.

ويختلف بحثي عن هذا الكتاب في أمور :

١- ذكرت تاريخ بني إسرائيل، وبيان فائدة ذلك - كما تقدم-.

٢- اقتصر المؤلف على ذكر بعض نصوص الوعد في كتابهم المقدس (ذكر ستة نصوص من سفر التكوين، ونص واحد في كل من اللاويين ويشوع وصموئيل الثاني). بينما حاولت أن أذكر ما استطعت جمعه من نصوصهم من كتابهم المقدس.

٣- اقتصر المؤلف على ذكر أن هناك تقارب بين اليهودية والبروتستانتية فيما يقل عن صفحة واحدة. بينما حاولت في بحثي هذا أن أبين أنه حصل اختراق من قبل اليهودية للكاثولكيين من النصارى في مسألة موقفهم من اليهود، وبالنسبة للبروتستنت من جهة تأييدهم المطلق لليهود، بل وإبراز أن هذا التأييد عمل مقدس يرتضيه الرب.

٤ ــ رددت على هذه النصوص بالوعد لليهود من الناحية الدينية والتاريخية.

٥ ــ عقدت باباً مستقلاً نظرت فيه إلى مستقبل الصراع الإسلامي - اليهودي من خلال الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة.

سابعاً : المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل، تأليف : محمود نعناعة.

ما يتعلق بموضوع الوعد الذي تدعيه اليهود بأرض فلسطين من أجزاء هذا الكتاب هو الجزء الأول منه. وقد اهتم المؤلف فيه على دراسة التاريخ اليهودي من خلال أسفارهم المقدسة. وعمل على الرد على بعض ما وقع فيها من تجني على أنبياء الله، خاصة في الكلام عن النبيين الكريمين

داود وابنه سليمان عليهما السلام، إلا أنه أغفل ذلك عندما ذكر دخول يشوع (يوشع) عليه السلام أرض فلسطين، ونقل عن بعض من قدح في هذا الفتح.

وإن بحثي يختلف عن هذا الكتاب في أمور :

١ ــ اقتصر المؤلف على ذكر بعض نصوص الوعد من بعض أسفار اليهود. بينما حاولت في بحثي أن أذكر جميع نصوص الوعد من كل أسفار اليهود.

٢ ــ ذكرت دور النصارى في احتلال اليهود أرض فلسطين ؛ وأن هذا الدور مرتكز على العقيدة النصرانية المتمثلة في في حدوث الألفية السعيدة، ومجيء المسيح.

٣ ــ تفنيد الوعد التوراتي الذي يدعيه اليهود من خلال أسفارهم من منظور أوسع مما ذكره المؤلف.

٤ ــ أبطل المؤلف -بشكل مختصر- الحجة التاريخية لليهود بتملكهم أرض فلسطين بنظرة قومية عربية، وهذه النظرة هي التي بينت خطأها في انتقادي للوعد من خلال الناحية التاريخية.

٥ ــ ذكرت باباً مستقلاً في بيان موقف الإسلام من هذا الوعد ؛ معتمداً في ذلك على الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة.

وقريباً من كتاب الأستاذ محمود نعناعة كتاب العقيد أحمد عبدالوهاب ((فلسطين بين الحقائق والأباطيل)). فقد اهتم المؤلف بذكر تاريخ بني إسرائيل من خلال النظر إلى أسفارهم المقدسة، وذكر بعض نصوص الوعد الذي تدعيه اليهود من بعض أسفارهم خاصة أسفار توراة موسى الخمسة. ولكنه أبرز بشكل كبير المنهج العلماني للقومية العربية في الرد على الحق التاريخي الذي يدعيه اليهود. فقمت في بحثي هذا بانتقاد هذه النظرة في ردي على الحجة التاريخية لليهود. كما قمت بالرد على الحجة الدينية لليهود بشكل أوسع مما ذكره المؤلف. كما ذكرت تعريف الصهيونية ونشأتها، وأنه ليس هناك فرق بينها وبين اليهودية، وبيان خطأ من فرق بينهما، فهما وجهان لعملة واحدة. وبينت دور النصارى في احتلال اليهود أرض فلسطين. وبينت موقف الإسلام من هذا الوعد الذي تدعيه اليهود.

ثامناً : رؤية دينية للدولة الإسرائيلية، تأليف : حسن محمد ميّ.

اهتم المؤلف بإبراز أن الحركة الصهيونية حركة دينية يهودية في مبناها ومعناها ولا تنتفي يهوديتها لتداخل عوامل خارجية في نسيجها الحركي. ثم بيّن أن الدولة الإسرائيلية في نهاية المطاف

ممارسة دينية ضالة، لا يشفع لها تكونها العلماني، ولا إلحاد قادتها المعلن، ولا تحالفها الحميم مع الفاسقين من الناس أجمعين.

وبحثي يختلف عن هذا الكتاب في أمور :

١ ــ ذكرت تاريخ بني إسرائيل، وبيان فائدة ذلك - كما تقدم-.

٢ ــ اقتصر المؤلف على ذكر بعض نصوص الوعد من بعض أسفار اليهود (من سفري التكوين والتثنية). بينما حاولت في بحثي أن أذكر -على قدر معرفتي- جميع نصوص الوعد من كل أسفار اليهود.

٣ ــ ذكرت تعريف الصهيونية ونشأتها وأنها حركة دينية يهودية بشكل أوسع مما ذكره المؤلف.

٤ ــ رددت على الحجة الدينية عند اليهود من خلال أسفارهم بشكل أوسع.

٥ ــ رددت على الحجة التاريخية التي يحتج بها اليهود.

٦ ــ ذكرت دور النصارى في احتلال اليهود أرض فلسطين وأن هذا الدور مرتكز على العقيدة النصرانية المتمثلة في حدوث الألفية السعيدة، ومجيء المسيح.

٧ ــ بيّنت موقف الإسلام من هذا الوعد بشكل أوسع وأشمل مما ذكره المؤلف في هذا الكتاب. ومن القضايا التي ذكرتها فيه :

أ)- وقفة مع بعض آيات سورة المائدة والإسراء.

ب)- موقف السنة من أسفار اليهود.

جـــ)- مستقبل الصراع الإسلامي - اليهودي من خلال الأحاديث الصحيحة.

تاسعاً : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. تأليف : رجاء ((روجيه)) جارودي.

اهتم المؤلف في كتابه هذا بإبراز القوة الصهيونية اليهودية ((اللوبي الصهيوني اليهودي)) في أمريكا، وفي أوروبا خاصة في فرنسا -موطن المؤلف- وفي المانيا. كما أنه أبرز المواقف المتطرفة للصهاينة اليهود من قتل وتعذيب على أرض فلسطين. غير أنه اقتصر في مسألة عقيدة اليهود في نصوص الوعد عنهم بأرض فلسطين على نص واحد فقط منها وهو من سفر التكوين. واهتم بذكر أقوال بعض الغربيين في إثبات ((أنه من غير المقبول من أي إنسان الأدعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حالياً هو تحقيق لنبوءة توراتية)) ؛ من أمثال البيردي بوري أستاذ العهد القديم في كلية اللاهوت البروتستانتية في جنيف، وفرنسواز سميت عميدة كلية اللاهوت البروتستانتية في باريس، والحاخام المر برجر الرئيس السابق لرابطة ((من أجل اليهودية)) في الولايات المتحدة.

وإن بحثي يختلف عنه في أمور كثيرة وجوهرية، وفي صلب موضوع الوعد المزعوم عند اليهود وتنفيذه، والرد على ذلك، لم يذكرها المؤلف في كتابه، ومنها :

١ ـــ ذكرت تاريخ بني إسرائيل، وبيان فائدة ذلك -كما تقدم-.

٢ ـــ دراسة أسفار العهد القديم وبيان ما حصل فيها من تحريف وتبديل.

٣ ـــ تعريف الصهيونية ونشأتها، وأنه ليس هناك فرق بينها وبين اليهودية، وبيان خطأ من فرق بينهما، فهما وجهان لعملة واحدة.

٤ ـــ ذكرت في بحثي نصوص الوعد الذي يحتج بها اليهود في احتلالهم أرض فلسطين.

٥ ـــ ذكرت المسيح المنتظر اليهودي واستخرجت النصوص -على قدر معرفتي- من أسفار اليهود والتي يستدلون بها عليه، لزعمهم أن الرب سيكمل الوعد على يديه.

٦ ـــ ذكرت دور النصارى في احتلال اليهود أرض فلسطين، وأن هذا الدور مرتكز على العقيدة النصرانية المتمثلة في حدوث الألفية السعيدة ومجيء المسيح.

٧ ـــ رددت على نصوص الوعد اليهودي من أهم ناحيتين في التحجج به عندهم، وهي من خلال أسفارهم المقدسة، ومن الناحية التاريخية.

٨ ـــ ذكرت باباً مستقلاً لم يذكره المؤلف في كتابه، وهو الباب الثالث من البحث : موقف الإسلام من هذا الوعد. ومن القضايا التي ذكرتها فيه :

أ)- وقفة مع بعض آيات سورة المائدة والإسراء.

ب)- موقف السنة من أسفار اليهود.

جـــ)- مستقبل الصراع الإسلامي - اليهودي من خلال الأحاديث الصحيحة.

الفصل الثاني
تاريخ اليهود منذ بداياتهم حتى استقرارهم في فلسطين بعد موسى عليه السلام، ثم تشتتهم على أيدي أعدائهم حتى بدايات القرن العشرين

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن جغرافية فلسطين:

تقع فلسطين[١] في الغرب من قارة آسيا بين خطي طول ٣٠ : ٢٩ و ١٥ : ٣٣ درجة شمالا، وبين خطي عرض ١٥ : ٣٤ و ٤٠ : ٣٥ شرقي خط غرينتش، وتمثل الجزء الجنوبي الغربي من وحدة جغرافية كبرى في المشرق العربي، تعرف ببلاد الشام[٢].

ولم يتم تقسيم هذه الوحدة تقسيما سياسياً إلى أربع دول وهي ((سورية، ولبنان، والأردن، وفلسطين)) إلا بفعل الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتطبيق اتفاقية ((سايكس – بيكو))[٣] على بلاد الشام، فأصبح لكل كيان منها جواز مرور وحدود ودستور وعلَم.

---

(١) فلِسطين، ذكر جغرافيو العرب ومؤرخوهم : فلسطين بالكسر ثم الفتح وسكون السين وطاء مهملة وآخره نون. وقيل : بفتح الفاء واللام أو بكسرهما، والرأي الأول هو المعول عليه. انظر : بلادنا فلسطين ١٥/١ مصطفى مراد الدباغ، وتاريخ فلسطين الحديث ص ١١ د. عبد الوهاب الكيالي.

(٢) انظر : د. صلاح الدين بحيري : جغرافية فلسطين ص ١٥، من بحوث كتاب المدخل إلى القضية الفلسطينية، تحرير : جواد الحمد ، وموسوعة كتاب فلسطين والوعد الحق ص ٥ الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وتاريخ فلسطين الحديث ص ١١ د. الكيالي ، وبلادنا فلسطين ج١ ص ١٥ مصطفى الدباغ.

(٣) اتفاقية (سايكس – بيكو) تفاهم سري استعماري بين بريطانيا وفرنسا، متمم لاتفاق رئيسي بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لتقسيم السلطنة العثمانية والاستيلاء على المشرق العربي –سورية الطبيعية– في أعقاب دخول الأتراك الحرب إلى جانب ألمانيا. فبينما كانت بريطانيا تفاوض الشريف حسين بن علي –عندما أعلن ثورته ضد الدولة العثمانية– وتغريه وتعده وتمنيه طوال عام ١٩١٥ م لتحقيق ما يحلم به وهو قيام دولة عربية كبرى من حدود تركيا إلي سيناء ومن البحر إلي إيران، في هذا الوقت وعلى التحديد في مايو (ايار)١٩١٦ م كانت بريطانيا تجلس مع فرنسا للتفاوض في مستقبل البلاد العربية، فكان مندوب بريطانيا السير مارك سايكس عضو مجلس العموم البريطاني والمهتم بالشئون العربية والمندوب السامي البريطاني لشئون الشرق الأدنى، وكان مندوب فرنسا المسيو جورج بيكو قنصلها في بيروت في عام ١٩١٥ م ومعتمدها السامي، وأشرف على تلك المباحثات معتمد روسيا وزير خارجيتها سيرجي زازنوف، فوزعت بريطانيا وفرنسا البلاد العربية بينهما –والمسلمون سادرون في ثقتهم ببريطانيا– وبهذه الاتفاقية أصبح لفرنسا كامل النفوذ في البلاد السورية ولبنان، كما أصبح لبريطانيا كامل النفوذ في العراق وفلسطين والأردن. وهذه الاتفاقية التي تعتبر مثالا للمكر والخداع والجشع في سياسة الدول الاستعمارية، هي الأساس الفعال لخطة تمزيق المشرق العربي (سياسة فرق تسد)، وبمقتضاها انقسمت الشام إلى أربع دول منفصلة، فتمكن اليهود من فلسطين تحت رعاية من بريطانيا. =

ومن ثم كان لفلسطين حدودها مع تلك الأقطار، فضلا عن حدودها مع مصر.

ولم يتحدد شكل فلسطين وحدودها الجغرافية المتعارف عليها في عصرنا هذا إلاّ أيام الانتداب البريطاني على فلسطين. وقد كان تحديد أرض فلسطين يضيق ويتسع باختلاف العصور المتعاقبة عليها، على أن فلسطين ظلت تعتبر جزءا من بلاد الشام[1].

وكان تعيين الحدود بين فلسطين من جهة وسورية ولبنان من جهة أخرى بموجب الاتفاق الفرنسي البريطاني المنعقد في ٢٣/١٢/١٩٢٠ م، وقد حدث بعض التعديل على هذه الاتفاقية في عام ١٩٢٢-١٩٢٣م، فأدخلت ضمن حدود فلسطين بعض الأراضي السورية القريبة من نهري ((بانياس))[2] و((الحاصباني))[3] وكذلك بعض القرى اللبنانية القريبة من نهر ((الليطاني))[4] ، أما الحدود مع شرقي الأردن فقد حددها المندوب السامي البريطاني لفلسطين وشرقي الأردن في الأول من سبتمبر عام ١٩٢٢م[5] وكانت الحدود مع مصر قد حددت بموجب الاتفاقية المعقودة في ١٢ من شعبان ١٣٢٤هـ أول أكتوبر ١٩٠٦م بين خديوية مصر والحكومة العثمانية[6].

= انظر جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ص ٥٤-٥٨ صالح مسعود أبو بصير، و السياسة الدولية وفلسطين ص ١٩٥-١٩٧ د. محمد كمال الدسوقي، وموسوعة السياسة ١٢٣/٣ د. عبد الوهاب الكيالي، والقاموس السياسي ص ٦٠٨-٦٠٩ أحمد عطية الله، والموسوعة الفلسطينية ٥٣٤/٢-٥٣٥، والأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل ص ١٧ إبراهيم محمد العلي، وتاريخ فلسطين الحديث ص ٧٧-٧٨ د. عبد الوهاب الكيالي، والقدس في دائرة الحدث ٣٨/١ د. إبراهيم حسن أبو جابر، ودراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٥٧٠-٥٨٠. د.عمر عبد العزيز عمر، وسياسة الاستعمار والصهيونية ١ / ٣٦٨ د. حسن الخولي.

(١) رجال من فلسطين لعجاج نويهض ص ٣١٤ - ٣١٥ نقلاً عن الأرض المقدسة ص ١٨ إبراهيم العلي، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ص ٢٢، محمود نعناعة، وفلسطين إليكم الحقيقة ٣٢/١ ج. جفريز.

(٢) نهر بانياس : نهر ينبع من أراضي سوريا على ارتفاع ٣٥٠ م فوق سطح البحر ومياهه تصب في نهر الأردن في فلسطين، فلسطين أرضا وشعبا وقضية ص ٣١ د. محمود السمرة وجماعة.

(٣) نهر الحاصباني : يقع إلى الغرب من نهر الدان وهو أطول ينابيع نهر الأردن يبلغ طوله حوالي ٣٨٫٥ كم يجري نحو ١٤ كم منه في لبنان، وهو ينبع في لبنان من بركة قليلة الغور. بلادنا فلسطين ٦٤/١.

(٤) نهر الليطاني : ينبع من منبع العليق في شمال البقاع ويصب في البحر على مسافة سبعة كيلو مترات شمالي صور، ويعتبر أطول أنهار لبنان. بلادنا فلسطين ٦٥/١ حاشية (٣) مصطفى الدباغ.

(٥) بلادنا فلسطين ج١ ص ١٧-١٩ مصطفى الدباغ، والأرض المقدسة ص ١٩ إبراهيم العلي.

(٦) بلادنا فلسطين ج١ ص ٢٠ مصطفى مراد الدباغ.

وبموجب هذه الاتفاقيات أصبحت الحدود من ((رأس الناقورة))[1] الواقع على البحر الأبيض المتوسط باتجاه الشرق إلي قرية ((يارون))[2] في لبنان، ومن ثم تسير الحدود باتجاه الشمال الشـــرقي إلى ((قدس))[3] و((المطلة))[4] في فلسطين، وعبر ((نهر الأردن)) [5] إلى ((تل القاضي))[6] في فلسطين وإلى بانياس قي سورية، وبعد ذلك يســـير خط الحـــدود باتجاه الجنوب الغربي إلى ((جسر بنات يعقوب))[7] ، ومن ثم يسير باتجاه الجنوب على طول نهر الأردن حتى ((بحيرة طبرية))[8] ثم ينحرف

---

(١) رأس الناقورة، يقع هذا الرأس في فلسطين. يبعد عن عكا بنحو ١٢ كم وعن القدس بـــ ١٩٧ كم وعن صور بـــ ٢٤ كم وعن بيروت بـــ ١٠٦ كم، سمّي بذلك نسبة إلى قرية (الناقورة) وجبالها الواقعة ضمن لبنان وتبتعد القرية مسافة ٤ كم عن الحدود الفلسطينية اللبنانية. والناقورة كلمة سريانية تعني (حفر) و(نقب). بلادنا فلسطين ج١ ص ١٧-١٩ حاشية ٣ مصطفى الدباغ.

(٢) يارون، بلدة قديمة أسسها الكنعانيون العرب. وهي اليوم قرية في محافظة الجنوب من أعمال قضاء (بنت جبيل) في لبنان. المرجع السابق ج١ ص ١٩ حاشية رقم ١.

(٣) قدَس. تقع شمال مدينة صفد وتبعد عنها ٣٤ كم من طريق النبي يوشع — الغور المعبدة و٢٢ كم من طريق علما — الرأس الأحمر طيطبا، وظلت هذه القرية تتبع لبنان حتى عام ١٩٢٣ م، هاجمها الصهيونيون في ١٩٤٨/٥/١٥ م ففشلوا في احتلالها، ثم عادوا واحتلوها في العام نفسه وشردوا سكانها ودمروها. الموسوعة الفلسطينية٣/٥٠٧—٥٠٨.

(٤) المطلّة، من قرى قضاء صفد تشغل أقصى الزاوية الشمالية من حوض الحولة على الحدود اللبنانية، وكانت أراضيها ملكا لبعض الإقطاعيين اللبنانيين فباعوها للصهيونيين سنة ١٨٩٦ م، وقد تعرضت لعدة عمليات عسكرية من قبل المقاومة، منها ما كان في فجر ١٩٧٥/٧/١٨ م، الموسوعة الفلسطينية ج٣ ص ٥٦٤، و ج ٤ ص ٢٢٩.

(٥) نهر الأردن، أكبر أنهار فلسطين، وهو نهر داخلي تصب مياهه في البحر الميت، وقد قامت إسرائيل سنة ١٩٦٤م بتحويل القسم الأكبر من مياه هذا النهر إلى منطقة النقب في جنوبها. جغرافية فلسطين د. نقولا زيادة ص ١٨-١٩ ضمن بحوث القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني الجزء الأول.

(٦) تل القاضي، يقع في أقصى الطرف الشمالي الشرقي لفلسطين عند الحدود السورية، ومنه ينبع نهر دان رافد نهر الأردن، وهو منذ القدم موقع مهم على طريق القوافل بين جنوبـــي سورية وكل مـــن لبنان وفلسطين. الموسوعة الفلسطينية ج٣ ص ٤٩.

(٧) جسر بنات يعقوب، يقع على نهر الأردن على بعد ٢ كم من بحيرة الحولة، ويبعد ٢٠ كم عن مدينة صفد. في العصور الوسطى إبان الحروب الصليبية سيطر الصليبيون على هذا الجسر لأهميته الحيوية -فهو عبارة عن ربط لطرق القوافل بين فلسطين ودمشق- وأقاموا عنده قلعة صغيرة في عام ٥٨٣هـــ/١١٧٨م، ولكن صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- فتحها في العام التالي لانتهاء بنائها، ولا تزال بقايا هذه القلعة قائمة وقد صنفت ضمن المواقع التاريخية. وهو اليوم نقطة حراسة وبه معسكر صغير للجيش الإسرائيلي. الموسوعة الفلسطينية ج ١ ص ٤٢١، وبلادنا فلسطين للدباغ ٧٦/١.

(٨) بحيرة طبرية، جزء من مجرى نهر الأردن، وقد سميت بهذا الاسم بعد بناء مدينة طبرية على ساحلها الغربي، ويطلق عليها أحياناً (بحر الجليل) لوقوعها في الطرف الشرقي لإقليم الجليل، وكانت تسمى قديماً بأسماء عديدة من أقدمها (بحيرة الجرجاشيين) نسبة إلى قبيلة كنعانية سكنت هذا الجزء قديماً. وهي تقع على مسيرة ٤٣ كم من البحر المتوسط، تشبه الكمثرى في شكلها. طولها ٢١ كم وأوسع عرض لها نحو ١٢ كم، مساحتها ١٦٥ كيلو متراً مربعاً. وقد برزت أهميتها =

خط الحدود في اتجاه الجنوب الشرقي إلى أن يصل محطة ((الحمّة))[1]. ومن ثم تبدأ الحدود مع الأردن عند مصب ((نهر اليرموك))[2] لتساير بعد ذلك مجرى نهر الأردن، ومن مصبه تتجه الحدود جنوباً عبر المنتصف الهندسي ((للبحر الميت))[3] ((فوادي عَرَبَة))[4] حتى ((رأس خليج العقبة))[5].

= السياسية عندما عينت الحدود بين سورية وفلسطين في اتفاقية الحدود المبرمة عام ١٩٢٢ م بين فرنسا وبريطانيا. فقد دخلت بحيرة طبرية داخل الحدود الفلسطينية لإرضاء الصهيونية العالمية، التي كانت تمارس ضغوطاً كبيرة على كل من فرنسا وبريطانيا في أثناء تخطيط الحدود، لحملهما على ضم معظم المصادر المائية إلى فلسطين، تمهيداً لسيطرة اليهود عليها. وعندما صمم جونسون -الرئيس الأمريكي- في الخمسينات مشروعه لاستثمار مياه نهر الأردن وروافده. كان تصميمه مبنيا على أساس أن تكون بحيرة طبرية التي وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي بعد عام ١٩٤٨م، خزانا طبيعيا للمياه، تصبح معه الدول العربية المجاورة والمنتفعة من هذا المشروع تحت رحمة دولة الكيان الصهيوني، ويكون المشروع تمهيدا للصلح بين العرب والصهاينة. انظر : الموسوعة الفلسطينية ١٠٦/٣، وبلادنا فلسطين للدباغ ٦٩/١ -٧٦.

(١) الحمّة، قرية تقع على نهر اليرموك الأدنى عند مخاضة زور كنعان والتقاء الحدود السورية — الفلسطينية الأردنية. وهي إحدى محطات خط سكة حديد درعا — سمخ، وتبعد ٦٥ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة القنيطرة السورية، و٢٢ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة طبرية. تعرضت هذه القرية لاعتداء صهيوني عام ١٩٥١ م وبقيت منذ ذلك الوقت نقطة حدود تحت إشراف القوات السورية، إلى أن احتلها الصهاينة عام ١٩٦٧م. الموسوعة الفلسطينية ج ٢ ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) نهر اليرموك : يعتبر هذا النهر أكبر روافد الأردن، ينبع من مرتفعات (حوران) من أعمال دمشق ويلتقي مع نهر الأردن في جنوبي بحيرة طبرية، طوله ٥٧ كم منها ١٧ كم في فلسطين وفي آخر يوم من أيام جمادى الثانية عام ١٣ هـــ ٣٠آب، ٦٣٤ م نشبت معركة اليرموك الفاصلة والشهيرة بين جيش الصحابة الكرام بقيادة خالد بن الوليد والدولة البيزنطية وكان النصر حليف المسلمين، وكانت المعركة في سهل الواقوصة الواقع عند استدارة النهر قبل التقائه بنهر الأردن ويعتبر نهر اليرموك اليوم الحد الفاصل السياسي بين سورية والأردن على طول ٣٠ كم. بلادنا فلسطين٧٨/١ـــ٧٩، والموسوعة الفلسطينية٦٢٧/٤-٦٢٩.

(٣) البحر الميت ويطلق عليه ((بحيرة لوط)) وهو يقع في أعمق نقطة في منطقة الغور ينخفض عن سطح الأرض بحوالي ١٣٠٠ قدم ٣٩٦م وطوله ٤٧ ميلا ومتوسط عرضه ١٠ أميال ماؤه مشبع بمواد كيميائية، بحيث أصبح من المستحيل أن يعيش فيه السمك، ففيه ثروات معدنية كبيرة تقدر بنحو ٤٥ مليون طن من الأملاح. كتب عن هذا البحر في العهود القديمة - العهود اليونانية- الهيلنيستية والرومانية والبيزنطية وفي العهد الإسلامي والعصور الوسطى وفي وقتنا الحاضر، وكان يسمّى ((بالبحيرة المنتنة)) و ((البحيرة المقلوبة)) وذكر في الكتاب المقدس تحت اسم ((بحر الملح)) تكوين ١٤ :٣. انظر الموسوعة الفلسطينية ٣٥١/١-٣٥٦، وبلادنا فلسطين ٨٣/١-٩٢، وفلسطين أرضا وشعبا وقضية ص ٢٦ د. محمود السمرة وجماعة.

(٤) وادي عربة، يمتد بين البحر الميت شمالا وخليج العقبة جنوبا مسافة ١٧٠ كم، وعرضه بين ٨ و ٢٥ كم، وهو جزء من غور وادي الأردن، ينخفض قسم كبير منه دون مستوى سطح البحر، وتمتد الحافات الجبلية على طول جانبيه الشرقي والغربي. وله أهمية كبيرة، لأنه يربط بين منطقة البحر الميت بزراعتها ومعادنها وخليج العقبة بمينائه. الموسوعة الفلسطينية ج ٣ ص٢٢٢-٢٢٤، وبلادنا فلسطين ج ١ ص ١٠٦-١٢١ مصطفى مراد الدباغ.

(٥) خليج العقبة، يقع في الطرف الشمالي للبحر الأحمر، بين شبه جزيرة سيناء غربا وشبه الجزيرة العربية شرقا. وتطل عليه أربع وحدات سياسية، لكل منها نصيب يختلف عن الآخر من سواحله. فالساحل الفلسطيني في هذا الخليج من الجهة =

أما الحدود مع مصر فهي خط يكاد يكون مستقيماً يفصل بين ((جزيرة سيناء))[1] وبين ((أراضي النقب))[2].

= الشمالية الغربية يبلغ ١١كم، والساحل الأردني من الجهة الشمالية الشرقية يبلغ ١٧ كم، والساحل السعودي من الجهة الشرقية يبلغ ١٤٠ كم، والساحل المصري من الجهة الغربية يبلغ ٢٠كم. وبذلك يبلغ خط الساحل الكلي لهذا الخليج نحو ٣٦٨ كم. ولهذا الخليج أهمية اقتصادية فهو يربط بين أقطار شرق البحر المتوسط عامة والأردن وفلسطين خاصة وبين أقطار شرق وجنوب قارتي أفريقيا وآسيا وقارة استراليا من جهة ثانية، وميناء العقبة الأردني هو المنفذ البحري الوحيد للأردن على العالم. ولهذا الخليج أهمية سياسية كبيرة لأنه يرتبط بقضية فلسطين، فاستخدام الصهاينة لهذا الخليج وميناء إيلات -في الرأس الشمالي الغربي لخيج العقبة- ماهو إلا امتداد لاحتلال الأرض الفلسطينية، على أساس الاغتصاب وفرض الأمر الواقع. وقد زاد فتح خليج العقبة أمام السفن الإسرائيلية الروابط بين الصهيونيين والعالم الخارجي، الأمر الذي ترتب عليه آثار سياسية، كنجاح الصهاينة في التغلب على العزلة. ولهذا الخليج أهمية عسكرية، فهو يعد المنفذ الجنوبي لفلسطين والأردن والمفتاح الأمامي لشبه جزيرة العرب وسيناء. وقد كان له شأن كبير من الناحية الحربية منذ العصور القديمة. وعندما دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م جعلت همها الرئيس الهجوم على مصر عن طريق العقبة وسيناء وكان لابد للحلفاء من الاستيلاء على العقبة وشرق الأردن لإحباط خطة الدولة العثمانية. وكشفت الحرب العالمية الثانية أهمية العقبة ولا سيما الخليج والأراضي المتصلة بشماله، فقد كان من أحسن الأماكن أمانا لتفريغ العتاد الأمريكي والمؤن والذخائر لبعده عن طائرات الأعداء وقد استخدم الصهاينة خليج العقبة في أثناء حرب ١٩٦٧م في الهجوم على مصر، واستخدموه أيضا في هجومهم المتكرر على مصر في أثناء حرب الاستنزاف -وهذه الحرب بدأت في آذار ١٩٦٩م على الجبهة المصرية، وكان المقصود منها أن تحسن إسرائيل مواقعها المحتلة وإحباط المشروعات العربية لإعادة إنشاء القوات المسلحة وتطويرها، فكانت إسرائيل تقوم باعتداءات متتالية على الدول العربية المحيطة بها- وقد أقام الصهيونيون قاعدتين بحريتين إحداهما عند رأس الخليج في ميناء إيلات العسكري والثانية عند شرم الشيخ في مدخل الخليج. انظر الموسوعة الفلسطينية ٢٨٦/٣-٢٨٨، و٢١٥/١-٢١٩، وبلادنا فلسطين ١١٨/١-١٢١مصطفى الدباغ.

(١) جزيرة سيناء : تقع في المنطقة الممتدة شرقاً من قناة السويس وخليج السويس إلى خليج العقبة، وخط الحدود مع مصر وفلسطين. وهي تشكل مثلثاً متساوي الأضلاع تقريباً، قاعدته شاطئ البحر الأبيض المتوسط ورأسه على البحر الأحمر عند نقطة التقاء خليج السويس وخليج العقبة في ((رأس محمد)) القريب من شرم الشيخ.وتبلغ مساحتها حوالي ٦١ ألف كلم مربع. وتسيطر سيناء على الطرق البحرية بين البحرين المتوسط والأحمر، وهي بمثابة الجسر البري بين قارتي أفريقيا وآسيا وبين شطري الوطن العربي، ثم إنها تعتبر البوابة الشرقية لمصر. لذلك كان الاحتلال الإسرائيلي لها عام ١٩٦٧م يشكل خطراً كبيراً على مصر والمشرق العربي وحركة الملاحة الدولية عبر قناة السويس. موسوعة السياسة ٤١١/٣-٤١٣.

(٢) أراضي النقب : إقليم يقع جنوب فلسطين مساحته (١٢،٠٠٠كيلومترمربع)، وهو يتصل من جهة الجنوب بسيناء وشمال شرق أفريقيا (وادي النيل ودلتاه) وبشمال شبه الجزيرة العربية براً وعن طريق خليج العقبة ومياه البحر الأحمر بحراً. وأما في الشمال فيتصل النقب بأرض فلسطين ومنها إلى بلاد الشام. والنقب بوابة بلاد الشام الجنوبية الغربية لأية حركة أو هجرة أو تجارة أو غزو. و النقب هضبة كبرى يبلغ ارتفاعها بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ متر مربع وهي على شكل مثلث مكونة من هضاب أصغر تعلوها في بعض الأجزاء كتل جبلية بارزة فوق مستويات الهضاب شبه المنبسطة. الموسوعة الفلسطينية ٤٩١/٤-٤٩٤، وموسوعة السياسة د. الكيالي ٦ / ٦٠٥-٦٠٦ .

ويبدأ من ((رفح))[١] على البحر المتوسط إلى ((طابا))[٢] على خليج العقبة[٣].

إذاً ففلسطين يحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط على ساحل طوله نحو ٢٢٤كم، ومن الشرق سورية على حدود طولها ٣٦٠كم، ومن الشمال لبنان على حدود طولها ٧٩كم وجزء من سوريا، ومن الجنوب سيناء وخليج العقبة.

ويبلغ طول الحدود المصرية الفلسطينية بين رأس طابا على خليج العقبة ورفح على البحر الأبيض المتوسط نحو ٢٤٠كم.

وطول الساحل الفلسطيني الواقع على خليج العقبة عشرة كيلومترات ونصف الكيلو متر[٤].

وتبلغ مساحته حوالي ٢٧٠٠٩كم (١٠٤٢٩ميلاً مربعاً) وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب نحو ٤٣٠كم ، وأما عرضه فيتراوح في الشمال بين ٥١ و ٧٠ كم ، وفي الوسط بين ٧٢ و ٩٥ كم، بينما يتسع في الجنوب حتى يصل إلى نحو ١١٧كم[٥].

ولكون فلسطين تقع ضمن إقليم البحر المتوسط فإنها تتميز جغرافياً بخصائص هذا الإقليم، فالمناخ الذي يسودها يتألف من فصلين : فصل ممطر وفصل جاف، أما تضاريسها فتنقسم إلى منطقة ساحلية، ومنطقة جبلية، ومنطقة الغور، ومنطقة بئر السبع والصحراء الفلسطينية[٦].

---

(١) رفح، من مدن قضاء غزة تبعد عن ساحل البحر المتوسط نحو ٥،٥ كم، تقع في أقصى جنوب السهل الساحلي الفلسطيني، على الحدود الفلسطينية المصرية. فهي عبارة عن نقطة حدود بينهما ويقسمها خط الحدود إلى قسمين : قسم فلسطيني وقسم مصري. وتبعد عن قرية العريش المصرية نحو ٤٥ كم، وعن قرية الشيخ زويّد في سيناء نحو ١٦ كم. وتبعد عن غزة نحو ٣٥ كم وعن خان يونس ١٣ كم. تعرضت للاحتلال الصهيوني من تشرين الأول ١٩٥٦م حتى آذار ١٩٥٧م، وتعرضت له مرة أخرى في حزيران ١٩٦٧ م. الموسوعة الفلسطينية ٢/ ٤٦٩-٤٧٢.

(٢) طابا : تقع على الجزء الجنوبي من ساحل خليج العقبة. الموسوعة الفلسطينية ٣ / ٢٨٧، ومعجم بلدان فلسطين ص ٤٩٧ محمد محمد شراب.

(٣) راجع سير الحدود هذا في : بلادنا فِلَسطين ج١ ص ١٨-٢٠ مصطفى مراد الدباغ، وجغرافية فلسطين ص١٥ د صلاح الدين بحيري، من بحوث كتاب المدخل إلى القضية الفلسطينية تحرير: جواد الحمد ، وجغرافيـــة فلسطين د. نقولا زيادة ص١١ ضمن بحوث القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني الجزء الأول ، وفلسطين أرضاً وشعباً وقضية ص ١٧ د.محمود السمرة وجماعة.

(٤) بلادنا فِلَسطين ج١ ص١٥-١٧ للدباغ، وموسوعة كتاب فلسطين والوعد الحق ص ٥ الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

(٥) تاريخ فلسطين الحديث د. عبد الوهاب الكيالي ص ١١، والأرض المقدسة ص ١٩ إبراهيم العلي، وبلادنا فِلسطين ج ١ ص ٢١ مصطفى مراد الدباغ، وفلسطين أرضاً وشعباً وقضية ص ١٧ د. محمود السمرة وجماعة.

(٦) بلادنا فلسطين ج ١ ص ٢٦، ٢٧ مصطفى مراد الدباغ، وتاريخ فلسطين الحديث ص١١ د. عبد الوهاب الكيالي، وفلسطين في ضوء القانون الدولي ص٦ أ. د. حسن الحلبي.

فالمنطقة الساحلية تشمل السهل الساحلي الفلسطيني، ويمتد من رأس الناقورة إلى رفح، ويكاد يكون مستقيماً، ليس فيه موانئ طبيعية صالحة لرسو السفن وخاصة إبّان العواصف والأمطار[1].

وأهم الموانئ الواقعة في المنطقة الساحلية، ميناء غزة[2] وميناء حيفا[3] وميناء يافا[4] وميناء عكا[5]. ويعتبر هذا الساحل الجسر الذي يصل آسيا بأفريقيا[6].

والمنطقة الجبلية ، تقدرت مساحتها بنحو (٨٦١٢) كم وهي تمتد في وسط البلاد كعمود فقري وتشغل ثلثي أرض فلسطين، وتبدأ بعد السهل الساحلي مباشرة بسلسلة من الآكام الطباشيرية والكلسية التي يفصلها عن القمم والسفوح الجبلية أودية عريضة غير عميقة.

والمنطقة الجبلية الفلسطينية امتداد لجبال لبنان باتجاه الجنوب ، وهي هضبة كبيرة تنتهي في شمال منطقة بئر السبع ، وتتألف هذه المنطقة من جبال الجليل[7] ، وهو القسم الشمالي بـــها ،

---

(١) وهذا ما جعل الغزاة، منذ أقدم الأزمنة، يكتسحون هذا الساحل من البر. فالمصريون القدماء واليونان والرومان والصليبيون، مثل ريكاردوس حيث غزا في الحملة الصليبية الثالثة، القلاع في جنوب الكرمل من البر، ونابليون وإبراهيم باشا والبريطانيون دخلوه إما من الشمال أو من الجنوب. انظر : بلادنا فلسطين ج١ ص٢٧ مصطفى مراد الدباغ.

(٢) ميناء غزة، مرسى للسفن الشراعية، ويرسو فـــيه أحياناً عدد من السفن التجارية الصغيرة لتحمل الشعير المصدر منها ، انظر : بلادنا فلسطين ج١ ص ٤٤ مصطفى مراد الدباغ، والموسوعة السياسية ج٤ ص٣٤٩ د. الكيالي.

(٣) ميناء حيفا، أكبر الموانئ في فلسطين ومنفذها الرئيسي إلى العالم الخارجي، ووقوعه على خليج عميق جعل منه مرفأ محمياً طبيعياً لرسو السفن الكبيرة. وقد بدأت الحكومة البريطانية في عام ١٩٢٩م بتحويل هذا الميناء إلى ميناء عصري كبير، ومساحة هذا المرفأ (٣٨٧) فداناً. انظر : بلادنا فلسطين ج١ ص ٤٤، والموسوعة الفلسطينية ج٢ ص٢٩٨.

(٤) ميناء يافا، افتتح عام ١٩٣٦م وأدى هذا إلى ازدهار المدينة ونشاطها الاقتصادي، وكان هذا الميناء الأول في فلسطين قبل أن ينهض ميناء حيفا ويتقدم عليه في الثلاثينات من هذا القرن. وقد كان لهذه المدنية منذ القدم دور كبير في ربط فلسطين بالعالم فكانت محطة رئيسية تتلاقى فيها بضائع الشرق والغرب. ومنذ الاحتلال الصهيوني عام ١٩٤٨ م بدأ ميناء يافا تتقلص أهميته إلى أن أغلق عام ١٩٦٥ م في تشرين الثاني. الموسوعة الفلسطينية ٤/٦٠٧-٦١٦.

(٥) ميناء عكا، قربه من ميناء حيفا جعله يعيش في ظل ذلك الميناء، وكانت تشحن منه صادرات المنطقة الشمالية لفلسطين والأردن وصادرات منطقة حوران في سورية وهو من أهم الموانئ الفلسطينية لصيد السمك، وازدادت هذه الأهمية في صيد الأسماك بعد الاحتلال الإسرائيلي. الموسوعة الفلسطينية ٣/٢٩٠-٢٩٦.

(٦) انظر : بلادنا فلسطين للدباغ ١/٢٧-٤٥، والموسوعة الفلسطينية ٢/٥٩٥-٥٩٩، وتاريخ فلسطين الحديث د. عبد الوهاب الكيالي ص ١٢.

(٧) جبال الجليل، وهي مرتفعات شمال فلسطين حتى جبل عامل في لبنان، وهي تغطي المنطقة الشمالية من فلسطين التي تعرف بلواء الجليل وهي تضم أقضية صفد وطبرية وبيسان وعكا، وتقدر مساحة جبال الجليل بنحو (٢٠٨٣)كم٢، وأعلى قممها جبل الجرمق الذي يقع شمال غربي صفد، و يبلغ ارتفاعه (١٢٠٨م) (٣٩٦٣) قدما وهو أعلى قمم فلسطين. الموسوعة الفلسطينية ٢/٤٧-٥٢، و بلادنا فلسطين ١/ ٤٧-٤٩ للدباغ.

ومن جبال نابلس[1] وجبال القدس[2] وهما القسم الجنوبي بها[3].

أما منطقة الغور فتقع شرقي فلسطين، يخترقها نهر الأردن مع بحيراته وهذه المنطقة قسم من الانخفاض العظيم الذي يبدأ من جبال طوروس في آسيا الصغرى ويستمر جنوبا ماراً بسورية وبالبحر الميت ووادي عربة إلى خليج العقبة وينتهي في بحيرة فيكتوريا بأواسط أفريقية. وهذا الانخفاض نتيجة لحركة قشرة الأرض. ومازالت هذه المنطقة وما جاورها عرضة للاضطرابات الأرضية والزلازل من وقت لآخر، كزلزلة ١٨٣٧م[4] وزلزلة ١٩٢٧م[5] وهذه المنطقة أعمق انخفاض أرضي في العالم كله، فإنها تنخفض عن سطح البحر ٣٩٢ مترا[6].

أما منطقة بئر السبع والصحراء الفلسطينية ، فهي القسم الجنوبي من فلسطين ذو الشكل المثلث الذي يقع رأسه عند خليج العقبة شاملاً الأراضي الواقعة بين قضاءي غزة والجليل وبين شبه جزيرة سيناء وشرقي الأردن وجنوبي البحر الميت، وتقدر مساحة هذه المنطقة بنحو ١٢,٧٧ كم أي ما يقارب نصف مساحة فلسطين[7].

---

(١) جبال نابلس، جزء من سلسلة جبلية تدعى مرتفعات وسط فلسطين، ويتخلل هذه الجبال بعض السهول، أوسعها سهل عرّابة ومساحته٣٠،٠٠٠ دونم، ولئن كانت مرتفعاته أدنى منسوبا من مرتفعات الخليل وهي القسم الجنوبي من جبال القدس فإنها أكثر منها تنوعا وأعقد بنية، وأعلى قمم هذه السلسلة هي جبال عيبال (٩٤٠)م (٣٠٨٤ قدما). الموسوعة الفلسطينية٤/ ٤٢٠-٤٢٣، وبلادنا فلسطين ج١ ص ٣٥ للدباغ.

(٢) جبال القدس، هذه الجبال بوجه عام ليست إلا آكاما مستديرة على هضبة عظيمة. بينها أودية صخرية ضيقة جافة أكثر أيام السنة ويعرف القسم الجنوبي منها باسم (جبال الخليل) نسبة إلى مدينة الخليل، وأعلى قمة في هذه الجبال قمة في جبال الخليل تدعى قمة خربة خلة بَطرخ (١٠٢٠مترا). بلادنا فلسطين ج١ ص ٥٤-٥٦، والموسوعة الفلسطينية ٣/٥٢٧-٥٣٠.

(٣) انظر بلادنا فلسطين ج١ ٤٦ـــ٦٠، وتاريخ فلسطين الحديث للكيالي ص ١٢.

(٤) هدم هذا الزلزال مدينة صفد حيث قتل أربعة أخماس سكانها وأهلك نحو ثلث طبرية وبلغ من شدته أن الأرض كانت تنشق وتنطبق على التوالي وامتد الى غير طبرية وصفد. بلادنا فلسطين للدباغ ج١ص٦١.

(٥) وهذا الزلزال تعرضت له فلسطين وشرقي الأردن وقتل فيه ٢٧٢ شخصا وجرح ٨٣٣ في تلك البقعتين وأكثر الأضرار كانت في الممتلكات وخاصة في نابلس والقدس و الرملة و اللد و السلط وعمان. المرجع السابق.

(٦) انظر بلادنا فلسطين ج١ ص٦١-١٢١، وتاريخ فلسطين الحديث د.الكيالي ص ١٢، والموسوعة الفلسطينية ٣/٤٠٥-٤١١.

(٧) بلادنا فلسطين ج١ ١٢٢-١٣٣، و تاريخ فلسطين الحديث د. الكيالي ص ١٢.

هذا مجمل تضاريس فلسطين -المحتلة- وحدودها التي حددت في الانتداب البريطاني[1].

---

(١) أما عن فلسطين في أثناء حكم الخلافة العثمانية : فقد خضعت فلسطين للحكم العثماني عام ١٥١٦م. وكانت فلسطين طوال الحكم العثماني جزءاً من ولايات الشام كعادهّا على مدى التاريخ. وكانت آنذاك وحدة إدارية تنقسم إلى المناطق التالية : في الشمال : متصرفية عكا وتشمل أقضية : حيفا، طبريا، صفد، ومتصرفية نابلس وتشمل قضائي جنين وطولكرم، وكلها تتبع ولاية بيروت. وفي الجنوب متصرفية القدس الشريف المستقلة وتشمل أقضية : القدس، يافا، غزة، الخليل، بئر السبع، وتخضع مباشرة للحكومة المركزية في الآستانة. أما مناطق شرقي الأردن فجعلت جزءاً من ولاية دمشق.

انظر : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ، ص ٧٣ د. حسّان علي حـــلاّق، وسياسة الاستعمار والصهيونية ١/ ٤٧، د. حسن الخولي، ومقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ص ٩ د. عبد العزيز محمد عوض، والتيار الإسلامي في فلسطين ص ٤٣ محسن محمد صالح .

المبحث الثاني: دراسة حول أسماء اليهود:

من الأمور التي يقف عندها الباحث في التاريخ اليهودي متسائلا، كثرة الأسماء التي يصر اليهود على إلصاقها بأنفسهم.

فهل هذه التسميات مترادفة أو أن كل واحد منها قد أطلق في مرحلة معينة من مراحل تاريخهم، فله مدلول مستقل عن الآخر ؟.

وهل لبعض هذه التسميات دخل في العقيدة الدينية عندهم، والبعض الآخر له دخل سياسي، أو أنها عندهم مبرر لكي تصبح الفكرة الدينية في خدمة الفكرة السياسية ؟.

وهل بعض هذه التسميات تدل على نقاوة جنسهم -كما زعموا- أو أنها كانت حيلة وخديعة دنيئة لحماية مصالحهم من أي إساءة وانتقاص يتعرضون له؟.

وهنا في هذا المبحث -إن شاء الله- سأبين -على قدر المستطاع- مدلولات هذه الأسماء لكي تصبح معانيها والغرض منها جليا أمامنا.

التسميات هي : عبري ، إسرائيلي ، يهودي ، صهيوني.

أولاً : عبري أو عبراني :

جاء في العهد القديم إطلاق لفظ عبراني على النبي إبراهيم عليه السلام[١].

وجاء فيه أيضاً أن هذا المصطلح أطلق على يوسف عليه السلام من قبل امرأة العزيز[٢].

وأطلق على بني إسرائيل من قبل المصريين[٣]، وأطلق على موسى عليه السلام وعلى من أرضعته[٤].

تعددت الآراء واختلفت الأقوال في تعليل هذا المصطلح وفي أصل نشأته، وأجملها فيما يلي :

القول الأول :

يقول الحاخام ايزيدور أبشتاين : ((إن كلمة عبرانيين مختلف على أصلها، والتفسير الأكثر ترجيحا أنها مشتقة من كلمة ((عبر))، أي الجماعة التي أتت عبر نهر الفرات))[٥].

---

(١) تكوين ١٤ :١٣.

(٢) تكوين ٣٩ :١٤.

(٣) تكوين ٤٣ :٣٢.

(٤) خروج ٢ :٦-٧.

(٥) كتاب التوراة تاريخها وغاياتها، ص١٥، ترجمة وتعليق سهيل ديب.

ويقول د.محمد سيد طنطاوي : ((قيل إنهم سموا بالعبرانيين نسبة إلى إبراهيم عليه السلام فقد ذكر في سفر التكوين باسم ((إبراهيم العبراني)) لأنه عبر نهر الفرات وأنهارا أخرى))[1].

وقد نشرت مجلة العربي الكويتية بحثاً للأب ((إسحاق ساكا)) بعنوان ((معنى التسميات للشعوب السامية الثلاثة الكبرى)).. رجح فيه هذا الرأي، وأن هناك من العلماء الثقات -ومنهم العالمان السريانيان ابن الصليبي المتوفى سنة ١١٧١م وابن العبري المتوفي سنة ١٢٨٦م- من رجح هذا الرأي، وهو أن التسمية ناتجة عن عبور إبراهيم عليه السلام نهر الفرات.

وأيد ابن العبري قوله بالترجمة اليونانية ((أكوبلا)) التي تترجم ((العبراني)) بـــ ((المجتاز)) أو العابر.

وقد أخذ بهذا الرأي أيضاً د.ليفن فقال : إنه مشتق من فعل معناه عبور النهر، وفي هذا إشارة إلى عبور إبراهيم نهر الفرات، وفي هذه الحالة يمكن أن تترجم إلى ((مهاجر)) وهذه قد تظهر طريقة الكنعانيين في التحدث عن إبراهيم[2].

ومما يؤكد هذا الرأي أيضا ما جاء في سفر يشوع : ((هكذا قال الرب إله إسرائيل في عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى، فأخذت أباكم إبراهيم من عبر النهر وسيرته في جميع أرض كنعان))[3].

جاء في كتاب من كتبهم : ((أن هذه الكلمة -عبري- مأخوذة من عبر يعبر إذا جاوز نهراً أو مكاناً إلى مكان. سموا بذلك لأن جدهم إبراهيم -عليه السلام- عبر نهر الفرات بمن معه من الخدم والأتباع، قاصدا أرض الكنعانيين فسمي عبرانيا))[4].

ويقول د. أحمد شلبي : ((فالعبري هو المنحدر من ذرية إبراهيم عليه السلام، ولكن لماذا سمي عبريا أو عبرانيا ؟ يرى بعض الباحثين أن إبراهيم سمي عبريا لأنه عبر النهر، ويحتمل أن يكون النهر المقصود هو نهر الفرات كما يحتمل أن يكون نهر الأردن))[5].

---

(١) د. محمد سيد طنطاوي : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص١٧.

(٢) مجلة العربي الكويتية، العدد ((٩١)) ص ١٥١ في يونيو ((حزيران)) سنة ١٩٦٦ م.

(٣) يشوع ٢٤: ٢٢.

(٤) كتاب السنن القويم في تفسير العهد القديم ج١ ص ١١١.

(٥) اليهودية، أحمد شلبي ص ٥٤.

ويقول د. فتحي الزغبي في مسألة ترجيح أي النهرين عبره إبراهيم -عليه السلام- ذكر د.فؤاد حسنين أنه نهر أو شاطئ الأردن دون أن يستدل على ذلك. ولكن د. حسن ظاظا يذكر أنه نهر الفرات ويستدل على ذلك بقوله : ((نحن نعلم أن الفرات بالنسبة للساميين جميعا كان هو النهر الكبير (تكوين ١: ١٨، تثنية١ : ٧، اشعيا ١ :٤)) . =

فالعبري مشتق من الفعل الثلاثي عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو عبر الوادي أو النهر ، أو عبر السبيل : شقها[1].

مناقشة هذا القول :

هاجر إبراهيم عليه السلام من قريته – الوثنية – إلى أرض كنعان فاراً بدينه ، قال تعالى : **﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾**[2]. **﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلعَالَمِينَ ﴾**[3]. هاجر عليه السلام من مدينة أور الكلدانية وهذا ما ذهبت إليه الرواية اليهودية والمؤرخون[4].

= وكان كثيراً مايسمى النهر بدون ذكر إسمه أو صفته ((تكوين ٣١ : ٢١، خروج ٢٣ : ٢١، عدد ٢٢ : ٥، تثنية ١١ : ٢٤، صموئيل ٧ : ٣، أرميا ٨ : ٧، ١١: ١٥. كان اليهود يقولون بلغتهم والأراميون ((عبر نهرا)) كما كان الأكاديمون يقولون ((ابرنارتي)) أو ((ارني ناري)) وقريب منه مافي النقوش العربية الجنوبية. ومعنى ذلك كله الشط الآخر من النهر أي نهر الفرات بالذات، انظر : تأثر اليهودية ص ٧٦.

(١) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٧٧.

(٢) العنكبوت ٢٦.

(٣) الأنبياء ٧١.

(٤) في مسألة هجرة إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان في كتاب اليهود المقدس العهد القديم، تناقض واضطراب.

ففي سفر تكوين ١١ :٣١ ((وأخذ تارح أبرام ابنه ولوطا بن هارون ابن ابنه وساراي كنته امرأة أبرام ابنه، فخرجوا معا من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان)). ففي هذا الإصحاح يفيد أن فكرة التروح إلى أرض كنعان كانت فكرة تارح أبي إبراهيم بينما جاء في السفر نفسه ١٢ :١ ((وقال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك)) أن الخروج كان بأمر الرب و لم يذكر في هذه الفقرة أي علاقة لأبيه في هذا الخروج.

يقول محمود نعناعة : أكدت المكتشفات الأثرية (تل الحريري) بالتفصيل حقيقة مولد إبراهيم عيه السلام في أور التي كانت مركزا عظيما لعبادة القمر. المشكلة اليهودية ص ٧٠-٧١.

قال د. أحمد سوسة يرجع علماء الآثار أصل الكلدانيين إلى شواطئ الخليج العربي في جنوب العراق حيث أسست هناك منذ القرن الثامن عشر ق.م أو ربما قبل ذلك سلالة الأمراء التي عرفت عند المؤرخين بسلالة القطر البحري أو (سلالة بابل الثاني).

والكلدانيون هم من القبائل البدوية السامية، ويعدهم المؤرخون فرعا من الأراميين نزحوا من سورية إلى جنوب العراق. العرب واليهود في التاريخ ص١٨٧.

ومدينة (أور) تقع في أقصى الجنوب من حوض الفرات (بين نهري دجلة والفرات)، وكانت متاخمة لحضارة بابل المشهورة التي تقع في الشمال إلى جهة سوريا ، يقول د. الشقاري : (وهذا ما حدا ببعض المؤرخين المسلمين كالطبري في تاريخه ١٦/١، وابن كثير في تاريخه ١٤٠/١، أن يجعلوا ميلاده عليه السلام في أرض بابل).

المشكلة اليهودية، محمود نعناعة ص ٧٠، والتاريخ اليهودي العام د. صابر طميعة ص٥، واليهود في السنة المطهرة د. عبد الله ناصر الشقاري ج١ ص١٧.

وهنا سؤال يطرح نفسه، هل الخارج من هذه المدينة يجب عليه أن يعبر نهر الفرات حتى يصل إلى بلاد الشام ؟

يقول د. المعايطة : ((إن مدينة أور تقع على الجهة المحاذية لنهر الفرات من جهة الشام ولا يحتاج الذاهب إلى الشام أن يعبر النهر))(1).

بهذا يتبين أن من الجائز أنه عليه السلام لم يعبر النهر في هجرته إلى الشام، وإن عبره فهل كان عليه السلام العابر الوحيد لهذا النهر حتى يلتصق به هذا اللقب دون غيره ؟.

يقول د. حسن ظاظا : ((والواقع أن العبور من العراق إلى الشام ومن الشام إلى العراق لم يكن أمرا غريبا على أولئك الساميين، بل كان طريقا طبيعيا لقوافلهم وهجراتهم، كما تشهد به النقوش المسمارية والكنعانية المختلفة، بل كما تشهد به أسماء مواضع كثيرة واقعة على هذا الطريق))(2).

وإن وافقناهم جدلا أن لقب العبري ألصق بإبراهيم عليه السلام إما لعبوره النهر أو لغير ذلك، وأن العبرانيين منسوبون إليه كما قال د. احمد شلبي : ((العبري هو المنحدر من ذرية إبراهيم عليه السلام))(3). وكما قال ولفنسون : ((ومن المعلوم أن كلمة عبري لا تطلق إلا على من كان من ذرية إبراهيم عليه السلام العبري))(4). ويقول إسحاق ساكا : ((من الحقائق الراهنة أن العبرانيين منسوبون إلى جدهم الأعلى إبراهيم -عليه السلام-))(5).

فمن المعلوم أن من ذرية إبراهيم عليه السلام، أبناء إسماعيل عليه السلام وهم العرب، وأبناء إسحاق ومن أبنائه بنو إسرائيل. إذن فله عليه السلام أولاد وأحفاد غير بني إسرائيل، فلماذا تسموا وحدهم بالعبرانيين أو العبريين ؟.

يقول د. عبد الشكور العروسي : ((ولعل السر في ذلك أن الإسرائيليين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم لادعائهم أنهم وحدهم هم الأبناء الوارثون لإبراهيم وراثة أبدية ولا يشاركهم في هذا الميراث غيرهم من أبناء إبراهيم وأحفاده))(6).

---

(1) أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر ص ٣ د. عطا الله بن بخيت المعايطة، رسالة ماجستير، بالآلة الكاتبة، قسم العقيدة جامعة أم القرى.

(2) د. حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية ص ٢٦، ط ١ دمشق ١٤٠٥هـ.

(3) د. أحمد شلبي، اليهودية ص ٥٤.

(4) تاريخ اللغات السامية ص ٧٧.

(5) مجلة العربي الكويتية، العدد السابق، ص ٥١.

(6) د.عبد الشكور العروسي، بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية ص١٢٦.

وهذا المعنى جاء واضحاً في العهد القديم : ((وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك، فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعوا اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبديّاً لنسله من بعده))[١].

وبهذا النص في كتابهم المقدس وأمثاله استطاعت الصهيونية أن تغرس فكرة العودة إلى أرض فلسطين -بل من النهر الكبير نهر الفرات إلى نهر مصر- في قلوب اليهود وعقولهم على جميع طبقاتهم، وأنهم شعب الله المختار أحفاد الأنبياء الكرام أمثال إبراهيم عليه السلام ويعقوب عليه السلام وهؤلاء عليهم السلام براء من هذه الفئة الضالة ، قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ إِبرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصرَانِيًّا** ﴾[٢].

القول الثاني :

وقيل إنهم سموا بالعبرانيين أو العبريين نسبة إلى أحد أجداد إبراهيم عليه السلام وهو (عابر)[٣].

وقيل : ((إن عابر هذا أحد أجداد إبراهيم الذي أتى بالعبرانيين إلى فلسطين))[٤].

مناقشة هذا القول :

يقول د. أحمد سوسة : وهذا -القول- غير مستند إلى أي دليل أو أساس وهو من قبيل : الحدس والاجتهاد[٥].

والأدلة تدل على استبعاد هذا القول، ومنها :

أن عابر ليس هو أشهر أجداد إبراهيم عليه السلام، وأن هناك جدّاً أشهر منه وأكبر منه وهو سام، فلو كانت المسألة انتساباً إلى جد مشهور علم لكان الانتساب إلى سام أولى.

وأن النسبة إلى عابر، عابري وليس عبري أو عبراني.

---

(١) تكوين ١٧ : ١٨-١٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٧.

(٣) انظر تكوين ١١: ١٦ —١٧ / ١٠: ٢١-٢٥. وانظر : بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء ص ١٢٤، و بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ١٨، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص٧٦، وإسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص٧٤، واليهودية ص ٥٤.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٥٦.

(٥) العرب واليهود في التاريخ ص ٤٦٩ د. أحمد سوسة.

ولو سلّمنا جدلا أن تسمية اليهود بالعبرانيين نسبة إلى ((عابر)) أحد أجداد إبراهيم عليه السلام لما كان لليهود الحق في الاستئثار بهذا الاسم دون غيرهم، لأنه يحق لكل من أولاد عابر أن يسمى بالعبري سواء أكان من ذرية إبراهيم عليه السلام أو غيره.

القول الثالث :

وقيل إنهم سموا بذلك لكثرة تنقلهم وتجوالهم في الصحراء.

يقول د. أحمد سوسة : أن كلمة ((عبري)) مرادفة لابن الصحراء وابن البادية[١].

ويرى د. ولفنسون : ((أن كلمة عبري لا ترجع إلى حادثة بعينها أو شخص بعينه، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل، وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى، وهي أي كلمة ((عبري)) في مجملها تدل على التحول والتنقل... وقد كان الكنعانيون والمصريون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء وليميزوهم عن أهل العمران))[٢].

ويؤيد هذا القول د.عبد المنعم الحفني، فهو يرى أنهم سموا بذلك لأنهم قبائل رحل[٣].

مناقشة هذا القول :

إن صفة التنقل والهجرة من مكان إلى آخر بحثا عن الماء والمرعى صفة لجميع الأمم السامية، بل هذه الصفة لجميع ساكني الصحراء من أمم الناس ساميين وغيرهم. فكيف اختص هذا اللقب ببني إسرائيل دون غيرهم من البشر؟.

وقال د.المعايطة : ((وقيل إن لفظ عبري اسم علم أعجمي ليس له مادة اشتقاق في اللغة العبرية، فلا يصح أن يقال للمتنقل أو كثير العبور))[٤].

وهناك أقوال أخرى في هذه المسألة، منها :

أن اسم العبرانيين في اللغات الإفرنجية مشتق من كلمة حبرون[٥].

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦٨ د. أحمد سوسة.

(٢) تاريخ اللغات السامية ص ٧٧ ــ ٧٨ د. إسرئيل ولنفسون.

(٣) الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٨ د. عبد المنعم الحفني.

(٤) أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر ص٢ د. عطا الله المعايطة.

(٥) حبرون : من أسماء مدينة الخليل. في ربوعها رسا المطاف بسيدنا إبراهيم عليه السلام وفيها دفن عليه السلام مع زوجته سارة ودفن إسحاق ويعقوب، وكانت عاصمة المملكة اليهودية الأولى في عهد داود ولمدة سبع سنوات ونصف ، =

وقيل إن هذا الاسم كان قد أطلق قبل الألف الثانية قبل الميلاد على طائفة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب[1].

أما بالنسبة للدلالة على اليهود فقد استعمل في وقت متأخر في فلسطين[2].

وهكذا فقد تبين أن الآراء تباينت في أصل التسمية بالعبرانية.

والمتعارف عليه أن هذه التسمية استأثر بها اليهود دون غيرهم من ذرية إبراهيم عليه السلام أو من غير ذريته.

يقول دروزة : ((حيث يمكن أن يقال إن بني إسرائيل يتداولون فيما بينهم أن جدهم الأكبر كان يوسف العبراني وأنهم احتفظوا بهذا الوصف لأنفسهم ولغتهم))[3].

ولفظ العبرانيين لم يرد ذكره في القرآن الكريم.

ثانياً : بنو إسرائيل أو الإسرائيليون :

إسرائيل هو الاسم الثاني ليعقوب بن إسحاق عليهما السلام.

فقد روى الإمام الطبري عن ابن عباس والضحاك وقتادة وابي مجلزأن يعقوب هو إسرائيل[4].

وكذا روى الحافظ ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما[5].

((اتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم))[6].

((وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام))[7].

وذكر يعقوب عليه السلام باسم إسرائيل مرتين في القرآن العظيم.

= حتى استبدل بها مدينة يبوس ((القدس)). ذكرها المؤرخون والرحالة، بأسماء ((مسجد إبراهيم)) و ((حبري)) و ((حبرون)) و ((الخليل))، الذي غلب أخيراً على غيره من الأسماء. بُنيت على سَفحي جَبَلي ((الرُميدة)) و ((جبل الرأس)) على ارتفاع ٩٢٧م، وفي وادٍ بين جبلين يُعرف بوادي التفاح. وتقع في منطقة فلسطين الجبلية وتشمل الأقسام الجنوبية لجبال القدس. انظر : معجم بلدان فلسطين ص ٢٨٨ و ٣٤٥ و ٣٤٦ محمد بن محمد شراب، و الصهيونية بين الدين والسياسة ص ١١، عبد السميع سالم الهراوي.

(١) بنو إسرائيل والعبرية الحديثة ص ٨٣ ، والعرب واليهود في التاريخ ص ٤٧٨.

(٢) بنو إسرائيل والعبرية الحديثة ص ٨٤، علي رؤوف سيد مرسي.

(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٣١، محمد عزة دروزة.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ج٤ص١-٥ عند تفسير قوله تعالى : **﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسرَائِيلُ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسرَائِيلُ عَلَى نَفسِهِ﴾** الآية ٩٣ آل عمران.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٣٩٠.

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢ص٢٩ دار الكتب العلمية.

(٧) تفسير روح المعاني للألوسي ج٤ص٤ المكتبة التجارية الباز.

مرة في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسرَائِيلُ عَلَى نَفسِهِ ﴾[١].

والأخرى في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّن حَمَلنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبرَاهِيمَ وَإِسرَائِيلَ ﴾[٢].

وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب عليه السلام ، حيث كانوا قبل أن يُسمى يعقوب بإسرائيل يُعرفون بأبناء يعقوب عليه السلام[٣].

وكلمة إسرائيل عبرانية مركبة من مقطعين : الأول (إسرا) والثاني (إيل).

قال الإمام الطبري : ((وكان يعقوب يدعى إسرائيل بمعنى عبد الله وصفوته من خلقه، وإيل هو الله، وإسرا هو العبد)). وذكر بسنده إلى ابن عباس : ((إن إسرائيل كقولك عبد الله))[٤].

وقال الفخر الرازي : ((إن معنى إسرائيل -عبد الله- أن (إسرا) في لغتهم هو عبد و (إيل) هو الله))[٥].

ولما سمي يعقوب بإسرائيل سموا بني إسرائيل أو الإسرائيليين[٦].

حيث إنه جاء في الرواية اليهودية أن الله سبحانه وتعالى سمى يعقوب عليه السلام بإسرائيل فقال له : ((لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل فدعا اسمه إسرائيل))[٧].

فذرية يعقوب عليه السلام عرفوا بإسم الإسرائيليين أو بني إسرائيل.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٣.

(٢) سورة مريم الآية ٥٨.

(٣) تكوين ٣٤: ٧-١٣

(٤) جامع البيان لابن جرير الطبري ج١ص٢٤٨.

(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢ص٢٩.

(٦) تكوين ٤٥ : ٢١، ٤٦ : ٥.

(٧) تكوين ٣٥: ٩-١٠، تكوين ٣٢ : ٢٨.
ويعتقد اليهود أن لهذا الاسم قصة بناءً على ما جاء في الرواية التوراتية المحرفة وهي أن الله سمى يعقوب بهذا الاسم بعد النصر الذي حققه يعقوب على الإله في المعركة التي وقعت بينهما حتى طلوع الفجر. تكوين ٣٢ : ٢٤-٢٨. يقول الإمام ابن حزم حول هذه القصة : ((في هذا الفصل شنعة عفت على كل ما سلف يقشعر منها جلود أهل العقول، بالله العظيم لولا أن الله عز وجل قصّ علينا كفرهم بقولهم ﴿يَدُ اللهِ مَغلُولَةٌ﴾ سورة المائدة ٦٤. وبقولهم ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحنُ أَغنِيَاءُ﴾ آل عمران ١٨١. لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم، لكنا نحكيه منكرين له، كما نتلوه فيما نصه عز وجل تحذيرا من إفكهم)) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ٣٣٢. ثم قال رحمه الله : ((وهذه مصائب شاهدة بضلالهم وخذلانهم وصحة اليقين بأن توراتهم مبدلة)) المرجع السابق ج١ص٢٣٣. وانظر في الرد على هذه القصة المكذوبة، تأثر اليهودية ص ٦٥٢-٦٦٠ د.الزغبي .

واستمر هذا اللقب يطلق على الأسباط العشرة الذين يسكنون الشمال لتميزهم عن سبطي الجنوب -يهوذا وبنيامين-[1].

((وقد ظل اليهود يفضلون لقب الإسرائيليين أو بني إسرائيل على لقب العبرانيين، بل إنهم كانوا يفخرون به. لأن هذا اللقب أطلقه الرب على أبيهم مقترناً بالوعد الذي منحه لهم كشعب مختار كما يزعمون. في حين أن اللقب الثاني كان يقترن بغربتهم ومذلتهم.

ولذلك فإن لقب الإسرائيليين وكنية بني إسرائيل يترددان في كل أسفار التوراة مقترنين بزهو اليهود وفخارهم، بالإضافة إلى أن لقب العبرانيين يُدخل معهم أبناء إبراهيم عليه السلام، من غير يعقوب عليه السلام، أما لقب إسرائيل فلا يحتمل إلا نسل يعقوب عليه السلام فقط))[2].

ثالثاً : يهود أو يهودي :

((هذا هو الاسم الثالث من حيث التسلسل الزمني لظهور الأسماء))[3].

وقد اختلف العلماء الباحثون في بيان معنى هذه الكلمة وذلك لاختلافهم في أصل وضعها، فهل هي راجعة إلي شخص نسبت إليه، أو أنها راجعة إلى حادثه وقعت من فئة معينة سميت بهذا الاسم، أو أنها حالة معينة كانوا عليها في وقت معين، أو إلى غير ذلك من الأسباب.

وإن كانوا متفقين على أن المراد باليهود من حيث الاصطلاح هم الذين يدعون أنهم اتباع موسى عليه السلام.

فقال بعضهم إن السبب في تسمية إسرائيل باليهود، توبتهم عن عبادة العجل في زمن النبي موسى عليه السلام.

قال الشهرستاني : ((هاد الرجل : أي رجع وتاب. وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام : ﴿ **إِنَّا هُدنَا إِلَيكَ** ﴾[4] أي رجعنا وتضرعنا)) [5].

وذهب ابن منظور في ((لسان العرب)) تحت مادة ((هود)) إلى المعنى نفسه ؛ فقال : الهود : التوبة. هاد يهود هوداً وتهوّد : تاب ورجع إلى الحق فهو هائد. وفي التنـــزيل العزيز ﴿ **إِنَّا هُدنَا**

---

(١) انظر تأثر اليهودية ص ٨٣ د. الزغبي، ومن اليهودية إلى الصهيونية ص ٢١ د. السحمراني.

(٢) المرجع السابق ص ٨٣ د. فتحي الزغبي.

(٣) أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر ص١٠ رسالة ماجستير بالآلة الكاتبة، جامعة أم القرى د. عطا الله بخيت المعايطة.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٥٦.

(٥) الملل والنحل ج١ص٢٥٠، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهر ستاني. ت : عبد الأمير علي مهنا وعلي فاعور.

إِلَيكَ ﴾ ، أي تبنا إليك، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم. والتهود : التوبة والعمل الصالح. وسميت اليهود اشتقاقا من هادوا أي تابوا[١].

وقال الإمام الطبري : ((وأما الذين هادوا، فهم اليهود، ومعنى هادوا : تابوا، يقال منه : هاد القوم يهودون هودا وهادة. وقيل إنما سميت اليهود يهوداً من أجل قولهم ﴿ إِنَّا هُدنَا إِلَيكَ ﴾))[٢]. وإلى هذا ذهب الحافظ ابن كثير في التفسير[٣].

وهناك من يرى أن السبب في تسميتهم باليهود، نسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام. فقد كان عليه السلام قد أوصى بالقضيب -وهو رمز الزعامة في بني إسرائيل- إلى الابن الرابع له وهو يهوذا، عندما فضله على إخوته الثلاثة في خطبة ألقاها على أبنائه الاثني عشر[٤].

وعندما نطق العرب ((يهوذا)) أبدلوا الذال بالدال، فإن العرب إذا نقلوا أسماء من العجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها[٥].

وبعضهم يرى أن النسبة إلى يهوذا المقصود منها مملكة الجنوب التي عاصمتها أورشليم التي كان فيها سبط يهوذا وبنيامين. والتي وجد بمقابلها مملكة الشمال، مملكة إسرائيل ((افوائيم)) والتي عاصمتها شكيم ((السامرة)) وفيها الأسباط العشرة الباقية[٦].

وقيل : إنهم سموا بذلك لأنهم يتهودون، أي يتحركون عند قراءة التوراة[٧].

رابعاً : صهيوني، الصهيونية :

الصهيونية (Zionism) كلمة مشتقة من لفظة صهيون.

وصهيون إحدى القمم الأربع للشعاب الجبلية التي تقوم عليها مدينة القدس. وتقع على المشارف الجنوبية لمدينة القدس الشريف[٨].

---

(١) لسان العرب ج٣ص٤٣٩ لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور.

(٢) جامع البيان لأبي جعفر الطبري ج١ص٣١٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج١ص١٠٧ لأبي الفداء إسماعيل بن كثير.

(٤) تكوين الإصحاح التاسع والأربعون.

(٥) التاريخ اليهودي العام ص٤٣،٣٣، صابر طعيمة، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة ص١٩ د. محمد سيد طنطاوي.

(٦) انظر في هذا : العرب واليهود في التاريخ ص ٦٧ د.أحمد سوسة ، ومصر والشرق الأدنى القديم ص١٨٠ د. نجيب ميخائيل إبراهيم، ومدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين ص٢٢ د. محمد إسماعيل السيد، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص٨٧ د. فتحي الزغبي.

(٧) تفسير القرآن العظيم ج١ص١٠٧، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير.

(٨) انظر : من ص ١٧٤، ففيه تعريف أكثر عن الصهيونية وحقيقتها .

المبحث الثالث

تاريخ اليهود من بدايتهم حتى تشتتهم على أيدي الرومان.

يعقوب عليه السلام النبي الكريم، من تاريخه كانت البدايات الأولى مع بني إسرائيل.

فيعقوب عليه السلام هو إسرائيل، وهو أصل بني إسرائيل، وأبوهم الذي تفرعوا منه، أبوه إسحاق عليه السلام بن إبراهيم عليه السلام.

جاء في العهد القديم: ((أن بعد موت سارة وقبل وفاة إبراهيم عليه السلام أوصى كبير عبيده بأن لا يزوج ابنه إسحاق عليه السلام من بنات كنعان بل يزوجه من أرضه وعشيرته، فعمل هذا بوصية إبراهيم عليه السلام فذهب إلى آرام النهرين حيث مدينة ناحور فزوج إسحاق برفقة بنت تبوئيل بن ناحور أخي إبراهيم عليه السلام))[١].

رزق الله إسحاق عليه السلام من زوجته رفقة بولدين في بطن واحد هما : عيسو الولد البكر، قال ابن كثير : وهو الذي تسميه العرب (العيص) . والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه، قال ابن كثير: فسموه يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل[٢].

جاء في العهد القديم : أن إسحاق عليه السلام وصى يعقوب عليه السلام أن لا يأخذ زوجة من بنات كنعان بل يتزوج من عشيرته وأهله في فدان أرام ويأخذ لنفسه زوجة من بنات خاله لابان[٣].

تزوج يعقوب عليه السلام ابنتي خاله ((ليئة)) و ((راحيل))[٤]. كما تزوج أيضا جاريتيهما المهداتيه إليه منهما[٥].

فولد ليعقوب اثنا عشر ولدا، منهم يوسف النبي الكريم عليه السلام، وهم أجداد بني إسرائيل، الذين تفرعت عنهم أسباطهم وقبائلهم[٦].

---

(١) تكوين ٢٤ : ١-٦٧.

(٢) البداية والنهاية ج١ص١٨١. تكوين ٢٥: ٢٢-٢٦.

(٣) تكوين ٢٨: ١-٢

(٤) تكوين ٢٩ : ٢٣، ٢٨.

(٥) تكوين ٣٠: ٣ وكانت جارية راحيل تسمى بلهة، تكوين ٣٠ ٩: وكانت جارية ليئة تسمى زلفة.

(٦) جاء في العهد القديم أسماء بني يعقوب هم : أبناء ليئة : رأوبين البكر في أولاده جميعا، شمعون، لاوي يهوذا (الرابع في إخوانه وعليه يتركز الوعد التوراتي بأرض فلسطين وإليه تؤول زعامة آل يعقوب) يسّاكر، زبولون، ابنة إسمها دينة. أبناء جارية راحيل -بلهة : دانا، نفثالي، أبناء جارية ليئة- زلفة : جادا، أشير. أبناء راحيل : يوسف ((ويوسف عليه السلام كان آخر أولاده في أرض حران، تكوين ٣٠ : ٢٥))، وأخر أبنائه -بنيامين- من زوجته راحيل وكان مولده في =

استقر يعقوب عليه السلام في أرض كنعان مع جميع بنيه[1].

وهنا حصلت قصة ليوسف عليه السلام، فصلها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم القرآن العظيم في سورة تحمل اسمه، كان من نتائج هذه القصة أن أصبح يوسف عليه السلام أمينا على خزائن مصر، وأنه جاء بأبيه وإخوته من فلسطين إلى أرض مصر.

استقر بنو إسرائيل في مصر ((وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جدا))[2]. ووفى من وفى منهم، بعهدهم مع الله ثم بعهدهم مع أبيهم قال تعالى : **﴿وَمَن يَرغَبُ عَن مِلَّة إبرَاهِيمَ إلاَّ مَن سَفِهَ نَفسَهُ وَلَقَد اصطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا وَإنَّهُ فِي الآخِرَة لَمِن الصَّالحِينَ . إذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ . وَوَصَّى بِهَا إبرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَابَنِيَّ إنَّ اللَّهَ اصطَفَى لَكُم الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنتُم مُسلِمُونَ﴾**[3].

ومن هؤلاء الذين وفوا كان يوسف عليه السلام، الذي حمل أمانة الدعوة إلى الدين الحق إلى أرض مصر **﴿ رَبِّ قَد آتَيتَنِي مِن المُلك وَعَلَّمتَنِي مِن تَأوِيلِ الأَحَادِيث فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسلِمًا وَأَلحِقنِي بِالصَّالحِينَ ﴾**[4].

وبمرور الزمن جنح كثير من بني إسرائيل عن طريق الحق والدين القويم، وعلى أثر بعدهم عن دين الله نزعت عنهم الخيرية، بل استحقوا لعنة الله عز وجل **﴿ ضُرِبَت عَلَيهِم الذِّلَّةُ أَينَ مَا ثُقِفُوا إلاَّ بِحَبلٍ مِن اللَّهِ وَحَبلٍ مِن النَّاسِ ﴾**[5].

أرسل الله عز وجل إلى بني إسرائيل موسى عليه السلام للرجوع بهم إلى الطريق المستقيم إلى عبادة الله عز وجل، وتنفيذ أوامره، ومنها الدخول بهم إلى الأرض المباركة -أرض فلسطين وما حولها- **﴿ يَاقَومِ ادخُلُوا الأَرضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُم وَلاَ تَرتَدُّوا عَلَى أَدبَارِكُم فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾**[6].

خاصة وأنه كان على أرض مصر نظام وثني طاغوتي فرعوني، لا يرضى أن يكون فيها إنسان يقول : لا إله إلا الله.

= أرض كنعان. انظر أسماء أبنائه عليه السلام، حسب الرواية اليهودية : تكوين ٢٩ : ٣٢-٣٥. ٣٠: ٦ ، ٨ ، ١٢، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٤. ٣٥ : ١٨. وأيضا : البداية والنهاية ج١ص١٨٢، ١٨٤.

(١) تكوين ٣٧ : ١.

(٢) تكوين ٤٧ : ٢٧، خروج ١ :٧.

(٣) سورة البقرة الآيات من ١٣٠ — ١٣٣.

(٤) سورة يوسف الآية ١٠١.

(٥) سورة آل عمران الآية ١١٢.

(٦) سورة المائدة الآية ٢١.

وهذا هو العداء الحقيقي من الفراعنة لبني إسرائيل[1].

قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ فِرعَونُ يَاهَامَانُ ابنِ لِي صَرحًا لَعَلِّي أَبلُغُ الأَسبَابَ . أَسبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرعَونَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيدُ فِرعَونَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ** ﴾[2].

﴿ **وَنَادَى فِرعَونُ فِي قَومِهِ قَالَ يَاقَومِ أَلَيسَ لِي مُلكُ مِصرَ وَهَذِهِ الأَنهَارُ تَجرِي مِن تَحتِي أَفَلاَ تُبصِرُونَ ۞ أَم أَنَا خَيرٌ مِن هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ ۞ فَلَولاَ أُلقِيَ عَلَيهِ أَسوِرَةٌ مِن ذَهَبٍ أَو جَاءَ مَعَهُ المَلاَئِكَةُ مُقتَرِنِينَ ۞ فَاستَخَفَّ قَومَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُم كَانُوا قَومًا فَاسِقِينَ ۞ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمنَا مِنهُم فَأَغرَقنَاهُم أَجمَعِينَ ۞ فَجَعَلنَاهُم سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ** ﴾[3].

﴿ **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعلَى ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى** ﴾[4].

خاصة أن بني إسرائيل لم يستغلوا تلك السنين الطويلة في أثناء مكوثهم بين ظهراني أهل مصر في دعوة هذا الشعب إلى إفراد الله بالعبادة والعمل على تحويله من الوثنية إلى التوحيد.

نعم قد كان لوجود بني إسرائيل في مصر، أثره في استمرار وجود توحيد الله على أرضها. وكانت هناك دعوات منهم للشعب المصري إلى توحيد الله تعالى ومحاولات في ذلك، كان من نتائجها أن آمنت زوجة فرعون بالإسلام،ووجود مؤمن آل فرعون بين ظهراني فرعون وقومه، ووجود الرجل المؤمن الذي طلب من موسى أن يخرج لأن الملأ من قوم فرعون يأتمرون به.

ولكن تلك الدعوات والمحاولات كانت قليلة ومحدودة بالنسبة لأعداد شعب مصر، ولهذا لم تضرب الدعوة بجذورها في الشعب المصري مما سهل لفرعون مصر محاربتها داخل حدود دولته، بل حتى متابعتها خارج حدود دولته، فانتقم الله منه وأغرقه في اليم.

---

(١) ذهب بعض المؤرخين لتلك الفترة الزمنية إلى أن سبب العداء لبني إسرائيل من فرعون وقومه، يرجع إلى أمور، منها : مكانة بني إسرائيل العالية في الحكومة السابقة (الهكسوس) الغريبة على أرض مصر، ووضع بني إسرائيل الخاص بهم كالعزلة والتكاثر المستمر، مما أثار خوف أهل مصر منهم لما قد يحدثونه من اضطرابات، ومن وضعهم الصحي السيئ بسبب هذه العزلة وهذا التكاثر. انظر : اليهودية ص٦٨ د. احمد شلبي، والتطور التاريخي لبني إسرائيل ص٣١ عماد النجار، وقصة العقائد ص ٢٨٦ د. سليمان مظهر.

(٢) سورة غافر الآيتان ٣٦ و٣٧.

(٣) سورة الزخرف الآيات من ٥١ ــ ٥٦.

(٤) سورة النازعات الآيتان ٢٤ و ٢٥.

خروج موسى عليه السلام ومن معه من مصر، وهلاك فرعون ومن معه في البحر:

إن الله تعالى لم يهلك فرعون ومن معه إلا بعد إقامة الحجج عليهم، وإرسال الرسول إليهم، وإزاحة الشبه عنهم، ولكنهم كفروا وعتوا واستمروا على الضلال والجهل والاستكبار عن اتباع آيات الله وتصديق رسوله عليه السلام[1]، عند ذلك أمر الله تعالى رسوله موسى عليه السلام بالخروج بمن معه من بني إسرائيل من مصر. فخرج عليه السلام ومن معه سرا في ليلة ظلماء. وكما جاء في الرواية اليهودية أن عددهم مع موسى عليه السلام كان نحو ستمائة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد[2]، وكانت مدة إقامتهم في مصر أربعمائة وثلاثين سنة[3]، واتجهوا نحو المشرق نحو الأرض المباركة في بلاد الشام.

وفي خروجهم هذا نقلوا معهم عظام يوسف عليه السلام، وفاء لعهد قطعوه على أنفسهم.

فقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وغيرهما بالسند إلى أبي موسى الأشعري ﵁ قال : ((أتى النبي ﷺ أعرابيا فأكرمه، فقال له : ائتنا، فأتاه فقال له رسول الله ﷺ : حاجتك ؟ قال : ناقة نركبها وأعْنُزٌ يحلبها أهلي، فقال عجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل ؟ قالوا يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل ؟ قال : إن موسى عليه السلام لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، فقال ما هذا ؟ فقال علماؤهم : يوسف عليه السلام لما حضره الموت أخذ بنيامين علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال : من يعرف موضع قبره ؟ قالوا عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها، فأتت، فقال دليني على قبر يوسف، قالت : حتى تعطيني حكمي، قال : وما حكمك ؟ قالت أكون معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة فقالت : انضبوا هذا الماء فأنضبوه فقالت : احتفروا، فاحتفروا، فاستخرجوا عظام يوسف، فلما ألقوه إلى الأرض فإذا الطريق مثل ضوء النهار))[4].

---

(١) انظر، مثلاً : سورة الأعراف، وسورة طه، وسورة الشعراء، وسورة القصص.

(٢) خروج ١٢ : ٣٧، والبداية والنهاية ١ / ٢٥٣ للحافظ ابن كثير.

(٣) خروج ١٢ : ٤٠. وذكر الحافظ ابن كثير: أن مدة بقائهم في مصر أربعمائة سنة وست وعشرون سنة شمسية، المرجع السابق.

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه -كما في الموارد- في كتاب الأدعية ، باب فيمن همته للآخرة ، ص ٦٠٣، ٦٠٤ رقم ((٢٤٣٥)). والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير ٤٣٩/٢ رقم ٣٥٢٣ عن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري عن أبيه. وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وسكت عنه الذهبي. وأورده أيضاً في كتاب التاريخ ٥٧٢/٢ ص٦٢٤. وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي. وذكره ابن حجر في المطالب العالية في كتاب أحاديث الأنبياء باب ((يعقوب و يوسف)) ٣ / ٢٧٣، ٢٧٤ وعزاه لأبي يعلى. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد =

علم فرعون بخروج بني إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام، فلحق بهم هو وجنوده حتى تراءى الجمعان عند ساحل البحر. فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه، فانفلق[1]، فسار عليه موسى عليه السلام وأتباعه، وتبعهم فرعون وجنوده، فلما تكامل خروج موسى وأتباعه، وتكامل دخول فرعون وجنوده، عادت أمواج البحر، فغرقوا جميعا.

وهذه الأحداث ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز قال تعالى : ﴿وَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى أَن أَسرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝ فَأَرسَلَ فِرعَونُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝ وَإِنَّهُم لَنَا لَغَائِظُونَ ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ۝ فَأَخرَجنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَلِكَ وَأَورَثنَاهَا بَنِي إِسرَائِيلَ ۝ فَأَتبَعُوهُم مُّشرِقِينَ ۝ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمعَانِ قَالَ أَصحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهدِينِ ۝ فَأَوحَينَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضرِب بِّعَصَاكَ الْبَحرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرقٍ كَالطَّودِ الْعَظِيمِ ۝ وَأَزلَفنَا ثَمَّ الآخَرِينَ ۝ وَأَنجَينَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغرَقنَا الآخَرِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكثَرُهُم مُّؤمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[2]. وقال تعالى : ﴿وَلَقَد فَتَنَّا قَبلَهُم قَومَ فِرعَونَ وَجَاءَهُم رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَن أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ وَأَن لَّا تَعلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلطَانٍ مُّبِينٍ ۝ وَإِنِّي عُذتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم أَن تَرجُمُونِ ۝ وَإِن لَّم تُؤمِنُوا لِي فَاعتَزِلُونِ ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَومٌ مُّجرِمُونَ ۝ فَأَسرِ بِعِبَادِي لَيلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝ وَاترُكِ الْبَحرَ رَهوًا إِنَّهُم جُندٌ مُّغرَقُونَ﴾[3].

كانت نجاة موسى عليه السلام ومن معه، وهلاك فرعون ومن معه من الكفار في اليوم العاشر من شهر الله المحرم ((يوم عاشوراء)) حوالي عام١٢٢ ق.م[4].

= في كتاب الأدعية باب ((الحث على طلب الجنة)) ١٠ / ١٧٠، ١٧١ عن أبي موسى الأشعري ثم قال: رواه الطبراني وأبو يعلى.

(١) المنهج اللاديني -العلماني- للدراسات التاريخية -الذي يعني بالأسباب والمسببات- يلجأ أتباعه إلى تعليل الحوادث تعليلاً يناسب منهجهم، فالبنسبة إلى انفلاق البحر لموسى وأتباعه، يرون أن ما حدث كان نتيجة لهزات أرضية عنيفة وزلزال تصادف، مهد طريقا لبني إسرائيل فعبروا خليج العقبة. بينما يقوم المنهج الديني للدراسات على الإيمان بالمعجزات، باعتبارها طبيعة الرسالات وهو ما جاء في ((القرآن الكريم)) و ((الحديث الشريف))، وكذلك العهد القديم والجديد على الرغم من تحريفهما. انظر : اليهودية ص ٧٣ د. أحمد شلبي، والعنصرية اليهودية ١ /١٨٥ د. أحمد بن عبد الله الزغيبي.

(٢) سورة الشعراء الآيات من ٥٢ ــــ ٦٧.

(٣) سورة الدخان الآيات من ١٦-٢٤.

(٤) العنصرية اليهودية ١٨٥/١ د. أحمد عبد الله الزغيبي.

ولهذا كان اليهود يصومون ذلك اليوم، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بصيام ذلك اليوم مع مخالفة اليهود بصيام يوم قبله أو يوم بعده، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ما هذا ؟ قالوا هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم صامه موسى، قال : أنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه))[1].

---

(١) رواه البخاري : في كتاب الصيام، باب صيام يوم عاشوراء ٥٨/٢ ح (٢٠٠٤)، ومسلم : في كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء ٧٩٥/٢ ح (١٢٧)(١١٣٠). وفي رواية عند مسلم عن ابن عباس فيها (هذا يوم عظيم) ٧٩٦/٢ الباب والكتاب نفسه.

قال الحافظ ابن حجر : يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم، وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية، وقيل هو اليوم التاسع، فعلى الأول فاليوم مضاف لليلته الماضية، وعلى الثاني هو مضاف لليلته الآتية، وقد قال ﷺ : ((لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع، فمات قبل ذلك عليه الصلاة والسلام)) فإنه ظاهر في أنه ﷺ كان يصوم العاشر وهمّ بصوم التاسع فمات قبل ذلك ثم ما همّ به من صوم التاسع يحتمل معناه أنه لا يقتصر عليه بل يضيفه إلى اليوم العاشر إما احتياطا له وإما مخالفة لليهود والنصارى وهو الأرجح. ولأحمد من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعا ((صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود، صومو يوما قبله أو يوما بعده)).

وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب : أدناها أن يصام وحده، وفوقه أن يصام التاسع معه، وفوقه أن يصام التاسع والحادي عشر والله أعلم. وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ((كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر)).

وفرض رسول الله ﷺ صيام يوم عاشوراء أول قدومه إلى المدينة، ولا شك أن قدومه كان في ربيع الأول، فحينئذ كان الأمر بذلك في أول السنة الثانية، وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الأمر بصيام عاشوراء إلا في سنة واحدة ثم فوّض الأمر في صومه إلى رأي المتطوع. ونقل ابن عبد البر الإجماع على أنه ليس بفرض، والإجماع على أنه مستحب. انظر فتح الباري ٢٨٨/٤-٢٨٩. المكتبة السلفية.

وفضله عظيم حيث قال رسول الله ﷺ : ((صيام يوم عاشوراء، احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله)) صحيح مسلم بشرح النووي ٤١/٨ كتاب الصيام باب : استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس رقم ١٩٦- (١١٦٢).

وعن أحاديث يوم عاشوراء قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين : وفي هذا دليل على أن التوقيت كان في الأمم السابقة بالأهلة، وليس بالشهور الإفرنجية، لأن الرسول ﷺ أخبر بأن اليوم العاشر من محرم هو اليوم الذي أهلك الله فيه فرعون وقومه، ونجى موسى وقومه. انظر الشرح الممتع ٤٧١/٦.

ويؤيد كلام فضيلة الشيخ ابن عثيمين أنه جاء في سفر الخروج الإصحاح ١٢ من ١ إلى ٣ : ((وكلّم الربُ موسى وهارون في أرض مصر قائلا هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور هو لكم أول شهور السنة كل جماعة بني إسرائيل قائلين في العاشر من هذا الشهر)).

ولهذا اليوم عند اليهود مكانة عالية، فهو عندهم عيد يحتفلون به، وكما مر معنا في الحديث السابق الذي رواه البخاري ومسلم أن النبي عليه السلام لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقـــال : ما هذا ؟ قالوا هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله فيه بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، فقال عليه السلام : أنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه).=

وبعد أن نجى الله موسى عليه السلام ومن معه من فرعون وقومه، بدأت رحلتهم إلى الأرض المباركة ((فلسطين)). وفي أثناء هذه الرحلة حصلت مواقف بين موسى عليه السلام وقومه، تدل على أن بعض بني إسرائيل قوم عصاة قساة القلوب، استمرءوا مخالفة شرع الله سبحانه وتعالى، والبعد عن المنهج القويم المتمثل في طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله الكريم عليه السلام، حتى يمكن أن يقال : أن بعض بني إسرائيل تجمع ((حول موسى وهم بمصر، لا كرسول ولكن كقائد وزعيم يرجى على يده الخلاص من استعباد فرعون وقومه، ولذلك لم يكادوا يتحققون من نجاتهم من فرعون حتى شغبوا على موسى عليه السلام لما أفقدهم حياة الرخاء بمصر وجاء بهم إلى البرية،

= وتسمي اليهود هذا اليوم (عيد الفصح) أو (الفَسح) أي العبور، نسبة إلى عبور موسى عليه السلام وبني إسرائيل البحر، ونجاتهم من فرعون وقومه، في أثناء خروجهم من مصر، وهو أيضا عيد الربيع عند اليهود ففيه احتفالات بالربيع، وكان الشهر الذي يقع فيه يسمى في التوراة شهر ((أبيب)) وهي كلمة عربية معناها الربيع، وهو غير شهر أبيب من شهور السنة القبطية الفرعونية فهذا يقع في فصل الصيف. وفي شهر أبيب تزامن خروج موسى وقومه من مصر وخلاصهم من ذل واستعباد فرعون لهم، ومن هنا جاء اختيار بعض المستعربين من علماء اليهود مثل سعديا الفيومي أن يسموا هذا العيد بعيد (الفسح) أي الفرج بعد الضيق، ويمثل هذا العيد أكثر الأعياد أهمية عند اليهود.

وأول أيامه الخامس عشر من شهر نيسان (أبريل) من كل عام، ويستمر سبعة أيام في فلسطين، وثمانية أيام عند اليهود المقيمين خارجها، ويسبق هذه الأيام يوم الاستعداد وهو اليوم الرابع عشر من نيسان.

أهم ميزات هذا العيد :

١- إقامة محفل مقدس يمتنعون فيه عن العمل في أول وآخر أيام هذا العيد

٢- ممارسة الطقوس المقررة لهذا العيد حسب نصوص شريعتهم، ومنها قراءة متدبرة لقصة الخروج في العهد القديم، واستعمال أطقم طعام جديدة لتهيئة الطعام والأكل، باعتبار أن الأدوات المستعملة نجسة. ووضع خمسة أقداح من النبيذ على المائدة واستخدام أربعة منها فقط مع تلاوة الأدعية والصلوات لذلك وترك القدح الخامس دون استخدام باعتبار أنه للنبي (ايلياء) الذي سيترل من السماء قبل قدوم المسيح المنتظر، وغيرها من الطقوس.

٣- أكل الفطير طيلة أيام هذا العيد. ولهذا يسمى هذا العيد بعيد الفطير وبالعبرية ((حج همّصوت)) لأن طقوسه توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطري، لا يدخله الملح ولا الخميرة تذكيرا بأنهم عند فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم الوقت ولا فراغ البال للتأنق في الخبز والانتظار على العجين حتى يختمر. وقد ارتبطت مسألة تناول خبز الفطير هذا بامتزاجه بدماء بشرية في هذا العيد. ومن أشهر الحوادث في قتل الناس غير اليهود واستخدام دمائهم سائلا يعجنون به فطير عيد الفصح حادثة حصلت في ٦ فبراير ١٨٤٠م وفيها قتل اليهود أحد الرهبان الكاثوليك من الرعايا الإيطاليين بدمشق واسمه (توما) وخادمه (إبراهيم عماد) وأخرج الدم منهما لاستخدامه في هذا العيد. انظر في عيد الفصح -الفطير- : خروج ١٢. اللاويين ٢٣. تثنية ١٦، والكتر المرصود في قواعد التلمود ص ١١٣ وما بعدها، والفكر الديني اليهودي ص١٨٠-١٨٩ د. حسن ظاظا، واليهودية عرض تاريخي ص ١٣٨-١٤٠ د. عرفان عبد الحميد فتاح، والعنصرية اليهودية ٥١٥/٣ د. أحمد الزغيبي، ومن اليهودية إلى الصهيونية ص ١٦٤-١٦٦ و ص ١٧٠-١٧١ د. أسعد السحمراني. اليهودية في أسفارها المقدسة ص ٢١٩-٢٢١ د. إبراهيم محمد إبراهيم، واليهود تاريخ وعقيدة ص ٢٢٠-٢٢٢ د.كامل سعفان.

التي فقدوا بها ما كانوا ينعمون به في مصر من خيرات، فالحرية عندهم لم يكن لها جزاء، ولهذا صاحوا به وبأخيه هارون))[1].

وفيما ترويه أسفار العهد القديم : ((فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية. وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع))[2]. ((وعَطِش هناك الشعب إلى الماء. وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش))[3].

وأقف عند موقفين مما حصل بين موسى عليه السلام، وقومه :

أولهما : أن الله سبحانه وتعالى واعد موسى عليه السلام ثلاثين ليلة ثم أتمها الله عز وجل بعشر ليال، قال ابن كثير : ((قال جماعة من السلف منهم ابن عباس ومسروق ومجاهد الثلاثون ليلة هي شهر ذي القعدة بكماله وأتمت أربعين ليلة بعشر ذي الحجة، فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيد النحر وفي مثله أكمل الله عز وجل لمحمد ﷺ دينه وأقام حجته وبراهينه)) [4].

وأعطى الله موسى الألواح ((التوراة)) لتكون شريعة الله لبني إسرائيل.

قال تعالى : ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ**﴾[5].

واستخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على بني إسرائيل وأوصاه بخير، ولكن رواسب الوثنية لا تزال متأصلة في قلوب بعض بني إسرائيل بسبب مجاورتهم الطويلة للوثنيين على أرض مصر. فاستغل رجل من بني إسرائيل يُدعى ((السامري)) هذه الرواسب في قلبه وقلوب

---

(١) اليهودية ص ٧٦ د.أحمد شلبي.

(٢) خروج ١٦ : ٢-٣.

(٣) خروج ١٧ : ٣.

(٤) البداية والنهاية ج١ ص ٤٤٠ للحافظ ابن كثير.

(٥) سورة الأعراف الآيات ١٤٢- ١٤٥.

بعض بني إسرائيل، فصنع لهم عجلا جسداً له خوار من حليهم -وهي حلي استعارها بنو إسرائيل من المصريين- قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ حُمِّلنَا أوزَارًا من زِينَة القَوم فَقَذَفنَاهَا فَكَذَلكَ أَلقَى السَّامِرِيُّ ﴾[١].

عبد بنو إسرائيل هذا العجل معرضين عن هارون ونصائحه لهم. حتى لقد قالوا له : ﴿ لَن نَبرَحَ عَلَيهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرجِعَ إِلَينَا مُوسَى ﴾[٢]. فلما اشتد عليهم في النهي عن عبادة العجل تطاولوا عليه -عليه السلام- وكادوا يقتلونه.

رجع موسى عليه السلام من ميقات ربه، وقد أخبره الله تعالى بما صنعه قومه، رجع إلى قومه غضبان أسفا فألقى الألواح، وتوجه إليهم يعنفهم ويلومهم على مخالفتهم، ويسفه عقولهم حيث عبدوا من لا يرد إليهم قولا ولا يضرهم ولا ينفعهم، ثم توجه إلى أخيه هارون عليه السلام يلومه، ولشدة غضبه أمسك بلحيته وبشعره، ثم تبين له حقيقة موقف هارون فأطلقه ودعا له. ثم توجه إلى السامري ليعرف ما حمله على ما صنع. ثم قرر عليه السلام الحقيقة التي لاشك فيها ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُم اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلمًا ﴾[٣].

خلّد الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الأحداث فقال في كتابه العزيز : ﴿وَمَا أَعجَلَكَ عَن قَومِكَ يَامُوسَى ۞ قَالَ هُم أُولاَءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلتُ إِلَيكَ رَبِّ لِتَرضَى ۞ قَالَ فَإِنَّا قَد فَتَنَّا قَومَكَ مِن بَعدِكَ وَأَضَلَّهُم السَّامِرِيُّ ۞ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَومِهِ غَضبَانَ أَسِفًا قَالَ يَاقَومِ أَلَم يَعِدكُم رَبُّكُم وَعدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيكُم العَهدُ أَم أَرَدتُم أَن يَحِلَّ عَلَيكُم غَضَبٌ مِن رَبِّكُم فَأَخلَفتُم مَوعِدِي ۞ قَالُوا مَا أَخلَفنَا مَوعِدَكَ بِمَلكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلنَا أَوزَارًا مِن زِينَةِ القَومِ فَقَذَفنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلقَى السَّامِرِيُّ ۞ فَأَخرَجَ لَهُم عِجلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُم وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ۞ أَفَلاَ يَرَونَ أَلاَ يَرجِعُ إِلَيهِم قَولاً وَلاَ يَملِكُ لَهُم ضَرًّا وَلاَ نَفعًا ۞ وَلَقَد قَالَ لَهُم هَارُونُ مِن قَبلُ يَاقَومِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُم الرَّحمَانُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمرِي ۞ قَالُوا لَن نَبرَحَ عَلَيهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرجِعَ إِلَينَا مُوسَى ۞ قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذ رَأَيتَهُم ضَلُّوا ۞ أَلاَ تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيتَ أَمرِي ۞ قَالَ يَبنَؤُمَّ لاَ تَأخُذ بِلِحيَتِي وَلاَ بِرَأسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقتَ بَينَ بَنِي إِسرَائِيلَ وَلَم تَرقُب قَولِي ۞ قَالَ فَمَا خَطبُكَ يَاسَامِرِيُّ ۞ قَالَ بَصُرتُ بِمَا لَم يَبصُرُوا بِهِ فَقَبَضتُ قَبضَةً مِن أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَت لِي نَفسِي ۞ قَالَ فَاذهَب

---

(١) سورة طه الآية ٨٧.

(٢) سورة طه الآية ٩١.

(٣) سورة طه الآية ٩٨.

فَإِنَّ لَكَ فِي الحَيَاةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوعِدًا لَن تُخلَفَهُ وَانظُر إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَلتَ عَلَيهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسفًا ۝ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلمًا ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَومِهِ غَضبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئسَمَا خَلَفتُمُونِي مِن بَعدِي أَعَجِلتُم أَمرَ رَبِّكُم وَأَلقَى الأَلوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيهِ قَالَ ابنَ أُمَّ إِنَّ القَومَ استَضعَفُونِي وَكَادُوا يَقتُلُونَنِي فَلاَ تُشمِت بِيَ الأَعدَاءَ وَلاَ تَجعَلنِي مَعَ القَومِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَ رَبِّ اغفِر لِي وَلأَخِي وَأَدخِلنَا فِي رَحمَتِكَ وَأَنتَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجلَ سَيَنَالُهُم غَضَبٌ مِن رَبِّهِم وَذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَكَذَلِكَ نَجزِي المُفتَرِينَ﴾ [2].

وعندما هدأت ثائرة موسى عليه السلام وسكت غضبه تناول الألواح. قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الغَضَبُ أَخَذَ الأَلوَاحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحمَةٌ لِلَّذِينَ هُم لِرَبِّهِم يَرهَبُونَ ﴾[3].

سقط العجل في أيديهم وعلموا ضلالتهم فتابوا إلى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيدِيهِم وَرَأَوا أَنَّهُم قَد ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَم يَرحَمنَا رَبُّنَا وَيَغفِر لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[4].

وأخبرهم موسى عليه السلام أن الله لن يقبل توبتهم إلا أن يقتل بعضهم بعضا، بحيث قتل الطائعون منهم العصاة والمجرمين الذين عبدوا العجل. قال تعالى : ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَومِهِ يَاقَومِ إِنَّكُم ظَلَمتُم أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ العِجلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُم فَاقتُلُوا أَنفُسَكُم ذَلِكُم خَيرٌ لَكُم عِندَ بَارِئِكُم فَتَابَ عَلَيكُم إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[5].

روى ابن جرير الطبري بسنده إلى ابن عباس ﷺ -في تفسير هذه الآية- أنه قال : ((أمر موسى قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم، قال : فاختبأ الذين عكفوا على العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل وأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضا، فانجلت الظلمة عنهم،وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيل، كل من قُتل

---

(١) سورة طه الآيات من ٨٣-٩٨.

(٢) سورة الأعراف الآيات من ١٥٠- ١٥٢.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٤.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٤٩.

(٥) سورة البقرة الآية ٥٤.

منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت له توبة))[1]. وعن قتادة قال : ((قاموا صفين فقتل بعضهم بعضا حتى قيل لهم كفوا، فكانت شهادة للمقتول وتوبة للحي))[2].

ثانيهما : - أنعم الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل بنعم كثيرة[3] -على الرغم من كفر بعضهم وعناده- لعلهم يرجعون.

ولكنهم نكلوا عن إجابة داعي الله تعالى حين طلب منهم موسى عليه السلام -بطلب الله له- أن يدخلوا أرض فلسطين المقدسة.

ولقد عرض القرآن الكريم هذه الحادثة عرضا مليئا بالدلالات والدروس والعبر. قال تعالى : **﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَومِهِ يَاقَومِ اذكُرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم إِذ جَعَلَ فِيكُم أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُلُوكًا وَآتَاكُم مَا لَم يُؤتِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ ۞ يَاقَومِ ادخُلُوا الأَرضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُم وَلاَ تَرتَدُّوا عَلَى أَدبَارِكُم فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَومًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدخُلَهَا حَتَّى يَخرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادخُلُوا عَلَيهِمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ ۞ قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَن نَدخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذهَب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَملِكُ إِلاَ نَفسِي وَأَخِي فَافرُق بَينَنَا وَبَينَ القَومِ الفَاسِقِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيهِم أَربَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرضِ فَلاَ تَأسَ عَلَى القَومِ الفَاسِقِينَ﴾**[4].

وفاة موسى عليه السلام :

توفى هارون عليه السلام قبل موسى عليه السلام، ولم يرد ذكر وفاته في القرآن ولا في السنة النبوية -على حد علمي وسؤالي- ولكن جاء في أسفار العهد القديم : ((فصعد هارون إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في الشهر الخامس في الأول من الشهر، وكان هارون ابن مائة وثلاث وعشرين سنة حين مات في جبل هور))[5].

---

(١) تفسير الإمام الطبري ٢٨٦/١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر : سورة البقرة الآيات من ٤٧ إلى ٦٠، وسورة المائدة آية ٢٠.

(٤) سورة المائدة الآيات من ٢٠ - ٢٦. انظر من ص ٣٥٧ من هذا البحث.

(٥) عدد ٣٣ : ٣٨-٣٩.

توفي موسى عليه السلام بعد فترة من موت هارون عليه السلام، ولم يدخل عليه السلام الأرض المقدسة مع بني إسرائيل، مات قبل ذلك. وذكرت السنة النبوية خبر وفاته عليه السلام، وما حصل بينه وبين ملك الموت.

روى البخاري ومسلم بالسند إلى أبي هريرة ﷺ قال : ((أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صَكّه[1]، فرجع إلى ربه فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه ، وقال : ارجع ، فقل له يضع يده على متن ثور ، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة. قال : أي ربي ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت قال : فالآن ، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال : قال رسول الله ﷺ : ((فلو كنتم ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر))[2].

وروى الإمام أحمد في المسند والحاكم في المستدرك بالسند إلى أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن ملك الموت كان يأتي الناس عيانا، فأتى موسى بن عمران فلطمه موسى ففقأ عينه، فرجع ملك الموت، فقال : يا رب إن عبدك فعل بي كذا وكذا، ولولا كرامته عليك لشققت عليه، فقال الله: إيت عبدي موسى فخيره بين أن يضع يده على متن ثور، فله بكل شعرة وارتها

(١) صكه : قال الحافظ ابن حجر : أي ضربه على عينه، وفي رواية همام عن أبي هريرة ﷺ عند أحمد ومسلم : (جاء ملك الموت إلى موسى فقال : أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها)) وفي رواية أبي عمار عن أبي هريرة عند أحمد والطبري : ((كان ملك الموت يأتي الناس عيانا فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه)). فتح الباري ٦/٥٠٩.

وقال الإمام النووي : قال المازري : وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وأنكروا تصوره. قالوا : كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت، قال وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة، منها :

أ) : أنه لا يمتنع أن يكون موسى عليه السلام قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحانا للملطوم، والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء ويمتحنهم بما أراد.

ب) : أن موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند الله، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه، فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه، لا أنه قصدها بالفقء. وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه، فإن قيل : فقد اعترف موسى حين جاءه ثانيا بأنه ملك الموت. فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى والله أعلم. صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٥/١٥ رقم (١٥٨) كتاب الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام. مكتبة الباز.

(٢) رواه البخاري في الصحيح في كتاب الجنائز باب : من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها برقم (١٣٣٩) طرفه في (٣٤٠٧) ٤١٠/١. ومسلم في الصحيح في كتاب الفضائل باب فضائل موسى عليه السلام ١٨٤٢/٤ برقم ٢٣٧٢ ص ١٥٧، ١٥٨.

كفه سنة، وبين أن يموت الآن، فأتاه فخيّره، فقال موسى : فما بعد ذلك ؟ قال : الموت، قال : فالآن إذا، فشمه شمّة فقبض روحه، ورد الله عليه بصره، فكان بعد ذلك يأتي الناس في خفية))(١).

وجاء في الرواية اليهودية : ((وصعد موسى من عربات مُوآب إلى جبل بَنُو إلى رأس الفسيحة الذي قُبَاله أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي وأرض أفرايم ومنسى وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر وقال له الرب هذه هي الأرض ... قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب... وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات...))(٢).

يوشع بن نون :

بعد وفاة موسى عليه السلام، استلم يوشع بن نون عليه السلام(٣) زمام الأمر في بني إسرائيل. وفي وقته كانت الظروف قد تهيأت له في دخول الأرض المباركة، حيث إن ذلك الجيل

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب التاريخ ٢ / ٦٣٢ رقم ٤١٠٧ وقال : حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي في التلخيص. ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ / ٥٣٣. وقد ذكره الهيثمي في المجمع في كتاب ذكر الأنبياء باب ذكر موسى الكليم ﷺ ٨ / ٢٠٤ عن أبي هريرة ثم قال رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح.

(٢) تثنية ٣٤ : ١-٧.

وعربات موآب : مافي وادي الأردن تجاه أريحا. وجبل بنو : هو المعروف عند العرب بجبل (بنا)، من سلسلة موآب قبالى أريحا في فلسطين على الجانب الشرقي من الأردن، ويبلغ ارتفاع قمة هذا الجبل ٢٦٤٣ قدما فوق سطح البحر المتوسط ويهبط إلى البحر الميت بعمق ٤٠٠٠ قدم. وهو أحد جبال سلسلة عباديم تجاه أريحا. و الفسيحة : معناها في أصل الوضع رابية أول تل مرتفع، وهي هنا علم لأكمة على قمة جبل بنو. وجلعاد : مقاطعة صخرية وعرة شرقي نهر الأردن إلى بلاد العرب ومنها ما يعرف بالبلقاء اليوم. استولى عيها بنو إسرائيل عند صعودهم من مصر، ثم صارت من ضمن مملكة داود وأصبحت بعد ذلك من ضمن مملكة إسرائيل بعد التقسيم. المرجح أنها الأرض من شرقي الأردن. والبحر الغربي : هو البحر الأبيض المتوسط. انظر: العرب واليهود في التاريخ ص ٧٩٠، ٧٩٢ أحمد سوسة. بنو إسرائيل وموقفهم من الذا ت الإلهية و الأنبياء ص ٢٠٨ د. عبد الشكور العروسي، رسالة دكتوراه من قسم العقيدة جامعة أم القرى (بالآلة الكاتبة).

(٣) يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، انظر : البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ١ / ٢٩٧. وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ سورة الكهف الآية ٦٠ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ﴾ سورة الكهف الآية ٦٢ كما جاء ذلك في حديث البخاري عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن فتى موسى عليه السلام هو يوشع بن نون، كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام برقم (٣٤٠٠) ٢/٤٧٤-٤٧٥ وهو عليه السلام متفق على نبوته عند المسلمين بناء على ما بينه الرسول ﷺ في أن نبياً من أنبياء الله حبست له الشمس حتى غزا، ثم ذكر عليه السلام هذا النبي فقال : يوشع بن نون. انظر تخريج الحديث ص٥٤. وكما ورد في الرواية اليهودية أن موسى عليه السلام عين يوشع خليفة له باختيار الرب له ((فكلم موسى الرب قائلا ليوكل الرب... رجلا على الجماعة... فقال الرب لموسى خذ يشوع بن نون رجلا فيه رُوحٌ وضع يدك عليه... واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل)) عدد ٢٧ : ١٥ - ١٦- ١٨ - ٢٠. ((ويشوع بن=

الجبان الذي تربى على الذل والعبودية في مصر والذي خذل موسى عليه السلام وامتنع عن الجهاد في سبيل الله لتحرير أرض الله من أيدي الوثنيين قد انقرض، وانتهى في فترة التيه التي كتبها الله عليهم عقابا لهم. وجاء الله بجيل آخر مسلم مجاهد في سبيل الله قاده النبي يوشع بن نون لتحرير أرض المقدس، مصداقا لقوله تعالى ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوا يَستَبدِل قَومًا غَيرَكُم ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمثَالَكُم** ﴾[1].

وكان موسى عليه السلام عند موته أوصى يوشع بن نون بالصبر والشجاعة في الجهاد حتى يفتح الله على يديه، كما جاء في الرواية اليهودية[2].

وجاء في الرواية اليهودية، أن يوشع بن نون تلقى الأوامر من الرب لمواصلة الجهاد والدخول إلى الأرض المقدسة[3].

فكان عصر يوشع بن نون عليه السلام عصر الانتصارات لبني إسرائيل[4]، فانطلق عليه السلام ومن معه نحو بلاد الشام ودخل الأرض المباركة بفضل من الله تعالى[5].

=نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه السلام يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى)) تثنية ٣٤ :٩.

ويسميه أهل الكتاب (يشوع) لأنه على ما ورد في أسفارهم أن موسى عليه السلام غير اسمه من (هوشع) إلى (يشوع) عدد ١٣: ١٦ وأهل الكتاب متفقون على نبوته، حتى طائفة السامريين الذين لا يقرون بنبوة أحد بعد موسى عليه السلام إلا بنبوة يشوع بن نون. انظر : السامريون اليهود ص١٢٨ د. سيد فرج.

(١) سورة محمد الآية ٣٨.

(٢) تثنية ٣١ : ٧-٨.

(٣) يشوع ١ : ١-٢.

(٤) قيل إن يوشع بن نون دخل أرض فلسطين حوالي القرن الثالث عشر ق.م فقيل عام ١٢٦٠ وقيل ١٢٥٠ وقيل ١١٨٦ وقيل ١٢٢٠ وقيل عام ١١٨٠ وقيل في القرن الرابع عشر ق.م، فتحديد التاريخ لهذا الحدث غير متفق عليه، لعدم ذكره في المصادر الدينية الصحيحة، ولعدم تدوينه من قبل المؤرخين الأقدمين تدوينا متفقاً عليه. انظر : أديان وفرق ص٢٠ د. أمين القضاة وجماعة، والتاريخ اليهودي العام ص١١١ د. صابر طعيمة، تاريخ سوية ولبنان وفلسطين ١٩٤/١ د. فيليب حتي، وفلسطين تأريخا ونضالا ص ١٤ نجيب الأحمد، تاريخ فلسطين القديم ص ٣٤ ظفر الإسلام خان، والعنصرية اليهودية ١/ ١٩١ د. أحمد الزغيبي.

(٥) لقد طعن كثير من المؤرخين والباحثين في التاريخ اليهودي من المستشرقين والعرب الكفرة ومن تبعهم من المسلمين في النبي يوشع (يشوع) عليه السلام ووصفوه بأوصاف من الوحشية والقتل وسفك الدماء وتدمير المدن مما يتره عنه أكثر البشر إجراما. وصفوه بهذه الصفات الوحشية والانتقامية بناء على ما جاء في التوراة الحالية المحرفة، انظر يشوع الإصحاحات (٦-١٢).

والمطلع على التوراة الحالية المقدسة عندهم في هذا الزمان يرى أن اليهود لم يراعوا لأنبياء الله حرمة ولا يعتقدون فيهم العصمة بل كانوا يكفرون بهم ويؤذوهم ويرموهم بعظائم الأمور من الصفات القبيحة والخصال الشنيعة، ويصورون =

وقد ورد في السنة النبوية ذكر لهذه الفتوحات والانتصارات.

روى البخاري ومسلم بسندهما إلى أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بُضعَ امرأة وهو يريد أن يبني بها ولّما يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سُقُوفَها، ولا آخر اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر ولآدها. فغــزا. فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقــال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحُبست حتى فتح الله عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال إن فيكم غلولا، فليُبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال فيكم الغلول. فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثــم أحلّ الله لــنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلّها لنا))[1].

وفي رواية أبي عبد الله الحاكم، بعد ذكر الحديث، قال كعب: صدق الله ورسوله هكذا والله في كتاب الله يعني في التوراة ثم قال: يا أبا هريرة: أحدثكم النبي ﷺ أي نبي كان ؟ قال:

= عيش بعضهم كعيش أحط الناس في أدنى درجات الكمال الإنساني، بل إنهم -في زعمهم- يرتكبون من الخطايا والذنوب والجرائم والأثام ما يرتكبه أحط الناس وأسفلهم. وقد اعتدوا على فريق من أنبياء الله بالقتل غير مبالين بغضب الله وسخطه.

انظر في موقف اليهود من الأنبياء: اليهودية في أسفارها المقدسة من ص ١٨١ د.إبراهيم محمد إبراهيم. وللتوسع انظر رسالة الدكتوراه: بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء الجزء الثاني الباب الثالث بأكمله -تفصيلا وتتبعا- من فضيلة الشيخ د.عبد الشكور محمد أمان العروسي، بالآلة الكاتبة من جامعة أم القرى بمكة قسم العقيدة، وأثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر المبحث الثاني من الباب الأول رسالة ماجستير من جامعة أم القرى بالآلة الكاتبة د.عطا الله المعايطة.

ويوشع بن نون عليه السلام لحقه من قدح اليهود له مالحق أنبياء بني إسرائيل بل أكابر أنبيائهم كيعقوب وموسى عليهما السلام. والغريب في هذا صنيع الباحثين المسلمين في موافقتهم لأكاذيب العهد القديم في يوشع عليه السلام وغيره من الأنبياء. كيف وهؤلاء الباحثون المسلمون يعلمون مكانة الأنبياء عند الله سبحانه وتعالى وأنهم أفضل البشر على الإطلاق وأخيرهم وأن الله اصطفاهم دون البشر ليوحي إليهم وأنهم قدوة البشر وأمرنا الله تعالى بالتأسي بهم وطاعتهم وحذرنا من مخالفتهم فهم أكمل البشر خَلقاً وخُلقاً، وأرجحهم عقلاً، وأوفرهم ذكاء، وأطهرهم قلباً، وأشجعهم نفساً. قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ** ﴾ سورة الحج آية ٧٥، فكيف بهؤلاء الباحثين المسلمين يتركون هذه المسلمات في عقيدتهم الإسلامية حول رفعة الأنبياء وطهرهم ورحمتهم بالبشر ويذهبون إلى ما قالته عنهم هذه التوراة المحرفة الحاقدة الحاسدة المبنية على خيالات قصاص اليهود الحاقدين الحاسدين.

(١) رواه البخاري في الصحيح باب قول النبي ﷺ: ((أحلت لكم الغنائم)) ٢/٣٩٤ برقم (٣١٢٤) وطرفه في (٥١٥٧)، ورواه مسلم في الصحيح باب ((تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة)) ٢ / ١٣٦٦ برقم (٣٢ ـــ ١٧٤٧).

لا. قال كعب هو يوشع بن نون. قال : فحدثكم أي قرية هي ؟ قال : لا ، قال : هي مدينة أريحاء[1].

هكذا قال كعب الأحبار، والصحيح أنها مدينة بيت المقدس، لما ورد عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة ﷺ أنه عليه السلام قال : ((إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس))[2].

((ولما استقرت يد بني إسرائيل على بيت المقدس استمروا فيه وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة، حتى قبضه الله إليه، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكانت مدة حياته بعد موسى سبعا وعشرين سنة))[3].

اليهود في فلسطين :

يجب أن يعي المؤمنون بالله أن أساس التمكين والتكريم والتفضيل عند الله هو الإيمان والعمل الصالح قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[4].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك كتاب قسم الفيء ١٥١/٢ رقم ٢٦١٨ وقال : هذا حديث غريب صحيح ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص : صحيح غريب وفيه مبارك بن فضالة بن أبي أمية قال عبدالله بن احمد سألت ابن معين عنه فقال ضعيف الحديث ومرة وثقه فيما رواه عنه ابن أبي خيثمة وقال ابن المديني هو صالح وسط وقال أبو زرعة يدلس كثيرا فإذا قال حدثنا فهو ثقة وقال النسائي ضعيف وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن أبي حاتم هو مقبول. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٠/١٠. وقال ابن حجر في التقريب: ((صدوق يُدلس ويُسوِّي)) ص ٥١٩ تحقيق : محمد عوامة. وقال د.عبد الله الشقاري : ((ومتن الحديث ثابت من طرق أخرى، فهو صحيح لغيره)) اليهود في السنة المطهرة ٩٠/١.

(٢) رواه أحمد في المسند عن أبي هريرة ٣٢٥/٢.

وقال الحافظ ابن كثير بعد سياقه لهذا الحديث : انفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري وفيه دلالة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون عليه السلام لا موسى عليه السلام وأن حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا أريحا كما زعم أهل الكتاب، لأن فتح بيت المقدس هو المقصود الأعظم وفتح أريحا كان وسيلة إليه والله أعلم. انظر البداية والنهاية ٣٠١/١.

انظر في زعم أهل الكتاب أن يوشع فتح أريحا، أسفار العهد القديم، يشوع ٦:١-٦.

ومما يؤيد كلام الحافظ ابن كثير ما اثبته علم الآثار في أن مدينة أريحا قد دمرت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ومعنى هذا على حسب تاريخ ابتداء يوشع في الدخول إلى الأرض المباركة أنها لم تكن موجودة في عهد يوشع بن نون عليه السلام. انظر : ملف إسرائيل ص ٩٠ جارودي، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ص ٦٨ د. محمد البار.

(٣) البداية والنهاية ٣٠٣/١ للحافظ ابن كثير.

وجاء في أسفار العهد القديم : ((أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين فدفنوه في تخم ملكه في تمنة سارح التي في جبل أفرايم)) يعني نابلس. يشوع ٢٤: ٢٩-٣٠.

(٤) سورة الحجرات الآية ١٣.

مكّن الله لبني إسرائيل في الأرض المباركة ، وهذا التمكين لم يكن لأنهم أبناء إسرائيل عليه السلام، فالله سبحانه وتعالى لا يتفضل على أحد من أجل حسبه أو نسبه أو شكله أو لونه. إنما تفضل الله عليهم ومكن لهم لأنهم كانوا أصلح الناس في زمانهم ، وكانوا أهل توحيد وعبادة لله تعالى وسط أقوام وقبائل من المشركين والكافرين ، ومن سنن الله في الأرض أن ينصر المؤمنين الصادقين -حال كونهم كذلك- على أعدائهم الكافرين. فإن رأيت أهل الإيمان ممكّناً لهم في أرض الله فاعلم أن هذا بسبب إيمانهم وتقواهم ، وإن رأيتهم غير ذلك فاعلم أن هذا بسبب بعدهم عن صراط الله المستقيم. قال تعالى : **﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[1].

وبعد يشوع عليه السلام بقي بنو إسرائيل مؤهلين للإقامة في الأرض المباركة ، لأنهم مازالوا في طاعة الله إجمالاً ، وإن كانت هناك بعض السقطات والتجاوزات ، فلما سرى فيهم داء الكفر والشرك والبعد عن صراط الله المستقيم من قتل وتكذيب الأنبياء ، كتب الله عليهم الطرد عن الأرض المباركة ، ونكل بهم أعداؤهم من الوثنيين ، وحصل لهم السبي والمهانة.

فتاريخ بني إسرائيل من بعد يوشع بن نون عليه السلام إلى السبي البابلي مر بثلاث مراحل وهي[2] :

المرحلة الأولى : عهد القضاة.

المرحلة الثانية : عهد الملوك الأول.

المرحلة الثالثة : عهد التدهور والانقسام الذي أدى إلى زوال ملك بني إسرائيل من فلسطين، ويسمى عهد الملوك الثاني.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٢٨.

ومن منطلق هذه الآية الكريمة يجب أن تعي الشعوب والحكومات الإسلامية وشعوبها أنها لن تستطيع تحرير المسجد الأقصى وأرض فلسطين من اليهود الكافرين إلا بالعودة إلى صراط الله المستقيم ، وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى على جميع الأصعدة، وفي جميع المجالات الداخلية والخارجية.

(٢) وقيل أن هذه الفترة ممتدة من (١١٥٣ق.م) تاريخ وفاة يوشع بن نون إلى (٥٨٦ق.م) سقوط مملكة يهوذا على يد البابليين. وقيل من (١١٢٥ق.م) إلى (٥٨٦ ق.م) وقيل من (١١٣٠ق.م) إلى (٥٣٨ق.م).

انظر: العنصرية اليهودية د. احمد الزغيبي ١/١٩٢و٢٠٩ ، والعرب واليهود في التاريخ د. احمد سوسة ص ٥٣٨ و٥٧٦ ، واليهودية أحمد شلبي ص ٨١ و٩٣.

المرحلة الأولى : عهد القضاة :

هذه الفترة أول فترة في تاريخ بني إسرائيل بعد موت يوشع بن نون عليه السلام ، سميت بعهد القضاة[1] وهم عبارة عن زعماء وقادة وشيوخ عشائر ورجال حرب ينتخبهم كبار الشعب حكاما لبني إسرائيل إذا ألمت بهم الأخطار المحدقة ، حيث إنه لم يكن في بني إسرائيل ملوك في تلك الأيام، بل كان كل إنسان يفعل ما يراه هو حقا ، ولم يكونوا خلفاء لبعضهم البعض فقد يكون هناك أكثر من واحد في وقت واحد[2].

وجاء في الرواية اليهودية : ((وأقام الربُّ قضاةً فخلصوهم من يدي ناهبيهم))[3] وهؤلاء تزعموا بني إسرائيل بعد يوشع عليه السلام[4].

ويتبين من خلال قراءة هذا السفر –سفر القضاة– أنه عرض لسيرتهم وأحوالهم وما أصابهم من النكبات ، وضعف فيه حكم بني إسرائيل على الأرض المقدسة مما جعلهم في معارك دائمة ضد الوثنيين من أهل فلسطين ، وأنهم امتزجوا امتزاجا عظيما بهم. ويبين أيضا أن هذا العهد من أسوأ عهود بني إسرائيل ، ففيه انتشرت بينهم شتى الرذائل والمنكرات ، حتى إن بعضهم عبد الأصنام وقتل الصالحين وانتشر فيهم الزنا وغيره من الذنوب.

---

(١) قيل أن هذه الفترة استمرت قرنين من الزمان في بعض الآراء ، وقرابة أربعة قرون إن نحن اعتمدنا على نصوص سفر القضاة من العهد القديم. وقيل استمرت حوالي قرن كامل بين سنة ١١٢٥و ١٠٢٥ق.م.

انظر : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٢٢-١٢٣ ، ومصر والشرق الأدنى القديم ٣٢٥/٣ ، العرب واليهود في التاريخ ص ٥٣٨ ، واليهودية ص ٨١.

(٢) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٢٢ ، واليهودية ص٨٠ ، وقصة الحضارة مجلد ١ ج٢ ص٣٣٠ ، مصر والشرق الأدنى القديم ٣ / ٣٢٥ ، واليهود في شبه الجزيرة العربية ص٢٦ ، واليهودية عرض تاريخي ص ٣٥.

(٣) قضاة ٢ :١٦.

(٤) وهؤلاء القضاة –اسمهم في العبرية شوفطيم ((شوفيط))– عددهم سبعة عشر وقيل ستة عشر وقيل خمسة عشر وقيل أربعة عشر وقيل اثني عشر قاضيا. وقيل إن سبب الاختلاف في عددهم أنه قد يكون في وقت واحد أكثر من قاض واحد في بني إسرائيل. وهم : ١) عثنيئيل بن قاز من سبط يهوذا. ٢) إهود بن جبرا من سبط بنيامين. ٣) شمحر بن عناة. ٤) دبورة من سبط افرائيم ومعها بارق بن ابينوعم. ٥) جدعون بن يواش الأبيعزري من سبط منسي بن يوسف. ٦) ابيما لك بن جدعون (ابن يدبعل). ٧) تولع بن فواة بن دودو من سبط يساكر. ٨) يائير الجلعادي. ٩) يفتاح الجلعادي. ١٠) إبصان البيتلحمي. ١١) أيلون الزبولوني من سبط زبولون. ١٢) عبدون بن هليل الفرعتوني. ١٣) شمشون بن منوح الداني. ١٤) عالي الكاهن. ١٥) صموئيل بن القانة. ١٦) بوئيل بن صموئيل. ١٧) ابيا بن صموئيل.

انظر قضاة ١-٢١. صموئيل الأول ١-٨. وانظر : بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء ٢١٨/١-٢٢٧ د. عبد الشكور العروسي ، والعنصرية اليهودية ١٩٣/١ د. احمد عبد الله الزغيبي ، بنو إسرائيل والعبرية الحديثة ص٩٧- ٩٨ علي رؤوف سيد مرسي ، وبروتوكولات حكماء صهيون ص٣٥٥ عجاج نويهض ، والمدخل الدراسة التوراة والعهد القديم ص ٧٣-٧٤ د. محمد البار ، واليهودية في أسفارها المقدسة ص ٥٢ د. إبراهيم محمد إبراهيم.

وكان آخر قضاة بني إسرائيل هو صموئيل بن القانه[1] ، فأصلح ما أمكن إصلاحه من فساد بني إسرائيل ، وأمرهم بالرجوع إلى الرب وترك عبادة الأصنام[2].

وفي هذه الفترة تعرض أيضا بنو إسرائيل لحرب الوثنيين من أهل فلسطين ولعل هذا هو السبب في طلب بني إسرائيل من صموئيل أن يدعو الله لهم ليرسل لهم ملكا يقودهم للجهاد في سبيل الله. قال تعالى : ﴿ **أَلَم تَرَ إِلَى المَلأ من بَني إسرَائيلَ من بَعد مُوسَى إذ قَالُوا لنَبيٍّ لَهُم ابعَث لَنَا مَلكًا نُقَاتل في سَبيلِ اللَّه قَالَ هَل عَسَيتُم إن كُتبَ عَلَيكُم القتَالُ أَلاَ تُقَاتلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَ نُقَاتلَ في سَبيلِ اللَّه وَقَد أُخرجنَا من ديَارنَا وَأَبنَائنَا فَلَمَّا كُتبَ عَلَيهم القتَالُ تَوَلَّوا إلاَ قَليلاً منهُم وَاللَّهُ عَليمٌ بالظَّالمينَ ۞ وَقَالَ لَهُم نَبيُّهُم إنَّ اللَّهَ قَد بَعَثَ لَكُم طَالُوتَ مَلكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلكُ عَلَينَا وَنَحنُ أَحَقُّ بالمُلك منهُ وَلَم يُؤتَ سَعَةً من المَال قَالَ إنَّ اللَّهَ اصطَفَاهُ عَلَيكُم وَزَادَهُ بَسطَةً في العلمِ وَالجسمِ وَاللَّهُ يُؤتي مُلكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسعٌ عَليمٌ ۞ وَقَالَ لَهُم نَبيُّهُم إنَّ آيَةَ مُلكه أَن يَأتيَكُم التَّابُوتُ فيه سَكينَةٌ من رَبِّكُم وَبَقيَّةٌ ممَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحملُهُ المَلاَئكَةُ إنَّ في ذَلكَ لآيَةً لَكُم إن كُنتُم مُؤمنينَ** ﴾[3].

وفي هذه الأثناء بدأت مرحلة أخرى من تاريخ بني إسرائيل في فلسطين ، وهي التي سماها المؤرخون : مرحلة عهد الملوك الأول.

المرحلة الثانية : عهد الملوك الأول :

تولى على بني إسرائيل في هذه الفترة القوية من تاريخهم ، الملك طالوت والنبيان الكريمان داود وابنه سليمان عليهما السلام[4].

أ- عهد الملك طالوت[5] :

---

(١) وصموئيل هذا نبي من أنبياء بني إسرائيل ، لإشارة القرآن الكريم إليه بذلك دون أن يذكر اسمه في قصة اختياره لـ(طالوت) ملكا على بني إسرائيل ، سورة البقرة آية ٢٤٦، البداية والنهاية المجلد الأول الجزء الثاني ص ٦.

(٢) صموئيل الأول ، الفصلان الثاني والسابع.

(٣) سورة البقرة الآيات من ٢٤٦ ـ ٢٤٨.

(٤) فترة هذا العهد قيل إنها من سنة ١٠٩٥ ق.م إلى ٩٧٥ ق.م ، وقيل إنها من سنة ١٠٢٠ ق.م إلى ٩٢٢ ق.م وقيل من ١٠٣٠ ق.م إلى ٩٣٠ ق.م . انظر : بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٣٣ د. محمد سيد طنطاوي ، وبنو إسرائيل والعبرية الحديثة ص ١٠٣ علي رؤوف سيد مرسي ، والعنصرية اليهودية ١ / ٩٥ و ٩٩ د. الزغيبي.

(٥) يسميه العهد القديم (شاول) ، انظر : اسمه وقصة اختياره ملكا على بني إسرائيل في الفصلين التاسع والعاشر من سفر صموئيل الأول.

خلال حكمه قاد بني إسرائيل إلى كثير من المعارك ضد أعدائهم ، وكان من أبرز الحوادث في زمن طالوت حربه ضد الوثنيين من أهل فلسطين بقيادة جالوت، والذي يسمه العهد القديم بجليات[1]، وفي هذه المعركة كان داود عليه السلام من ضمن جنود طالوت ، فتولى بنفسه عليه السلام قتل جالوت ، فلمع نجمه في بني إسرائيل، وآتاه الله الملك والحكمة ، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم مع إشارته للمعركة ، قال تعالى : **﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنهُ فَلَيسَ مِنِّي وَمَن لَم يَطعَمهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغتَرَفَ غُرفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنهُم فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا اليَومَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُو اللَّهِ كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفرِغ عَلَينَا صَبرًا وَثَبِّت أَقدَامَنَا وَانصُرنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُم بِإِذنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ المُلكَ وَالحِكمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَولاَ دَفعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَفَسَدَتِ الأَرضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾**[2].

ب- عهد النبي داود عليه السلام :

تولى داود عليه السلام حكم بني إسرائيل بعد طالوت ، وقد آتاه الله الملك والحكمة بعد قتله لجالوت ، فملأ أعين الناس وقلوبهم ، فضلا من الله ونعمة. قال تعالى : **﴿ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ المُلكَ وَالحِكمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾**[3].

---

(١) صموئيل الأول الفصل السابع عشر، فيه خبر المعركة بين طالوت وجالوت على حسب الرواية اليهودية.

(٢) سورة البقرة الآيات من ٢٤٩ - ٢٥١.

(٣) سورة البقرة آية ٢٥١.

وداود عليه السلام هو : داود بن يشار بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب بن أرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام. انظر : البداية والنهاية ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ص٩ للحافظ ابن كثير. وانظر : فتح الباري ٥٢٣/٦ وفيه اختلاف في (عويد) ذكره ابن حجر (عوبد) وفي (عابر) ذكره ابن حجر (باعر) ولم يذكر نحشون ولا عويناذب بل ذكر بدلا عنهما يارب بن رام. وجاء أسمه في الرواية اليهودية : داود بن يسّى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون... ثم النسب نفسه الذي ذكره الحافظ ابن كثير. انظر راعوث ٤: ١٨-٢٢.

وكان داود عليه السلام نبيا كريما وخليفة صالحا وملكا عادلا. وبعهده عليه السلام قامت في فلسطين مملكة إسلامية رشيدة[1]، قال تعال : **﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرضِ﴾**[2].

وعلى ما جاء في الرواية اليهودية أن مدينة حبرون[3] كانت عاصمة مملكته عليه السلام على مدار سبع سنين وستة أشهر. ثم فتح مدينة أورشليم ((القدس)) وجعلها عاصمة مملكته بعد ذلك على مدار ثلاث وثلاثين سنة ، وتمكن من السيطرة على حصن صهيون، وسماه باسمه عليه السلام : حصن داود. وبهذا كانت مدة حكمه أربعين سنه[4].

ويعتبر عهده عليه السلام العهد الأقوى مع عهد ابنه سليمان عليه السلام في تاريخ بني إسرائيل[5].

وبهذا يتبين لنا أن التمكين في الأرض بالخير والصلاح والحكم الرشيد يكون للمؤمنين الموحدين قال تعالى : **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَستَخلِفَنَّهُم فِي الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُم الَّذِي ارتَضَى لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أَمنًا يَعبُدُونَنِي لاَ يُشرِكُونَ بِي شَيئًا﴾**[6].

---

(١) قال تعالى : **﴿إِنَّ الدِّينَ عندَ اللَّهِ الإِسلاَمُ﴾** سورة آل عمران الآية ٣٠ ، وقال تعالى : **﴿إِنَّا أَنزَلنَا التَّورَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾** سورة المائدة الآية ٤٤ ، فالإسلام دين الأنبياء جميعا فهو : الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

(٢) سورة ص آية ٢٦.

(٣) حبرون : انظر ص ٣٤.

(٤) انظر في ذلك صموئيل الثاني ٥: ٤-١٠.

وقيل إن فترة ملكه ما بين : (١٠١٠-٩٧٠ق.م) وقيل (١٠٠٤-٩٦٣ ق.م) وقيل (١٠١٠-٩٦١ق.م) وقيل (١٠٠٠-٩٦١ق.م) وقيل (١٠٠٠-٩٦٣ق.م) وقيل (١٠١٠-٩٧١ ق.م) والله أعلم. انظر : العنصرية اليهودية ١٩٧/١ د.أحمد عبد الله الزغيبي ، وتاريخ سورية١/ ٢٠٣ د. فيليب حتي ، واليهود في شبه الجزيرة العربية ص٢٧ د.محمد أرشيد العقيلي، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ص٨١ د.محمد علي البار ، وبنو إسرائيل والعبريه الحديثة ص١٠٥ على رؤوف سيد مرسي، وفلسطين تاريخا ونظالا ص ١٦ نجيب الأحمد ، والعرب واليهود في التاريخ د.أحمد سوسة ص ٥٤٣. ويقول د.حسن ظاظا : ((إن داود عليه السلام تولى ملك بني إسرائيل حوالي سنة ١٠٤٠ق.م)) ، الفكر الديني اليهودي ص ٣٧.

(٥) قيل إن مملكته قد بلغت أقصى اتساع لما تملّكه بنو إسرائيل ، فامتدت من جبل الكرمل وتل القاضي إلى جبل الشيخ شمالاً، وإلى حدود مصر ونهر الموجب جنوبا وإلى الصحراء شرقا. انظر : تاريخ فلسطين الحديث ص١٤ د. الكيالي ، واليهود في شبه الجزيرة العربية ص٢٧ ، والعنصرية اليهودية ١٩٨/١.

(٦) سورة النور آية ٥٥.

وحقق الله هذا الوعد الرباني لداود عليه السلام ، فضلا من الله ونعمة وهيأ الله له سبل هذا التمكين ، فقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمنَاهُ صَنعَةَ لَبُوسٍ لَكُم لِتُحصِنَكُم مِن بَأسِكُم ﴾[1]. وقوى الله ملكه وجعله منصورا على أعدائه مهابا ، قال تعالى : ﴿ وَشَدَدنَا مُلكَهُ ﴾[2].

وقد جاءت أخبار هذا النبي الكريم في القرآن الكريم ، وأحاديث النبي ﷺ ، وكلها تؤكد حقيقة مهمة وهي أن داود عليه السلام كان نبيا مسلما طائعا منقادا لله تعالى في كل أموره وحياته[3] قال تعالى : ﴿ وَلَقَد فَضَّلنَا بَعضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعضٍ وَآتَينَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾[4] وفيها تنبيه على فضله وشرفه.

وقد سمى الرسول ﷺ زبور داود بالقرآن[5] ، فقال عليه السلام ((خفف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج ، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ولا يأكل إلا من عمل يده))[6].

قال تعالى : ﴿ وَلَقَد آتَينَا دَاوُودَ مِنَّا فَضلاً يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيرَ وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ ﴾[7].

قال ابن كثير : ((يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه السلام مما آتاه من الفضل المبين ، وجمع له من النبوة والملك المتمكن ، والجنود ذوي العَدد والعدد ، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات ، الصم الشامخات ،

---

(١) سورة الأنبياء آية ٨٠. ومعنى الآية علمه صنعة الدروع ، وإنما كانت الدروع قبله -أي قبل داود- صفائح ، وهو عليه السلام أول من سردها حلقا لتحصنهم في القتال انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٩٦ للحافظ ابن كثير.

(٢) سورة ص آية ٢٠. قال الحافظ ابن كثير : ((أي جعلنا له ملكا كاملا من جميع ما يحتاج إليه الملوك وعن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطانا)) تفسير القرآن العظيم ٤/٣٣.

(٣)وهذا بخلاف ما وصفه به كتبة أسفار العهد القديم حيث وصفوه بأوصاف بشعة جبارة ، بأنه الثائر السفاح الذي يحب سفك الدماء وإقامة الملك على جماجم البشر. انظر : ملوك ثاني الفصول من ٥ إلى ٢٠. وما ذلك إلا لحقدهم على أنبياء الله ، وكرههم لهم ، كما مر معنا في وصفهم ليوشع بن نون عليه السلام. انظر حاشية ص٥٢ من هذه الرسالة. وانظر في الرد عليهم في افترائهم على داود عليه السلام : أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود ص ١٤٢ د. عطا الله بخيت المعايطة، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء ٥٧٢/٢ د. عبد الشكور بن محمد أمان العروسي.

(٤) سورة الإسراء الآية ٥٥.

(٥) البداية والنهاية المجلد الأول الجزء الثاني ص ١١.

(٦) رواه البخاري في الصحيح ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿وَآتَينَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ ٤٨١/٢ رقم ٣٤١٧ ، وقال ابن حجر في هذا الحديث إن المراد بالقرآن الزبور وقيل التوراة. وإنما ترددوا بين الزبور والتوراة لأن الزبور كله مواعظ وكانوا يتلقون الأحكام من التوراة. وقال قتادة : كنا نتحدث أن الزبور مائة وخمسون سورة كلها مواعظ وثناء ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ، بل كان اعتماده على التوراة ، أخرجه ابن أبي حاتم وغيره ، فتح الباري ٥٢٤/٦.

(٧) سورة سبأ الآية ١٠.

وتقف له الطيور السارحات والغاديات والرائحات ، وتجاوبه بأنواع اللغات. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال ﷺ : ((لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود))[1].

ومعنى قوله ﴿ أَوِّبِي ﴾ أي سبحي فإن التأويب في اللغة هو الترجيع ، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها ، ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ كان لا يحتاج أن يدخله نارا ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط...))[2] وكما قال تعالى مؤكدا ذلك : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾[4].

وبيّن رسول الله ﷺ عبادة النبي داود عليه السلام ، وأنه أكثر الناس عبادة ، بل هو أعبدهم بشهادة رسول الله ﷺ له بذلك. فقد روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ ناقش عبد الله بن عمرو بن العاص في العبادات ومنها الصيام فقال له عليه السلام : فصم صوم داود نبي الله عليه الصلاة والسلام فإنه كان أعبد الناس))[5].

وروى الترمذي بسنده إلى أبي الدرداء أنه قال : وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود يحدث عنه قال : كان أعبد البشر[6].

وقد منّ الله عليه في الدنيا بنعم عظيمة ، منها ما مر معنا ، وأيضا منّ عليه في الآخرة ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[7].

---

(١) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٣٤) استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٥٤٦/١ حديث رقم ٢٣٥ ورقم ٢٣٦. ورواه الإمام أحمد في المسند برواية بريدة الأسلمي ٣٥١/٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٣٤/٣-٥٣٥.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٧٩.

(٤) سورة ص الآيتان ١٨ و ١٩.

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب (٣٥) النهي عن صوم الدهر ٨١٢/٢ رقم ١٨٢.

(٦) سنن الترمذي كتاب الدعوات باب ٧٣ من دعاء داود : ((اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك)) ٤٨٨/٥ رقم ٣٤٩٠، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب. وقال د. عبد الله الشقاري : ((ورجال إسناده ثقات إلا أن عبد الله بن ربيعة اختلف في أبيه فقال البخاري : هو عبد الله بن يزيد بن ربيعة ولم يتكلم عنه ابن حجر بشيء)) اليهود في السنة المطهرة ٩٩/١.

(٧) سورة ص الآية ٢٥.

وفاته عليه السلام :

((قال ابن جرير : وقد زعم بعض أهل الكتاب أن عمر داود سبعا وسبعين سنة))[1].

وهذا غلط مردود عليهم ، فقد ورد في السنة أن الله عز وجل جعل له ستين عاماً ، ثم زاده من عمر أبيه آدم عليه السلام -بناء على طلب آدم- أربعين عاماً.

روى الترمذي بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خلقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال : أي رب من هؤلاء قال : هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه ، فقال أي رب من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود ، فقال : رب كم جعلت عمره قال : ستين سنة ، قال : أي رب زده من عمري أربعين سنة ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت فقال : أو لم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أو لم تعطها ابنك داود ؟ قال فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته))[2].

وفي كيفية وفاته ، روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((كان داود النبي عليه السلام فيه غيرة شديدة ، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع ، قال فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار ، فإذا برجل قائم وسط الدار ، فقالت لمن في البيت : من أين دخل هذا الرجل الدار والدار مغلقة ؟ والله لنفتضحن بداود ، فجاء داود فإذا بالرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت قال : أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمتنع مني شيء ، فقال داود أنت والله ملك الموت فمرحبا بأمر الله ، فرمل[3] داود مكانه حيث قبضت روحه حتى فرغ من شأنه ، وطلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير ، أظلي على داود ، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهما الأرض ، فقال لها سليمان : اقبضي

---

(١) البداية والنهاية المجلد الأول الجزء الثاني ص ١٦ للحافظ ابن كثير.

(٢) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن باب (٨) ومن سورة الأعراف ج٥/٢٤٩ برقم ٣٠٧٦ و ٣٠٧٨ وقال : هذا حديث حسن صحيح. وفي باب (٩٤) ص ٤٢٢. فذكره قريباً من السابق مع زيادة في الألفاظ وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. ورواه ابن حبان كما في الموارد في كتاب علامات النبوة باب (ذكر أبينا آدم ﷺ) ص ٥٠٨ ، ٥٠٩ برقم ٢٠٢٨ عن أبي هريرة. ورواه الحاكم في المستدرك في التفسير ، تفسير سورة الأعراف ٢/ ٣٥٥ رقم ٣٢٥٧ وقال : الحديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

(٣) رمل : بالراء المهملة أي التصق بالرمل وهو التراب ، كما قيل للفقير التَرِب. والمراد هنا أن داود استلقى على الأرض. انظر النهاية في غريب الحديث ٢ / ٢٦٥.

جناحا جناحا ، قال أبوهريرة يرينا رسول الله ﷺ كيف فعلت الطير ، وقبض رسول الله ﷺ ، وغلبت عليه يومئذ المضرحية[1]))[2].

ج- سليمان عليه السلام :

تولى سليمان عليه السلام ملك بني إسرائيل بعد أبيه عليه السلام[3].

في الرواية اليهودية أن داود عليه السلام أوصى بالملك من بعده لابنه سليمان عليه السلام[4]. وأوصاه بتقوى الله، ولزوم شريعتة وتطبيقها[5].

كان عليه السلام من قبل يشارك والده في الحكم وتدبير أمور الدولة ، وقد أشار القرآن العظيم إلى ذلك : ﴿ **وَدَاوُودَ وَسُلَيمَانَ إذ يَحكُمَانِ فِي الحَرثِ إذ نَفَشَت فِيه غَنَمُ القَومِ وَكُنَّا لِحُكمِهِم شَاهِدِينَ ۞ فَفَهَّمنَاهَا سُلَيمَانَ وَكُلاًّ آتَينَا حُكمًا وَعِلمًا** ﴾[6] وفي هذه الآية إشارة إلى نبوغه عليه السلام وذكائه وإصابته للحكم.

وهناك حادثة أخرى تدل أيضا على ذلك النبوغ من سليمان عليه السلام ، فقد روى البخاري ومسلم بسندهما إلى أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصحابتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك ، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود

---

(١) المِضرَحيَّة : قال ابن كثير ، والمعنى : وغلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الأجنحة وواحدها مضرحي. انظر : البداية والنهاية مجلد ١ ج ٢ ص ١٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٤١٩/٢. والهيثمي في المجمع ، كتاب الأنبياء ٢٠٧/٨ عن أبي هريرة بهذا اللفظ. ثم قال : رواه أحمد. وفيه المطلب بن عبدالله بن حنطب ، وثقه ابن زرعة وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح. وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية وقال : انفرد بإخراجه أحمد وإسناده جيد قوي رجاله ثقات. مجلد١ ج ٢ ص ١٦.

(٣) وكان عهده عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد ، واستمر حكمه أربعين سنة مثل أبيه عليه السلام. وكانت مدة حكمه بين : ٩٧٠ و٩٣٠ق.م وقيل بين ٩٦١و٩٢٢ق.م وقيل بين ٩٦٣و٩٣٥ وقيل بين ٩٦٣و٩٢٣ وقيل بين ٩٧١ و ٩٣١ وقيل بين ٩٦١-٩٢٢ ق.م ، انظر : العرب واليهود في التاريخ ص٥٤٨-٥٥٣ د. أحمد سوسة، والفكر الديني اليهودي ص ٣٨ د. حسن ظاظا ، والعنصرية اليهودية ١٩٩/١ د. احمد الزغيبي، وبنو إسرائيل والعبرية الحديثة ص ١٠٨ علي مرسي، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ص ٨٦ د.محمد علي البار، واليهود في شبه الجزيرة العربية ص ٢٩/٢٧ د.محمد أرشيد العقيلي، وفلسطين تاريخا ونضالا ص ١٧و١٨ نجيب الأحمد ، وتايخ سورية ٢٠٥/١ د. فيليب حتى، واليهودية ص ٣٧ د. عرفان عبد الحميد ، والحضارات السامية القديمة ص١٤٣ سبتينو موسكاتي.

(٤) الملوك الأول ١: ٣٠-٣٩.

(٥) الملوك الأول ٢: ١-٤.

(٦) سورة الأنبياء الآيتان ٧٨ و ٧٩.

عليهما السلام ، فأخبرتاه ، فقال ائتوني بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها ، فقضى به للصغرى)) قال أبو هريرة : والله إن سمعت بالسكين قط إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية[1].

فكان سليمان عليه السلام حَريًّا أن يتولى الحكم بعد أبيه ، قال تعالى : ﴿ **وَوَرِثَ سُلَيمَانُ دَاوُودَ** ﴾[2]. وكان متوقعا أن يكون عهده استمرارا لعهد أبيه في الازدهار والرقي لأنه سيتم ما بدأ ، ويكمل ما أسس ، وقد كان ذلك ، فكان عليه السلام مشغوفا بالجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، حيث وصلت المملكة الإسرائيلية المسلمة في عصره أوج عزها ، مما حدا بمملكة سبأ للانضمام تحت لوائها.

قال تعالى : ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيرَ فَقَالَ مَا لِي لاَ أَرَى الهُدهُدَ أَم كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ ۝ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَو لأَذبَحَنَّهُ أَو لَيَأتِيَنِّي بِسُلطَانٍ مُبِينٍ ۝ فَمَكَثَ غَيرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَم تُحِط بِهِ وَجِئتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝ إِنِّي وَجَدتُّ امرَأَةً تَملِكُهُم وَأُوتِيَت مِن كُلِّ شَيءٍ وَلَهَا عَرشٌ عَظِيمٌ ۝ وَجَدتُّهَا وَقَومَهَا يَسجُدُونَ لِلشَّمسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُم الشَّيطَانُ أَعمَالَهُم فَصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ فَهُم لاَ يَهتَدُونَ ۝ أَلاَّ يَسجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخرِجُ الخَبءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَيَعلَمُ مَا تُخفُونَ وَمَا تُعلِنُونَ ۝ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ ۝ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقتَ أَم كُنتَ مِنَ الكَاذِبِينَ ۝ اذهَب بِكِتَابِي هَذَا فَأَلقِه إِلَيهِم ثُمَّ تَوَلَّ عَنهُم فَانظُر مَاذَا يَرجِعُونَ ۝ قَالَت يَا أَيُّهَا المَلأُ إِنِّي أُلقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُ مِن سُلَيمَانَ وَإِنَّهُ بِاسمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلاَّ تَعلُوا عَلَيَّ وَأتُونِي مُسلِمِينَ ۝ قَالَت يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفتُونِي فِي أَمرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمرًا حَتَّى تَشهَدُونِ ۝ قَالُوا نَحنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأسٍ شَدِيدٍ وَالأَمرُ إِلَيكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأمُرِينَ ۝ قَالَت إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَريَةً أَفسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفعَلُونَ ۝ وَإِنِّي مُرسِلَةٌ إِلَيهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرجِعُ المُرسَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيرٌ مِمَّا آتَاكُم بَل أَنتُم بِهَدِيَّتِكُم تَفرَحُونَ ۝ ارجِع إِلَيهِم فَلَنَأتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخرِجَنَّهُم مِنهَا أَذِلَّةً وَهُم صَاغِرُونَ ۝ قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُم يَأتِينِي بِعَرشِهَا قَبلَ أَن يَأتُونِي مُسلِمِينَ ۝ قَالَ عِفرِيتٌ مِنَ الجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أَن تَقُومَ مِن مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلمٌ مِنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أَن يَرتَدَّ**

(١) رواه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب أحاديث الأنبياء باب (٤٠) قول الله تعالى : ﴿**وَوَهَبنَا لِدَاوُدَ سُلَيمَانَ نِعمَ العَبدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ ٤٨٣/٢ رقم ٣٤٢٧ ، وذكره أيضا في كتاب الفرائض باب (٣٠) إذا أدعت المرأة ابنا ٢٤٤/٤ رقم ٦٧٦٩ ، ورواه مسلم في كتاب الأقضية باب ١٠ بيان اختلاف المجتهدين ١٣٤٤/٣ —١٣٤٥ رقم ١٧٢٠/٢٠.

(٢) سورة النمل آية ١٦.

إِلَيكَ طَرفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُستقرًّا عندَهُ قَالَ هَذَا من فَضلِ رَبِّي لِيَبلُوَني أَأَشكُرُ أَم أَكفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشكُرُ لِنَفسه وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۞ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرشَهَا نَنظُر أَتَهتَدِي أَم تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهتَدُونَ ۞ فَلَمَّا جَاءَت قِيلَ أَهَكَذَا عَرشُكِ قَالَت كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا العِلمَ مِن قَبلِهَا وَكُنَّا مُسلِمِينَ ۞ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَعبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَت مِن قَومٍ كَافِرِينَ ۞ قِيلَ لَهَا ادخُلِي الصَّرحَ فَلَمَّا رَأَتهُ حَسِبَتهُ لُجَّةً وَكَشَفَت عَن سَاقَيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرحٌ مُمَرَّدٌ مِن قَوَارِيرَ قَالَت رَبِّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفسِي وَأَسلَمتُ مَعَ سُلَيمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[1].

وفي السنة المشرفة إشارة واضحة لحب سليمان عليه السلام للجهاد ، تكمن في بحثه عن تكثير النسل ، الذين هم وقود الحرب وعلى أكتافهم تقوم الأمم والحضارات.

روى البخاري ومسلم بسنديهما إلى أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((قال سليمان : لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل إن شاء الله ، فلم يقل إن شاء الله ، فطاف عليهنّ جميعا فلم تحمل منهنّ إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، وأيم الذي نفس محمد بيده ، لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون))[2].

ومن مظاهر رقي الأمة الإسرائيلية المسلمة في عهد سليمان عليه السلام في النواحي العمرانية، تجديده عليه السلام لبيت المقدس.

فقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : ((لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً : حكماً يصادف حكمه ، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وألا يأتي هذا المسجد أحد يريد الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. فقال النبي ﷺ : أما اثنتان فقد أعطيهما ، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة))[3].

---

(١) سورة النمل الآيات من ٢٠ إلى ٤٤.

(٢) رواه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب الأيمان والنذور باب (٣) كيف كان يمين النبي صلى الله عليه وسلم ٢١٥/٤ رقم ٦٦٣٩ ، ورواه أيضا في كتاب الجهاد باب (٢٣) من طلب الولد للجهاد ٣١١/٢ رقم ٢٨١٩ وفيه ((مائة امرأة أو تسع وتسعين)) ، ورواه مسلم في الصحيح في كتاب الأيمان باب الاستثناء ١٢٧٦/٣ رقم ١٦٥٤/٢٥ بهذا اللفظ، وفي رواية ستين ، وفي رواية سبعين، انظر ٢٤/٢٢ (١٦٥٤) في الموضع نفسه. وللجمع بين هذه الروايات ؛ انظر فتح الباري ٥٣١/٦ المكتبة السلفية.

(٣) رواه النسائي في السنن ، كتاب المساجد باب (٦) فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه ٢ / ٣٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص. وليس فيه ((فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما اثنتان ...)). ويقول د. الشقاري : ورجال إسناده كلهم ثقات =

ولقد أكرم الله سبحانه نبيه سليمان بن داود بنعم عظيمة، وخصه بمزايا رائعة كانت عنوانا للمجد والعظمة، ومظهرا من مظاهر الملك العظيم والجاه الكبير، فكان له -عليه السلام- سيادة الدنيا وعزة الآخرة ، وهذه بعض تلك النعم :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَد آتَينَا دَاوُودَ وَسُلَيمَانَ عِلمًا ﴾[1]. فالعلم الصحيح منحة من الله تعالى ، يصل الإنسان بربه ، فهو وسيلة عظيمة لتحقيق العبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى.

وعلمه الله منطق الطير ، وسائر لغات الحيوانات ، فكان يفهم عنها ما لا يفهمه سائر الناس، وربما تحدث معها كما كان الأمر مع الهدهد والنمل[2].

وسخر الله له الريح بل جميع المخلوقات من الإنس والجن وجميع الحيوانات ، قال تعالى : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيمَانَ جُنُودُهُ مِن الجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيرِ فَهُم يُوزَعُونَ ﴾[3].

= مشهود لهم بذلك ١/١١٢ ، اليهود في السنة المطهرة. ورواه ابن ماجه في السنن في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس ١ / ١٥١ رقم ((١٤٠٨)) وإسناد طريق ابن ماجه ضعيف ؛ لأن عبيد الله بن الجهم لا يعرف حاله وأيوب بن سويد متفق على ضعفه ، اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي. وقال ابن حجر في التقريب : عبد الله بن الجهم : مقبول ص ٣٧٠ رقم ٤٢٨٢. وأيوب بن سويد : صدوق يخطئ. ص ١١٨ رقم ٦١٥. تحقيق محمد عوامة. ولم يذكر الألباني هذا الحديث في ضعيف ابن ماجه. ورواه الحاكم في المستدرك كتاب الايمان١/ ٨٤ رقم ٨٣. وقال : هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة. وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ولا أعلم له علة. وقد وافقه الذهبي في التلخيص وقال : على شرطهما ولا علة له. وكذلك ذكره الحاكم في كتاب التفسير ٢ / ٤٧١ رقم ٣٦٢٤. ورواه الإمام احمد في المسند ٢ / ١٧٦. وابن خزيمة في صحيحة ، كتاب جماع أبواب الأفعال المباحة في المسجد غير الصلاة. باب فضل الصلاة في مسجد بيت المقدس ٢ / ٢٨٨ رقم ١٣٣٤.

(١) سورة النمل الآية ١٥.

(٢) سورة النمل الآية ١٧.

(٣) كما ورد في سورة النمل الآيات من ١٦ — ٢٢.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير قصة لطيفة عن سليمان عليه السلام فقال : وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا علي بن حشاد حدثنا إسماعيل بن قتيبة حدثنا علي بن قدامة حدثنا أبو جعفر الأسواني يعني محمد بن عبد الرحمن عن أبي يعقوب العمي حدثني أبو مالك قال : مر سليمان بن داود -عليهما السلام- بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا : وما يقول يا نبي الله قال : يخطبها إلى نفسه ويقول زوجيني أسكنك أي غرف دمشق شئت. قال سليمان عليه السلام ، لأن غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد ولكن كل خاطب كذاب. رواه ابن عساكر عن ابي القاسم زاهر بن طاهر عن البيهقي به. انظر البداية والنهاية ١/ج٢ ص ١٧.

وقال تعالى : ﴿ **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجرِي بِأَمرِهِ رُخَاءً حَيثُ أَصَابَ ۞ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۞ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصفَادِ** ﴾[1].

قال ابن كثير : ((والدليل على هذا قوله : ﴿ **وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيءٍ** ﴾[2] أي من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين السارحات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات))[3].

وبهذا رزقه الله ملكا لم يكن لأحد من بعده ، كما قال ذلك رسول الله ﷺ في الحديث السابق[4]. فاعترف عليه السلام هو وأبوه بهذه النعم ﴿ **وَقَالاَ الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِن عِبَادِهِ المُؤمِنِينَ** ﴾[5] ، ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضلُ المُبِينُ** ﴾[6].

وفاته عليه السلام :

ذكر الله عز وجل قصة وفاته في كتابه العزيز في قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا قَضَينَا عَلَيهِ المَوتَ مَا دَلَّهُم عَلَى مَوتِهِ إِلاَ دَابَّةُ الأَرضِ تَأكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَت الجِنُّ أَن لَو كَانُوا يَعلَمُونَ الغَيبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ** ﴾[7].

وروى الحاكم في المستدرك وابن جرير في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ((كان سليمان نبي الله عليه السلام إذا قام في مصلاه رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول ما اسمك؟ فتقول كذا ، فيقول لأي شيء أنت ، فتقول لكذا وكذا ، فإن كانت لدواء كتبت ، وإن كانت لغرس غُرِسَت ، فبينما هو يصلي يوما إذ رأى شجرة نابتة بين يديه ، فقال لها ما اسمك؟ قالت : الخرنوب ، قال لأي شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ، قال سليمان عليه السلام : اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب ، قال : فنحتها عصا ،

(١) سورة ص الآيات من ٣٦-٣٨.

(٢) سورة النمل الآية ١٦.

(٣) البداية والنهاية المجلد الأول الجزء الثاني ص ١٧.

(٤) ص ٦٥ من هذا البحث.

(٥) سورة النمل الآية ١٥.

(٦) سورة النمل الآية ١٦.

(٧) سورة سبأ الآية ١٤.

فتوكأ عليها قال فأكلتها الأرضة فسقط ، فخر ، فوجدوه ميتاً حولا[١] فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين -وكان ابن عباس يقرؤها هكذا- فشكرت الجن الأرضة فكانت تأتيها الماء حيث كانت))[٢].

وقال الحافظ ابن كثير : إن سليمان عليه السلام عاش ثنتين وخمسين سنة وكان ملكه أربعين سنة[٣] ، وعن ابن عباس أن ملكه كان عشرين سنة[٤].

المرحلة الثالثة : عهد التدهور والانقسام ((عهد الملوك الثاني))[٥] :

وبموت سليمان عليه السلام انتهى عهد الازدهار والوحدة لبني إسرائيل ، وبدأ عهد التدهور والانقسام. وجاء في الرواية اليهودية : أنه بعد موت سليمان عليه السلام انتقل الملك إلى ابنه رحبعام[٦] ، وبايعه على الملك سبطا يهوذا وبنيامين اللذين كانا يقيمان في المنطقة الجنوبية وحول أورشليم ، ثم توجه رحبعام بن سليمان إلى شكيم ((نابلس))[٧] حيث كان يقيم هناك في المنطقة الشمالية باقي زعماء بني إسرائيل -زعماء الأسباط العشرة-.

---

(١) هكذا العبارة عند الحاكم. وعند ابن جرير : ((فنحتها عصا ، فتوكأ عليها حولاً ميتاً والجن تعمل فأكلتها الأرضة ، فسقط، فتبينت الإنس...)).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب الطب ٤ / ٤٤٦ رقم ٨٢٢٢. وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. قال الذهبي : صحيح. وذكره أيضاً في الكتاب نفسه ٤ / ٢٢٠ رقم ٧٤٢٩. وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، ثم قال : وهو غريب بمرة من رواية عبيد الله بن وهب عن إبراهيم بن طهمان، فإني لا أجد عنه غير رواية وهذا الحديث الواحد ، وقد رواه سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير فأوقفه عن ابن عباس. ورواه ابن جرير في التفسير ٢٢ / ٧٤ ((المكتبة الفيصلية)). وقال ابن كثير : رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث إبراهيم بن طهمان وفي رفعه غرابة ونكارة والأقرب أن يكون موقوفاً ، وعطاء بن أبي خراسان له غرابات وفي بعض حديثه نكارة. تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٣٧.

(٣) البداية والنهاية مجلد١ ج٢ ص٢٩/٣٠. وانظر أيضا : النبوة والأنبياء ص ٣١٧ للصابوني ، واليهود في شبه الجزيرة العربية ص ٢٩ ، وبنو إسرائيل في القرآن الكريم ص ٥١ د. أبو النيل ، والملوك الأول ١١ :٤٢.

(٤) البداية والنهاية مجلد ١ ج ٢ ص ٣٠ ، واليهود في السنة المطهرة ١/١١٣ د. عبد الله الشقاري.

(٥) وهذه المرحلة على حسب الرواية اليهودية فإنها ذكرت في الإصحاحات من الثاني عشر من سفر الملوك الأول -الثالث إلى نهايته التي تنتهي بالإصحاح الثاني والعشرين ، ثم سفر الملوك الثاني- الرابع الذي هو خمسة وعشرون إصحاحا ثم من الإصحاح العاشر من سفر أخبار الأيام الثاني إلى نهايته التي تنتهي بالإصحاح السادس والثلاثين. انظر : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٧٥ محمد عزة دروزة.

(٦) ملوك أول ١١ :٤٣.

(٧) شكيم : وهي نابلس. مدينة كنعانية من أقدم مدن العالم. فتحها المسلمون في عهد أبي بكر الصديق. عرفت بمياهها الجارية وزيتونها الوافر وخيراتها الكثيرة حتى سميت بدمشق الصغرى. تبعد عن القدس ٦٩كيلو متراً ، وعن عمّان ١١٤ كيلو متراً ، وعن البحر المتوسط ٤٢كيلو متراً. وأعلى قمم جبالها ((جبل عيبال)) ٩٤٠٠متر. معجم بلدان فلسطين ص ٦٩٧ـــ٦٩٩ محمد بن محمد شراب.

وكان (يربعام بن نباط)[1] على رأس الأسباط العشرة من بني إسرائيل ، فخاطبه وجميع رؤساء بني إسرائيل بترك الشدة والقسوة ، ولكنه رد عليهم بغلظة وهددهم بقوله : إني سأؤدبكم بالعقارب. وهنا أعلن الأسباط العشرة امتناعهم من مبايعة رحبعام بن سليمان ملكا عليهم واختاروا يربعام بن نباط ملكا عليهم.

وهكذا انقسمت مملكة بني إسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام إلى مملكتين مملكة يهوذا في الجنوب ، ومملكة إسرائيل في الشمال[2].

١) مملكة يهوذا :

تنسب هذه المملكة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام ، وتتكون من سبطي يهوذا وبنيامين ، وتشمل القسم الجنوبي من فلسطين وتبلغ مساحتها ٣٥٠٠ ميل مربع أي نصف مساحة مملكة إسرائيل. وتولى ملك دولة يهوذا عشرون ملكا ابتداءً من رحبعام بن سليمان إلى صدقيا بن يواقيم، وكانت مدة هذه الدولة من سنة ٩٣٥ إلى سنة ٥٨٦ ق.م ، وعاصمتها أورشليم ((القدس)) سقطت على يد بختنصر البابلي[3].

---

(١) يربعام بن نباط من نسل افرايم بن يوسف عليه السلام وكان عبداً لسليمان. قيل إنه رفع يده عن طاعة سليمان عليه السلام وأقام بلبلة في بني إسرائيل ، فطلبه سليمان عليه السلام فهرب إلى مصر واستضافه في مصر ملكها شيشنق ، ثم عاد إلى قومه من بني إسرائيل في المنطقة الشمالية بعد موت سليمان عليه السلام ونزع نصف مملكة بني إسرائيل من يد رحبعام ابن سليمان وهي المملكة الشمالية انظر : ملوك أول ١١ : ٢٦-٤٠ ، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٧٥ محمد عزة دروزة ، وفلسطين تاريخا ونضالا ص ١٨ نجيب الأحمد ، ومصر والشرق الأدنى القديم ٣/٣٩١-٣٩٢ د. نجيب ميخائيل إبراهيم.

(٢) ملوك أول الفصل الثاني عشر.

(٣) انظر : فلسطين تاريخا ونضالا ص٢٢، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة ص٤٢، واليهود في شبه الجزيرة العربية ص٣٠، واليهود في السنة المطهرة ١/١١٥، والعنصرية اليهودية ١/٢٠٤، وتاريخ سورية ١/٣١٥.
أما ملوك هذه المملكة فهم :
١) رحبعام بن سليمان مدة حكمه ١٧سنة ، ٢)ابيام بن رحبعام مدة حكمه٣سنوات ، ٣) آسابن أبيام مدة حكمه ٤١ سنة ، ٤) يهوشا فاط بن آسار مدة حكمه ٢٥ سنة ، ٥) يهورام بن يهو شافاط مدة حكمه ٨سنوات ، ٦) أخزيا بن يهورام مات قتيلا مدة حكمه سنة واحدة ، ٧) عتليا أم أخزيا ماتت قتيلة مدة حكمها ٦ سنوات ، ٨) يواش بن أخزيا مات قتيلا مدة حكمه ٤٠ سنة ، ٩) آمصيا بن يواش مات قتيلا مدة حكمه ٢٩ سنة ، ١٠) عزريا بن آمصيا مدة حكمه ٥٢ سنة ، ١١) يوثام بن عزريا مدة حكمه ١٦ سنة ، ١٢) آحازبن يوثام مدة حكمه ١٦ سنة ، ١٣) حزقيا ابن آحاز مدة حكمه ٢٩ سنة ، ١٤)منسي بن حزقيا مدة حكمة ٥٥ سنة ، ١٥) آمون بن منسي مدة حكمه سنتان مات قتيلا ، ١٦) يوشيا بن آمون مدة حكمه ٣١ سنة مات قتيلا ، ١٧) يهوا حاز بن يوشيا مدة حكمه ثلاثة أشهر ، ١٨) يواقيم بن يوشيا مدة حكمه ١١ سنة ، ١٩) يهواقين بن يواقيم مدة حكمه ثلاثة أشهر ، =

٢) مملكة إسرائيل :

تتكون هذه المملكة من عشرة أسباط من الأسباط الاثني عشر في بني إسرائيل ، وتشمل القسم الشمالي من فلسطين ، وتبلغ مساحتها ٧٠٠٠ ميل مربع.

تولى ملك دولة إسرائيل ١٩ ملكا ابتداء من يربعام بن نباط الإفرائيمي إلى هوشع بن إيله وكانت فترة هذه الدولة من انفصال يربعام عن مملكة يهوذا وملكها رحبعام حوالي ٩٣٥ إلى سنة ٧٢٢ ق.م وقد تقلب على عرش هذه المملكة ثماني أسر ، وعاصمتها شكيم ((نابلس)) ، وسقطت هذه المملكة على يد الآشوري سرجون الثاني[١].

وكان هذا الانقسام في بني إسرائيل وبالا عليهم ، وكان بداية لعصر شهد فيه بنو إسرائيل ألوانا من الضعف والتدهور ، فقد نشبت بين المملكتين حروب دامية رهيبة ، جعلت كل فريق

= ٢٠) صدقيا بن يواقيم وقد أقامه بختنصر ملكا على أورشليم حتى سقطت هذه الدولة نهائياً في عهده. انظر: أسفار ملوك أول وثاني، وأسفار أخبار الأيام أول وثاني. وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٧٧- ١٧٨ محمد عزة دروزة ، والفكر الديني اليهودي ص ٤٠-٤٢ د. حسن ظاظا.

(١) انظر : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢٠٩/١ ، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٧٨ ، واليهود في شبه الجزيرة العربية ص ٢٩ــ٣٠، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٤٢ ، وفلسطين تاريخا ونضالا ص ١٩ ، واليهود في السنة المطهرة ١١٥/١، والعنصرية اليهودية ١/ ٢٠٢.

أما ملوك هذه المملكة فهم :

١) يربعام بن نباط الإفرائيمي مدة حكمه ٢٢ سنة ، ٢) ناداب بن يربعام مدة حكمه سنتان ، ٣) بعشار بن أخيا ، وقد ثار على ناداب بن يربعام وقتله وأباد نسل أبيه وجلس مكان وبعشار هذا من سبط يساكر استمر حكمه ٢٤ سنة ، ٤) إيلة بن بعشار مدة حكمه سنتان ، ٥) زمري ، وقد ثار هذا على إيلة وقتله وأباد نسله وجلس مكانه ، ٦) عمري ، وقد زحف هذا على زمري وحاصره فأحرق نفسه وجلس مكانه في الملك وكانت مدة حكمه ١٢سنة ، ٧) أخاب بن عمري، وفي أيامه تفشى الانحلال الديني والخلقي بشكل واضح في بني إسرائيل وكانت مدة حكمه ٢٢ سنة ، ٨) أخزيا بن أخاب ، ومدة حكمه سنتان ، ٩) يورام بن أخاب مدة حكمه ١٢ سنة ، ١٠) ياهو بن يهو شافاط ، وقد ثار هذا على يورام بن أخاب وقتله وأباد نسله ، وكانت مدة حكم ياهو ٧ سنوات ، ١١) يهوا حازين ياهو ، ومدة حكمه ١٧ سنة ، ١٢) يهواش بن يهواحاز ومدة حكمه ٤١ سنة ، ١٣) يربعام بن يهواش مدة حكمه ٤١ سنة ، ١٤) زكريا بن يربعام ومدة حكمه ستة أشهر ، ١٥) شالوم بن يابيش وقد ثار هذا على زكريا بن يربعام وقتله وجلس مكانه ، ومدة حكمه شهر واحد ،١٦) مناحيم بن جاد وقد ثار هذا على شالوم وقتله وجلس مكانه ومدة حكمه ١٠ سنوات ، ١٧) فقيحا بن مناحيم ومدة حكمه سنتان ، ١٨) فقح بن رمقيا وقد ثار عذا على فقيحا وقتله وجلس مكانه مدة حكمه ٢٠ سنة، ١٩) هوشع بن أيله وقد ثار هذا على فقح وقتله وقد اعتقل سيرجون الثاني ملك آشور هوشع بن أيله ونفاه مع عدد كبير من أهل مملكته وجعل هذه المملكة ولاية آشورية.

انظر : أسفار ملوك أول وثاني وأسفار أخبار الأيام أول وثاني ، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٧٨- ١٨٠ ، محمد عزة دروزة ، والفكر الديني اليهودي ص ٣٨-٤٠ د. حسن ظاظا.

يود القضاء على الآخر ، ويستعين عليه بغير جنسه ، ومرت أجيال والحرب لا تهدأ أوارها بين الدولتين تارة ، وبينهم وبين الدول المجاورة تارة أخرى.

يقول الأستاذ محمد عزة دروزة : ((وأسفار الملوك الأول والثاني -الثالث والرابع في الكاثوليكية- وأخبار الثاني احتوت كثيرا من أخبار دولتي إسرائيل ويهوذا وأحوالهما الداخلية والخارجية ، وما ارتكست فيه الدولتان وملوكهما من فتن وحروب أهليه وانحرافات دينية وخلقية وما تعرضتا له من غزوات خارجية. ولم يكد يسجل لهما فيها إلا حقب قصيرة من السيادة التامة، أو الانتصار على غيرهما ، كما أن ما سجلته من الصلاح والاستقامة لملوكهما وشعبيها أقل بكثير مما سجلته عليهم من الانحرافات الدينية والخلقية))[1].

((وحدث بين المملكتين حروب ومنازعات كثيرة ، أثارها ما بين ملوكهما من التنافس ، وعدم انتظار الملك في كليهما على اطراد ، لكن أولئك الملوك كانوا في بعض الأحايين يتعاهدون ويسيرون معا بجيوشهم إلى الحرب على أن روح المنافسة لم يزل دأبها بينهم ، لأن ملوك إسرائيل كانوا يخشون أن ترتد رعاياهم عنهم إلى ملوك يهوذا ، بذهابهم للعبادة في هيكل أورشليم فاتخذ بعضهم جميع الوسائل لحملهم على طرح تلك العادة ، فكانوا تارة ينصبون لهم الأوثان ليعبدوها، وطورا يمنعونهم عن تأدية فريضة العبادة جبرا ، وهكذا تناثرت عرى الاتحاد والوئام بين الأسباط، وازداد الشقاق فكانت النتيجة ضعف المملكتين ، وتغلب الأعداء والغزاة عليهما الواحدة بعد الأخرى))[2].

ولهذا الشتات والضعف الذي حل ببني إسرائيل تسلط عليهم كل من الآشوريين والبابليين ، كما سيمر معنا إن شاء الله تعالى.

السبي الآشوري والبابلي لليهود :

أولا : نهاية مملكة إسرائيل :

كانت نهاية هذه المملكة -الواقعة في شمال فلسطين- على يد سرجون الثاني ملك آشور سنة ٧٢٢ ق.م[3].

---

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٨٠ ، وذكر المؤلف أمثلة لوقائع عدائية حصلت بين الدولتين. وكذلك إلى كتاب الحضارات السامية القديمة ص ١٤٤ ، سبتينو موسكاتي ، ترجمة وزاد عليه د. السيد يعقوب بكر.

(٢) تاريخ الإسرائليين ، ص ٣٠ ، لشاهين مكاريوس.

(٣) سرجون الثاني : اعتلى عرش الدولة الآشورية عام ٧٢١ق.م وقيل عام ٧٢٢ق.م. وهو من أشهر ملوك الدولة الآشورية. بدأت جيوشه بفلسطين فأخضعها. وفتح ((السامرة)) العاصمة الشمالية ، وشرد أهلها وخربها وأنهى استقلال دولتها ، ثم اتجه إلى بابل وآسيا الصغرى فاسترجعها بعد تمردها ، وكان ذلك في عام ٧١٠ق.م. وقد قتل في معركة ضد أعدائه =

تمكنت الدولة الآشورية من السيطرة على مملكة إسرائيل ، حتى أن ملك آشور تفلات فلاسر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م)[1] قد فرض الجزية الثقيلة على حكام دولة إسرائيل ابتداء في عهده من مناحيم بن جاد ، وقيل إن الجزية كانت ألف وزنة (أي قنطار) من الفضة ، وكان ذلك حوالي سنة ٧٤٠ ق.م[2].

واستمر الحال في ملوك بني إسرائيل بدفع الجزية إلى ملك آشور إلى عهد هوشع بن أيله ، الذي استمر في دفع الجزية فترة من الزمن ، ثم نقض عهده مع دولة آشور ، وامتنع عن دفع الجزية لهم ، فجرد ملك آشور شلمنصر الخامس[3] -خلف تفلات فلاسر الثالث- حملة تأديبية على مملكة إسرائيل ، فحاصرها مدة ثلاث سنوات ، وقبل أن يظفر بالنصر النهائي وافته المنية في عام ٧٢٢ ق.م فقام خليفته سرجون الثاني بمواصلة الحصار ، حتى تم استسلامها والقضاء عليها نهائيا.

نهاية مملكة يهوذا :

وكانت نهاية هذه المملكة الواقعة في جنوب فلسطين على يد نبوخذنصر (بختنصر) البابلي سنة ٥٨٦ ق.م[4]. فقد عمرت هذه المملكة أكثر من قرن وثلث من الزمان بعد

= سنة ٧٠٥ق.م. الشرق الأقصى القديم ((مصر والعراق)) ١ / ٥٢٣ ـــ ٥٢٨ د. عبدالعزيز صالح ، والعرب واليهود في التاريخ ص ١٨٣ د. أحمد سوسة.

(١) تفلات فلاسر الثالث : بدأت بولايته مرحلة جديدة في عهد الدولة الآشورية. استلم زمام الحكم في ٧٤٥ ق.م إلى ٧٢٩ وقيل ٧٢٨ ق. م ، استمر حكمه ثماني عشرة سنه ، تمكن من خلالها من استعادة نفوذ المملكة الآشورية بعد فترة الانتكاسة ((الحروب الأهلية)) التي استمرت من ٨٢٤ ق.م إلى ٧٤٥ ق.م. قام بحملة قوية على المملكة الشمالية لليهود كان على أثرها سقوط عاصمتها السامرة على يد خليفة خليفته سرجون الثاني. الشرق الأقصى القديم ((مصر والعراق))١ /٥٢-٥٢٣.العرب واليهود في التاريخ ص١٨٢.

(٢) تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٢١٣/١، وتأثر اليهودية ص٢٤٦، وفلسطين تاريخا ونضالا ص٢١، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٤٤ د. طنطاوي ، والمدخل إلى التوراة والعهد القديم ص٩٧ د. محمد البار.

(٣) شلمنصر الخامس : استلم حكم آشور بعد تفلات فلاسر الثالث. وحكمه لم يستمر أكثر من خمس سنوات من ٧٢٨ أو ٧٢٧ إلى ٧٢٢ ق. م. واصل المعارك التي بدأها سلفه ومنها محاصرته المملكة الشمالية لليهود. وهذا العمل هو الذي سهل لخلفه سرجون الثاني أن يفتح عاصمتها ((السامرة)). مصر والشرق الأدنى القديم ٣ / ١٢٧ ـــ ١٢٨ د. نجيب ميخائيل ، والعرب واليهود في التاريخ ص١٨٣و٥٥٧.

(٤) نبوخذ نصر البابلي ((٦٠٥-٥٦٢)) : اسمه في البابلية ((نابو - كدوي - أوصر)) بمعنى ((الإله نابو يحمي الحدود)) ، من أشهر حكام الدولة البابلية ، خلدت التوراة والأساطير حروبه ، وخاصة مع مدينتين وهما : أورشليم عاصمة يهوذا ، وصور الميناء الحصينة. انتصر على المملكة الجنوبية لليهود ((يهوذا)) في عام ٥٩٧ ق.م ، وأسر جميع اليهود إلى بابل. استمر ملكه ثلاثة وأربعين سنة . الشرق الأدنى القديم ((مصر والعراق)) ١ / ٥٥٦-٥٦٠. العرب واليهود في التاريخ ص ١٨٩.

سقوط المملكة الشمالية إسرائيل[1].

فبعد أن سقطت مملكة إسرائيل أصبحت مملكة يهوذا مكشوفة للآشوريين ، وأكثر تعرضا لهجماتهم المباشرة[2]. وصارت تدين لهم بالولاء وتتبع سياستهم وتؤدي لهم الجزية[3].

وبعد هذه الفترة من التمكين والقوة بدأ الضعف يدب في جسم الدولة الأشورية ، فاستطاع ملك يهوذا يوشيا التحرر من سلطان الآشوريين بعد سقوط عاصمتهم حوالي سنة ٦١٢ ق.م[4]. وفـــي الوقت نفسه تمردت بابل على حكم أشور بقيادة زعيمها (نيو بولاسر الكلداني)[5] وكون دولة جديدة جنوب العراق عرفت بالدولة الكلدانية أو بالدولة الحديثة البابلية ، وتسلّم زعامة هذه الدولة نبو خذ نصر ابن نيو بولاسر.

فإذا كانت مملكة يهوذا قد تحررت من تسلط الدولة الآشورية عليها ، فإنها ما لبثت أن وقعت تحت قبضة الدولة الجديدة القوية في المنطقة وهي الدولة البابلية.

تمرد ملك يهوذا يوياقيم بن يوشيا ، وبعد موته تمرد ابنه يهوياكين على الدولة البابلية ، وكان ذلك حوالي سنة ٦٠١ق.م ، فشن عليهم نبوخذنصر حملة قوية عام ٥٩٧ ق .م وزحف بجيشه على القدس ، وبعد حصار قصير استسلمت المدينة ، وسبي الملك مع نسائه وأمه وموظفيه

(١) يرجع د. نجيب ميخائيل ذلك إلى أسباب متعددة منها : بعد هذه المملكة الجنوبية عن الطريق الطبيعي من الشرق إلى الغرب ، كما أن أورشليم -عاصمة هذه المملكة- كانت منيعة نوعاً ما ، بينما الشمال مفتوح للغزو في يسر للطامعين ، وكان الاستيلاء عليه هدفا تطمع في الوصول إليه أشور إن أرادت أن تطل على البحر ، وهو إلى جانب ذلك غزير الموارد الحربية في صورة تهدد باستمرار الأمن الداخلي الآشوري. مصر والشرق الأدنى القديم ٣/٤٢٥.

(٢) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢١٦/١ د. فيليب حتي.

(٣) أخبار الأيام الثاني ٢٨ : ١٦-٢٣ ، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٢٠٥، وقصة الحضارة مجلد أول ج ثاني ص ٣٥١، ومصر والشرق الأدنى القديم ٤٣٢/٣ ، وتأثر اليهودية ص٢٥٤ ، وتاريخ فلسطين القديم ص ٥٤.

وجاء في الرواية اليهودية أن مقدار الجزية التي كانت على مملكة يهوذا للآشوريين ثلاثمائة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب. ملوك ثاني ١٨ : ١٣-١٦.

(٤) تاريخ اليهود ١٨٦/١-١٨٧ ، ومصر والشرق الأدنى القديم ٤٤٩/٣-٤٥٠ ، وتاريخ سورية ٢١٩/١ ، وقصة الحضارة مجلد أول ج ثاني ص٣٥٧ ، وتأثر اليهودية ص٢٥٧، وفلسطين تأريخا ونضالا ص٢٣.

(٥) نيو بولاسر الكلداني : مؤسس الحكم البابلي الجديد ((٦٢٦- ٦٠٤)) ق.م. عمل قائداً في الجيش الآشوري وحاكماً على الأقاليم الجنوبية ، تمكن من الانفصال عن الدولة الآشورية وحالف أعدائها وساهم في الحروب معهم ضدها والتي كانت من آثارها تقويض الدولة الآشورية عام ٦١٢ق.م. الشرق الأدنى القديم ((مصر والعراق)) ١ / ٥٥٢-٥٥٤ ، والعرب واليهود في التاريخ ص ١٨٨.

وصناع دولته وجنود جيشه إلى بابل[1]. ويعرف هذا بالسبي البابلي الأول[2].

قام نبوخذنصر بخلع يهوياكين من الملك ، ولكنه عيّن مكانه عمه متنيا ملكا على يهوذا وغير اسمه إلى صدقيا[3] ، ووعده نبوخذنصر بالاحتفاظ بالعرش له على أن يتعهد صدقيا بالولاء التام لبابل.

بقي صدقيا (٥٩٧-٥٨٦ق.م) الذي كان في الحادية والعشرين من عمره ، متظاهرا بالولاء لنبوخذنصر عدة سنين. ولكن صدقيا قام بحركة ثورية ضد الاحتلال البابلي.

علم نبوخذنصر بهذه الثورة فغضب لذلك ، وأرسل جيشا قويا كان هو على رأسه ، فعسكر جيشه في ربلة قرب نهر العاصي ، وحاصر نبوخذنصر أورشليم ، ولم يمض وقت طويل حتى تفشت المجاعة وما صاحبها من ذعر واضطراب ، فتمكن الجيش البابلي من إحداث ثغرة في أحد أسوار مدينة أورشليم ، ودخلوا من خلالها، فغدا الموقف لليهود ميئوسا منه فاستسلموا ، وهرب ملكهم صدقيا وأسرته وبعض رجال جيشه ، ولكن البابليين أدركوا الملك صدقيا ومن معه في سهول أريحا ، فحملوه ومن معه إلى معسكر نبوخذنصر وهناك ذبحوا أبناءه أمامه ، ثم فقأ الملك عينيه إمعانا في إذلاله ، وليكون ذبح أبنائه آخر مشهد يراه بهما. وأخذوه مكبلا مع الأسرى إلى بابل[4].

أما القدس فإنهم دمروها تدميرا كاملا. وعلى ما جاء في الرواية اليهودية فإنهم أحرقوا بيت الرب -الهيكل-[5] وبيت الملك بعد أن نهبوا ما فيهما من كنوز وخزائن ، وأحرقوا كل بيوت عظماء أورشليم وهدموا جميع أسوارها وقبضوا على الآلاف من اليهود ، فقتلوا بعضهم وسبوا

---

(١) ملوك ثاني ٢٤ : ١-١٦ ، وتايخ سورية ولبنان وفلسطين ٢١٩/١ ، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص٢٠٩ ، والعرب واليهود في التاريخ ص ٥٧٦ ، مصر والشرق الأدنى القديم ٣ /٤٥٠-٤٥١.

(٢) مصر والشرق الأدنى القديم ٣/ ٤٥٠ د. نجيب ميخائيل ، وهوامش كتاب الحضارات السامية القديمة لموسكاتي د. يعقوب بكر ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٣) ملوك ثاني ٢٤ : ١٧ ، وأخبار ثاني ٣٦ : ١٠ ((ولا يخفى أن تغيير الاسم ينبئ عن سيادة نبوخذنصر ومدى خضوع وتبعية صدقيا)). انظر تأثر اليهودية ص ٢٦١ د. فتحي الزغبي.

(٤) ملوك ثاني ٢٥ : ١-٧ ، وأرميا ٣٩: ١-٧ ، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١/ ٢٢٠ د. فيليب حتي ، والعرب واليهود في التاريخ ص ٥٧٧ د. أحمد سوسة ، ومصر والشرق الأدنى القديم ٤٥٢/٣-٤٥٤ د. نجيب ميخائيل ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٢٦٣-٢٦٥ فتحي الزغبي.

(٥) انظر الكلام في الهيكل ص ٣٣٩ من هذا البحث.

بعضهم إلى بابل حيث انضموا إلى أبناء جلدتهم الذين شملهم السبي الأول ، فكانوا لملك بابل ولبنيه عبيدا إلى أن ملكت مملكة الفرس ، ويسمى هذا السبي بالسبي الثاني إلى بابل في عام ٥٨٦ ق.م(١).

وهكذا سقطت مملكة يهوذا الجنوبية على يد البابليين ، كما سقطت من قبل مملكة إسرائيل الشمالية على يد الآشوريين. وهكذا قضي على حكم اليهود على فلسطين ، بل إن فلسطين أصبحت خالية منهم ، ماعدا الذين تركهم السبي البابلي هناك من المساكين والفلاحين والذين ليس لهم شأن يذكر(٢).

عودة اليهود إلى فلسطين بعد السبي البابلي :

((وفي السبي البابلي حصل اليهود على حريات كثيرة))(٣).

ونستطيع أن نلمس ذلك في الخطاب الذي ورد في الرواية اليهودية لهم يحرضهم فيه على الاستقرار -دون إثارة متاعب- وعلى الحياة كمواطنين حياة عادية ((ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها ، خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبينكم نساء وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات واكثروا هناك ولا تقلوا ، واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام..))(٤).

وكان لهذا اللون من المعاملة أثره ولاشك ((مما جعل الأغلبية من اليهود المسبيين تنصرف إلى الحياة الجديدة واضعة نصب عينيها أن تتكيف مع المجتمع البابلي))(٥) فتعاملوا بالتجارة والزراعة ، وتهيأ لهم الإطلاع على الثقافة الكلدانية حتى امتزجوا بها امتزاجا كاملا ، فأدى ذلك إلى أن تعود بعض اليهود عادات الكلدانيين ، وتخلقوا بأخلاقهم وعبدوا آلهتهم(٦).

يقول ول ديورانت عن اندماج اليهود في المجتمع البابلي : ((حيث كانوا يتمتعون بقسط موفور من الحرية في عاداتهم ، وسرعان ما زاد عددهم ونمت ثروتهم ، وأيسروا فيما عاد به عليهم خضوعهم من هدوء ووفاق لم يتعودوهما من قبل. وأخذت طائفة منهم مطردة الزيادة تعبد الآلهة

---

(١) ملوك ثاني ٢٥ : ٨-١١ ، والعنصرية اليهودية ٢٠٩/١ د. أحمد عبد الله الزغيبي ، وبنــو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٤٦ د. محمد سيد طنطاوي ، واليهود في شبه الجزيرة العربية ص ٣٢ د. محمــد أرشيد العقيلي ،تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٢٦٥ د. فتحي الزغبي ، واليهود في السنــة المطــهرة ١١٥/١ د. عبد الله بن ناصر الشقاري.

(٢) ملوك ثاني ٢٥ : ١٢ ، واليهودية ص ٩٢ د. احمد شلبي ، وتأثر اليهودية ص ٢٦٥ د. فتحي الزغبي.

(٣) تاريخ فلسطين القديم ص٦٣ ظفر الإسلام خان.

(٤) إرميا ٢٩ : ٥-٧.

(٥) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ٥/٢ ، والعرب واليهود في التاريخ ص ٢٨٥.

(٦) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٢٦٩ د. فتحي الزغبي.

البابلية ، وتألف الأساليب الشهوانية في العاصمة القديمة ، حتى إذا كان الجيل الثاني من أبناء المنفيين كانت ذكرى أورشليم قد محيت أو كادت تمحى من أذهانهم))[1].

ضعفت الدولة البابلية ، وفي فترة هذه الضعف ظهرت فارس كقوة كبرى بزعامة الملك كورش (٥٥٩-٥٣٠ ق.م) متحدية القوى الكبرى في الشرق القديم وعلى رأسها بابل.

حلت الكارثة ببابل على أثر هجوم الفرس عليها سنة ٥٣٩ ق.م ، وبقيت القلعة والقصر الملكي يقاومان حتى آذار سنة ٥٣٨ ق.م ، وعلى ذلك اعترفت مناطق الإمبراطورية البابلية بما فيها سورية وفلسطين بالحكم الفارسي الجديد[2].

عامل الحاكم الجديد في المنطقة -كورش الفارسي ((٥٥٨-٥٣٠))- اليهود المنفيين إلى بابل في عهد نبوخذنصر في عامي (٥٩٧-٥٨٦ ق.م) معاملة ظهر فيها التسامح والعطف ، فأصدر مرسوماً يسمح للذين يودون الرجوع إلى أرض كنعان (الأرض المقدسة) من اليهود المنفيين بالعودة وسمح لهم ببناء هيكلهم. كما أمر بإعادة ما تبقى في خزائن البابليين من الذهب والفضة اللذين اغتصبهما نبوخذنصر وجيشه من الهيكل ، ومهد لهم سبل العودة ، وأمدهم بما يعينهم من مال وأمتعة[3].

رحب اليهود بشكل عام بهذا الإجراء الفارسي ، ونعتوا كورش من أجله بالمخلص الإلهي أو المسيح المنتظر[4] ، وجاء في الرواية اليهودية ((هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي أمسكت

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول ص٣٦٢ ول ديورانت.

(٢) تاريخ سوريه ولبنان وفلسطين ٢٣٩/١ ، والعرب واليهود في التاريخ ص٥٨٦ ، وتأثر اليهودية ص٢١٤، اليهود في العالم القديم ص ١٧٢ ، ومصر والشرق الأدنى القديم ٤٦٢/٣-٤٦٤.

(٣) عزرا ٦: ٣-٥ ، وتاريخ سورية ٢٤٢/١ ، وقصة الحضارة ج٢ مجلد١ ص٣٦٤ ، وتأثر اليهودية ص ٢١٤ ، وتاريخ بني إسرائيل ص ٢٧٢—٢٧٣ ، والعرب واليهود في التاريخ ص ٥٨٦ ، ومصر والشرق الأدنى القديم ٤٦٤/٣ ، ونزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص ٧٨.

ويعلل الأستاذ محمود نعناعة ، ود. فيليب حتى ، هذا التعاطف من كورش ملك الفرس مع اليهود المنفيين إلى بابل : بأن هؤلاء اليهود ساعدوه في احتلال بابل. المشكله اليهودية وهل تحلها إسرائيل ٢ / ٤٤ ، و تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢٤٢/١.

بينما يرى ول ديورانت وغيره من الباحثين أن فعل كورش هذا مع اليهود إنما هو من منطلق قواعد سياسته التي تقوم عليها دولته ، وهو أن يترك للشعوب المختلفة التي تتألف منها حرية العبادة والعقيدة الدينية لأنه كان يعلم بالمبدأ الأول الذي يبني عليه حكم الشعوب ، وهو أن الدين أقوى من الدولة ، ومن أجل ذلك لا نراه ينهب المدن ويخرب المعابد ، بل نراه يبدي كثيرا من الإكبار والمجاملة لآلهة الشعوب المغلوبة . انظر قصة الحضارة ج ٢ مجلد ١ ص ٤٠٤ ، واليهود في العالم القديم ص ١٧٢. وذكر د.الزغبي آراء أخرى غير هذه ، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٢١٥ حاشية رقم ١.

(٤) انظر عن المخلص اليهودي المنتظر ص ١٩٥.

بيمينه لأدوس أمامه أمما.. أنا أسير قدامك والهضاب أمهد.. أعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ لكي تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك إله إسرائيل..))[1].

وعلى الرغم من هذا الترحيب العام من اليهود المنفيين إلى بابل بهذا الإجراء الفارسي فإن أغنياءهم وشبابهم ((لم يتحمسوا لهذا التحرير ، لأن الكثيرين منهم قد تأقلموا في التربة البابلية ، وامتدت أصولهم فيها ، فترددوا طويلا في ترك حقولهم الخصبة وتجارتهم الرائجة ليعودوا إلى القفار الخربة في المدينة المقدسة))[2] ، ((بدليل ورود أسماء عبرانية بصورة متكررة في الوثائق التجارية لذلك العهد، وكانت بعض هذه الأسماء مركبة من أسماء آلهة بابلية وكان هؤلاء الذين بقوا وقاوموا الاندماج بالسكان أول أفراد ما عرفوا بالدياسبورا أي اليهود المقيمين خارج فلسطين))[3].

وأما الذين عادوا إلى أورشليم فكانوا من الكهنة المتحمسين والفقراء المتدينين من سبطي يهوذا وبنيامين[4].

عمل هؤلاء اليهود على بناء ما يسمونه بالهيكل ، وقد انتهوا منه في سنة ٥١٥ق.م في عهد داريوس[5].

---

(١) إشعياء ٤٥ : ١-٨.

(٢) قصة الحضارة المجلد أول الجزء الثاني ص ٣٦٤-٣٦٥ ، واليهودية ص ٩٣-٩٤ د. احمد شلبي .

ويقول يوسف رزق الله غنيمة : ((وكان لإحجام جماعات اليهود عن الرجوع إلى أورشليم أسباب جمة ما عدا الأشغال ، منها أن قسما منهم قد ألفوا الحياة البابلية وألفوا البيئة التي نزلوها ومنهم من لم يكترث بأمور الدين ، ومنهم من كان يتوقع نزول نبوات ومعجزات تنبئ نبأ واضحا بزوال عهد الجلاء)) نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص ٨٠. وانظر أيضا : المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ٢/٢٤-٢٥.

(٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١/٢٤٣ـــ٢٤٤ د. فيليب حتي. ويؤيد ذلك يوسف غنيمة بقوله : ((تشهد بذلك أسماء الموقعين عقود البيع والشراء في عهد دارا (٥٢١-٤٨٦ ق.م) وارتحشستا الأول (٤٦٥- ٤٢٤ ق.م) إذ فيها عدد وافر من الأسماء اليهودية)) نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص ٧٩-٨٠.

(٤) عزرا ١ : ٥ ، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٢١٦، والعدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين و ما جاورها ١/٢٠٩ محمد عزة دروزة ، ونزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ص٧٩.

(٥) داريوس وهو الملك دارا الأول (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م) . أتـــم اليهود في عهده على ما زعمه المؤرخون بناء الهيكل سنة ٥١٥ق.م. استطاع أن يعتلي عرش الفرس بعد أن كاد الملك قمبيز ابن كورش أن يضيعه أمام أعدائه وأمام شهواته. قصة الحضارة ، ديورانت مجلد ١ ج٢ص ٤٠٥-٤٠٦، ودراسات في تاريخ الشرق القديم ص ٢٩٧ ، د.أحمد فخري والعرب واليهود في التاريخ ص ٥٨٦، د. أحمد سوسه.

وهذا الهيكل سمى بهيكل زربابل[1] أو الهيكل الثاني ، وكانوا يزعمون أنه كان أضخم من الهيكل الأول ((هيكل سليمان)) ، ولكنه كان أقل منه في الفخامة وفي التكلفة وإن ((قدس الأقداس))[2] كان خاليا لأن تابوت العهد قد اختفى ، وإن هذا الهيكل قد بقى خمسة قرون))[3] ((وانتهى أمره بالدمار التام على يد تيتوس الروماني))[4] كما سيأتي إن شاء الله تعالى[5].

((وكانت عودة اليهود من المنفى عودة أشخاص وليست عودة دولة ، فإن بعض بني إسرائيل عادوا ولكن دولتهم لم تعد ، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له ، وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم الفرس ، ومن أجل ذلك رحبوا بالإسكندر الأكبر عندما زحف على فلسطين))[6].

الاضطهاد اليوناني والشتات الهيليني :

دب الضعف في الدولة الفارسية ، وحلت نهايتها في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد ، عندما انتصر ((الإسكندر المقدوني))[7] على ((داريوس

---

(١) زربابل بن شالتئيل ، قيل أنه من أبناء الملك يهوياقين ، من سلالة بيت داود عليه السلام. ويسمى أيضا في الرواية اليهودية (شيشتعبر) و زربابل اسم أكادي معناه (ذرية بابل) أو (المولود في بابل) أو(زرع بابل)رئيس سبط يهوذا عند عودة اليهود من السبي البابلي في أول عودة لهم. انظر (عزرا ١ :٨ ٥: ١٤ نحميا ١٢: ١) ، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين١/ ٢٤٤ حاشية رقم ٢ د. فيليب حتى ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٢١٦ د. فتحي الزغبي ، والعنصرية اليهودية ١/ ٢١٠ د.أحمد الزغيبي ، واليهودية عرض تاريخي ص ٤٦حاشية رقم١ د.عرفان عبد الحميد فتاح.

(٢) قدس الأقداس : قيل : أنها غرفة مكعبة أبعادها طولا وعرضا وارتفاعا ١٠,٥ متر، وفيها ستار يقسمها قسمين ، ففي القسم الداخلي منها تابوت العهد ، وهو صندوق تحفظ فيه نسخة من توراة مخطوطة على جلد أوراق ، وأما النصف المفتوح منه فيحتوي في الوسط على المذبح الذهبي للقرابين ، وإلى يساره منضدة تحمل الشمعدان السباعي الذي يضاء في أثناء إقامة الطقوس اليهودية. أبحاث في الفكر اليهودي ص ٥٠ د. حسن ظاظا.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠١٤.

(٤) أبحاث في الفكر اليهودي ص ٥٣ د. حسن ظاظا.

(٥) انظر ص ٨٥ من هذه الرسالة.

(٦) اليهودية ص ٩٤ د. احمد شلبي.

(٧) الإسكندر الأكبر المقدوني (٣٥٦-٣٢٣ ق.م) ملك مقدونيا اليوناني تتلمذ على يد الفيلسوف أرسطو ، تسلم الحكم مكان أبيه فيليب الثاني عام ٣٣٦ ق.م ، انهارت الدولة الفارسية على يديه إثر انتصاره على آخر ملوكهم داريوس الثالث. أخضع المنطقة بأكملها لسلطانه ، وبنى مدينة الإسكندرية ، التي سميت باسمه. مات بحمى فجائية. انظر الموسوعة السياسية ج١ ص١٨٥ د. عبد الوهاب الكيالي ، وقصة الحضارة رقم (٧) من ص ٥١٦ إلى ٥٤٠ ديورانت ، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ٢/ ٥٨ محمود نعناعة.

الثالث))[1] في ((معركة أيسوس))[2][3]. وبهذا انتهى الحكم الفارسي الذي استمر من عام ٥٣٩ إلى ٣٣٣ ق.م[4] ، وبسقوط الدولة الفارسية، استولى الإسكندر على فلسطين بما فيها بلاد يهوذا، وبدأ الحكم اليوناني لليهود، أو ما يسمى بالعهد الإغريقي في التاريخ اليهودي ، والذي استمر إلى عام ٦٣ ق.م.

وعندما دخل الإسكندر أورشليم أستقبله اليهود أحسن استقبال.

أعقب موت الإسكندر عام ٣٢٣ ق.م تمزق إمبراطوريته المترامية الأطراف. وتسابق قواده للفوز بأحسن أقسامها. وانطوى هذا التسابق على حروب طويلة دامية فيما بينهم[5]. منهم اثنان لهما علاقة بتاريخ اليهود وهما : بطليموس الذي استولى على مصر ، وأسس فيها أسرة البطالمة (البطالسة) ، وسلوقس الذي استولى على بابل وسورية و أسس فيها أسرة السلوقيين[6].

صارت أرض فلسطين مثار نزاع عنيف بين البطالمة والسلوقيين ، واستمر هذا التراع وأدى إلى قيام حروب بين الدولتين اليونانيتين وتبادل فيها الطرفان النصر والهزيمة ، ومن ثم تسلط كل منهما على أرض فلسطين ، وإن كان حكم السلوقيين أطول. وكان أهل البلاد واليهود خاصة

---

(١) داريوس الثالث : آخر ملوك الفرس (٣٣٥-٣٣٠ ق.م) ، كتب الله عليه أن يلقى الإسكندر الأكبر المقدوني ، وأن تلقى الإمبراطورية الفارسية في عهده نهايتها المحتومة عقب معركة ايسوس عام ٣٣٤ ق.م ، انظر مصر والشرق الأدنى القديم ٣/ ٤٧٢ د. نجيب ميخائيل.

(٢) معركة أيسوس : معركة قامت بين الإسكندر الأكبر المقدوني اليوناني وداريوس الثالث الفارسي في ربيع عام ٣٣٤ ق.م انتهت بانتصار الإسكندر الأكبر وسقوط الدولة الفارسية ، وأيسوس ممر ضيق من مضائق كيليكيا في آسية الصغرى. تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢٥٣/١ د. فيليب حتي.

(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٢٩٢ محمد عزة دروزة ، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ٥٢/٢ ، ومصر والشرق الأدنى القديم ٤٧٢/٣ ، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢٥٣/١ ، بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٤٨ د. محمد سيد طنطاوي ، واليهود في العالم القديم ص٢١١ د. مصطفى كمال عبد العليم د. سيد فرج راشد ، وقصة الحضارة ج٢ المجلد٢ (٧) ص٥٢٦.

(٤) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٢٧٢ د. فتحي الزغبي.

(٥) ويبرز من هؤلاء القواد أربعة ، أصبحوا على رأس أربع دول : بطليموس على مصر وسلوقس في بابل وسورية ، وانتفيونس في آسية الصغرى ، وانتيباتر في مقدونيا. وهكذا وكما جاء في الرواية اليهودية ((انكسر القرن العظيم وطلع عوضا عنه أربعة قرون معتبرة نحو رياح السماء الأربع)) دانيال ٨:٨ وكان بطليموس أكثر هؤلاء الأربعة ذكاء ، إلا أن سلوقس كان أقدرهم. انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢٥٩/١.

(٦) انظر تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢٥٩/١ د. فيليب حتي ، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٢٩٣-٢٩٤ ، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ص ٦٥ ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص٢٧٣.

يتعرضون للشدائد والمحن من جراء تقلب الحكم هذا ، ولأن اليهود بطبيعتهم كانوا يندمجون في الدسائس والمؤامرات[1].

وكان من أشد هؤلاء الحكام شدة على اليهود الحاكم السلوقي انطيوكس الرابع[2]. فقد جاء ذكره في الرواية اليهودية بوصفه جرثومة. ((وخرجت منهم جرثومة أثيمة هي انطيوكس الشهير ابن أنطيوكس الملك))[3] هاجم هذا الملك مصر وهزم البطالمة هناك وتمكن من محاصرة الإسكندرية ، لكنه لم يلبث أن بلغته أنباء اضطرابات وقلاقل أثارها اليهود في أورشليم[4] ، وأشاعوا أنه قد مات في مصر فعاد الملك إلى أورشليم واتهم اليهود بالخيانة والتآمر عليه ، فتنمر في قلبه[5]، وبدأ في عام ١٦٨ق.م باضطهاد ديني كبير سجله التاريخ[6].

وجاء ذكر هذا الاضطهاد والتنكيل في الرواية اليهودية ((فلما بلغت الملك هذه الحوادث اتهم اليهود بالانتفاض عليه ، فزحف من مصر وقد تنمر في قلبه وأخذ المدينة عنوة وأمر الجنود أن يقتلوا كل من صادفوه دون رحمة ويذبحوا المختبئين في البيوت ، فطفقوا يهلكون الشبان والشيوخ، ويبيدون الرجال والنساء والأولاد، ويذبحون العذارى والأطفال، فهلك ثمانون ألف نفس في ثلاثة أيام، منهم أربعون ألفا في المعركة ، وبيع منهم عدد ليس بأقل من القتلى، ولم يكتف بذلك بل اجترأ ودخل الهيكل الذي هو أقدس موضع في الأرض كلها ، وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن ، وأخذ الآنية المقدسة بيديه الدنستين مع ما أهدته ملوك الأجانب لزينة الموضع وبهائه وكرامته ، وقبض عليها بيديه النجستين ومضى))[7].

وفي موضع آخر من الرواية اليهودية وصفت هذه الأحداث بعنف وقسوة. ((ورجع أنطيوكس بعد ما أوقع بمصر ، وذلك في السنة المائة والثالثة والأربعين، ونهض نحو إسرائيل فصعد

---

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٢٩٣-٢٩٤ محمد عزة دروزة ، والعصور القديمة ص ٤٤٥ بريستيد ، والمشكلة اليهودية ٢/٦٥ محمود نعناعة.

(٢) أنطيوكس الرابع : (١٧٥-١٦٤ ق.م) ابن سلوقس الأول ، انتقم من قاتل أبيه وأعتلى العرش عام (١٧٥ق.م) كان رجلا إباحيا ، متحمسا للآداب والفنون والأفكار اليونانية، نهب هيكل أورشليم، مات في فارس. قصة الحضارة (٨) مجلد بلاد اليونان ص ٣٩/٤٠ ، ول ديورانت.

(٣) مكابيين أول ١: ١١.

(٤) راجع تفاصيل هذه المعركة في : تاريخ مصر في عصر البطالمة ١ / ١٩٠ د. إبراهيم نصحي.

(٥) مكابيين ثاني ٥ : ١-١١.

(٦) سقوط أورشليم وأهميته العالمية ص ٦٥٠ من المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم نشر جون هامرتون نقلاً عن تاثر اليهودية ص ٢٨٤ د. فتحي الزغبي.

(٧) مكابيين ثان ٥ : ١١-١٦.

إلى أورشليم بجيش كثيف، ودخل المقدس بتجبر ، وأخذ مذبح الذهب ومنارة النور مع جميع أدواتها، ومائدة التنضيد والمساكب والجامعات ومجامر الذهب والحجاب والأكاليل والحلية الذهبية التي كانت على وجه الهيكل وحطمها جميعا ، وأخذ الفضة والذهب والآنية النفيسة، وأخذ ما وجد من الكنوز المكنونة ، أخذ الجميع وانصرف إلى أرضه ، وأكثر من القتل ، وتكلم بتجبر عظيم ، فكانت مناحة عظيمة في إسرائيل في كل أرضهم، وانتحب الرؤساء والشيوخ، وخارت العذارى والفتيان، وتغير جمال النساء ، وكل عروس اتخذ مرثاة ، والجالسة في الحجلة عقدت مناحة ، فارتجت الأرض على سكانها ، وجميع آل يعقوب لبسوا الخزي ، وبعد سنتين من الأيام أرسل الملك رئيس الجزية إلى مدن يهوذا فوفد على أورشليم في جيش كثيف ، وخاطبهم خطاب سلام كثيرا فوثقوا به ثم هجم على المدينة فجأة وضربها ضربة عظيمة، وأهلك شعبا كثيرا من إسرائيل ، وسلب غنائم المدينة وأحرقها بالنار وهدم بيوتها وأسوارها من حولها ، وسبوا النساء والأولاد ، واستولوا على المواشي وبنوا على مدينة داود سورا عظيما متينا وبروجا حصينة فصارت قلعة لهم ، وجعلوا هناك أمة أثيمة رجالا منافقين فتحصنوا فيها ووضعوا فيها السلاح والطعام ، وجمعوا غنائم أورشليم ووضعوها هناك ، فصاروا لهم شركا مهلكا ، وكان ذلك مكمنا للمقدس وشيطانا خبيثا لإسرائيل على الدوام ، فسفكوا الدم الزكي حول المقدس ، ونجسوا المقدس ، فهرب أهل أورشليم بسببهم فأمست مسكن غرباء وصارت غريبة للمولودين فيها ، وأبناؤها هجروها ، ورد مقدسها خرابا كالقفر ، وحولت أعيادها مناحة ، وسبوتها عارا ، وعزها اضمحلالا ، وعلى قدر مجدها أكثر هوانها ورفقها آلت إلى مناحة))(١).

عمل خلفاء الإسكندر (البطالمة والسلوقيون) على انتشار الثقافة اليونانية ((الهيلينية))(٢) في كل البلاد الخاضعة لهم. فأسسوا المدن الإغريقية وشيدوا المباني اليونانية مثل المسارح وساحات الألعاب والحمامات العامة. فتأثرت مدن فلسطين كالسامرة وغزة وعسقلان مثل غيرها من المدن

---

(١) مكابيين أول ١: ٢١-٤٣.

(٢) الهيلينية : مظهر ثقافي من مظاهر الحياة المدنية لا الحياة الريفية ، وكان الطامحون إلى اعتلاء المراكز الحكومية الهيلينية ، أو الطامعون في حياة أدبية فكرية يتلقون دروسهم باللغة الإغريقية فكانوا بذلك يحيون الهيلينة كذلك فإن الهيلينية لم تكن تقتصر على العطاء الفكري بل إنها كانت تعطي وتأخذ ، فإن الإغريق الغربيين أخذوا بالديانات الشرقية الغنية بطقوسها وبشعائرها وبمعتقداتها الغيبية الغريبة فراحوا يتبنون آلهة شرقية ويسبغون عليها صفات وأسماء إغريقية ، وهكذا أصبح البعل عند الإغريقي زفس، وعند الرومان جوبيتر المشتري كبير الآلهة. وأصبح تموز دونيس ، هذا ولم تقتصر الهيلينية على نواحيها السياسية والثقافية بل كانت تتعداها إلى النواحي الاقتصادية. راجع : موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ١٠٠ — ١٠٢ ، د.فيليب حتي.

الأخرى الخاضعة لليونان كدمشق والإسكندرية وأنطاكية وغيرها بإغرءات الثقافة الهيلينية. فكانت تقوم في كل واحدة من هذه المدن نظم ومؤسسات يونانية وهياكل للآلهة والإلهات اليونانية ومدارس ومجامع علمية وساحات للألعاب الرياضية وألعاب يشترك فيها الناس وهم عراة. فانتشرت فيما بين سكان تلك المدن الثقافة الهيلينية من علم وفلسفة وفن وأدب ولذة وغناء ورقص وشراب وطعام وألعاب رياضية وعشيقات وغلمان ، فضلا عن السفسطة التي ترتاب في جميع القوانين الأخلاقية ، والتشكك الذي قضى على كل عقيدة[١].

فخطف بريق الثقافة الهيلينية من ضمن ما خطف أبصار الشباب اليهودي ، بل ((انضم إليهم في هذا أغنياء اليهود، لأنهم كانوا يستطيعون أن يستجيبوا لداعي الغواية، وأحس اليهود الذين كانوا يطلبون المناصب من الموظفين اليونان بأن من حسن السياسة أن يتكلموا اللغة اليونانية ، وأن يعيشوا كما يعيش اليونان ، بل أن يقولوا بضع كلمات طيبة في حق الآلهة اليونانية))[٢].

فتركت جماعات من اليهود الالتزام بأحكام التوراة ، وتركوا السبت وعادة الختان ، وقربت بعض الجماعات اليهودية القرابين إلى الآلهة الهيلينية ، وافتتحت في أورشليم مدرسة للرياضة البدينة، واشترك شباب اليهود والكهنة أنفسهم وهم عراة في الألعاب الرياضية ، وبلغ من تحمس بعض شبان اليهود للهيلينية أن تحمّلُوا جراحات في أجسامهم ليعالجوا بها بعض العيوب -في نظرهم المتغير كالختان مثلاً- التي قد تكشف عن أصلهم[٣].

((وكان أنطيوكس الرابع شديد التعصب للثقافة الهيلينية ، متعجل الخطا في فرضها على رعايا الدولة دونما استثناء ، وكان لا يطيق النظر إلى أية طائفة وضعت في قبضته ، وهي تدير ظهرها لمعطيات الثقافة اليونانية ، ويرى من خلال ذلك جذور بربرية[٤] يجب استئصالها))[٥].

وقد جاء في الرواية اليهودية أن أنطيوكس الرابع أصدر أوامره بفرض الثقافة الهيلينية على بلاد يهوذا فرضا جبريا ، وإرغام اليـــهود جميعا على الدخول في الديانة اليونانية والارتداد عن

(١) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثاني (٨) ص٥٣ بلاد اليونان ، ول ديورانت ، والتاريخ في الكتاب ص١٠٦ كاترين هنري ، وسقوط أورشليم وأهميته العالمية ص ٦٤٥-٦٥٠ د. المسلي نقلاً عن تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٢٧٧ د. فتحي الزغبي.

(٢) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثاني (٨) ص٥٣ بلاد اليونان.

(٣) اليهودية ص ٤٩ د. عرفان عبد الحميد فتاح ، وقصة الحضارة (٨) بلاد اليونان ص ٥٥ ول ديورانت.

(٤) كان اليونانيون الإغريق يدعون الأجانب كافة برابرة ، كما يدعوا اليهود كل الأجانب أميين. المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ٦٧/٢ نعناعة.

(٥) المرجع السابق ٦٧/٢ نعناعة ، وفلسطين تاريخا ونضالا ص ٢٧ نجيب الأحمد.

ديانتهم ارتدادا تاما ، ومن لا يعمل بمقتضى كلام الملك يقتل. فما كان من أغلب اليهود إلا أنهم امتثلوا لأوامر الملك وارتدوا عن ديانتهم وتخلوا عن أعيادهم واعتنقوا الديانة اليونانية وقربوا لآلهتها ومارسوا طقوسها الوثنية(١).

ثورة المكابيين :

تنسب هذه الثورة إلى يهوذا المكابي أحد قادتها وابن مؤسسها متتيا الحشموني ، وقيل بل مكابا كلمة عبرية معناها المخبأ ، فنسبت الحركة إلى هذا المعنى.

وكما سبق فإن معاملة البطالمة والسلوقيين القاسية لليهود ، ومحاولتهم فرض الحياة الهيلينية عليهم أدى إلى انفجار الثورة ضد أولئك الحكام. وهذه الثورة قام بها جماعة من اليهود ، عرفوا في التاريخ باسم المكابيين ،وكانت حوالي عام ١٦٦ ق.م ، كان على رأس هذه الثورة الكاهن اليهودي متتيا بن يوحنا الحشموني ، وأولاده الخمسة ، يوحنا ، وسمعان ، ويهوذا ، واليعازار ، ويوناتان.

وكانت بدايات الثورة : أن أرسل الملك السلوقي رسلاً إلى قرية (مودين)(٢) وكان أكثر أهلها يهود لإجبار أهلها على نبذ أحكام التوراة ، وطلبوا من عالمهم اليهودي متتيا الطاعة المطلقة للملك، فأبى ، وبعد مناقشات حادة بينهم ، وثب متتيا على أحد رسل الملك فقتله ، وهرب إلى الجبال رافعاً شعار : ((كل من غار للشريعة وحافظ على العهد فليخرج ورائي)) ، فتبعته مجموعات من اليهود إثر بعضها.

وقد تمكن المكابيون -بسبب قلاقل داخلية أصابت الدولة السلوقية- من الوصول مع الدولة السلوقية إلى اتفاق حصلوا بمقتضاه على الحرية الدينية ، وذلك في عام ١٦٣ ق. م. وسرعان ما سمى المكابيون أنفسهم بالملوك ، بالرغم من أنهم كانوا تابعين للسلوقيين ويدفعون الخراج لهم.

ومما ساعد على نجاح الثورة في بعض الفترات ، نشوب النزاع بين السلوقيين والبطالمة أحياناً، وبين زعماء السلوقيين فيما بينهم أحياناً أخرى.

ولكن يؤخذ على رجال هذه الثورة أن التعاون لم يدم بينهم طويلاً ، بل أحياناً كانوا ينقسمون على أنفسهم ويحارب بعضهم بعضاً. وهذا الذي أدى في النهاية إلى سقوطهم على أيدي الرومان سنة ٦٣ ق. م ، فمع ضعف الدولة السلوقية نشب نزاع على الحكم بين المكابيين

(١) مكابيين أول ١: ٤٣- ٦١.

(٢) مودين : تسمى الآن باسم (المدية) وهي قرية من بلدة اللد ، بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٥٠ د.طنطاوي.

أنفسهم، مجموعة بقيادة هركانس المكابي ومجموعة بقيادة أخيه أرستبولس ، فانتهزت الدولة الرومانية هذا النزاع فبسطت سلطانها على فلسطين ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى[1].

الشتات الروماني :

مر معنا ، أنه كان يؤخذ على رجال الثورة المكابية أن التعاون لم يدم بينهم طويلا ، بل أحيانا ينقسمون على أنفسهم ويحارب بعضهم بعضاً. وهذا الذي أدى بهم في النهاية إلى سقوط ثورتهم والقدس في أيدي الرومان سنة ٦٣ق.م.

فبينما القائد الروماني بومبي يغزو أراضى السلوقيين[2]، وبعد موت الملكة اليهودية الكسندرة سالومي[3] ، اندلعت الحرب الأهلية بين ولديها هيركانوس الثاني وأرستوبولس ، وأخذا يتنازعان السلطة ، وكانت هذه الحرب بداية النهاية لمملكة الحشمونيين[4].

استمر الصراع بينهما فترة طويلة ، استجار بعدها كل منهما واستنجد بالقائد الروماني ، وكانت روما -حينذاك- واقفة على رأس فيالقها في دمشق (٦٣ ق.م). إلا أنه أمرهما أن يخضعا له ، ولكن أرستوبولس لم يخضع للأمر ، فتحصن هو ومن معه بالقدس ، فحاصرها القائد الروماني ثلاثة أشهر ، وتمكن من فتحها بعد معركة دامية ذبح فيها عدداً كبير من اليهود، وأخذ معه ارستوبولس إلى روما.

(١) انظر في ذلك : أسفار المكابيين الأول والثاني ، وخاصة الفصل الثاني إلى الخامس من السفر الأول ، والثامن والعاشر من السفر الثاني، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٢٩٨-٣٤٤ ، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ٢/٦٥-١٠٥ ، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين١/ ٢٦٧-٢٧٣ ، وتاريخ فلسطين القديم٧٧-٨١، وبنو إسرائيل في القران والسنة ٥٠-٥٢ د.محمد سيد طنطاوي ، والعنصرية اليهودية ٢١٣/١-٢١٦ د.أحمد عبد الله الزغيبي ، واليهودية ٥٠-٥٢ د.عرفان عبدالحميد فتاح.

(٢) تاريخ فلسطين القديم ص٨٣ ظفر الإسلام خان.

(٣) الكسندرة سالومي (٧٦-٦٧ق.م) ثاني امرأة يهودية تمسك بقضيب أسرة يهوذا وتجلس على عرش أورشليم بعد عثيليا من آخاب (٨٤١ ـــ ٨٣٦ ق . م) استطاعت سالومي أن تحتفظ بكيان دولة أسرة الحشمونيين كما ورثتها عـــن زوجها، وما إن ماتت سالومي حتى قامت الحرب الأهلية بين ولديها هيركانوس الثاني وأرستوبولس . أنظر : المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ٢ / ١٠٢ ـــ ١٠٣ محمود نعناعة .

(٤) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث رقم (١١) ص ١٦١-١٦٢ ول ديورانت ، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ١٠٣/٢ محمود نعناعة. وأيضاً تاريخ شعب العهد القديم ص ٣٩٤-٣٩٧ ، الأب ديلي.

والحشمونيون : اسم علم يستخدم للإشارة إلى الملوك المكابيين وهو اللقب الرسمي للعائلة التي قادت ثورة المكابيين. اليهود في العالم القديم ص ٢٢٩د. عبدالعليم ود. راشد، والمشكلة اليهودية ٦٩/٢، والمرجع السابق للأب ديلي.

وبذلك خضع اليهود للرومان بعد أن قضوا على استقلالهم ، وأصبحت فلسطين تحت حكم الرومان[١].

استمر وضع اليهود في ظل الحكومة الرومانية في خطوط متباينة من التسامح والاضطهاد ، وقيام اليهود بشق عصا الطاعة مرة ، والخضوع والإذعان مرة أخرى[٢].

((على أن اليهود لم يخلدوا إلى السكينة بعد دخولهم تحت حكم الرومان ، وشق على نفوسهم أن يحتل الرومان عاصمة ملكهم وبيت مقدسهم ، فكانوا تارة يتهددون الولاة ، وطورا يطردون الجنود الرومانيين ، وآونة يظهرون الرضا بحكم الرومان عليهم)) [٣].

وفي عام ٦٦م قام اليهود بثورة قوية ضد الرومان واستولوا على القدس وعلى فلسطين كلها تقريباً[٤]. فأرسلت إليهم الدولة الرومانية جيشاً قوامه ستون ألف مقاتل بقيادة ((فلافيوس فسباسيان)) عام ٦٧م ، بإخماد هذه الثورة. فحاصر أورشليم وضيق الخناق على اليهود ، وفي هذه الفترة انتخب الشعب الروماني هذا القائد ((فسباسيان)) إمبراطوريا على دولتهم؛ وكان ذلك في عام ٦٩م ، فعاد إلى روميه تاركا خلفه ابنه ((تيطس)) ليواصل مهمة إرجاع القدس[٥].

قام تيطس بمحاصرة القدس والتضييق على سكانها وشدد في حصارهم إلى أن قهرهم الجوع ونفذت مئونتهم وانتشر الوباء فيهم[٦]. وفي خلال هذه الظروف تمكن الجيش الروماني مـــن فتح

---

(١) قصة الحضارة رقم (١١) ص١٦٢ ، والمشكلة اليهودية ٢/١٠٣-١٠٥ ، وتأثر اليهودية ص ٢٩١ ، وتاريخ شعب العهد القديم ص ٣٩٧ ، وتاريخ فلسطين القديم ص٨٤.

(٢) راجع : المشكلة اليهودية ٢/٢٠١-٢٥١ ، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ٣٤٤-٣٥٧ ، ٣٧٣-٣٨٣.

(٣) تاريخ الإسرائيليين ص ٧١ ، شاهين مكاريوس.

(٤) المرجع السابق ، مكاريوس ، وتاريخ شعب العهد القديم ص ٤١٣ الأب ديلي ، واليهود في العالم القديم ٢٣٨-٢٣٩ ، وقصة الحضارة (١١) ص ١٨٥-١٨٧ ديورانت.

(٥) اليهود في العالم القديم ص٢٣٩. قصة الحضارة (١١) ص ١٨٧. وتاريخ الإسرائيليين ص ٧١ ، وتاريخ فلسطين القديم ص ٨٩ ظفر الإسلام خان ، وتاريخ شعب العهد القديم ص ٤١٣ الأب ديلي.

تيطس (٧٩ ــ ٨٠ م) : أحد أباطرة الرومان ، وهو ابن فسباسيان . قاد القوات الروملنية في مقاطعة يهوذا في عام ٧٠م . استولى على القدس بعد حصار شديد وهدم الهيكل . اسمه ارتبط دائماً بهدم الهيكل . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٤ / ٢١٧ د. عبد الوهاب المسيري .

(٦) يقول المؤرخ يوسيفوس : ((ولقد طال الحصار على المدينة ، وفنى كل ما فيها من القوت حتى أكل سكانها الجيف ودبيب الأرض ، ومنهم من أكل أولاده ، وهلك خلق كبير من الجوع، واشتغل الأحياء بأنفسهم، وتركوا الموتى بدون دفن، فامتلأت المنازل والشوارع والأزقة بالجثث وتعفنت وخفتت الأصوات والمناحات، وصار الناس يخرجون إلى الروم بالألوف دون أن يمنعهم أحد ، وكان الخارجون يبلعون ما عندهم من ذهب وفضة ثم يستخرجونه من البراز بعد وصولهم إلى الروم، وانتشر خبر ذلك في معسكر الروم فأدى إلى قتل كثير من المستأمنين طمعا بما في أجوافهم من ذهب وفضة ، وكان =

ثغرات في حصون القدس. وأخذ الرومان يفتكون بأهلها ويعملون في المدينة يد التدمير والسلب، وإضرام النار فيها ، وتم الاستيلاء عليها في عام ٧٠م[١].

يقول المؤرخ يوسيفوس : ((وكان تيطس كلما وجد الجنود الرومان قد فرغوا من قتل جميع الناس في المنطقة التي يسيطرون عليها ، أمرهم أن يخربوا القدس وأن يقلبوها ظهرا على عقب ، فيما عدا الأبراج العالية التي كان يحرص على بقائها كشواهد على ما قام به من التدمير))[٢].

((وعقب تدمير القدس، لم يتخذ الرومان وسائل قمعية خاصة، بل على العكس من ذلك ، حاولوا أن يكسبوا اليهود كرعايا ، وذلك باستخدام الرفق الذي كان قد أثبت نجاحه في قضية الشعوب الأخرى التي تم إدخالها إلى الإمبراطورية ، ولكنهم -الرومان- حاولوا ذلك بدون اللجوء إلى عزل نفوذ الحاخامية ، فقامت انتفاضات صغيرة هنا وهناك أخمدت بسهولة))[٣].

وكانت آخر انتفاضة لليهود ضد الرومان ، تلك التي قادها باركوخبا عام ١٣٢م ، حيث ادعى أنه المسيح المنتظر ، فاستطاع إثارة الحماس اليهودي في بني قومه وحثهم على السعي للتجمع في فلسطين والانتفاضة على الحكومة الرومانية.

ولكن الحكومة الرومانية قضت على هذه الثورة في عام ١٣٥م بعد أن قاموا بمذبحة رهيبة ونهائية قضت على اليهود ، وختمت على مصيرهم في فلسطين كتجمع ديني[٤]. وشردوا في كل ولاية من ولايات الدولة الرومانية وإلى ما وراء حدود تلك الدولة ، فتفرق الشعب اليهودي على كل شواطئ البحر المتوسط وإلى غيرها من بلاد الله ، وأصبح تاريخهم فيما بقي من العصور ملحقاً بتاريخ الممالك التي توطنوها أو نزلوا ، فيها وقد قاسوا صنوف العذاب والبلاء وضربت عليهم الذلة والمسكنة[٥].

=تيطس يرقب الحالة ، ويضيق الحصار ، ويجد في هدم الأسوار)) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٣٨٢-٣٨٣ محمد عزة دروزة. وانظر أيضا : قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث من المجلد الثالث ص ١٨٨.

(١) قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث من المجلد الأول ص ١٨٨ ول ديورانت ، وتاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٣٨٢-٣٨٣ د.محمد دروزة ، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ٢/٢٥٣-٢٥٤ محمود نعناعة ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٢٩٧ د. فتحي الزغبي ، واليهود في العالم القديم ص ٢٣٩ د.مصطفى كمال عبد العليم د.سيد فرج راشد ، وتاريخ شعب العهد القديم ص ٤١٣ الأب ديلي.

(٢) أبحاث في الفكر اليهودي ص٥٣ د. حسن ظاظا.

(٣) تاريخ فلسطين القديم ص ٩٠ ظفر الإسلام خان.

(٤) قصة الحضارة (١١) ص١٩٤-١٩٥، وتاريخ فلسطين القديم ص ٩٠،٩١،٩٢، وتأثر اليهودية ص٢٩٩ ، والمشكلة اليهودية ٢/٢٦٤-٢٦٥ ، وتاريخ شعب العهد القديم ص ٤١٣.

(٥) قصة الحضارة (١١) ص ١٩٥-١٩٦. تاريخ الإسرائيليين ص٧١ و٧٧، وملف إسرائيل ص٤٠-٤١ لجارودي.

وصدق الله العظيم القائل فيهم : ﴿ **وَقَطَّعنَاهُم فِي الأَرضِ أُمَمَاً** ﴾[1].

وجاء في الرواية اليهودية : ((ويكون كما أن الرب يُسرُّ لكم إذا أحسن إليكم وكثركم أنه يسر أيضا بكم إذا أفناكم وقرضكم فتندرسون من على الأرض ، ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقاصي الأرض إلى أقاصيها)) [2].

ومنذ ذلك التشريد الروماني في عام ١٣٥م لم تقم لليهود قائمة في فلسطين ، حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي حيث ، استطاعوا بمعاونه الصليبية العالمية إقامة دولة لهم في فلسطين عام ١٩٤٨م-١٣٦٧هـ.

(١) سورة الأعراف آية ١٦٨.

(٢) تثنية ٢٨ : ٦٣-٦٤.

المبحث الرابع:

تاريخ اليهود ما بعد الشتات الروماني حتى احتلالهم أرض فلسطين في العصر الحديث.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

وضع اليهود في العالم بعد الشتات الروماني قبل الاحتلال.

المطلب الثاني:

احتلال اليهود فلسطين في العصر الحديث.

المطلب الأول . وضع اليهود في العالم بعد الشتات الروماني قبل الاحتلال .

وبعد الشتات الروماني لليهود وطردهم من فلسطين ، تفرقوا في بقاع العالم باحثين عن مأوى وملجأ لهم ينشدون فيه الأمن والاطمئنان.

فمن اليهود من هاجر إلى المشرق ، ومنهم من هاجر إلى المغرب.

وكان من أول البلاد التي هاجر إليها اليهود بعد طردهم من فلسطين ، البلاد العربية((كالجزيرة العربية ومصر وغيرهما)).

و((الهجرة الكبرى لليهود إلى جزيرة العرب كانت في القرن الأول الميلادي ، بعد تنكيل الرومان بهم))[1].

((أما ما ورد في روايات أهل الأخبار عن هجرة بعض اليهود إلى أطراف يثرب وأعالي الحجاز على أثر ظهور الروم على بلاد الشام وفتكهم باليهود وتنكيلهم بهم مما اضطر بعضهم إلى الفرار إلى تلك الأنحاء البعيدة عن مجالات الروم ، فإنه يستند إلى أساس تاريخي صحيح))[2].

أما دخول اليهود إلى اليمن ، فكما أن بدايته منذ عهد قديم بطرق القوافل التجارية والبحرية ببلاد الشام ، كما تشير قصة النبي سليمان عليه السلام وملكة سبأ ، فإن دخولهم إلى اليمن تكاثر بعد طردهم من فلسطين ، إما نزوحا إليها مباشرة أو عن طريق اليهود في شمال الحجاز أو عنهما معاً[3]*.

---

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة د. محمد سيد طنطاوي ص ٥٥.

ويقول د. طنطاوي : وهذا لا يمنع أنه كان يوجد عدد قليل من اليهود توطنوا الجزيرة العربية قبل هذا التاريخ. ص ٥٦ المرجع السابق.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٦/١٠ د. جواد علي.

(٣) اليهود في شبه الجزيرة العربية د. محمد أرشيد العقيلي ص ٧٤ ، ٨٤.

* وليس مقصودي من هذه المسألة أن أبحث متى كان أول دخول لليهود في جزيرة العرب ، فقد اختلف المؤرخون في ذلك اختلاف بيّن ، وتعددت الروايات في ذلك ، انظر مثلاً إلى : تاريخ ابن خلدون : المجلد الثاني من القسم الأول في صفحات متفرقة ٤٩ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، والأغاني ١٩ / ٩٤ ــ ١٠٢ لإبي الفرج الأصفهاني ، واليهود في شبه الجزيرة العربية من ص ٥٥ إلى ٦٢ ، ومن ص ٧١ إلى ٨٥ د. محمد رشيد العقيلي ، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ٢ / ٣٠٢ إلى ٣١٩ محمود نعناعة ، والمفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام الفصل السادس والسبعون من الجزء السادس من ص ٥١١ إلى ٥٤٢ د. جواد علي ، والتاريخ اليهودي العام ٢ / من ص ٩ إلى ١٦ د. صابر طعيمة ، والقضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني ١ / ٧٩ ــ ٨٢ تحرير وليد الخالدي ، والتطور التاريخي لبني إسرائيل ٦٤ ــ ٦٦ عماد عبدالحميد النجار ، والرؤية العربية لليهوديّة ٤٤ ــ ٤٧ د. مهنا يوسف حداد ، واليهود في السنّة المطهرة ١/ ١٥٣ ــ ١٥٨ . ولكن كان مقصودي أن أذكر أن من أسباب التجمع اليهودي الكبير في جزيرة العرب هو الهروب من بطش الرومان وتشتيت الرومان بهم عند احتلالهم أرض فلسطين على يد القائد الروماني تيطس .

ومن اليهود ((من انتقل نحو الشرق إلى أرض النهرين وإلى بلاد الفرس وقووا العنصر اليهودي البابلي الذي لم ينعدم من تلك البلاد منذ الأسر البابلي في عام ٥٩٧ ق.م وظل اليهود في أثناء ذلك الوقت ينتشرون في جميع البلاد الواقعة حول البحر المتوسط ، فمنهم من ذهب لينضم إلى الجاليات اليهودية في بلاد الشام وآسيا الصغرى))[١] والإسكندرية ((حيث إنهم يمتلكون نصف سفن الإسكندرية ، وكان ثراؤهم في تلك المدينة مما زاد من حدة العداء الديني))[٢].

((ومنهم من عبر البحر الأحمر إلى بلاد الحبشة ، وانتشرت جاليات يهودية في جميع مدائن أفريقية الشمالية))[٣].

وفي ظل هذه الدعوة الإسلامية المباركة التي سادت بفضل من الله ومشيئته تلك المناطق ، عاش اليهود عيشة رغدة وفي أمن وطمأنينة لم يجدها يهودي في أي بلد آخر غير إسلامي ، لهم دينهم ولهم شعائرهم ولهم أموالهم وحريتهم ، وليس عليهم غير الجزية[٤].

حتى إن اليهود الذين هاجروا إلى أوربا تركوها إثر المطاردات المتكررة ، وهاجروا إلى الدولة الإسلامية في الأندلس[٥].

وعندما سقطت الدولة الإسلامية في الأندلس عام ١٤٩٢م عاش اليهود في ظل الحكم النصراني في أسبانيا حياة مليئة بالاضطهاد والتعذيب وكبت الحريات ((وكان يحكم في أسبانيا منذ عام ١٤٩٢م الملك فرديناند وزوجته ايزابيلا وكانا كاثوليكيين شديدي التعصب ، وكانت لهما وجهات نظر عن اليهود بسبب غدرهم بسيدنا عيسى بن مريم عليه السلام ، فضلا عن ذلك نجد أن قيام اليهود كعادتهم بمحاولة التغلغل إلى خصوصيات ومصارف الشعب الإسباني بقصد التخريب قد زاد من غيظ الملك والملكة))[٦].

((فقام الملك بطرد أكثر من ثلاثمائة ألف يهودي من أسبانيا وذلك في ٢ آب ١٤٩٢م ثم قام بطردهم من البرتغال ، حيث هاجر هؤلاء إلى إيطاليا والمغرب والدولة العثمانية))[٧].

---

(١) قصة الحضارة ، ول ديورانت ١٤/٧ ، ٨.

(٢) المرجع السابق ١٤/٩.

(٣) المرجع السابق ١٤/٨ ، ٩.

(٤) التطور التاريخي لبني إسرائيل لعماد النجار ، ص٦٧.

(٥) صراعنا مع اليهود للعقيد الركن محمد بن مهنأ العلي ١ / ١٠١.

(٦) اليهود والدولة العثمانية د.أحمد نوري النعيمي ص ٦٢.

(٧) المرجع السابق ص٢٤، ٢٧.

((وبعد وصول هؤلاء من أسبانيا والمناطق الأخرى من أوربا ، وضعوا أيديهم في أول الأمر على الميادين التجارية ، وقد بدأ هؤلاء ومنذ هذه المدة بالسيطرة على المرافق الاقتصادية في الدولة العثمانية . وقد عاش اليهود على عهد الدولة العثمانية في رخاء واستقرار وأطلق عليه العصر الذهبي))[1].

وكما أن اليهود بعد الشتات الروماني خاصة ، نزحوا إلى بلاد الشرق ، فقد نزحوا كذلك إلى بلاد الغرب إلى العالم المسيحي في أوربا الغربية وغيرها كبلاد الروس ((ولا ريب أن وجود المجتمعات اليهودية في أوربا قديم سبق في حالات كثيرة هدم الرومان للهيكل في القدس في سنة ٧٠م.. والواقع أن شتات اليهود بدا منذ خمسة قرون أو ستة قبل هدم الرومان للهيكل. ثم إن

(١) المرجع السابق ص ٣٢.

هاجر اليهود إلى الدولة العثمانية ، وتغلغلوا في مرافقها سواء أكانت تجارية أم صناعية أم غيرهما ، وتملكوا المحلات الكبيرة في أزمير وسلانيك حتى استانبول نفسها ، وقد حاول اليهود استغلال كل كبيرة وصغيرة بغية الوصول إلى غاياتهم المتعددة ومنها التغلغل إلى مراكز الجاه والسلطان ، لأن ذلك يساعدهم على المدى البعيد على حماية أبنائهم اليهود في هذه البقعة من الأرض، ومنها كما حصل بعد ذلك تنفيذ قول أبي الصهيونية ((هرتزل)) عندما قال : ((إن اليهود لن يستطيعوا دخول الأرض الموعودة مادام السلطان عبدالحميد قائما في الحكم مستمرا فيه)) أي يجب عليهم إسقاط الخلافة الإسلامية في تركيا ليتسنى لهم العودة إلى فلسطين وإقامة حكم يهودي لهم يتحكم في العالم أجمع -على زعمهم- فأوعز المجلس الأعلى لليهود إلى بعض أتباعه أن يعتنقوا الإسلام ليسهل لهم تلك المهام.

فسميت الطائفة اليهودية التي ادعت الإسلام ((بيهود الدونمة)) أي اليهود العائدون إلى الإسلام. وهذه الطائفة وقبل ادعائها للإسلام كانت تابعة لليهودي ((ساباتاي زفي)) ذلك الذي ادعى أنه المسيح المنتظر الذي سيعود باليهود إلى أرض فلسطين -كما سيأتي بيانه في ص ٢٠٣ من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى- هذه الطائفة التي اتخذت أسماء إسلامية وكانت تؤدي تعاليم الإسلام الظاهرة كالحج إلى بيت الله الحرام والاحتفال بأعياد المسلمين ، ولكنها تخفي في باطنها اعتقاداتها اليهودية ، هذه الطائفة اليهودية المتمسلمة هي التي أنشأت جمعية حركية أسمتها ((جمعية الاتحاد والترقي)) التي نشأت على أعين الغربيين الاستعماريين وكان هدفها مزدوجاً لمصلحة الغرب ومصلحة اليهود ، كإسقاط الخلافة الإسلامية وعودة اليهود إلى أرض فلسطين. فتغلغلت هذه الجمعية في صفوف الجيش التركي ، ورفعت اسم أحد هؤلاء اليهود المتمسلمين وهو ((مصطفى كمال أتاتورك)) الذي اعترفت دائرة المعارف اليهودية أنه يهودي من يهود سلانيك ، فتولى هذا الرجل الحكم في تركيا ، فأسقط الخلافة الإسلامية وأعاد اليهود إلى فلسطين وعمل على ضعف الدول الإسلامية بإسقاطه للخلافة ، فلم يقم للدول الإسلامية قائمة ضد الكفار إلى اليوم ، فطويت آخر صفحة من تاريخ دولة إسلامية موحَدة -- إلى ما شاء الله- ظلت مئات السنين سدا منيعا في وجه الأطماع الصليبية والصهيونية الحاقدة. انظر : يهود الدونمة ((دراسة في الأصول والعقائد والمواقف)) د. أحمد نوري النعيمي ، ويهود الدونمة د. محمد عمر ، والحركة الإسلامية الحديثة في تركيا مصطفى محمد ، ومذكرات السلطان عبد الحميد ، تقديم وترجمة د. محمد حرب ، واليهود والدولة العثمانية د. أحمد نوري النعيمي ، والسلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية أنور الجندي ، والرجل الصنم ترجمة عبد الله عبد الرحمن مؤسسة الرسالة ، وسقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية ، مجدي عبد المجيد الصافوري.

اليهود في الشتات كانوا يمارسون أنشطة تبشيرية كلما سمحت لهم بها الأحوال القانونية. ولكن تحريم المجتمع المسيحي لهذه الأنشطة تزايد بعد سنة ٤٥٠ م.

وفي الوقت الذي نمت فيه المسيحية في أوروبا الغربية والإمبراطورية البيزنطية ، نشأت تجمعات يهودية كبيرة نسبيا ولا سيما في المدن القائمة على طرق التجارة الرئيسية وفي الموانئ البحرية. بحيث أصبح وجود اليهود في أوربا وطيدا وثابتا منذ منتصف القرن الثامن الميلادي))[1].

يقول ديورانت : ((اتخذ اليهود طريقهم إلى البلاد الروسية في العصور الوسطى من بابل وفارس. وكان في بلاد اليونان جماعات يهودية كبيرة وهاجر اليهود شمالا إلى بلاد البلقان والمجر. وجاءت حفنة من التجار اليهود من ألمانيا إلى بولندا في القرن العاشر لأن اليهود كانوا في ألمانيا من قبل ميلاد المسيح. وكان في إنجلترا يهود في عام ٦٩١م ، وكانت جماعاتهم المقيمة في لندن ويورك وغيرهما من المراكز الإنجليزية خارجة عن اختصاص ولاة الأمور المحليين في شئونها القانونية. فكانت لا تخضع إلا للملوك أنفسهم. ووسعت هذه العزلة القضائية الهوة بين المسيحيين واليهود ، وكانت سببا من أسباب المذابح المدبرة التي حدثت في القرن الثاني عشر. واستمتع اليهود في فرنسا فـــي القرنين التـــاسع والعاشر بقدر من الرخاء والطمأنينة لم يستمتعوا به بعدئذ قبل أيام الثورة[2]

---

(١) القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، رئيس التحرير الخالدي الفصل الرابع من الجزء الأول ص ١٣١ بحث بعنوان : اليهود في أوربا الغربية والشرقية ما بين ٧٥٠م-١٨٥٠م بقلم د. مروان بحيري.

(٢) الثورة الفرنسية : حدث تاريخي هام في حياة أوروبا المسيحية. نبذت من خلاله الدين وفصلته عن الحياة وأظهرت العلمانية. تضافرت عدة عوامل على حدوث هذه الثورة :

١- فساد دين الكنيسة وهيمنته على جميع مرافق الحياة. فلا يستطيع الأوربي أن يفكر إلا بما يلقنه إياه رجال الدين. ولا يفكر إلا بما يسمح له رجال الدين أن يفكر فيه ، وعلى النحو الذي يسمحون له به. ولا يتعلم إلا بما يسمح له رجال الدين بتعلمه. ولرجال الدين فوق ذلك نفوذ على أموال كل الأوربيين وعلى أجسادهم وأرواحهم ، فكانت الكنيسة قائمة على نظام الاسترقاق الإقطاعي ؛ فهو أبشع وأظلم النظم الاجتماعية في التاريخ. فما كان من الأحرار الأوربيين إلا أن يعتقدوا أنه يجب عليهم أن ينسلخوا من هذا الدين الباطل المهيمن على العقول والجيوب والأرواح إن أرادوا أن يتقدموا ويتحضروا ويعيشوا ، خاصة وأنهم يرون من حولهم وعلى مقربةٍ منهم ؛ دين آخر يقدم المنهج الصحيح للحياة الدنيا ((الدين الإسلامي الخاتم)). دين يعمل للآخرة من خلال العمل في الدنيا ، بإقامة المنهج الرباني الذي يأمر بالعدل والقسط ، فتتنور به القلوب والعقول والأرواح. ولكن أوروبا -بدافع العصبية الصليبية- أعرضت عن هذا الدين واتجهت إلى الجاهلية الإغريقية والرومانية ، تنتقم بها من الكنيسة ودينها الفاسد.

٢- انتشار الفكر اللاديني ومدارسه المختلفة، التي تؤدي جميعها إلى تقويض الدين واجتثاث مبادئه من النفوس. ومن أشهرها :

أ ـــ مدرسة ذات طابع علمي عام. وأبرز الأمثلة عليها الكتاب الموسوعيون الذين كتبوا دائرة المعارف بزعامة ((ديدرو)) ، فهم كما يقول عنهم ويلز ((يناصبون الأديان عداوة عمياء)).

ب ـــ مدرسة ذات طابع اجتماعي وسياسي. ويرأس هذا الاتجاه ((روسو)) صاحب كتاب ((العقد الاجتماعي)) الذي أطلق عليه ((إنجيل الثورة الفرنسية)) و ((مونتسكيو)) صاحب ((روح القوانين)). =

وكان في جميع إيطاليا جاليات يهودية منتشرة[١].

و((في الوقت الذي عاشت فيه الطوائف اليهودية في الهند وبلاد الأفغان وإيران والعراق وسوريا واليمن ومصر وأفريقيا تنعم بالهدوء وطيب العيش كانت الطوائف اليهودية في أوربا والتي تنتمي في غالبيتها إلى يهود الخزر -غير الساميين- مثار السخط والمطاردة من أوربا المسيحية))[٢] وذلك لأن النصارى يحملون اليهود المسئولية التاريخية لصلب المسيح بعد محاكمته وإهانته وتعذيبه[٣] ، وأن اليهود أبناء إبليس عند النصارى ((أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تبتغون أن تعملوها. هو من البدء قتال الناس و لم يثبت على الحق لأنه لا حق فيه))[٤].

= ج ــ مدرسة ذات طابع فلسفي هدام. فهم ينادون بفصل الدين عن الدولة ، وكانت فكرتهم اللادينية أوسع مما تصوره ((ميكافيلي)) ، فالدين عندهم يجب أن يلغى ليحل محله ((الدين الطبيعي أو القانون الطبيعي)). ومن أكثر الرواد لهذه الفكرة العلمانية واعتبارها منهج للحياة ؛ هو : الفيلسوف اليهودي ((سبينوزا)) ، وورثها عنه ((فولتير)) ومن بعدهم الألماني((كانت)) خاصة في كتابه ((الدين في حدود العقل وحده)).

٣- القوى الشيطانية الخفية ((اليهود)). استغل اليهود احتياج الشعوب الأوروبية للمال للوقوف أمام سلطان الكنيسة. فتغلغل المال اليهودي في منظمات الثورات الأوروبية ، وخاصة في منظمات الثورة الفرنسية المختلفة كالجمعية التأسيسية ونادي اليعاقبة وبلدية باريس ، وأن ينفثوا تلك الشعارات التي رددها الجماهير ببلاهة لا سيما الشعار اليهودي البارز للثورة ((الحرية والإخاء والمساواة)). حصل هذا العبث اليهودي للثورة ؛ لا لأن اليهود دبروا الأحداث -كما يزعمون في البروتوكولات- ولا لأن تراكم التخطيط عبر القرون قد آتى ثماره آخر الأمر كما يرى أمثال وليم كار في كتابه ((أحجار على رقعة الشطرنج)) وسيبريدوفيتش في كتابه ((حكومة العالم الخفية))... ولكن لأن أوروبا هي التي استحمرت نفسها أمامهم.

وبهذا تمخضت الثورة الفرنسية على نتائج بالغة الأهمية ، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوروبا المسيحية دولة جمهورية لا دينية تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب ((وليس باسم الله)) ، وعلى حرية التدين بدلاً من الكثلكة ، وعلى الحرية الشخصية بدلاً من التقيد بالأخلاق الدينية ، وعلى دستور وضعي بدلاً من أحكام الكنيسة. وكانت هذه الثورة فاتحة عصر جديد في التاريخ الأوروبي ، إذ توالت بعدها الثورات كالبراكين في أنحاء القارة الأوروبية.

انظر : العلمانية ص ١٦٥-١٧٦ د. سفر عبدالرحمن الحوالي ، ومذاهب فكرية معاصرة ص ٧٩-٩٢ ، ٤٤٥-٤٦١ للشيخ محمد قطب ، وموسوعة السياسة ١ / ٩١٣ د. عبدالوهاب الكيالي ، وأحجار على رقعة الشطرنج ص ٧٥-١٠١ وليام غاي كار.

(١) قصة الحضارة ، عصر الإيمان ٤٨،٤٩/١٤ ول ديورانت.

(٢) صراعنا مع اليهود العقيد الركن محمد بن مهنا العلي ١٠٢/١.

(٣) رد الله تعالى على من اعتقد أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قتل وصلب ، فقال تعالى : ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ سورة النساء الآيتان ١٥٧و ١٥٨.

(٤) إنجيل يوحنا ٤٤/٨.

فضلاً عن أن اليهود عند النصارى ما هم إلا مصاصو الدماء ، وأن اليهود يغتالون أطفال النصارى كي يمتصوا دماءهم للاحتفال بها في عيد الفصح وأداء الطقوس الدينية(١).

وأيضا لسلوك اليهود غير الطبيعي في المجتمعات التي عاشوا فيها(٢) حيث إن الربا والفساد الاقتصادي والبغاء والفساد الاجتماعي تحل سريعا في المجتمعات التي تستضيف اليهود(٣) فأصبحوا موضع حذر الحكام والشعوب(٤) زيادة على أن طبيعتهم في الاختفاء والانعزال والانزواء عن المجتمعات التي هم فيها يجعل النظرة إليهم من جانب تلك المجتمعات نظرة شك وريبة(٥).

((وكانت حصيلة السلوك اليهودي المبني على الحقد والكراهية والاستعلاء والجشع والإجرام، أن أخذت شعوب أوربا تدافع عن نفسها أمام البلاء الذي كان يحل عليها مع كل موجة من موجات الهجرة اليهودية))(٦) ففي عام ١٢٥٣م عمدت الحكومة الفرنسية إلى حل جذري لمشكلة اليهود فطردهم جميعا لمخالفتهم القوانين ، فاتجه قسم كبير من المطرودين إلى إنجلترا التي ألجأتهم ، وحتى عام ١٢٥٥م ، كان اليهود قد تمكنوا من السيطرة على عدد من كبار رجال السلك الكنسي الإنجليزي ، وعلى الكثير من النبلاء والسادة الإقطاعيين ، وقد أمر ملك إنجلترا هنري الثالث بإجراء تحقيق في فضائح الاحتيال والرشوة والجرائم التي فاحت روائحها بعد مقتل أغنى رجل في إنجلترا كلها اليهودي (سان هيو أوف لينكولن) عام ١٢٥٥م وقد أثبت التحقيق أن ثمانية عشر يهوديا كانوا هم الذين ينظمون تلك العمليات ، فقدموا إلى المحاكمة وحكم عليهم بالإعدام. وبعد وفاة الملك هنري الثالث عام ١٢٧٢م خلفه على عرش إنجلترا الملك إدوار الأول الذي اصدر أمرا حرم بموجبه على اليهود ممارسة الربا ثم استصدر من البرلمان عام ١٢٧٥م قوانين خاصة ، جعل لهم بموجبها أوضاعا خـــاصة سميت ((الأنظمة الخاصة باليهود)) ثم أصدر الملك قانوناً بطرد

---

(١) اليهودية د. عرفان عبد الحميد فتاح ص ٥٨.

وقصص قتل الأطفال النصارى من قبل اليهود كثيرة جدا ، منها :

أنه عثر على طفل في سن الثالثة ميتا بالقرب من بيت أحد اليهود في ترنت ((شمال إيطاليا)) في سنة ١٤٧٥م وأعلن أسقف النصارى في ترنت ((ابرناردينو)) أن اليهود قتلوه ، فألقى الأسقف بكل يهود ترنت في السجن ، وأعترف بعضهم بأنهم ذبحوه وشربوا من دمه، باعتبار أن هذا من طقوس عيد الفصح عندهم، وأحرق كل يهود ترنت حتى الموت. قصة الحضارة، الإصلاح الديني ٢٦/١٣٢ ول ديورانت.

(٢) تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، محمد عبدالرؤوف سليم ٤٦/١.

(٣) صراعنا مع اليهود ، العقيد الركن : محمد بن مهنا العلي ص ١٠٢.

(٤) تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، محمد عبدا لرؤف سليم ٤٦/١.

(٥) التطور التاريخي لبني إسرائيل ، عماد عبد الحميد النجار ص ٦٩.

(٦) خطر اليهودية العالمية ، عبد الله التل ص ١٠٦.

جميع اليهود في إنجلترا[1] وكان ذلك سنة ١٢٩٠م[2] وكان ذلك بدء المرحلة التي يسميها المؤرخون ((الإجلاء الأكبر))[3] ، وبعد أن خطا الملك إدوار الخطوة الأولى سارع ملوك ورؤساء أوربا إلى الإقتداء به. ففي عام ١٣٠٦م عادت فرنسا وطردت ما تبقى من اليهود فيها ، وتبعتها سكسونيا عام ١٣٤٨م وهنغاريا عام ١٣٦٠م وبلجيكا عام ١٣٧٠م وسلوفاكيا عام١٣٨٠م والنمسا عام١٤٢٠م والأراضي المنخفضة ((هولندا)) عام ١٤٤٤م وأخيرا أسبانيا عام ١٤٩٢م[4].

ودعوا إلى فرنسا ثانية في ١٣١٥م شريطة أن يعطوا الملك ثلث أي مال يكونون قد جمعوه من فوائد القروض التي عقدوها قبل طردهم ، وما إن انتهت مكاسب الملك من هذه العمليات حتى نفى اليهود ثانية في سنة ١٣٢١م وأعيدوا من جديد سنة ١٣٦٠م ليقدموا قروضا مالية عونا منهم على افتداء ملك فرنسا الذي أسر في إنجلترا. ثم طردوا منها سنة ١٣٩٤م بسبب ثورة الرأي العام حيث اهم اليهود بقتل يهودي تنصر[5].

((وقد طرد اليهود من ليتوانيا عام ١٤٩٥م ، ومن البرتغال عام ١٤٩٨م ، ومن إيطاليا عام ١٥٤٠م ومن بافاريا عام ١٥٥١م ، وكان الأمر أن ((وجدت جماهير اليهود نفسها تسير ثانية عن طريق الشرق ، وعلى الأخص في الإمبراطوريتين البولونية والتركية. أما الجاليات الضئيلة التي فضّلت معاناة البقاء في الغرب فقد كانت خاضعة لكافة القيود التي كانت مفروضة عليها في المرحلة السابقة))[6].

ولا شك أن اليهود كانوا ((يعانون من المسيحيين أشد احتقار وازدراء وكانوا بحكم الذلة التي ضربها الله عليهم ، أمة مرذولة مستهجنة أينما حلت وسارت ، منطوية على نفسها في مجتمع منعزل (الجيتو) و لم ينعموا بالحياة الكريمة إلا في ظل الحكم الإسلامي))[7].

وقد كتب المؤرخون -يهود ونصارى- وخاصة في القرون الوسطى المظلمة بالنسبة لأوربا ، الكتب والمقالات الطويلة في الاضطهاد المسيحي لليهود.

ولكن هل كان اليهود وحدهم الضحايا في تلك العصور من المعاناة ؟[8].

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام غاي كار ص ٥٧.

(٢) قصة الحضارة ، الإصلاح الديني ١٣٨/٢٦ ول ديورانت.

(٣) أحجار على رقعة الشطرنج ص ٥٨.

(٤) المرجعان السابقان.

(٥) قصة الحضارة ، الإصلاح الديني ١٣٨/٢٦ ول ديورانت.

(٦) أحجار على رقعة الشطرنج وليام غاي كار ص ٦٠.

(٧) العلمانية د. سفر الحوالي ص ١٧٤.

(٨) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ص ١٣٢.

وهل كان حقاً كل الذي ورد في التاريخ الأوربي من معاناة اليهود ، أو أن الصهاينة من المسيحيين واليهود ضخموا وزادوا فيها ، وما ذلك إلا لمصلحة إنشاء وإقامة ((الدولة اليهودية)) على أرض فلسطين المسلمة ، لتنفيذ كل منهما -أي المسيحيين واليهود- ما يعتقده بعد تكوين هذه الدولة الخليط في أرض فلسطين المسلمة[١].

فمثلاً : تلك المحرقة المزعومة ، والتي تسمى ((الهولوكوست))[٢] ، تدعي الصهيونية أن النازية في عهد هتلر أبادت فيها اليهود في معسكرات الاعتقال وداخل أفران الغاز. ووصل عدد الضحايا من اليهود ستة ملايين يهودي وذلك في أثناء الحرب العالمية الثانية ((١٩٣٩-١٩٤٤م)).

وتصدر كل عام عشرات الكتب والدراسات ، وقد خرجت عشرات الأفلام والمسلسلات التلفزيونية والإذاعية ، وآلاف الكتب والمجلات ، ولا تمر سانحة في السينما الغربية وفي التلفزة وأجهزة الإعلام دون التذكير بالهولوكوست وبمأساة وآلام اليهود -على حد زعمهم-[٣].

وهذه المحرقة التي يدعيها الصهاينة يقول عنها د. روبير فوريسون : ((إن غرف الغاز الهتلرية المزعومة والإبادة الجماعية المزعومة لليهود تشكل كذبة تاريخية واحدة[٤] قد سمحت بحصول

---

(١) حيث يعتقد الصهاينة المسيحيون أن تكوين دولة يهودية في فلسطين يعجل بنزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام والدخول معه في الألفية السعيدة ، واليهود يعتقدون أن تكوين دولة لهم في فلسطين يعجل بخروج مسيحهم المنتظر الذي يحكم العالم أجمع من تلك البقعة التي تكون حدودها من ((النهر الكبير نهر الفرات إلى نهر مصر)) انظر الباب الأول الفصلان الثالث والرابع منه.

(٢) الهولوكوست : هذه الكلمة في أصلها اصطلاح ديني يهودي يشير إلى القربان الذي يضحى به إلى الرب ويشوى ((يحرق)) كاملا غير منقوص على المذبح ولا يترك أي جزء منه لمقدم القربان أو للكهنة ، كما أن هذه هي الطريقة الوحيدة المتاحة للأغيار ((غير اليهود)) في تقديمهم قرابين للرب عند اليهود. وهي تستخدم في العصر الحديث وفي القاموس السياسي للإشارة إلى إبادة اليهود على يد النازيين. موسوعة المفاهيم ، د. عبدالوهاب المسيري ص ٤٢٣ ، والأكذوبة التاريخية ، روبير فوريسون ترجمة وإعداد ماجد حلاوي ص ١٧ ، والأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، رجاء جارودي ص١٤٣.

(٣) الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ ، د. المسيري ص٧٥ ، والأكذوبة التاريخية ص١٧. وبلغ عدد الأفلام السينمائية عن المحرقة حوالي مائة فيلم حتى نهاية عام ١٩٨٨م ، وجل هذه الأفلام مأخوذة من روايات كتّاب يهود. وهدفهم من هذه الأفلام كما قال المخرج اليهودي ((كوستاجافراس)) إعادة المحرقة إلى الذاكرة وبخاصة ذاكرة الشباب وكما يقول مخرج فيلم ((المحرقة)) اليهودي ستيفين سبيلبرج عندما أخرج هذا الفيلم ((كم أنا فخور بأن أكون يهوديا)).
يقول جارودي عن فيلم ((الهولوكوست)) هذا هو أكبر فيلم أسهم في التلاعب بالرأي العام العالمي والسيطرة عليه وهو ما يعتبر جريمة ضد الحقيقة التاريخية. مجلة الهلال المصرية ، سبتمبر ١٩٩٠م من ص ١٢٢-١٢٨ و مارس ١٩٩٤م من ص ١٤٢-١٤٧ ، والأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص ١٢٧.

(٤) يقصد د. فوريسون بـــ((كذبة تاريخية واحدة)) عندما فسرها هو بنفسه فقال : ((عندما أتكلم عن كذبة تاريخية واحدة فلكي أشير إلى مائة أكذوبة أخرى في التاريخ يجدر دائما بإنسان ينوي البقاء حرا أن يكشفها وأن يبلغ عنها)). الأكذوبة التاريخية ص ١١٦.

احتيال سياسي-مالي كبير ، كان المستفيدان الأساسيان منه دولة إسرائيل والصهيونية العالمية ، وكان الضحيتان الرئيسيتان له هما الشعب الألماني -لكن ليس حُكّامه- والشعب الفلسطيني بأكمله))[1].

ويقول ماجد حلاوي : ((وخلاصة ما نشرته مدرسة المراجعة التاريخية[2] أن : ((غرف الغاز لم توجد أبدا ، وأنه لا يمكن من الناحية العملية ولا التاريخية ولا الواقعية أن تكون قد وجدت ، وإنما هي جزء من أسطورة -وهم- نشأت أثناء الحرب في المعسكرات النازية حيث ساد الرعب والفزع أوساط اليهود ، ثم غذته الدول المنتصرة وكذلك الصهيونية العالمية بعد الحرب))[3].

وهناك أمور تدل على أن هذه المحرقة ((الهولوكوست)) لم تكن أبدا ، وإن كان من شيء قامت به الدولة الهتلرية فهو عبارة عن معسكرات اعتقال قام فيها البوليس السري الألماني ((جستابو)) بالقبض على خصوم الحكومة النازية ، واحتجازهم في هذه المعسكرات فقبضوا على جماعات بأكملها ، ولم تكن هذه العمليات موجهه ضد اليهود بالذات ، وإنما كان يعتقل كل من يشكل خطراً على الدولة ، بغض النظر عن دينه أو جنسيته ، وقد أرسل إلى هذه المعسكرات كثير من الضحايا من الغجر والسلاف ((البولنديين والروس)) واليهود وغيرهم من كل أنحاء أوربا[4].

ومن هذه الأمور :

١ـــ لوحظ عدم ورود لفظ ((الإبادة كتصفية جسدية)) مقرونا بعبارة ((الحل النهائي)) في أي مذكرة نازية[5]. حيث إن خطابات هتلر وجد فيها فقط : ((الحل النهائي للمشكلة اليهودية))[6] فلم يتسنّ تقديم أي نص يثبت أن ((الحل النهائي)) للمشكلة اليهودية كان بالنسبة للنازين هو الإبادة[7]. أما الفكرة التي روج لها بعض الصهاينة أنه لم يتم العثور على مثل هذه المذكرة التي تبين أن معنى ((الحل النهائي)) هو ((الإبادة والتصفية الجسدية)) لأن النازين كانوا

(١) المرجع السابق ص١١٥.

(٢) مدرسة المراجعة التاريخية ، تهتم بمراجعة الروايات الرسمية لبعض الأحداث والقضايا التاريخية خصوصا بعد الحرب العالمية الأولى، وتوسعت صفوف هذه المدرسة أو الاتجاه العلمي في قراءة تاريخ أوربا والغرب عموما. وهناك علماء وباحثون تبنوا هذا الاتجاه العلمي منهم في فرنسا روبير فوريسون وراسينييه ، وفي كندا سيرج بتيون وبيارغييوم وزونديل ، وفي ألمانيا ستاغليش ، وفي أمريكا آرثر بوتر وغيرهم ، المرجع السابق ص ١١.

(٣) المرجع السابق ص ١٢.

(٤) الصهيونية والنازية د. المسيري ص ١٠٩، ١١٠ ، والأساطير المؤسسة جارودي ص ١٤٥.

(٥) الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ د. عبدالوهاب المسيري ص ١٠٦.

(٦) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية رجاء جارودي ص١١٣.

(٧) المرجع السابق ص ١٤٤.

يستخدمون لغة مشفرة أو رمزية حتى لا يكتشف أحد أمرهم. فهو افتراض وشائعة بلا سند ، لأن هناك وثائق واضحة للجرائم الأخرى ومنها قتل الكوماندوز البريطانيين ، وإبادة أهالي ستاليتنجراد[1] من الذكور بعد احتلالها ، وقتل الطيارين الأمريكيين في الشوارع دون محاكمة ، وغيرها. فالوثائق موجودة عن هذه الجرائم جميعها ، في حين أنه بالنسبة لهذه الجريمة ((إحراق اليهود)) لا توجد لا الأصول ولا الصور ولا الأوامر والتوجيهات اللازمة لتنفيذ هذه التعليمات الضخمة[2].

وقد قال البروفيسور آيكوبيرري : ((إنه لم يتم العثور على أي أمر خطـــي موقّع من هتلر فيه تعليمات بإبادة اليهود)) [3].

ويقول د. المسيري : ((فعبارة ((الحل النهائي)) تعني ما تقول دون زيادة أو نقصان ، ومن ثم فهي لا تعني بالضرورة ((تصفية جسدية متعمدة)) وقد تعني ((تصفية من خلال التهجير وأعمال السخرة))[4].

٢- زعم اليهود أن الألمان استخدموا غرف الغاز في إبادة اليهود في الحرب العالمية الثانية زعم باطل. حيث إن إنشاء وتشغيل غرفة غاز مخصصة للإعدام أو قتل إنسان واحد يشكلان مشكلة تقنية رهيبة[5].

يقول د. المسيري : ((كما تثار الشكوك حول استخدام غاز زايكلون بـــي (Zyclon B) في أفران الغاز، إذ تشير معظم الدراسات إلى أن استخدام مثل هذا الغاز يتطلب احتياطات فنية عالية، مكلفة للغاية ، ومثل هذه الاحتياطات لم تكن متوافرة للألمان تحت ظروف الحرب))[6] و((أن غرف الغاز الموجودة إنما كانت غرف غـــاز لتعقيم الخارجين والداخلين إلى المعسكر. أما المقابر

---

(١) ستالينجراد : مدينة في جمهورية روسيا الإتحادية ، وهي ميناء على نهر فولغا الأدنى ، تتصدر المدن الصناعية والتجارية في منطقة الفولغا ؛ من حيث المواصلات الحديدية والصناعات الثقيلة. دمرت المدينةبأكملها في معركة من المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية. وصارت تعرف منذ ١١ أكتوبر ــ تشرين الأول ١٩٦١م باسم فولغراد. موسوعة السياسة ١٣٩/٣ د. عبدالوهاب المسيري.

(٢) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص ١١٢ ، والصهيونية والنازية ص ١٠٦.

(٣) في برنامجه ((الهاتف يرن)) بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٨٣ م على إذاعة فرانس أنتي ، انظر : الأكذوبة التاريخية ص ٩٤.

(٤) الصهيونية والنازية ص ١٠٩.

(٥) الأكذوبة التاريخية ، ص ١٠٦ وقد جاء في الكتاب وصف كيفية ((إخلاء الغرفة وإخلاء الجثة)) وهي من الدقة بمكان عال جدا لم تكن متوفرة للألمان في ذلك الوقت وخاصة في ظروف الحرب (١٠٦-١٠٨).

(٦) الصهيونية والنازية د. المسيري ص١١ ، وقد ذكر المؤلف بيان كيفية صعوبة وتكلفة استخدام هذا الغاز. كما بيّن جارودي في كتابه الأساطير المؤسسة صعوبة استخدام غرف الغاز مع بعض التهكم على من ادعى استخدام هذه الغرف ص ١٣٠-١٣٥.

الجماعية فهي مقابر الآلاف الذين لقوا حتفهم بعد انتشار الأوبئة كالملاريا والتيفود ، وهو أمر متوقع في ظل ظروف الحرب وفقر الرعاية الصحية ، وأن عدد الضحايا من غير اليهود يفوق عدد ضحاياها من اليهود))[١].

ويقول جارودي : ((لم يكن هناك أي غرف للغاز ، وما يعرض على الزوار يقدم بطريقة خاطئة على أنه غرف للغاز ، مع أنه محرقة لجثث الموتى))[٢].

و((أن الفارين الذين شهدوا على وجود غرف الغاز قاموا بذلك ليس على أساس ما شاهدوه ولكن على أساس ما سمعوه))[٣].

ولِمَ لا يروج الصهيونيون والغربيون الاستعماريون لهذه المحرقة المزعومة ((الهولوكوست)) وهم المستفيدون منها تماما ؟.

((وكانت هذه الأسطورة ترضي الجميع فالحديث عن ((أكبر عملية إبادة جماعية في التاريخ)) كان بالنسبة للاستعماريين الغربيين ، إنزالا للستار على جرائمهم : ((قتل الهنود في أمريكا ، والرقيق الأسود ، و بالنسبة للشيوعيين كان محوا لآثار عمليات القمع الوحشية التي قاموا بها))[٤].

أما للصهاينة : ((فقد تم التقرير بأن لليهود الحق في التعويض ، وعلى ذلك فقد أُعطوا أرضا تخص شعبا آخر ، وهكذا أنشئت في عام ١٩٤٨م دولة إسرائيل ، وفي العام التالي فرض ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي وبن غوريون رئيس الحكومة الإسرائيلية على المستشار آديناور -رئيس الحكومة الألمانية- تعويضات مالية هائلة تم مبدأ الموافقة عليها في ((معاهدة لوكسمبرغ))[٥] التي أبرمت في عام ١٩٤٥ م.

---

(١) المرجع السابق ص١١٠. وقد جاء تفصيل هذه المسالة في كتاب : ألاكذوبة التاريخية ، ص ٢٣،٢٢.

(٢) الأساطير المؤسسة ص ١٢٠.

(٣) المرجع السابق ، ويقول جارودي : ((وهناك مثال آخر مؤسف هو معسكر داخاو.. فالفيلم الذي عرض في نورمبرج في أثناء المحاكمة بشأن فظاعات النازي ، أوضح وجود ((غرفة غاز)) واحدة فقط هي غرفة معسكر داخاو. وقد نظمت الزيارات للسياح والطلبة حيث توجد اليوم لوحة تذكارية جاء فيها أن أحدا لم يلق فيها حتفه بالغاز لأنها لم تستكمل أبدا)) ص ١٥٠.

(٤) الأساطير المؤسسة ص١٤١.

(٥) لوكسمبرغ : تقع في أوروبا الغربية يحدها من الشمال الغربي ومن الغرب بلجيكا ومن الجنوب فرنسا ومن الشرق والشمال الشرقي ألمانيا ، واللغة الرسمية فيها الفرنسية ، كما أن اللغة الالمانية تستعمل كلغة ثانية وإن كانت غير رسمية. موسوعة السياسة ٥١٢/٥ ــ ٥١٣ د. عبدالوهاب الكيالي.

ومنذ هذا التاريخ يدفع المواطن الألماني مهما كان عمره وحتى لوكان قد ولد بعد الحرب بفترة طويلة إلى دولة إسرائيل مبالغ اعتبرها ناحوم غولدمان نفسه ((هائلة)) وسوف يستمر دفع هذه التعويضات حتى ما بعد عام ٢٠٠٠م))[١].

يقول د. المسيري : ((لكن الفضيحة الأساسية التي تغطيها أسطورة الإبادة النازية هي الجريمة التي ارتكبتها الحضارة الغربية في حق الشعب الفلسطيني الذي طرد من أرضه بموجب وعد بلفور وقرار هيئة الأمم المتحدة وبدعم كل الدول الغربية))[٢].

ولا شك أن الوضع الحالي فيه تغيير بالنسبة لوضع اليهود في أوربا بشكل جذري تماما في القرنين الأخيرين ، بفعل الإصلاح الديني النابع من أصول يهودية ((البروتستانت)) فعندهم المسيحية تابعة لليهودية ، وبفعل الأموال اليهودية الضخمة الهائلة التي أدارت الرؤوس ، وأسكتت الحكام خاصة أن بدايات الصناعة والمجتمع الصناعي -الذي نعيش حسناته وسيئاته- قد ولدت في أيد يهودية ((المجتمع الصناعي قد وقع في قبضة اليهود منذ اللحظة الأولى ، بسبب قيام اليهود المرابين بتمويل الصناعة الناشئة عن طريق الإقراض بالربا ، فأصبح في مكنتهم السيطرة على هذا المجتمع وتشكيله على الصورة التي يرغبونها ، لأن في أيديهم أداة السيطرة الكبرى على ذلك المجتمع وهي رأس المال))[٣].

---

(١) الأكذوبة التاريخية، ص ٢٤. حتى لقد قال ناحوم غولدمان عام ١٩٧٦ م : ((بدون التعويضات الألمانية ما كان إسرائيل تملك نصف أساساتها الحالية : جميع القطارات في إسرائيل ألمانية ، والبواخر ألمانية كذلك ، والكهرباء وجزء كبير من الصناعة... حتى بدون أن نتكلم عن النفقات الفردية المدفوعة إلى الأحياء. في بعض السنين كانت المبالغ التي تتلقاها إسرائيل من ألمانيا تفوق قيمة التبرعات اليهودية العالمية ، يجب أن نضربها باثنين أو بثلاثة)) المرجع السابق ص ١١٦.

(٢) الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ د. عبد الوهاب المسيري ص ١٠٣.

(٣) مذاهب فكرية معاصرة ، الأستاذ محمد قطب ، ص ١١٩.

المطلب الثاني : احتلال اليهود فلسطين في العصر الحديث . وفيه ثلاثة نقاط :

النقطة الأولى : الحركة الصهيونية الحديثة من النظرية إلى التطبيق.

النقطة الثانية : اليهود والانتداب البريطاني على فلسطين.

النقطة الثالثة : إعلان قيام الدولة اليهودية.

النقطة الأولى: الحركة الصهيونية الحديثة من النظرية إلى التطبيق:

سيمر معنا -إن شاء الله- توضيح أن الصهيونية هي نتاج العقل اليهودي ، فهي الفلسفة القومية لليهود ، تهدف في جوهرها إلى حمل اليهود على المحافظة على معتقداتهم وتقاليدهم ، ورفض كل اندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها ، وإلى ضرورة تكوين مجتمع يهودي محض يتمتع بالحكم الذاتي في فلسطين. ومناشدة اليهود في العالم ليهاجروا من جميع بقاع الأرض إلى فلسطين التي يسمونها أرض الميعاد ، وهي أرض إسرائيل بحدودها التي ورد ذكرها في كتابهم المقدس(١).

حيث بقي اليهود في عصور الشتات والتشريد يحلمون بفكرة العودة إلى أرض ميعادهم -فلسطين وما جاورها- وهذه الفكرة ((تعبر عن الروح الخالدة للشعب اليهودي ، وهي نقطة البداية والنهاية لجميع اليهود))(٢).

لذلك فإن حركة التنوير والاندماج في المجتمعات التي يعيش فيها اليهود ((الهسكلاة)) التي ظهرت في القرن الثامن عشر في ألمانيا ، والتي كانت تهدف إلى تقريب اليهود من ثقافة الشعوب الذين هم في وسطهم وإخراجهم من انغلاقهم على ذواتهم ، لم تنجح ولقت معارضة شديدة في أوساط اليهود المتشددين(٣).

فضّلت الجماعات اليهودية الانعزال والانزواء على نفسها في أحياء خاصة بهم ، لا يشركهم فيها أحد ، عرفت باسم ((الجيتو)) Ghetto ، وعملت هذه الأحياء الخاصة باليهود على الحفاظ على النفسية اليهودية ، خاصة في ظروف كظروف العصور الوسطى بالنسبة لليهود ، ومنعت اليهود من الاندماج في الشعوب التي عاشوا فيها ، فوجد القائمون على الحركة الصهيونية أرضية

---

(١) من ص ١٧٤ من هذه الرسالة.

(٢) مجلة البيان ، مقالة : الصهيونية واليهودية د. محمد أمحزون ص ٨٢ العدد ٨٧.

(٣)الهسكلاة : كلمة عبرية تعني التنوير أو الاستنارة ، وتطلق على الحركة الثقافية والاجتماعية اليهودية التي ظهرت خلال القرن الثامن عشر بين يهود ألمانيا على يد موسى مندلسون متأثرة بعصر التنوير الأوروبي ، كانت تسعى لتقريب اليهودية من ثقافة الشعوب الأخرى وإخراجهم من انغلاقهم على ذاتهم. لقت معارضة شديدة في الأوساط اليهودية المتشددة. انظر : القوى الدينية في إسرائيل ص ١٥ د.رشاد الشامي ، ومعجم المصطلحات الصهيونية ص ١٦٠/١٦١ إعداد أفرايم ومناحيم تلمي ، ترجمة احمد العجرمي ، وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٤٢٢ د. المسيري ، ورؤية دينية للدولة الإسرائيلية ص١٩ حسن مي.

صالحة للعمل بين يهود تلك الأحياء[1] لبث فكرة العودة إلى فلسطين ، وتكوين إسرائيل الكبرى، ((من النهر الكبير نهر الفرات إلى نهر مصر)) [2].

كان اليهود بعد ما حصل لهم من تشرد وتشرذم لا يتوقعون أن يسكنوا فلسطين ويتغنوا عند جبل صهيون مرة أخرى ، فقد كانت العودة إلى ذلك أمنية في قلوب الملتزمين منهم يعبر عنها ((تقليديا في طقوسهم الدينية))[3] فحسب. حتى بزغ لهم أمل العودة في القرن التاسع عشر، عندما انتشرت فكرة القوميات في أوربا ، فأخذ بعض مفكري اليـــهود وفلاسفتهم يفكرون في حل لمشكلة اليهود في العالم خاصة في أوربا وروسيا ، ولن يكون ذلك إلا باستغلال حركة الإصلاح ((البروتستانت)) النصرانية وإيمانها بعودة اليهود إلى فلسطين ، مع التمويل اليهودي السخي للدول النصرانية المستعمرة في البلاد العربية ، مع التضخيم الإعلامي لازدياد عدد اليهود في أوربا وما ينتج عن ذلك من مشاكل اجتماعية واقتصادية وأمنية ، لإقناع تلك الشعوب بإخراج اليهود من بين ظهرانيهم ، وإشعار اليهود خاصة أولئك الآمنين في دولهم بوجوب الهجرة إلى أرض ميعادهم لازدياد الشعور باللاسامية في دولهم ، ووجوب العمل على عودة دولتهم الكبرى كما في كتبهم المقدسة[4].

ونجحت الصهيونية فيما هدفت إليه ، ومن أشهر من نادى بالفكرة الصهيونية من اليهود في العصر الحديث وقبل أن يمسك زمامها أبو الصهيونية الروحي تيودور هرتزل :

الحاخام البولوني زفي هيرش كاليشر (١٧٩٥-١٨٧٤م) : ((حاخام الطائفة اليهودية في مدينة تورين بألمانيا)).

ولد هذا الرجل في عصر طغى فيه المفهوم القومي على أي مفهوم آخر في أوروبا ، فطالب شعبه بالاقتداء بالإيطاليين والبولنديين والمجريين في البحث عن قومياتهم ، وحثهم على التجمع والاستيطان في فلسطين ، وأن العمل في هذه الأرض المباركة هو بحد ذاته جهد مقدس . بدأ كاليشر نشاطه منذ مطلع الثلاثينات من القرن التاسع عشر الميلادي ، عندما توجه إلى أحد أبناء

---

(١) تاريخ الصهيونية صبري جرجس ١٤/١.

(٢) تكوين ١٥ : ١٨.

(٣) الحركة الصهيونية منذ نشأتها حتى نشوب الحرب العالمية الأولى ص ١٦٩ د. مروان بحيري ، ضمن بحوث القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني الجزء الأول.

(٤) المرجع السابق د. مروان بحيري ص ١٧٠ ، وتاريخ الصهيونية ، صبري جرجس ٤٣/١ ، والمنظمة الصهيونية العالمية د. أسعد عبد الرحمن ص ٢٦ ، والجذور التاريخية للقضية الفلسطينية د. إسماعيل أحمد ياغي ص٣٦ ، والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ص ٥١ ، وفلسطين بيان نويهض الحوت ص ٢٦٢.

عائلة روتشيلد اليهودية الثرية، في باريس ، واقترح عليه شراء فلسطين ، من حاكمها محمد علي ، لإقامة مستوطنات فيها للمهاجرين اليهود من أوروبا الشرقية ، وذلك قبل أن يقوم هرتزل بعمل مماثل بنحو نصف قرن من الزمان . وتوجه أيضاً بالمشروع نفسه إلى السير موشي مونطفيوري اليهودي البريطاني الثري .

نشر كتابه ((البحث عن صهيون)) عام ١٨٦٢م وفيه وصف لحياة اليهود الاضطهادية في أوربا الشرقية خاصة، ودعا فيه إلى إنهاء ذلك الاضطهاد بالهجرة إلى فلسطين والاستيطان الدائم فيها. وتحدث فيه عما سماه البداية الطبيعية للخلاص ، وكانت من آراء الحاخام كاليشر ـــ والتي عمل على نشرها ـــ أن العلاقة بين اليهودي وأرض اسرائيل والتوراة (أي أرض فلسطين) هي علاقة إلهية أزلية لا يمكن فصمها ، وأن هجرة اليهود إلى تلك الأرض ، واستيطانهم فيها فريضة ينبغي على اليهودي المؤمن تأديتها .

لم يكتف كاليشر بذلك مثل باقي الحاخامات الذين سبقوه ، وإنما أدخل تجديداً على هذا الآراء بدعوته اليهود أخذ زمام أمورهم بأيديهم والعمل على تحقيق تللك الفرائض بقواهم البشرية فدعا المحسنين والممولين اليهود إلى تقديم المساعدات لإنشاء المستوطنات والمستعمرات الزراعية في فلسطين. واقترح تأسيس شركة للاستعمار تقوم بجمع الأموال لشراء الأراضي في فلسطين وإسكان فقراء اليهود فيها. لذلك قام برحلات متعددة في جميع أنحاء أوربا ، وحث اليهود على تطبيق أفكاره ، ونجح في حمل جماعة من اليهود على شـــراء مساحات من الأراضي في ضواحي مدينة يافا عام ((١٨٦٦م)) ، كما تمكن من دفع جمعية ((الاليانس الإسرائيلية العالمية))[١] لتأسيس مدرسة زراعية في يافا سنة ١٨٧٠م أسماها مدرسة ((ميكفاة إسرائيل الزراعية)) وهي أول معهد زراعي يهودي في فلسطين.

وكان ينادي بوضوح وصراحة : ((أن العقل والشريعة يلزمان كل يهودي بالعمل بشجاعة وعزم وقوة ... للإستيطان في أرض إسرائيل . ولأن عملية تجميع اليهود وتوطينهم هناك وإعمار البلد يعتبران بداية الخلاص)) ... وبهذه الآراء وهذه الأعمال بدأ كاليشر يرسخ مرحلة أولى لتيار فكري داخل اليهودية ، يستمد قوته من التعاليم الدينية التقليدية، ويمزج بينها وبين الوسائل

(١) جمعية الأليانس الإسرائيلية العالمية تأسست في فرنسا عام ١٨٦٠م وأسسها بعض وجهاء اليهود ، وعلى رأسهم عضو مجلس النواب والوزير الفرنسي اليهودي أدولف كراميه. وكانت تهدف إلى تقديم المساعدة السياسية والثقافية لليهود في أية دولة كانوا ، من خلال الفكرة الداعية إلى وحدة اليهود في كل أنحاء العالم. وكان لآل روتشيلد في فرنسا دور بارز في تحويل سياسات هذه الجمعية والتأثير عليها وربطها بالمصالح الاستعمارية الفرنسية حينئذ. موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية د. عبد الوهاب المسيري ص ٨٥ ، وتاريخ الصهيونية صبري جرجس ٢٩/١.

السياسية الضرورية ما يهدف إليه الصهاينة من حيث علاقة اليهود بأرض إسرائيل (فلسطين) وواجب اسيطانهم فيها[1].

المفكر الألماني اليهودي : موسى هيس (١٨١٢-١٨٧٢م) :

يعتبر هيس رائد القومية اليهودية ، فهو أول من نادى بها وشيجة اجتماعية وسياسية. تجمع أوزاع اليهود على معنى مشترك وتحت لواء واحد. ألف كتاباً أسماه (روما و القدس) نقل فيه البرامج اليهودية الكاملة من منابعها القديمة إلى حملتها المعاصرين. عاش ما بين (١٨١٢-١٨٧٢م) ويعتبر أول مفكر صهيوني من رجال القرن التاسع عشر ، ولد في ألمانيا وعاش فيها وفي فرنسا. وهو من أول من نادى بالقومية اليهودية والتمسك بها ، لدرجة أن البعض يعتبر هذا الرجل هو الأب الحقيقي للقومية اليهودية المدعاة ، والدعوة الصهيونية الحديثة. فقد أعلن هرتزل بعد اطلاعه على آراء هيس : ((كل ما حاولناه يمكن العثور عليه في أفكاره)) وقد ذهب إلى أن في الشتات المستمر يكمن الاضمحلال التام لليهودية كعقيدة ، وخاطب اليهود بأن الوقت سانح لكي يطالبوا سواء بطريق التعويض أو بأي وسيلة أخرى بأرض آبائهم القديمة. وما عجز اليهود كأفراد على تحقيقه يمكنهم ضمانه الآن كأمة وشعب. حيث إن الوضع العالمي الراهن -في اعتقاده- يؤيد الانصراف مباشرة إلى إنشاء مستعمرات يهودية عند قناة السويس وعلى ضفتي الأردن ، حيث تأتي هذه المستعمرات كخطوة أولية على طريق استرجاع الدولة اليهودية.

وسيحظى هذا المشروع بحسب رأيه بدعم فرنسا دون شك، لأنه من مصلحتها تنفيذه ، كما أن الدول الأوربية الأخرى لن تعارض ذلك المشروع الذي سيخلصها من سكانها اليهود ، الذين -في زعمه- يحملون لواء المدنية لشعوب آسيا البدائية ، والوسطاء بين أوربا والشرق الأقصى ، لفتح الطرق المؤدية إلى الهند والصين ، تلك المناطق التي يجب أن تفتح حتما أمام المدنية الأوربية ويرى أن هذه المستوطنات يجب أن تمتد من السويس إلى القدس ، ومن ضفاف الأردن إلى شاطئ البحر المتوسط. ثم يطلب إلى اليهود المعنيين بتجديد ((الأمة اليهودية)) وإحيائها أن

(١) تاريخ الصهيونية صبري جرجس ٧٣/١ــ٧٦ ، والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص ٣٥ ، والمنظمة الصهيونية العالمية د. أسعد عبدالرحمن ص٢٧ ، والجذور التاريخية للقضية الفلسطينية د. إسماعيل أحمد ياغي ص٣٧ ، والسياسة الدولية وفلسطين د. محمد كمال الدسوقي ص ١٣٩ ، وموسوعة المفاهيم د. المسيري ص ٣٠٧ ، وفلسطين : القضية والشعب والحضارة ص ٣١٣ــ ٣١٥ بيان نويهض الحوت .

يعملوا على إبقاء الأمل الحي في البعث السياسي للشعب اليهودي وعلى إيقاظه من سباته ، ريثما تتغير الأوضاع السياسية في الشرق ويتسع المجال لقيام الدولة اليهودية العتيدة[1].

الطبيب الروسي يهودا لايب (ليو) بنسكر (١٨٢١-١٨٩١م) :

كان في بداية حياته يؤمن بأفكار حركة التنوير ((الهسكلاة))[2] التي كانت تدعو اليهود إلى الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها. وقد تجلى نشاطه ، لإيمانه بهذه الحركة ، في اشتراكه في ((جمعية نشر الثقافة)) بين يهود روسيا ، فكان يعمل على نشر الثقافة الروسية في حياة اليهود الداخلية ، لاعتقاده أن اندماج اليهود في مجتمعاتهم يوفّر لهم المساواة مع تلك الشعوب ، ويزيل عنهم الاضطهاد. إلا أن اندلاع أعمال العنف في عام ١٨٨١م في روسيا بعد مقتل قيصرها اسكندر الثاني ، والتي كانت موجهة بشكل خاص إلى اليهود ، لاتهامهم بمقتله ، أثّر في نفسيته تأثيرا بالغا فكان أول عمل قام به إثر ذلك الانسحاب من تلك الجمعية ، معلنا عن خيبة أمله من الطريق التي اتبعها حتى ذلك الوقت لحل المسألة اليهودية ، فأخذ بنظرية الدعوة إلى أن يتولى اليهود بأنفسهم خطوة التحرير ، وقرر في كتابه ((التحرير الذاتي)) أن اليهود ليسوا أمة حية ، بل هم غرباء في كل مكان ، وأن التحرير المدني والسياسي لليهود غير كافيين لرفعهم في نظر الشعوب ، والعلاج الوحيد للمشكلة اليهودية يكمن في تدويلها ، وخلق قومية يهودية لشعب يعيش على أرض خاصة به.

لذلك عمل بنسكر على تكوين الوعي القومي عند اليهود ، وأن لا يبقوا خاضعين للمهانة والذل في مجتمع الأغيار. وأن القول بأن اليهود في الشتات يؤدون رسالة من تدبير العناية الإلهية هو من المغالطات التي يجب على اليهود أن يتحرروا منها. وقد روجت لآرائه جمعيات أحباء صهيون التي انتشرت في روسيا في أعقاب سنة ١٨٨٢م وكانت هذه الجمعيات ترى في شخص بنسكر سندا لجهودها ، فقد كانت تنادي ((بعودة)) اليهود إلى فلسطين ، لذا شارك بنسكر بنفسه في أعمال هذه الجمعيات[3].

---

(١) تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، د. محمد عبدا لرؤوف سليم ١/١٧ ، وتاريخ الصهيونية صبري جرجس ١/٧٦ ، والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص ٥٤ ، والمنظمة الصهيونية العالمية د. أسعد عبد الرحمن ص ٢٨ ، وموسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية د. عبد الوهاب المسيري ص ٤١٨ ، ومعجم المصطلحات الصهيونية ، إعداد : إفرايم ومناحيم تلمي ، ترجمة أحمد العجرمي ص ١٣٩.

(٢) انظر في شرح كلمة ((الهسكلاة)) ص ١٠٢ من هذا البحث.

(٣) تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، د. محمد عبدا لرؤوف سليم ١/١٨ ، وتاريخ الصهيونية صبري جرجس ١/٩١ ، والمنظمة الصهيونية العالمية د.أسعد عبد الرحمن ص ٢٩ ، وموسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية د.عبد الوهاب المسيري ص ١٠٤ ، والجذور التاريخية للقضية الفلسطينية أحمد ياغي ص٣٩ ، والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص٥٧.

تيوردو هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤م) :

((يعتبر هذا الصحافي النمساوي تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة ، والأب الروحي لها بلا منازع ، فهو الذي وضع الأسس العقائدية للصهيونية السياسية ، وكرس العقد الأخير من حياته لنقل أفكاره إلى صعيد العمل والتنظيم ، وإليه يعود الفضل في توحيد صفوف الصهيونية تحت راية المنظمة العالمية ، وعن طريق الدعوة التي وجهها لعقد أول مؤتمر صهيوني على مستوى يهود العالم))[١].

يقول عنه د. أسعد رزوق : ((تلتقي في شخصيته وفي حياته ونشاطاته وأفكاره جميع تلك الروافد المختلفة التي تصب في مجرى الحركة الصهيونية منذ ظهورها إلى حيز الوجود وانتقالها إلى طور العمل السياسي المنظم على صعيد مؤسسات وأجهزة تمتد في نفوذها إلى سائر أنحاء العالم))[٢].

فهذه الحركة التي تزعمها هرتزل تميزت عن سابقاتها في تأكيدها على أن الخلاص القومي لليهود لا يمكن تحقيقه عبر عملية متقطعة لإقامة المستعمرات ، وإنما عبر استقلال سياسي كامل لهذه العملية ، بحيث يلقى هذا العمل حماية عالمية[٣] ففي سنة ١٨٩٦م وبعد انقضاء أربعة عشر عاما على نشر كتاب بنسكر ((التحرر الذاتي)) أصدر هرتزل كتابــه المعنون بـــ((الدولة اليهودية)) وكان صدور هذه الكتاب بمثابة ((نقطة تحول في التاريخ الصهيوني))[٤].

وقد وصف كتابه بقوله : ((إنه محاولة لإيجاد حل عصري للمسألة اليهودية))[٥].

وجاء في مقدمته : ((أن الفكرة التي طورها في هذا الكتيب فكرة موغلة في القدم ، هي فكرة استعادة الدولة اليهودية))[٦].

---

(١) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ص ٦٢.

(٢) إسرائيل الكبرى د. أسعد رزوق ص ١٧.

(٣) المنظمة الصهيونية العالمية د. أسعد عبد الرحمن ص ٣٣.

(٤) تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، د. سليم ١/٢٥.

يقول صبري جرجس : ((لم يكمل هرتزل قراءة كتاب بنسكر((التحرر الذاتي)) إلا بعد أن نشر كتابه ((الدولة اليهودية)) بينما بدأ بكتاب هيس ((روما والقدس)) في أثناء زيارته لفلسطين سنة ١٨٩٨م وأنهاه في أيار ((مايو)) ١٩٠١م)) تاريخ الصهيونية ١/١٤٤.

(٥) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص ٦٢.

(٦) ((الدولة اليهودية)) تيودور هرتزل ترجمة محمد يوسف عدس مراجعة ودراسة د.عادل غنيم ص٣٥.

وقد وصف ستيورات هذه الكلمات في مقدمة الكتاب بأنها ((إعلان جريء)) في كتابه ((تيودور هرتزل ، مؤسس الحركة الصهيونية)) ترجمة فوزي وفاء ـــ إبراهيم منصور ص٢٥٠.

وقد ركز هرتزل في كتابه على أمور منها :

((أن المسألة اليهودية لم تعد مجرد مشكلة اجتماعية ، بقدر ما هي قضية دينية ، ومع ذلك قد تتخذ أحيانا أشكالا أخرى ، إنها قضية قومية يمكن حلها فقط عندما تعالج كقضية سياسية عالمية تناقشها شعوب العالم المتحضر في مجلس دولي))[1] وأن المسألة اليهودية لن تجد لها حلا إلا على المستوى السياسي[2] وقد بين أن حل هذه القضية لا يتأتى إلا بالقوة ((فالقضية هنا قضية قوة شأنها في ذلك شأن الأمور الأخرى التي تنشأ في مجرى العلاقات بين الشعوب ، هذه هي الحقيقة الواقعة في عالمنا المعاصر))[3] ووضح أن رحيل اليهود إلى المكان الذي ظلوا يحلمون به حلما ملكيا ((خلال الليالي الطويلة من تاريخهم (العام القادم في القدس) إنها عبارتنا القديمة))[4] لن يكون هروبا بل حركة بالغة التنظيم تحت مراقبة الرأي العام.

وإن ضمان نزاهة الفكرة وقوة تنفيذها سيتحقق من خلال إنشاء هيئة عامـــة تسمى((جمعية اليهود)) وإلى جانب هذه الجمعية ستوجد ((شركة يهودية)) وهي مؤسسة إنتاجية اقتصادية))[5] لتمويل عملية إنشاء المجتمع اليهودي. وقد ترك هذا الكتاب آثاراً عميقة في الأوساط اليهودية بسبب الشخصية القوية التي برزت وراء هذا الكتاب الذي وضعه ((يهودي من الغرب)) ، يعني نفسه.

وقد قال عنه وايزمان –وقد اتصل به عن كثب– لو أن هرتزل قد قنع بطبع هذا الكتاب ، ووقف عند هذا الحد ، لكان اسمه في عداد الأسماء المستهجنة في التاريخ اليهودي ، ولكنه سرعان ما وجد أنه لم يعد سيد نفسه ، بل اصبح عبدا لفكرة جاشت في نفسه وسيطرت على تفكيره

---

(١) الدولة اليهودية لهرتزل ترجمة محمد يوسف عدس ص٤٣.

(٢) المرجع السابق ص ٤٣.

(٣) المرجع السابق ص ٤٤.

وفي هذا المنهج الهرتزلي اليهودي إسكات عظيم لمنهج القائمين على الأمة الإسلامية ومنها العربية الذين يرون أن الحل للقضية الفلسطينية وإرجاع القدس إلى المسلمين يكون بالمفاوضات والكؤوس التي تدار حول الطاولات. وقد قال تعالى : **﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم مِن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيلِ تُرهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُم وَآخَرِينَ مِن دُونِهِم لاَ تَعلَمُونَهُم اللَّهُ يَعلَمُهُم ﴾** سورة الأنفال آية ٦٠. ونعلم جميعاً أن الحديد لا يفله إلا الحديد.

(٤) الدولة اليهودية ص ٤٩.

(٥) المرجع السابق ص٥٠.

ويرى هرتزل في كتابه ((الدولة اليهودية)) أن هذه الشركة صممت على أساس أن تكون شركة كبرى للحصول على الأرض ((للدولة الجديدة)) فمهمتها مهمة استعمارية خالصة وسوف تكون هذه الشركة خاضعة للقضاء الإنجليزي ومصوغة وفقا للقانون الإنجليزي تحت حماية إنجلترا. يعني مستظلة بأكبر دولة استعمارية في ذلك الوقت وهي بريطانيا وهذا ما كان ، المرجع السابق ص٦٩.

وأسلوبه في الحياة ، وهي تحقيق هدف الصهيونية السياسية ، وأن العظمة التي أضفت نفسها عليه إنما ترجع إلى دوره الخلاق في الحركة الصهيونية ، فقد كان مثالا للجرأة والإخلاص والانكباب على العمل[1].

هرتزل والمؤتمر الصهيوني الأول :

انعقد هذا المؤتمر بعد دعوة هرتزل اليهود إليه للبحث في المسألة اليهودية وإيجاد حل جذري وعالمي لها. و انعقد في مدينة ((بازل)) بسويسرا بين ((٢٩-٣١ آب)) عام ١٨٩٧م ، ولقد خرج المؤتمر بقرارات عدة عرفت ((ببرنامج بازل)) وتوضح أن غرض الصهيونية التي تسعى لتحقيقه هو ((تأسيس وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام)) ، وينظر في الوسائل الآتية سبيلا إلى تحقيق هذا الغرض :

١ـــ العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة.

٢ـــ تنظيم اليهودية العالمية وربطها بواسطة منظمات دولية ومحلية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد.

٣ـــ تقوية وتغذية المشاعر اليهودية والوعي القومي اليهودي.

٤ـــ اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الضرورية لتحقيق غرض الصهيونية[2].

وفي هذا المؤتمر وضع شعار علم رسمي للدولة اليهودية المرتجاة، ووضع نشيد قومي لها[3]. وفرض المؤتمر ضريبة سنوية على كل عضو من أعضائه مبلغ ((شيكل واحد))[4] تحت اسم ((رسوم العضوية)) في المؤتمر الصهيوني ، ويكون لهذا العضو الحق في الإدلاء بصوته في انتخاباته ، وعلى أثر

---

(١) مذكرات وايزمان ص ٦٢.

(٢) إسرائيل الكبرى د. أسعد رزوق ص ٢١ ، وتاريخ الصهيونية. صبري جرجس ١/١٥٥ ، وتاريخ الحركة الصهيونية الحديثة د. محمد عبدا لرؤف سليم ١/٢٧ ، والمنظمة الصهيونية العالمية د. أسعد عبد الرحمن ص٣٤ ، والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ص٦٤ ، والحصار المر سامي هداوي ص ٥٣ ، والجذور التاريخية للقضية الفلسطينية د. إسماعيل ياغي ص ٤٥ ، وفلسطين ، بيان نويهض الحوت ص ٣٤٨.

(٣) سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين د. حسن صبري الخولي ١/٦٨.

(٤) ((الشيكل)) كلمة عبرية تعني (وزن) أو (الوزنة) وكانت تنطق (شيقل) . وهو المقياس الذي كان العبرانيون القدامى يستخدمونه لوزن الذهب والفضة . وقد أصبح الشيكل عمله فيما بعد . وقد شاع الشيكل كعملة أيام الحشمونيين (المكابيين) . وكان الشيكل ، كوحدة وزن ، يعادل ستة عشر جراماً تقريباً . والإشتراكات في المنظمة الصهيونية العالمية تُدعى (شيكل) وكذلك عملة الدولة اليهودية . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٤ / ١٧٠ـــ ١٧١ ، وسياسة الاستعمار والصهونية د. الخولي ١/٦٩ ، وتاريخ الحركة الصهيونية الحديثة د. سليم ١/٢٨ ، والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص٦٥.

هذا المؤتمر انتشرت مقولة ((تعالوا نعط الشعب الذي لا أرض له أرضا لا شعب فيها)) غير عابئين بكون فلسطين أرضا مأهولة منذ القدم بشعبها[1].

وتكونت في هذا المؤتمر ((المنظمة الصهيونية العالمية)) التي تعتبر نفسها وكيلا مفوضا من يهود العالم وتتكلم باسمهم[2].

((وهكذا نجد أن ((الصهيونية الجديدة)) التي رسمها هرتزل في مؤتمره ترتكز على دعامات ثلاث هي : شراء الأرض من العرب ، والهجرة اليهودية ، ثم الدخول في معترك السياسة الدولية لكسب عطف وتأييد الدول الكبرى من أجل تكوين دولة يهودية في فلسطين ، وفي هذا السبيل ونحو هذا الهدف سارت الصهيونية في السنوات التي تلت هذا المؤتمر))[3].

لذلك ، فهناك فرق بين مرحلة ما قبل عام ١٨٩٧م حين كانت الصهيونية في طور التكوين الفكري ، ومرحلة ما بعد عام ١٨٩٧م عند ما اتخذت الحركة الصهيونية شكلها التنظيمي، وأصبح للفكرة أداة تعمل بشكل دائب ومستمر لتحقيق غايات هذه الحركة[4].

إن مدة العشرين عاما التي تفصل ((برنامج بازل)) والمنظمة الصهيونية العالمية عن صدور وعد بلفور((١٨٩٧-١٩١٧م)) تمثل في تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة عملية البحث عن اعتراف دولي بالأهداف والمطالب الأساسية ، وهذا ما عمله هرتزل طوال وجوده على رأس الحركة من خلال المساعي التي بذلها للحصول على ما سماه بالبراءة[5].

ففي المؤتمر الصهيوني الثاني الذي عقد في مدينة ((بازل)) في آب ((اغسطس)) عام ١٨٩٨م ، انتخبت لجنة خاصة لتشرف على تأسيس ((المصرف اليهودي الاستعماري)).

---

(١) وقيل إن أول من قال بهذه المقولة : إسرائيل زانغويل ((١٨٦٤-١٩٢٦)) وهو روائي إنجليزي ولد في لندن ، وكان على رأس النشاط الصهيوني في إنجلترا حينما زارها هرتزل واتصل به ليرتب له اجتماعا مع قادة الأقلية اليهودية فيها باعتباره زعيماً للصهيونية الأقلية. من رواياته : حالمو الجيتو ، أطفال الجيتو ، مآسي جيتويه. عند صدور وعد بلفور كان من أكثر المتحمسين اليهود له ، لدرجة أنه وجه النقد القوي للحكومة البريطانية لفشلها في تنفيذ ما جاء في الوعد بسرعة. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية د. المسيري ص٢٠٥ ، وإسرائيل الكبرى د. رزوق ص٢٩، والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص٦٥.

(٢) الحركة الصهيونية منذ نشأتها حتى نشوب الحرب العالمية الأولى د.مروان بحيري ٢٢٧/١ ضمن بحوث كتاب : ((القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني)) رئيس التحرير : وليد الخالدي ، وكتاب القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص٦.

(٣) الصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ٨٣ ، وإسرائيل الكبرى ص ٢١.

(٤) موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ، حسان على حلاق ص ٣٣.

(٥) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص٦٥.

وفي المؤتمر الصهيوني الثالث ((بازل)) ١٨٩٩م تم تأسيس المصرف اليهودي الاستعماري تحت اسم ((صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار)) بغية تمويل الأنشطة الاستيطانية في فلسطين والبلاد المحيطة بها ، وتأمين الخدمات المالية التي تحتاج إليها الحركة. وقد نوقش في هذا المؤتمر قضية النشاط الثقافي في ظل القرار الداعي إلى تأسيس ((جمعية التخاطب بالعبرية ونشر الثقافة العبرية بين يهود العالم)) بالإضافة إلى إعادة بناء الجهاز الإداري الدائم للحركة الصهيونية لكي يحل محل الجهاز المؤقت.

أما المؤتمر الصهيوني الرابع فقد انعقد في لندن سنة (١٩٠٠م) وطرحت فيه قضية بث الدعاية الصهيونية في مختلف الأوساط ، وإعداد مسودة المشروع المتعلق بإنشاء الصندوق القومي اليهودي، وتبنى شعاره ((العمل اليهودي على الأرض اليهودية)).

وشهد المؤتمر الصهيوني الخامس في بازل سنة ١٩٠١م تأسيس الصندوق القومي اليهودي ، وطرح فيه بحث حول إنشاء جامعة عبرية وكان الإجماع من أعضائه على إقامة التعاون مع كل الجمعيات الاستعمارية الصهيونية للمباشرة بشراء الأراضي في فلسطين على أوسع نطاق ، فاتخذ المؤتمر قراره الذي يوجب استخدام الأموال المتوافرة في الصندوق القومي اليهودي لغاية واحدة هي شراء الأراضي في فلسطين.

وفي المؤتمر الصهيوني السادس ((بازل ١٩٠٣م)) تألفت لجنة فلسطين وإنشاء شركة أنجلو فلسطين في يافا لتعمل كفرع من فروع صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار[(١)].

توفي هرتزل في ١٩٠٤ م وقد ترأس تلك المؤتمرات السابقة.

وبهذا دفع الحركة الصهيونية إلى السير على طريق لم تعهدها من قبل ، وفتح آمامها أفاقا جديدة للعمل على تنفيذ مخططاتها[(٢)].

هذا هو هرتزل الذي حول التنظير الاعتقادي والفكري لليهود فيما يتعلق بأرض الميعاد إلى التنظيم العملي والحركي لها[(٣)].

ومع اكتشاف الصهيونيين لقوتهم الكامنة في اتحادهم ، في إطار منظمة صهيونية عالمية واحدة من جهة ، وتبلور فكرة إقامة دولة يهودية ، ثم ظهور بوادر الأمل في إقامتها نتيجة لنشاط هرتزل

(١) المرجع السابق ص ٦٦ ، والمنظمة الصهيونية العالمية د. أسعد عبدالرحمن ص ٤٥ ، وتاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، د.محمد سليم ص٢٨ ، والقضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني ، وليد الخالدي ١/ ٢٢٧.

(٢) تاريخ الصهيونية ، صبري جرجس ١/ ١٥٧.

(٣) حُمّى سنة ٢٠٠٠ ، عبدالعزيز مصطفى كامل ص ٣٢.

ومشاريعه واتصالاته مع زعماء عصره من جهة ثانية[1] ، عملوا على توسيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين من شرق أوربا ووسطها ، وشراء الأراضي ، وإنشاء المستوطنات ، واستطاعت أن تصيب نجاحا كبيرا بمختلف الأساليب ، حيث بلغ عدد المستعمرات التي أنشئت قبل وعد بلفور خمسا وثلاثين بين كبيرة وصغيرة في مناطق يافا وحيفا وطبريا وصفد ، على نحو ٨٥ ألف هكتار ، وبلغ عدد المهاجرين نحو (٧٠٠٠٠) بالإضافة إلى نحو (١٠٠٠٠) من اليهود الشرقيين كانوا في فلسطين قبل الحركة الجديدة. وقد نظموا أنفسهم في مستعمرات خاصة كمجتمع يهودي مستقل بمحاكمه ومدارسه وبريده وطوابعه وحياته ومجالسه وحراسه المسلحين ، وبرز كيان شبه سياسي لا تخفى مطامعه البعيدة[2].

النقطة الثانية : اليهود والانتداب البريطاني على فلسطين :

وجدت الحركة الصهيونية نفسها عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م) وهي ما زالت تجد في البحث للحصول على براءة الاستيطان وتأمين الاعتراف الدولي بوجودها ، وبالأهداف التي تعمل من أجلها ، ومن جهة أخرى كان النشاط العملي في حقل الاستعمار اليهودي في فلسطين يسير على قدم وساق دون أن ينتظر مجيء البراءة التي شاءها ذريعة حقوقية ((لاغتصاب حقوق الآخرين والاستيلاء على بلادهم وأوطانهم))[3] ، فعملت هذه الحركة جادة للتحالف مع الدول الحلفاء في تلك الحرب وخاصة بريطانيا ((القوة العسكرية)) وأمريكا ((القوة المالية)) فيها ، مستغلين احتياجهم إلى المال اليهودي والعقلية اليهودية المتمثلة في استخراج العالم الكيميائي والصهيوني الرأس في الحركة ((حاييم وايزمان))[4] مادة الأسيتون التي تستخدم

---

(١) تاريخ الصهيونية ، صبري جرجس ١٧٣/١.

(٢) العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها ، عزة دروزة ٢٣/٢.

(٣) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص٧٠.

(٤) حاييم وايزمان : زعيم صهيوني ، وعالم كيميائي ، وأول رئيس لدولة إسرائيل. ولد في روسيا ببلدة موتول ، باقليم جرودنا عام ١٨٧٤م. تلقى تعليماً دينياً في طفولته. درس علومه العالية في ألمانيا ، وكان من العناصر الصهيونية النشطة منذ بداية الحركة. أدرك في مرحلة مبكرة أن بريطانيا سوف تصبح مركز الثقل الإمبريالي الأول ، فرحل إليها عام ١٩٠٤م وعمل أستاذاً للكيمياء في جامعة مانشستر. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى عيّن مديراً لمختبرات سلاح البحرية البريطانية حيث ساهم في تطويراكتشاف مادة الأسيتون الحارقة واستخدامها للأغراض الحربية التي ساعدت المجهود الحربي للحلفاء.
يعتبر وايزمان خليفة هرتزل. شارك في المفاوضات الصهيونية البريطانية التي أسفر عنها أول انتصار سياسي دبلوماسي دولي للصهيونية : وعد بلفور ، والذي التزمت بريطانيا بموجبه بتبني فكرة إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين. تولي وايزمان رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية ((الوكالة اليهودية)) بين ١٩٢٠ و ١٩٤٨م باستثناء الفترة الواقعة بين ١٩٣١ و ١٩٣٥م. أيد برنامج مؤتمر بلتمور ١٩٤٢م الذي أعلنت فيه الحركة الصهيونية عن تصميمها على قيام دولة صهيونية في فلسطين دون مواربة ، وعن إعتمادها على الأمبريالية الأمريكية الصاعدة عوضاً عن الأمبريالية البريطانية المنحدرة كدولة حامية=

كمذيب للبارود فلا يطلق دخانا ، وأنه بدون توافر هذا المذيب سيكون من الضروري إجراء تغييرات بعيدة المدى في بنادق البحرية ، وفي تلك اللحظة رسم وايزمان في مخيلته صورة المكاسب التي يمكن أن تجنيها دعوته الصهيونية إذا نجح في الوفاء بطلب الحكومة البريطانية(١) مع ما كان يلعبه الجانب الديني البروتستانتي في عقول وقلوب القادة البريطانيين والأمريكيين بدعوى تحقيق النبوءات التوراتية ، كما سيأتي توضيحه -إن شاء الله- في صفحات قادمة(٢).

فالمخطط الصهيوني كان قائما آنذاك على التوقعات التالية :

١- ضرورة انتصار الحلفاء في الحرب.

٢- وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني بعد انتهاء الحرب.

٣- قيام الحكم المنتدب بتسهيل دخول مليون يهودي أو أكثر إلى فلسطين.

٤- إنهاء الانتداب بعد أن يستتب الأمر لليهود في فلسطين وتتم لهم السيطرة على مقدراتها(٣).

((أسفرت الحرب العالمية الأولى ، مع انتهائها بانتصار الحلفاء سنة ١٩١٨م وما أعقبها من اتفاقيات السلام ، عن رسم خريطة جديدة للعالم ، وظهور دول عدة جديدة ، بعضها حصل على استقلاله ، وبعضها أخضع للسيطرة الإمبريالية ، بشكل أو بآخر. ورجح ميزان القوى العالمي ، عموما ، لصالح الحلفاء بعد أن استطاع بعضهم بسط نفوذه على أراض وشعوب عديدة في آسيا وإفريقيا ، كانت من بينها بلدان المشرق العربي التي كانت خاضعة للحكم العثماني. وفي إطار تحقيق مطامع دول الحلفاء أرسيت أيضا أسس ((الوطن القومي اليهودي)) في فلسطين ، بدأت في اليوم الثاني من تشرين الثاني ((نوفمبر)) ١٩١٧م عندما أصدر وزير الخارجية البريطاني تصريحه المعروف باسم ((تصريح بلفور)) أو ((وعد بلفور)) معلنا فيه أن بريطانيا تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ، حتى كان يوم ٢٩ أيلول ((سبتمبر)) ١٩٢٣م عندما سرى بشكل رسمي ونهائي مفعول صك الانتداب البريطاني على فلسطين الذي تمت صياغته بصورة يظهر معها أن الهدف الأساسي منه هو تسهيل إقامة ذلك الوطن))(٤).

=للمشروع الصهيوني. بذل وايزمان جهوداً كبيرة مع الرئيس الأمريكي ترومان من أجل حصول الصهاينة على النقب في قرار التقسيم. نادى بحتمية الحرب مع العرب. انتخب أول رئيس لدولة إسرائيل عقب إعلانها عام ١٩٤٨م حتى وفاته عام ١٩٥٢م. انظر : موسوعة السياسة ٢٥٤/٧ د.عبدالوهاب المسيري ، و القاموس السياسي ص ١٣٨٢ ، أحمد عطية الله.

(١) تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة د. محمد عبدا لرؤف سليم ٢٥٥/١ وانظر الفصل الرابع من الجزء الأول ((دوافع التقارب البريطاني الصهيوني)) من هذا الكتاب.

(٢) انظر من ص ٢٢٢ من هذا البحث.

(٣) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص٧١ ، والمنظمة الصهيونية العالمية د. أسعد عبدالرحمن ص٧١.

(٤) تاريخ الصهيونية صبري جرجس ٢ / ١٥.

ذلك الوعد الذي قطعه آرثرجيمس بلفور لليهود بإعطائهم فلسطين ، وأرسل رسالة به إلى المليونير اليهودي اللورد روتشيلد ، ينم عن خلفية توراتية دينية لكل من رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج ووزير خارجيته ((صاحب الوعد)) آثر جيمس بلفور. وكذا للرئيس الأمريكي وودر ولسون الذي صادق على ذلك الوعد ، وهذا ما سيأتي توضيحه إن شاء الله[1].

والحركة الصهيونية لم تنجح في إقامة كيان لها في فلسطين بسبب قوة نشاطها في العمل السياسي والعلاقات الدولية ، وإيمان بعض القادة في الدول النصرانية بضرورة قيام هذا الكيان من الناحية العقائدية ((كإصدار وعد بلفور)) فحسب ، ولكن نجاحها يرجع في المرتبة الأولى إلى سقوط الخلافة الإسلامية في تركيا ، حيث أن هذه الخطط والوعود لم تترجم إلى واقع إلا بعد دخول القائد البريطاني اللنبي مدينة القدس من باب الخليل ، وقال عبارته المشهورة : ((الآن انتهت الحروب الصليبية))[2].

وللأسف ، كما أنه كان ليهود الدونمة في تركيا ، واهتزاز الشخصيات القيادية المسلمة في السلطة، دور في إسقاط الخلافة ، كذلك فإن الثورة العربية التي لم تقم باسم الإسلام ولا على أساس النظر إلى المصلحة الإسلامية ، ولكن باسم ذلك المبدأ الدخيل على مركز الأمة الإسلامية ((الجزيرة والعراق والشام ومصر وسائر المنطقة)) وهو الشعار الصنم ((القومية العربية)) ؛ كان لها دور في إسقاط الخلافة الإسلامية في تركيا، التي لم تتجرأ لا الحركة الصهيونية بكل اقتصادياتها وعلاقاتها، ولا الدول الغربية بكل عساكرها وأسلحتها أن تفكر جادة في تحويل فلسطين والقدس من الحظيرة الإسلامية إلى الحظيرة اليهودية أو النصرانية ، في ظل وجود الخلافة الإسلامية العثمانية، حتى وهي تسمى من قِبَلِهم ((الرجل المريض)). ولما سقطت كان ما كان.

يكشف لورانس عن حقيقة الثورة العربية : ((لم أجد لدى العرب سوى أثر ضعيف للتعصب الديني ، فقد رفض الشريف حسين مرات عديدة أن يصبغ ثورته بالطابع الديني فحقيقة ثورته كانت قومية.

---

(١) انظر من ص ٢٥٠ ـــ ٢٥٩ من هذا البحث.

(٢) يقول عبد الله التل : ((والجنرال اللنبي الذي ظن أنه ينتقم لهزيمة حطين ويسترد سلطة الصليب على بيت المقدس كان جاهلا لا يدري أنه آلة صغيرة في الجهاز الكبير الذي تسيره اليهودية العالمية لتحقيق أهدافها الجهنمية الخطيرة إذ لم تكد تمضي بضعة أشهر على حكم الانتداب البريطاني على فلسطين حتى أصبح واضحا أن حكومة الانتداب مجندة لخدمة اليهود وتسهيل عملية استيلائهم على مرافق فلسطين لتحويلها إلى دولة يهودية لا مكان فيها لهلال أو صليب)) خطر اليهوديه العالمية ص ٢٣٠-٢٣١.

والعشائر كانت تدرك أن الأتراك من المسلمين ، وأن الإنكليز مسيحيون ، ولكن بالرغم من ذلك فقد ثاروا على الأتراك ، وارتضوا صداقة المسيحيين ومحالفتهم))[١].

تولى الجنرال أدموند اللنبي، قيادة الحملة البريطانية المتجهة من مصر إلى فلسطين في يونيه ١٩١٧م، وبهذا دخلت فلسطين في طور جديد. ولم يحل الحادي عشر من ديسمبر ١٩١٧م إلا والأقاليم الواقعة جنوبي خط يافا-القدس ((القسم الجنوبي من فلسطين)) تحت الحكم العسكري البريطاني. أما القسم الشمالي من فلسطين ، فظل خاضعاً للحكم العثماني حتى أواخر سبتمبر ١٩١٨م حينما دخلت القوات البريطانية نابلس في ٢٠ من سنتمبر ، وحيفا وعكا في ٢٣ من الشهر المذكور[٢].

وبعد خضوع القسم الجنوبي من فلسطين للحكم العسكري البريطاني ، أرسلت بريطانيا في نيسان ((أبريل)) ١٩١٨م بعثة صهيونية بقيادة د. وايزمان وعضوية ممثلين من يهود أوروبا إلى فلسطين ، للقيام بدراسة الأوضاع العامة فيها وتحسين أوضاع المستوطنين اليهود هناك ، والذين قدر عددهم بحوالي خمسين ألفاً ، ووضع الخطط العلمية التي تتمشى مع تصريح بلفور ، وإرساء الأسس الكفيلة بإقامة الوطن اليهودي في فلسطين[٣]. واستطاعت بريطانيا والحلفاء في مؤتمر سان ريمو ((أبريل ١٩٢٠م))[٤] -وصدق على قراراته في معاهدة سيفر-[٥] ، انتزاع صك رسمي من

---

(١) فكرة القومية العربية ، ص ١٣٣ د. صالح بن عبدالله العبود.

(٢) فلسطين والانتداب البريطاني ، د. كامل محمود خلة ، ص ٦٣.

(٣) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص ٧٤ ، وفلسطين والانتداب البريطاني د. كامل محمود خلة ص٩٠، والقضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني ، رئيس التحرير وليد الخالدي ٣٨٢/١ ، وسياسة الاستعمار والصهيونية ، د. حسن الخولي ٢٦٠/١ ، وفلسطين في ضوء الحق والعدل ، هنري كتن ص١٨.

(٤) مؤتمر سان ريمو : (سان ريمو) قرية إيطالية على ساحل الريفييرا، عقد فيها في أبريل (نيسان) ١٩٢٠م، مؤتمر بين الدول الحلفاء الغربيين واليابان المنتصرين على ألمانيا وتركيا في الحرب العالمية الأولى، لبحث مصير السلطة العثمانية ورسم معالم معاهدة صلح مع تركيا ولتقاسم الأقاليم التي كانت خاضعة لها وخاصة المشرق العربي. وفرض انتداب الدول الحلفاء عليها. وقد سعت الصهيونية سعياً حثيثاً لدى الحلفاء لكي تكون بريطانيا هي الدولة المنتدبة على فلسطين فهي الدولة ذات العلاقة القوية مع الصهيونيين. وهي الدولة التي أصدرت وعد بلفور وهي القوة الأجنبية الرئيسية حين ذاك في منطقة الشرق العربي والتي تستطيع أن تحول ذلك الوعد إلى حقيقة مجسدة بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. انظر : موسوعة السياسة ١٠٧/٣ ، وسياسة الاستعمار والصهيونية ٤٠٦/١ ، وتاريخ الصهيونية صبري جرجس ٣٧/٢ ، وفلسطين والانتداب البريطاني د.كامل خلة ص١٢٣.

(٥) معاهدة سيفر: (سيفر) مدينة على نهر السين في فرنسا ، وهناك في ١٠ من أغسطس (١٩٢٠م) حصل التوقيع على ما جاء في مؤتمر سان ريمو ، وأقر فيه إدخال تصريح بلفورفي صك الانتداب البريطاني على فلسطين والعمل على تنفيذه. وتعرضت هذه المعاهدة أيضاً لوضعية باقي الدول مثل أرمينيا وكردستان وجز بحر إيجه وتونس والسودان وليبيا وغيرها.=

الحكومة التركية -المنهزمة- تعترف فيه بسلخ فلسطين وسائر الأقاليم العربية عنها ، وتسليمها للحلفاء الذين قسموا هذه المناطق فيما بينهم ، خاصة بين بريطانيا وفرنسا ، وطبقوا فيها معاهدة سايكس- بيكو[١] القديمة والسرية في مايو ١٩١٦ م ، فدخلت فلسطين والعراق تحت انتداب بريطانيا ((باسم الدولة المنتدبة))[٢] بصفة دولية معترف بها -شرعية زائفة- من قبل عصبة الأمم.

جاء قرار الانتداب البريطاني على فلسطين -بموافقة عصبة الأمم- متضمناً إدراج تصريح بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين في المادة ((٩٥)) من معاهدةسيفر. ((أما فيما يختص بفلسطين فقد نصت هذه المادة على أن يعهد بإدارة فلسطين -عملاً بأحكام المادة ٢٢ من ميثاق العصبة- إلى دولة منتدبة تختارها الدول الكـــبرى المتحالفة ، وأن تكون هذه الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ تصريح بلفور الذي أصدرته الحكومة البريطانية في الأصل بتاريخ ٢ من نوفمبر ١٩١٧ م ، وأقرته دول الحلفاء الأخرى من أجل إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين المحتلة)) [٣].

((وبذلك أصبح الوعد ((التزاماً دولياً)) ، وجب على بريطانيا أن تقوم بتنفيذه))[٤].

فأعلنت بريطانيا ، بعد اختيارها دولة منتدبة على فلسطين ، في ٢٤ نيسان ((أبريل)) ١٩٢٠ م إلغاء الحكم العسكري في البلد ، واستبدال إدارة مدنية به ، ابتداءً من الأول من تموز ((يوليو)) من السنة ذاتها[٥] ، حتى تستطيع أن تقوم بتنفيذ التزامها الدولي. وشاركها في الوصول إلى هذا الموقف الحركة الصهيونية عالمياً ، وعمل البعثة الصهيونية في فلسطين[٦].

=انظر : سياسة الاستعمار والصهيونية د. حسن الخولي ٤٢٦/١ ، وفلسطين والانتداب البريطاني ص١٢٣ ، والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص ٧٨.

(١) معاهدة سايكس بيكو انظر ص ٢٠ من هذا البحث.

(٢) الانتداب : نظام سياسي مؤقت استحدث بعد الحرب العالمية الأولى ، ونص عليه ميثاق عصبة الأمم عام ١٩١٩ م ، وهو تكليف دولة تدعى الدولة المنتدبة بمساعدة البلدان الضعيفة المتأخرة على النهوض وتدريبها على الحكم حتى تصبح قادرة على أن تستقل وتحكم نفسها بنفسها. وينتهي الانتداب ، إما بحصول الإقليم المنتدب عليه على استقلاله ، أو بتنازل الدولة المنتدبة عن مهمة الانتداب ، أو بإقالة هذه الدولة وإعفائها من مهمتها من قبل مجلس العصبة. انظر : القاموس السياسي ، أحمد عطية الله ص١٣٠ ، وموسوعة السياسة د. عبدالوهاب الكيالي ٣٤٢/١.

(٣) سياسة الاستعمار والصهيونية ٤٢٦/١ ، وفلسطين والانتداب البريطاني ص١٢٤ .

(٤) فلسطين والانتداب البريطاني د. كامل خلة ص١٢٥.

(٥) تاريخ الصهيونية ، صبري جرجس ٢/ ٤٤.

(٦) فلسطين والانتداب البريطاني د. كامل خلة ص١٢٦.

عينت بريطانيا المندوب السامي الأول لها في فلسطين : ((هربرت صموئيل))[1] الوزير اليهودي الصهيوني في الحكومة البريطانية.

يقول صموئيل : ((عينتني حكومة صاحب الجلالة وهي على بينة تامة بميولي الصهيونية ، وبلا شك فإن تلك الميول كانت سبباً أساسياً)) [2].

ويؤكد وايزمان أن ((قدوم هربرت صموئيل إلى فلسطين كأول مندوب سام يمثل ختام فصل هام في الصهيونية السياسية ، وبداية لعهد جديد تمثل في اتساع النفوذ اليهودي في فلسطين))[3].

فبدأ هذا المندوب الصهيوني يعمل جاداً ، وبصفة رسمية ، لتهويد فلسطين تحت حماية المظلة الدولية لمواد صك الانتداب.

فالمادة الثانية تنص على أن ((تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي))[4].

وقررت المادة الرابعة ، جعل الوكالة اليهودية عنصراً رسمياً من عناصر الحكم في فلسطين ، وأضفت عليها الطابع القانوني، فجاء فيها، يجب أن ((يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين، ولتساعد ولتشترك في ترقية البلاد ، على أن يكون ذلك خاضعاً دواماً لمراقبة الإدارة. ويعترف بالمنظمة الصهيونية كوكالة ملائمة ، مادامت الدولة المنتدبة ترى أن تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض ، ويترتب على المنظمة الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد

---

(١) هربرت لويس صموئيل : سياسي بريطاني يهودي صهيوني ، أول مندوب سام بريطاني في فلسطين ، ولد بمدينة ليفربول عام ١٨٧٠م لعائلة يهودية عريقة في عالم المال والتجارة. كان أول وزير يهودي في بريطانيا تبنى الفكرة الصهيونية عام ١٩١٤م ، وفي عام ١٩١٥م قدم مذكرة للوزارة البريطانية حول إمكانية إنشاء دولة يهودية في فلسطين عن طريق تحويل فلسطين إلى محمية بريطانية ، وساهم في إصدار وعد بلفور. زاد في عهده عدد المستوطنات اليهودية من ٤٤ إلى أكثر من ١٠٠ مستوطنة. له مؤلفات منها ((الحرب والحرية)) و ((شجرة الخير والشر)). توفي عام ١٩٦٣م. انظر : موسوعة السياسة ٣ / ٦٤٥ د. عبدالوهاب الكيالي ، و القاموس السياسي ص ٧٢٦-٧٢٧ أحمد عطية الله.

(٢) مذكرات هربرت صموئيل ص ١٦٨.

(٣) مذكرات وايزمان ص ٣٢٦.

(٤) سياسة الاستعمار والصهيونية د.حسن الخولي ٤٣٤/١ ، ونشاط الوكالة اليهودية د.محمد عبد الرؤوف سليم ص ١١٥، والمنظمة الصهيونية العالمية د. اسعد عبدالرحمن ص ٨٣ ، وفلسطين والانتداب البريطاني د. كامل خلة ص١٦٦ ، وجهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، صالح أبو يصير ص١١٣.

استشارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية للحصول على معونة اليهود الذين يبغون المساعدة في إنشاء الوطن اليهودي))[1].

أما المادة السادسة ، فقد قررت أن ((على إدارة فلسطين أن تتعاون مع الوكالة اليهودية في أمرين ، أولهما : تسهيل هجرة اليهود إلى البلاد في أحوال ملائمة. وثانيهما : تشجيع حشد اليهود في الأراضي الأميرية والأراضي الموات غير المطلوبة للأغراض العامة))[2].

ونصت المادة الحادية عشرة على أنه يمكن لإدارة البلاد أن تتفق مع الوكالة اليهودية على قيامها بإنشاء أو تسيير دفة العمل في الأشغال والمصالح العامة، وترقية مرافق البلاد الطبيعية[3].

وقد نمت الوكالة اليهودية حتى أصبحت حكومة داخل حكومة الانتداب ، حتى شمل نشاطها جميع مرافق الحياة ، ولم ينقصها إلا عنصر السيادة لكي تصبح دولة ، فكان لها جيش وميزانية وجهاز إداري ، وباشرت أعمال الحكومات من سياسة خارجية ، وتدريب للمهاجرين وإعدادهم للهجرة ، وبناء المستعمرات الزراعية ، وشراء الأرض ، والدعاية ، والإحصاء ، والصناعة ، والتعليم ، وجهاز مخابرات. وعند إعلان الدولة الصهيونية أصبح الجهاز التنفيذي للوكالة مجلس وزراء وجهازها الإداري أصبح جهاز الحكومة. أما رئيسها بن غوريون[4] فأصبح

---

(١) المراجع السابقة : د. الخولي ٤٣٤/١ ، و د. سليم ص٢٢ ، و د. اسعد عبد الرحمن ص٩٢ ، و د. خلقص ١٦٧ ، وأبو يصير ص١١٣.

(٢) المراجع السابقة.

(٣) نشاط الوكالة اليهودية ص٢٢ ، و سياسة الاستعمار والصهيونية ٤٣٥/١.

(٤) دافيد بن غوريون : زعيم صهيوني ، وعالم توراتي ، ورئيس وزراء سابق في إسرائيل ، كان اسمه دافيد غرين ثم غيره فيما بعد إلى بن غوريون أي ((ابن الشبل)) ، ولد في سنة ١٨٨٦م في بولندا في بلدة بولنسك ، درس التوراة والتلمود في المدارس الحاخامية وسمع عن ظهور ((الماشيخ المخلص)) في شخصية تيودور هرتزل. بدأ بن غوريون نشاطه الصهيوني في عام ١٩٠٢م وهـــو في سن الرابعة عشرة ، إذ كان أبوه عضواً في جماعة ((أحباء صهيون)). هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٦م ، وأخذ يؤكد على مركزية المستوطنين الصهيونيين ، والعمل في فلسطين ، وإحياء اللغة العبرية بين اليهود.

وفي عام ١٩١٢م إلتحق بن غوريون بجامعة استانبول لدراسة القانون. ساهم في تكوين الفيلق اليهودي في الجيش البريطاني في أثناء الحرب العالمية الأولى ، وعاد معه إلى فلسطين في عام ١٩١٨م. ساهم في تأسيس ((الهستدروت))، وتولى رئاستها من عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٣٢م ، كما انتخب عضواً في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية عام ١٩٣٧م ، وفي عام ١٩٤٢ تبنت المنظمة الصهيونية العالمية بمبادرة من بن غوريون برنامج بلتمور الذي كان هدفه المعلن هو إنشاء دولة إسرائيل. في عام ١٩٤٨م أعلن قيام الدولة اليهودية بنفسه ونصح بعدم الإشارة إلى حدود الدولة نظراً للفكرة التوسعية التوراتية. لعب بن غوريون دوراً رئيسياً في بلورة الفكر الصهيوني اليهودي في فلسطين. آمن بن غوريون بتفوق الشعب اليهودي ، وبالتوسعية التوراتية ، وبأن الجيش اليهودي خير مفسر لها ، وبضرورة طرد العرب من فلسطين ، كما أن فكره يعج بالأحلام العنصرية. توفى بن غوريون عام ١٩٧٣م. انظر : موسوعة السياسة ٥٧٣/١ د. عبدالوهاب الكيالي ، و موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٠٦ د. عبدالوهاب المسيري.

رئيساً للوزراء ، وصار موشي شاريت[1] المسؤول عن القسم السياسي والخارجي وزيراً للخارجية[2].

ومن الواضح أن أبرز وأهم وسائل التهويد هي الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وما نتج عن ذلك من تحول ديمغرافي للسكان ، وتملك اليهود للأراضي[3].

فاستمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين عامل أساسي في تطور المشروع الصهيوني ، كما أنه يشكل قوة الدفع الرئيسية للحركة الصهيونية ككل.

وقد عملت بريطانيا على إكساب الهجرة اليهودية إلى فلسطين الصفة القانونية ، حتى قبل أن تقر عصبة الأمم الانتداب البريطاني على فلسطين عام ١٩٢٢م ، وكان أول قانون تم صدوره في ١٩٢٠/٨/٢٦م يعطي المندوب السامي البريطاني حق تحديد عدد المهاجرين[4].

وارتفع عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين وفقاً لإحصائيات الوكالة اليهودية من ((٥٥٣ ، ٩)) مهاجراً عام ١٩٣٢ إلى ((٣٢٧ ، ٣٠)) مهاجراً في العام التالي[5].

وكان المتوسط الشهري للهجرة ((٥٠٠ ، ٣)) في نهاية عام ١٩٣٣م ، ((٥٠٠ ، ٢)) في النصف الأول من العام التالي ، ((٥٠٠ ، ٤)) في نصفه الثاني[6].

وبلغ عدد المهاجرين من اليهود فيما بين سبتمبر ١٩٣٩م وديسمبر ١٩٤٥م حوالي ٦٢٥٢٣ يهودياً[7].

ومع استمرار ارتفاع عدد اليهود في فلسطين ازدادت أيضاً إمكاناتهم المالية. فقد كان اليهود، وخاصة من أوروبا الشرقية، يأتون معهم برؤوس أموالهم إلى فلسطين. وقدّر أن مجموع

---

(١) موشى شاريت : زعيم صهيوني ، ومن قادة الدولة الصهيونية في مراحل ولادتها. ولد في روسيا عام ١٨٩٤م ، وهاجر إلى فلسطين وهو طفل ، ولكنه ما لبث أن عاد إلى روسيا ، وفي عام ١٩٠٦م عاد إلى فلسطين مع أسرته واستقر فيها حيث تعلم العربية. سافر إلى استانبول ودرس فيها القانون ثم التحق بالجيش التركي في أثناء الحرب العالمية الأولى. وفي عام ١٩٢٠م سافر إلى لندن ومارس نشاطه الصهيوني من خلال المنظمات الصهيونية هناك. وفي عام ١٩٣١م ترأس الدائرة السياسية بالوكالة اليهودية حتى عام ١٩٤٨م حين عيّن وزيراً للخارجية للدولة اليهودية. كان من المطالبين منذ البداية بطلب تعويضات من ألمانيا الغربية. توفى عام ١٩٦٥م. المرجعان السابقان : الأول ٤٢٩/٣ د.الكيالي ، والثاني ص٢٢٣ د.المسيري.

(٢) المرجعان السابقان : الأول ، د. الكيالي ٣١٣/٧ ، والثاني ، د. المسيري ص٤٣٣.

(٣) الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية د. إسماعيل ياغي ص ٦٣.

(٤) النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) د. عبدالرحيم أحمد حسين ص٧٤.

(٥) نشاط الوكالة اليهودية ص ١٦٣.

(٦) المرجع السابق ص ١٧٥.

(٧) النشاط الصهيوني د. عبدالرحيم حسين ص ١٠٦.

الأموال التي وظفها اليهود في فلسطين خلال السنوات ((١٩٣٢-١٩٣٥م)) بنحو ٣١ مليون ليرة فلسطينية، صُرف نحو نصفها على البناء والأعمال العامة[١].

ومما لاشك فيه أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين وفرت العنصر البشري اللازم لعملية الاستيطان ، فبالقدر الذي تتوافر فيه أعداد كبيرة من المهاجرين يمكن توسيع رقعة الاستيطان[٢].

فبينما لم يكن عدد اليهود في فلسطين يتجاوز ((٢٤٠٠٠)) نسمة سنة ١٨٨٢م يملكون حوالي ((٢٥,٠٠٠)) دونـــم ، أي أقل من ((١%)) من مساحة فلسطين ، ارتفع هـــذا العدد إلى ((٨٧ ، ٧٩٠)) سنة ١٩٢١ م أي حوالي ((٨ %)) من سكان فلسطين ويملكون ((٦٥٠٠٠)) دونم تمثل ((٥ ، ٢ %)) من الأراضي الفلسطينية ، وقد ارتفع هذا العدد وبمساعدة الجهود البريطانية حين انتهاء فترة الانتداب سنة ١٩٤٨ م إلى ((٠٠٠ ، ٦٥٠)) نسمة يمثلون حوالي ثلث سكان فلسطين، ويملكون حوالي ((٠٠٠، ٧٥٠ ، ٢)) دونم تمثل ((٨ %)) من الأراضي الفلسطينية[٣].

وقد شكلت مساحة الأراضي الزراعية التي يملكها اليهود حوالي ((٢٠ %)) من مجموع الأراضي الزراعية في تلك الفترة ، وهي تمثل أهم وأخصب الأراضي الزراعية في فلسطين[٤].

النقطة الثالثة : إعلان قيام الدولة اليهودية:

حققت بريطانيا هدفها في تقوية اليهود في فلسطين من الناحية العددية بواسطة دخول أعداد غفيرة منهم إلى فلسطين ، ومن الناحية العسكرية بتوفير السلاح لهم ، وخاصة من خلال الحرب العالمية الثانية ((١٩٣٩م - ١٩٤٥م)).

((وفي سنوات الحرب حصل اليهود في فلسطين على السلاح ، تسلموه من الإنجليز وبواسطة استيراده من الخارج بموافقة السلطات البريطانية الحاكمة. وزاد الطين بله تشكيل فيلق يهودي يخدم مع قوات الحلفاء تحت إشراف القيادة البريطانية. وحينما انتهت الحرب سرح الفيلق واحتفظ كل فرد من أفراده بسلاحه هدية من الجيش البريطاني))[٥].

---

(١) تاريخ الصهيونية ، صبري جرجس ٢/ ٢٧٥ ، ٢٧٦.

(٢) الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين بين النظرية والتطبيق د. نظام بركات ص٢٩.

(٣) المرجع السابق ص ٣٥.

(٤) المرجع السابق ص ٣٦.

(٥) خطر اليهودية العالمية ، عبد الله التل ، ص٢٨٣.

ولكي تكرس بريطانيا جهودها لتحقيق هذه السياسة ، أخذت تخطط لعزل المناطق التي يسكنها اليهود عن المناطق التي يسكنها العرب[1] ، للإيفاء بوعودها بإنشاء وطن لليهود في فلسطين والمحافظة على أمنهم وسلامتهم.

ولكن اليهود ، ولاستعجالهم في إقامة دولتهم على أرض فلسطين ، استبطئوا عمل الحكومة البريطانية وتأخرها في إعلان قيام دولتهم منذ صدور وعد بلفور١٩١٧م إلى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ م ، فعملوا جاهدين للبحث عن حليف بروتستانتي -مغفل- له قوة عالمية ، خاصة أن القوة البريطانية بدأت بالضعف والانهيار ، تمنيه بعقيدته في عودة المسيح المنتظر ، وتصب عليه من الأموال اليهودية التي تجعله يخضع ذليلاً لها بلا حراك.

فوجدت اليهودية العالمية ضالتها في أمريكا -المركوب الجديد الصالح للركوب بالكلية ، بعدما كان ركوبه جزئياً- خاصة أن ميزان القوى العالمية بعد الحرب العالمية تغير وأصبح يصب في مصلحة القوة الجديدة ((أمريكا)) وبذلك انتقل مركز الثقل الصهيوني إليها.

((وظهر نشاط الصهيونية وتأثيرها في الدوائر الرسمية الأمريكية حين بعث ترومان في ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٥م إلى رئيس وزراء بريطانيا ((أتلي)) يؤيد فتح أبواب فلسطين لليهود النازحين من ألمانيا، ويؤيد الاقتراح الخاص بهجرة مائة ألف يهودي إليها ، وفي ١٣ نوفمبر من العام نفسه أدلى وزير خارجية بريطانيا ((بيفن)) ببيان يدعو فيه الولايات المتحدة إلى الاشتراك في حل القضية الفلسطينية ، وبهذا أخذت الولايات المتحدة الأمريكية على عاتقها مسئولية حل مشكلة فلسطين جنباً إلى جنب مع بريطانيا))[2].

ومن المؤكد أن التصعيد الإرهابي اليهودي ، وتسخير سياسة الولايات المتحدة الأمريكية للأغراض الصهيونية ، خاصة ، على يد الرئيس الأمريكي ترومان ، قد أسهما إلى حد بعيد في حمل بريطانيا في مطلع سنة ١٩٤٧م على إحالة القضية الفلسطينية على هيئة الأمم المتحدة. لما في ذلك من إضفاء طابع الاعتراف الدولي على المكاسب والمطالب الصهيونية التي حققتها والتي تنوي تحقيقها[3].

قدمت بريطانيا في ٢ نيسان ((أبريل)) سنة ١٩٤٧م ، مذكرة إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة أعلنت فيها عن نيتها في التخلي عن الانتداب ، وطلبت إدرج القضية الفلسطينية في جدول أعمال الجمعية العامة للهيئة.

---

(١) تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة ، علي كاشف الغطاء ، ص١١.

(٢) الصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ١٠٦ ، وخطر اليهودية العالمية ص ٢٨٧ ، والسياسة الدولية وفلسطين ص ٢٨٤.

(٣) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، ص ٩٦.

فعقدت الجمعية العامة دورة خاصة استمرت من ٢٨ أبريل حتى ١٥ مايو ١٩٤٧ م بحثت خلالها القضية الفلسطينية وأقرت تشكيل لجنة تحقيق تقوم بزيارة فلسطين وتعد تقريراً عن الوضع فيها يقدم إلى الجمعية العامة في دورتها في أيلول ((سبتمبر)) ١٩٤٧م ، لتتخذ في ضوئه قراراً نهائياً بشـأن القضية الفلسطينية. ((وقد بدا منذ الوهلة الأولى تأييد هذه اللجنة الموفدة إلى فلسطين للمطامع الصهيونية ، حيث ربطوا مشكلة اليهود المشردين في أوروبا بقضية فلسطين))[1].

وخرج تقرير اللجنة متضمناً لأمور ، من أهمها :

١) إنها ء الانتداب البريطاني في أقرب وقت ممكن عملياً.

٢) المحافظة على الأماكن المقدسة وضمان حرية الدخول إليها لأجل العبادة.

٣) تقوم الجمعية العامة للأمم المتحدة ببذل المساعي الفورية لإعداد اتفاق دولي بصورة عاجلة لمعالجة مشكلة اليهود الأوروبيين المشردين الذين يقيمون في معسكرات اللاجئين ، لتحسين حالتهم بسرعة ، للتخفيف من حدة المشكلة الفلسطينية[2].

لكن التوصية الحاسمة التي قدمتها اللجنة في تقريرها هي بشأن النظام السياسي في فلسطين ، وهو عبارة عن مشروعين ، عرف أحدهما بمشروع الأغلبية ، والثاني بمشروع الأقلية من أعضاء هذه اللجنة. فانقسمت اللجنة بذلـك إلى قسمين. فقد اقترحت الأغلبية من أعضائها ، تقسيم فلسطين إلى دولة عربية ودولة يهودية وتوضع منطقة القدس وحدها تحت نظام وصاية دولية. واقترحت الأقلية من الأعضاء قيام دولة اتحادية تؤلف من قسمين ، القسم العربي والقسم اليهودي، لكل منهما حكومة ذات سلطات محلية فقط[3].

وتقسّم أراضي فلسطين بين الدولتين اللتين اقترحتهما اللجنة ، كما يلي :

الدولة العربية : تتألف من منطقة الجليل الغربية ومنطقة السامرة ((نابلس)) الجبلية ، باستثناء القدس، ومنطقة السهل الساحلي الممتد من أشدود في الجنوب إلى الحدود المصرية. وقد اقترح فيما بعد أن تضم مدينة يافا ، نظراً لأن غالبية سكانها من العرب.

الدولة اليهودية : تتألف من منطقة الجليل الشرقية ومرج بني عامر والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بئر السبع التي تضم النقب.

وتضمن التقرير قيام بريطانيا بإدارة الحكم في فلسطين تحت إشراف الأمم المتحدة ، في أثناء فترة الانتقال ، على أن تقوم بريطانيا بقبول ((١٥٠)) ألف مهاجر في الدولة اليهودية المقترح

---

(١) الصهيونية وربيبتها إسرائيل ، ص ١١٠.

(٢) تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة ، ص ١٣ ، ١٤ ، ٣٦ ، ٣٧.

(٣) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص ٩٧ ، وتقسيم فلسطين في الأمم المتحدة ص ٣٩ ، ٤٠.

إنشاؤها ، بمعدل خمسة آلاف مهاجر كل شهر ، ينتخب ((٣٠)) ألف مهاجر منهم لدخول فلسطين لأسباب إنسانية ، وإذا أصبح من الواجب أن تدوم المرحلة الانتقالية أكثر من سنتين فيحدد عدد المهاجرين بــ((٦٠)) ألف مهاجر في السنة الواحدة ، وتكون الوكالة اليهودية مسئولة عن انتقاء المهاجرين اليهود[١].

ورأت الصهيونية في التقسيم خطوة حاسمة ، تتيح لها الاستفادة من الحصانة الدولية ، وتؤمن لها سبيل الاعتراف عن طريق هيئة الأمم المتحدة.

كما أن الضغط الصهيوني على ممثلي الدول الأعضاء في هيئة الأمم آنذاك ، كان يهدف في الدرجة الأولى إلى ضمان إقرار مشروع التقسيم الذي أعطى الأقلية اليهودية في فلسطين أكثر مما لها بكثير. لذلك ركز الصهيونيون جهودهم في الميدان الدولي على تأليب أكثرية الدول الأعضاء في هيئة الأمم للتصويت إلى جانب التقسيم[٢].

وجرى التصويت في النهاية في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٧ م على مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية ، وأحيلت هذه التوصية إلـى الجمعيـة العامة في الأمم المتحدة.

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ اجتمعت الجمعية العامة ، بكامل هيئتها وأجرت التصويت على مشروع التقسيم المقدم من اللجنة الخاصة ، فحظي بأغلبية عظمى بالموافقة من الدول الأعضاء. ولم يعارض المشروع إلا الدول الإسلامية وبعض الدول التي غالبية سكانها من المسلمين، ولم يتجاوز عددهم في هيئة الأمم إحدى عشرة دولة[٣].

وفي يوم ١٤ من آيار ((مايو)) ١٩٤٨ م أعلنت الحكومة البريطانية انتهاء انتدابها على فلسطين رسمياً.

تركت بريطانيا فلسطين دون أن تترك في البلاد سلطة من أي نوع ، ولم تكن للعرب في فلسطين، في ذلك الوقت ، حكومة أو جيش أو حتى أسلحة ، وكانت مدنهم مكشوفة وقراهم خالية من كل وسائل الدفاع ، وكان الجانب اليهودي مختلفاً عن ذلك تماماً[٤].

أخذت القوات البريطانية تجلو بطريقة تساعد اليهود على تثبيت أقدامهم في المدن الكبرى ، وفي القبض على زمام الأمر فيها بالاستيلاء على المطارات والمرافق العسكرية الأخرى والمنشآت

---

(١) تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة ص ٤١-٤٣ ، والصهيونية وربيبتها إسرائيل ، ص ١١١.

(٢) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص ٩٧.

(٣) تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة ص ٨٥-٨٨.

(٤) القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي د. ربابعة ص ٦٩.

الهامة ، فقد كانت تجلو أولاً من الأحياء العربية في تلك المدن ، لتمكن اليهود من احتلالها ، وتمنع في الوقت نفسه دخول أي إمدادات عربية إليها[1].

وفي تلك الليلة نفسها المحددة لإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين أعلن دافيد بن غوريون، قيام الدولة اليهودية وسميت بـــ((إسرائيل)).

وبعد دقائق من قيام الدولة اليهودية، وقبل أن تطلب هي نفسها من أمريكا الاعتراف بها ، اعترفت بها أمريكا، ومن بعدها الاتحاد السوفيتي ، ومن ثم توالت الاعترافات بها، خاصة من الحكومات الأوروبية.

وفي ٣ مارس ١٩٤٩م وافقت الأمم المتحدة على عضوية هذه الدولة بها[2].

---

(١) الصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ١١٦.

(٢) وكما كان للغربيين دور عظيم في وجود دولة يهودية في فلسطين ، فإن دور الشيوعية لا يقل عنهم أهمية في وجود هذه الدولة الدعية.

انظر في ذلك : موسكو وإسرائيل ، د. عمر حليق ، والتاريخ السري للعلاقات الشيوعية والصهيونية ، نهاد الغادري ، والشيوعية الغربية وقضية فلسطين ، د. عدنان العمد ، وحقيقة المواقف الشيوعية من القضية الفلسطينية ، عابد سليمان المشوخي.

الباب الأول : الوعد في أسفارهم

ويشمل ثلاثة فصول.

الفصل الأول : التعريف بهذا الأسفار.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أسفار التوراة والعهد القديم.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بهذه الأسفار.

المطلب الثاني : أهم تراجم هذه الأسفار.

المبحث الثاني : التلمود.

الفصل الثاني : نصوص هذا الوعد ودراستها.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الوعد الإلهي عند اليهود وما يحتويه.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تحديد هذا الوعد من أسفار العهد القديم.

المطلب الثاني : ما يحتويه هذا الوعد.

المبحث الثاني : الصهيونية والوعد.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالصهيونية.

المطلب الثاني : الصهيونية واليهودية.

المطلب الثالث : هل الصهيونية تحقيق للوعد المزعوم ؟.

الفصل الثالث : موقف النصرانية من هذه النصوص ، وأثره.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : موقف الكنيسة الكاثوليكية.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الموقف العدائي لليهود.

المطلب الثاني : ما حصل في هذا الموقف من تغيير.

المبحث الثاني : موقف الكنيسة البروتستانتية.

المبحث الثالث : أثر هذه المواقف على إنشاء دولة اليهود الحالية على أرض فلسطين المسلمة.

الفصل الأول : التعريف بهذه الأسفار

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : أسفار التوراة والعهد القديم

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بهذه الأسفار

المطلب الثاني : أهم تراجم هذه الأسفار

المبحث الثاني : التلمود

المبحث الأول : أسفار التوراة والعهد القديم[1] وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بهذه الأسفار

يشمل الكتاب المقدس The Bible : (العهد القديم والعهد الجديد) ، فأسفار العهد القديم (العتيق) أطلقت على أسفار اليهود (التوراة وهي الأسفار الموسوية وغيرها من الأسفار) ، وهذه الأسفار هي المرجع المقدس الذي يحرص الإسرائيليون على أن يستخرجوا من نصوصه وتأويلاته ما يؤيد مطامعهم في أرض فلسطين ، ومن أجل ذلك كان من اللازم التعرف على هذه الأسفار بالقدر الذي يجعلنا على بينة من أمرها.

أطلق اسم العهد القديم (العتيق) على أسفار اليهود في العصور المسيحية ، للتفرقة بينه وبين ما اعتمده النصارى من أسفارهم التي أطلقوا عليها اسم العهد الجديد. وقيل إن أول من أطلق تسمية العهد القديم (العتيق) على أسفار اليهود هو بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس الثانية ((بل أعميت بصائرهم لأن ذلك البرقع نفسه باق إلى يومنا هذا غير مكشوف عند قراءة العهد العتيق))[2] [3] ، وقيل بل أطلق هذه التسمية ملتيس أسقف ساردس وذلك عام ١٨٠م[4] ويراد بكلمة العهد في هاتين التسميتين (العهد القديم والعهد الجديد) ما يرادف معنى الميثاق ، أي أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه ، فأولاهما تمثل ميثاقا قديما من عهد موسى عليه السلام ، والأخرى تمثل ميثاقا جديدا من عهد عيسى عليه السلام[5].

يقول الشيخ رحمت الله الهندي : ((اعلم أنهم يقسمون الكتب إلى قسمين : قسم يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين قبل عيسى عليه السلام ، وقسم منها يدعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام ، فمجموع الكتب من القسم الأول يسمى بالعهد العتيق ، ومن القسم الثاني بالعهد الجديد ، ومجموع العهدين يسمى : (بيبل) وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب ، ثم ينقسم

---

(١) قد تطلق التوراة على أسفار العهد القديم من باب إطلاق الجزء على الكل أو لأهمية التوراة ونسبتها -في زعمهم- إلى موسى عليه السلام ، د. أحمد شلبي : اليهودية ص ٢٣٨.

(٢) العهد الجديد ، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١٤/٣ ص٣١٤ ط الكاثوليكية عام ١٩٩٢م دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

(٣) اليهودية في أسفارها المقدسة د. إبراهيم محمد إبراهيم ص ٦٠ ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية د. فتحي محمد الزغبي ص ٤٧.

(٤) المدخل إلى العهد القديم للقس صموئيل يوسف ص ١٧.

(٥) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام د. وافي ص١٣، وتأثر اليهودية د. الزغبي ص٤٧.

كل من العهدين إلى قسمين: قسم أتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحيين ، وقسم اختلفوا فيه، أما القسم الأول من العهد العتيق فثمانية وثلاثون كتابا))(١).

((يتكون العهد القديم –حسب عقيدة البروتستانت– من ٣٩ سفراً بخلاف ملحق يعرف بالأبوكريفا (Apocrypha) أي الأسفار المحذوفة ، على حين تضيف الطوائف الأخرى مثل الكاثوليك والإنجيليين والكنائس الأرثوذكسية تلك الأسفار المحذوفة وعددها ١٤ سفرا إلى أسفار العهد القديم ، وبذلك يصبح مجموع أسفاره ٥٣ سفراً.

والشائع بين اليهود هو أن الأسفار الخمسة الأولى (Pentateuch) المنسوبة لموسى تكون الجزء الأول من الأسفار وتعرف بالتوراة أو الناموس ، على حين تكون الكتب التاريخية الجزء الثاني وتعرف بكتب النبوات أو الأنبياء ، أما الجزء الثالث فيعرف بالكتب ، أي أن العهد القديم يتكون من : الناموس والأنبياء والكتب))(٢).

فيوجد الآن طبعتان متداولتان على الأقل للكتاب المقدس هما :

الطبعة البروتستانتية والطبعة الكاثوليكية. ((فالكنيسة البروتستانتية اتبعت يهود الإسكندرية في ترتيب الأسفار وتقسيمها فقد رتبوا الأسفار حسب موضوعاتها متبعين النظام اليوناني ومعتمدين على الترجمة السبعينية))(٣).

---

(١) يقول محقق كتاب إظهار الحق : لم يذكر المؤلف سفر استير في تعداد الأسفار المتفق عليها ، وهو السفر السابع عشر من أسفار العهد القديم بعد سفر نحميا ، وقبل سفر أيوب ، وجعله ضمن القسم الثاني المختلف فيه من أسفار العهد القديم ، وبما أن الشك ليس في إصحاحات سفر استير كلها ، بل في الإصحاحات الأخيرة منه بعد الإصحاح العاشر، لذلك أخذت هذه الإصحاحات المشكوك فيها مكانها في أسفار الأبوكريفا غير القانونية ، وأدخل سفر استير ضمن الأسفار القانونية المتفق عليها فمجموع أسفار العهد القديم المتفق عليها عند المسيحيين ٣٩ سفرا. إظهار الحق للشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي ١٠٠/١ ، تحقيق د. محمد أحمد ملكاوي. وقال محقق آخر للكتاب د. أحمد حجازي السقا : أسقط الشيخ سفر استير وهو موجود في ترجمة بروتستنت ١٩٧٠م التي هي مأخوذة رأسا من العبرانية ، انظر الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف د. يحيى محمد علي ربيع ص ١٦.

(٢) دائرة المعارف الأمريكية عام ١٩٥٩م ، ٦١٢/٣ المرجع رقم ١٥ نقلا من : فلسطين بين الحقائق والأباطيل للعقيد احمد عبد الوهاب ص ٢١. وانظر أيضاً : اليهودية ضمن مقارنة الأديان د. أحمد شلبي ص ٢٣٨-٢٣٩، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام د. علي عبد الواحد وافي ص ١٣-١٦، واليهودية في أسفارها المقدسة د. إبراهيم محمد إبراهيم ص ٦٨-٧٠، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية د. فتحي الزغبي ص ٤٨ ــ ٥٦ ، والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف د. يحيى ربيع ص ١٧-٢٣. وانظر في تفصيل ذلك إلى : المدخل إلى العهد القديم ، القس صموئيل يوسف ، والكتاب المقدس سفراً سفراً ، عايد هنري.

(٣) تأثر اليهودية د. الزغبي ص٥٣ ، واليهودية في أسفارها المقدسة د. إبراهيم محمد إبراهيم ص ٦٨.

يقول سهيل ديب : ((والرواية اليهودية الرسمية تقول أن مؤتمرا عقد في (جبنه) في فلسطين (إلى الغرب من القدس) عام ٩٠ أو ١٠٠ للميلاد ، وقرر ما هي الأسفار المقبولة قانونا. القديس إيرونيموس ، كاتب الفولغاتا (الترجمة اللاتينية) ، ضم كل الكتب الموجودة في الترجمة السبعينية ، أما البروتستانت ، فقد أخذوا الأسفار المقبولة يهوديا ، وذلك في القرن السادس عشر للميلاد))[١].

وبذلك فإن الكنيسة البروتستانتية اعتمدت ٣٩ سفرا.

أما الكنيسة الكاثوليكية فقد اعتمدت طبعة تزيد على الطبعة البروتستانتية بسبعة أسفار ضمن أسفار الأبوكريفا متبعة في ذلك الترجمة السبعينية التي اعتمدها يهود الإسكندرية[٢] فالكنائس المسيحية اعتمدت في تقسيم وترتيب أسفار العهد القديم على النظام اليوناني معتمدين على الترجمة السبعينية متبعة في ذلك يهود الإسكندرية -ولكن اختلفوا فيما بينهم في الاعتراف بأسفار العهد القديم- مخالفين في ذلك يهود فلسطين الذين اعتمدوا النظام العبري في التقسيم والترتيب لأسفار العهد القديم[٣].

---

(١) أول توراة بروتستانتية لم تضم الأسفار المخفية يعود تاريخها إلى ١٥٣٥م ، وهي معروفة باسم (توراة مايلز كوفرديل) (Miles Covedale) انظر التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٠٨ سهيل ديب.

(٢) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية د. فتحي محمد الزغبي ص ٥٧.

(٣) للمعرفة الأكثر بالفروق بين الطبعتين الكاثوليكية والبروتستانتيه انظر : التوراة الهيروغليفية ص ٣٠- ٣١-١٩٢ ، ومصر والشرق الأدنى القديم ٣/ ١٦٣ ــ ١٦٥ ، والتوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٠٨.

وهذا الجدول -إن شاء الله- سيبين الاختلاف -في الزيادة والنقصان والترتيب وبعض التسميات- بين الطبعتين الكاثوليكية والبروتستانتية.

ترتيب أسفار العهد القديم[1]

الطبعة البروتستانتية وتنقسم إلى أربعة أقسام ، عددها ٣٩ سفرا	الطبعة الكاثوليكية وتنقسم إلى خمسة أقسام ، عددها ٤٦ سفرا
القسم الأول : (كتب موسى) أو الأسفار الخمسة أو (البانتاتيك) وهي : التكوين ، الخروج ، اللاويين ، العدد ، التثنية.	القسم الأول : (كتب موسى) أو الأسفار الخمسة أو (البانتاتيك) وهي : التكوين ، الخروج ، الأحبار ، العدد، تثنية الاشتراع.
القسم الثاني : الأسفار التاريخية ١٢ سفرا وهي : يوشع ، القضاة ، راعوت ، صموئيل الأول والثاني، الملوك الأول والثاني ، أخبار الأيام الأول والثاني ، عزرا ، نحميا ، استير.	القسم الثاني : الأسفار التاريخية ١٦ سفرا وهي : يوشع ، القضاة ، راعوت ، الملوك الأول والثاني والثالث والرابع ، أخبار الأيام الأول والثاني ، عزرا، نحيما ، طوبيا ، يهوديت ، استير ، المكابين الأول والثاني.
القسم الثالث : أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية خمسة أسفار وهي : أيوب ، المزامير ، الأمثال ، الجامعة ، نشيد الأنشاد.	القسم الثالث : أسفار شعرية ٦ أسفار وهي : أيوب، المزامير ، الأمثال ، الجامعية ، نشيد الأناشيد، مرائي أرميا
القسم الرابع : أسفار الأنبياء ١٧ سفرا وهي : أشعيا ، أرميا ، مرائي أرميا ، حزقيال ، دانيال ، هوشع ، يوئيل ، عاموس ، عوبديا ، يونان ، ميخا ، ناحوم ، حبقوق ، صفنيا ، حجي ، زكريا ، ملاخي.	القسم الرابع : أسفار نبوية ١٧ سفرا وهي : اشعيا ، أرميا ، باروك ، حزقيال ، دانيال ، هوشع ، يوئيل ، عاموس ، عوبديا ، يونان ، ميخا ، نحوم ، حبقوق ، صفنيا ، حجاي ، زكريا ، ملاخي.
-	القسم الخامس : أسفار تعليمية وعددها سفران ، الحكمة، يشوع بن سيراخ

(١) أسماء الأسفار من الكتاب المقدس -الطبعة البروتستانتية- نشر دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط بدون تاريخ ، أما الطبعة الكاثوليكية ، فنشر دار الكتاب المقدس ، بيروت عام ١٩٩٢م. وتوزيع الأسفار حسب الترتيب المذكور.

وهناك فئة قليلة من اليهود لا تعترف إلا بالأسفار الخمسة الأولى (التوراة) المنسوبة إلى النبي الكريم موسى عليه السلام ، من أسفار العهد القديم ، تعرف بالطائفة السامرية[1] ، وبعض هذه الطائفة تؤمن بسفر يوشع وبسفر القضاة زيادة على الأسفار الخمسة الأولى (التوراة)[2].

وبجانب هذه الأسفار التي يتألف منها العهد القديم توجد أسفار يهودية قديمة أخرى لم يدخلها اليهود في أسفار هذا العهد ، ويطلقون عليها اسم الأسفار الخفية.

يقول سهيل ديب : ((فبالإضافة إلى الأسفار (القانونية) أي المقبولة كهنوتيا في الدين اليهودي (والدين المسيحي على السواء ولكن بدرجات مختلفة بين الكنيستين الكاثوليكية والبورتستانتية). هناك مجموعة من الأسفار التي جرى العرف على إطلاق تسمية ((أبوكريفا)) (من اليونانية Apocrypha) عليها والكلمة تعني (المخفية) أو (السرية)))[3].

فبعض هذه الأسفار الخفية غير مقدس ولا معتمد في نظر أحبار اليهود بينما البعض الآخر مقدس ومعتمد عندهم ، فهذه الكنيسة الكاثوليكية اعتمدت سبعة أسفار من تلك الأسفار (الأبوكريفا).

فإن أسفار الأبوكريفا هذه لم يكن لها و جود في كتاب العهد القديم العبري ، وإن النسخة اليونانية تشمل أسفار العهد القديم وأسفار الأبوكريفا[4].

وأول من استخدم كلمة (الأبوكريفا) هو القديس ايرونيموس المتوفي سنة ٤٢٠م وهو مترجم النص الرسمي المعروف باسم (فولغاتا) ، فقد لاحظ أثناء مقارنة النص السبعيني مع النصوص المقابلة له باللغات الأخرى ((العبرية والآرامية)) التفاوت بين الأسفار ، فأطلق على الأسفار الموجودة في الأصل العبري اسم الأسفار القانونية ، وعلى الأسفار الباقية الموجودة في

---

(١) لعلهم سموا بذلك لأن نحلتهم قد ظهرت في مدينة السامرة القديمة -إحدى مدن فلسطين- والتي قامت على أنقاضها مدينة نابلس ، وكانت قديما قبل أن تطرق أقدام العبريين أو اليهود فلسطين تسمى مدينة ((شكيم)). وباقي فرق اليهود يرون أن هؤلاء السامريين لا يمتون إلى العبريين ولا إلى موسى أو يعقوب بصلة ، بل يرونهم جماعة من أخلاط الناس ومن ((الجوييم)) المتعاونين مع أعداء اليهود ، ولذلك يسمونهم ((الكوتيين)) أي الذين جاءوا مع الآشوريين من مدينة ((كوت)) ، واستشهدوا لذلك بالإصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثاني. وقيل في تعريفهم غير ذلك. انظر الفكر الديني اليهودي د.حسن ظاظا ص ٢٠٥-٢٠٩ ، والعرب واليهود في التاريخ د. أحمد سوسة ص ٣١٠ ، والأسفار المقدسة د. علي عبد الواحد وافي ص٦٦، واليهودية د. احمد شلبي ص٢٣٩ ، وموسوعة السياسة ٦٤/٣ د. عبد الوهاب الكيالي.

(٢) المراجع السابقة والصفحات نفسها.

(٣) التوراة بين الوثنية والتوحيد سهيل ديب ص ١٠٨.

(٤) اليهودية د. إبراهيم محمد إبراهيم ص ٧٣.

النص السبعيني اسم (أبوكريفا) وقد أخذت الكنيسة البروتستانتية برأي القديس إيرونيموس فاعتبرت أسفار الأبوكريفا غير قانونية[1].

أما مجمع ترنت المعقود سنة ١٥٤٦م فقد قرر أن أسفار الأبوكريفا هي أسفار قانونية[2].

وفيما يلي عرض سريع لأسفار التوراة الخمسة ((أسفار موسى))*.

أسفار موسى الخمسة (التوراة) :

كلمة توراة تعني في العبرية : تعليم أو تقويم أو تهذيب . وتتكون التوراة من خمسة أسفار (تكوين ، خروج ، لاويين ((الأحبار)) ، عدد ، تثنية ((تثنية الاشتراع)) وأطلقت على هذه الأسفار أسماء منها : الشريعة[3] ، وسفر شريعة موسى[4] ، وشريعة

---

(١) إن رفض اليهود وبعض الكنائس النصرانية لهذه الأسفار وتنحيتها من العهد القديم العبري وسحبها من التداول بعد الترجمة السبعينية ليس مرجعة الإقلال من قيمتها ، ولكن كأن مجمع الكهنة اليهود الذي قرر ذلك الرفض قد وضع فترة لانتهاء التأليف التوراتي واعتبر أن تاريخ إغلاق باب التأليف هذا هو عهد الإسكندر الأكبر أي في القرن الرابع قبل الميلاد، لذلك فإن كل سفر أتى بعد هذا التاريخ مرفوض. ولكن الناظر في تاريخ بعض الأسفار يجد أن سفر دانيال قد كتب بعد هذا التاريخ المقرر عند ربانيي اليهود ولكنه مقبول عندهم فقيل إنه كتب في القرن الثالث قبل الميلاد ، وبعض الباحثين يرون أنه كتب في القرن السادس قبل الميلاد. انظر : التوراة الهيروغليفية ص ١٩٢ - ١٩٣، والتوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٠٨-١٠٩ ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٥٥ ، والمدخل إلى العهد القديمص٤٧٢-٤٧٣ للقس صموئيل يوسف.

(٢) وهي مجموعة من الأسفار منها المعتمد عند الكنيسة الكاثوليكية وهي سبعة أسفار : (طوبيا ، يهوديت ، حكمة سليمان أو سفر الحكمة ، يسوع بن سيراخ ، سفر باروك ، المكابيين الأول والثاني) وباقي الأسفار هي: إسدارس الأول والثاني ، تتمة سفر استير ، ورسالة أرميا ، صلاة منسي ، قصة سوسن ، بعل بابل ، تنين بابل ، صلاة أساريا ، أغنية الرفاق الثلاثة، سفري المكابيين الثالث والرابع ، فأصبح مجموع أسفار الأبوكريفا ١٩ سفرا ، ويرى الباحثون أن هذه الأسفار متنوعة المواضيع مختلفة العصور : فمنها ما يتصل بالتاريخ ومنها ما يعالج القصص التاريخي ومنها ما هو أساطير وتحتوي أيضا على حكم وأغان وأشعار ، فهي مفيدة جدا لنا في دراسة اليهودية لأنها تعيننا على فهم التاريخ اليهودي والعقلية اليهودية في الفترة الممتدة من القرن الثاني ق.م إلى آواخر القرن الأول الميلادي أعني خراب أورشليم عام ٧٠ م وهي أيضا تكون حلقة الاتصال بين اليهودية والمسيحية أو العهد القديم والجديد. انظر : تأثر اليهودية ص ٥٥-٥٦ د. فتحي الزغبي ، التوراة الهيروغليفية ص ١٩٢-١٩٣ د. فؤاد حسنين علي ، واليهودية في أسفارها المقدسة وموقف الإسلام منها د. إبراهيم محمد إبراهيم ص ٧٠-٧٤ ، والتوراة بين الوثنية والتوحيد سهيل ديب ص ١٠٥-١١٤ ، والفكر الديني اليهودي د.حسن ظاظا ص ٦٢-٦٥ ، والأسفار المقدسة د. علي عبد الواحد وافي ص٢٣.

* اكتفيت بعرض هذه الأسفار الخمسة دون غيرها لأن جميع فرق اليهود مجمعون على نسبتها إلى موسى عليه السلام ، ومجمعون على الإقرار بما فيها ، أما باقي الأسفار فبعضهم لم يقر بها ، وأيضا منها ماهو من وضع أنبياء آخرين غير موسى عليه السلام مثل سفر يشوع ، ومنها ما هو من تأليف أشخاص غير موثق بهم (مجهولين) مثل سفر راغوث وصموئيل الأول والثاني ، ومنها ما هو أساطير تاريخية مثل سفر استير. انظر من ص ٢٩٩.

(٣) وردت في عزرا ١٠ : ٣ ، ونحميا ٨: ٢/١٠،١٤،٧: ٣٦،٣٤ وغيرها من المواقع .

(٤) وردت في نحميا ٨: ١.

الرب[1] ، وسفر توراة موسى[2] أما في العهد الجديد فأطلق عليها أسماء أخرى مشابهة لتلك منها : كتاب الناموس[3] ، وكتاب موسى[4] ، والتوراة[5] ، وشريعة موسى[6] ، وناموس موسى[7].

وتسمى باليونانية (بنتاتيكوس) أي الكتاب ذو الأسفار الخمسة ، وانتقلت هذه اللفظة إلى اللاتينية وإلى معظم اللغات العصرية ، وتغطي هذه الأسفار الخمسة فترة من التاريخ تبدأ مع بدء الخليقة ، وتنتهي بوفاة موسى عليه السلام أي حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م -على زعمهم- وهي على النحو التالي :-

١) سفر التكوين :

جاء عنوان السفر في الأصل العبري ((براشيت = في البدء)) تبعا للكلمة الأولى في السفر. وفي التلمود اليهودي أطلق على السفر ((سفر خلق العالم)) والعنوان في الترجمة السبعينية ((جنيزس = تكوين)). ويتكون من خمسين إصحاحا أو ((٥٠ فصلا على نظام الطبعة الكاثوليكية)).

ويتحدث عن قصة خلق الكون ، وقصة خلق آدم وحواء ومعصيتهما ، وقصة ابني آدم قابيل وهابيل ، وقصة نوح والطوفان ، وبرج بابل ، كما يتعرض لقصة إبراهيم وهجرته إلى أرض كنعان ، ويذكر قصة لوط وهلاك قومه المكذبين ، ويتحدث عن يعقوب وأبنائه ، وقصة يوسف ورحلته إلى مصر واستدعائه أهله للإقامة هناك ، ويركز السفر على وعد يهوه إله إسرائيل بإعطاء أرض فلسطين لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ولنسلهم من بعدهم ، وينتهي السفر بوفاة يوسف عليه وعلى أنبياء الله أفضل الصلاة والسلام[8].

---

(١) وردت في عزرا ٧: ١٠ ، وأخبار الأيام (١) ١٦: ٤٠ ، وأخبار الأيام (٢) ٣١: ٣ ، ٣٥:٢٦.

(٢) وردت في يشوع ٨: ٣١ ، ٢٣: ٦ ، وملوك (٢) ١٤ : ٦.

(٣) وردت في غلاطية ٣ : ١٠.

(٤) وردت في مرقس ١٢ : ٢٦ .

(٥) وردت في متى ١٢ : ٥ ، ولوقا ١٦: ١٦ ، ويوحنا ٧: ١٩.

(٦) وردت في لوقا ٢ :٢٢ ، ويوحنا ٧: ٢٣.

(٧) وردت في لوقا ٢: ٢٣،٢٤.

(٨) وذكر صاحب كتاب : (الكتاب المقدس سفرا سفرا) عايد هنري : أن سفر التكوين كتب حوالي سنة ١٤٤٠ ق.م وحوادثه تغطي حوالي ٢٣٠٠ سنة (من خليقة آدم إلى موت يوسف عليهما السلام) ص ١٢. وذكر فضيلة د. إبراهيم محمد إبراهيم أن هذا السفر كتب في القرن التاسع ق.م ، انظر اليهودية في أسفارها المقدسة ص ١١٧ ، وانظر أيضاً : المدخل إلى العهد القديم للقس صموئيل يوسف ص ٩٣-١١٣ ، وأديان وفرق د. أمين القضاة وجماعة ص ٤١ ، واليهودية د. أحمد شلبي ص ٢٤١ ، واليهودية د. إبراهيم محمد إبراهيم ص ٨١-٨٤ ، والفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص.١٤.

٢) سفر الخروج :

جاء عنوان السفر في الأصل العبري ((شموت = أسماء)) وهي كلمات إفتتاحية السفر ، والعنوان في الترجمة السبعينية ((أكسودوس = خروج)) ، ويتكون من أربعين إصحاحا أو (٤٠ فصلا على نظام الطبعة الكاثوليكية).

يتحدث عن تكاثر اليهود في مصر ، واضطهاد الفراعنة لهم ، ويروي قصة موسى وفرعون ، وخروج اليهود من مصر ، وهلاك فرعون وجنوده. وعن تذمر اليهود وعصيانهم لموسى وعبادتهم للعجل ، كما يسجل السفر حالة اليأس التي عاشوها وهم يرتحلون في الصحراء ، ويتحدث عن خيمة الاجتماع التي أمر يهوه بإقامتها لتكون هيكلا متنقلا للعبادة ، وتقديم القرابين وحفظ التابوت الذي يحتوي على التوراة ولوحي الوصايا العشر ، ويحتوي السفر على الكثير من القوانين المدنية والدينية[1].

٣) سفر لاويين أو سفر الأحبار :

وجاء عنوان السفر في الأصل العبري ((ويقرأ=ودعا)) والعنوان في الترجمة السبعينية ((ليفيتكوس=الطقوس الكهنوتية)) وسمي باللاويين أو الأحبار القائمين على هذه الطقوس، ويتكون من سبعة وعشرين إصحاحا أو (سبعة وعشرين فصلا على نظام الطبعة الكاثوليكية).

وهو نسبة إلى أبناء لاوي بن يعقوب الذين يتولون وحدهم شئون الكهانة عند اليهود ، ويتحدث هذا السفر عن القرابين والتقدمات وأنواعها المختلفة ، ويبين واجبات الكهنة ويفصل القوانين المتعلقة بالنجاسة والطهارة ، ويبين أنواع الحيوانات والدواب المحرم أكلها ، وأحكام النذور والعشور ، وكثيرا من الأمور المتصلة بالعادات والأوامر الدينية التي يستحق من اتبعها الثواب ، ومن خالفها العقاب[2].

---

(١) كتب هذا السفر في أثناء تيه اليهود في البرية من عام ١٤٤٠-١٤٠٠ ق.م ، ويغطي حوالي ٢١٥ سنة ، وقيل كتب في القرن التاسع قبل الميلاد ، انظر : الكتاب المقدس سفرا سفرا ص ١٦-١٩ ، واليهودية في أسفارها المقدسة ص ٨٤-٨٦ ، ١١٧، والمدخل إلى العهد القديم للقس صموئيل يوسف ص ١١٥-١٤٧، وأديان وفرق ص٤١، واليهودية د. شلبي ص ٢٤١ ، والفكر الديني اليهودي ص ١٤-١٥ ، والأسفار المقدسة ص١٣-١٤.

(٢) كتب هذا السفر في الشهر الأول من السنة الثانية من خروج اليهود من مصر وهذا كان عام ١٤٤٢ ق.م ، وقيل كتب في القرنين الخامس والرابع ق.م أي بعد السبي البابلي المشهور في تاريخ اليهود ، انظر : الكتاب المقدس ص ٢٠-٢٢ ، واليهودية في أسفارها المقدسة ص ٨٦،٨٧،١١٨ ، والمدخل إلى العهد القديم ص ١٤٩-١٦١ ، والفكر الديني اليهودي ص ١٥ ، واليهودية د. احمد شلبي ص ٢٤١.

٤) **سفر العدد :**

وجاء عنوان السفر في الأصل العبري ((بمدبر = برية)) ، وفي الترجمة السبعينية ((نوميري = تعداد)) وهو السفر الرابع من أسفار التوراة ، ويتكون من ستة وثلاثين إصحاحا أو ((٣٦ فصلا على نظام الطبعة الكاثوليكية)).

ويعتني هذا السفر بإحصاء تفصيلي لبني إسرائيل مع موسى في الصحراء، وفيه معلومات مبنية على الأعداد والأرقام حول الذبائح وعدد المدن والقرى ، ونحو ذلك ، ويحتوي على كثير من القوانين المدنية والدينية ، ويذكر تذمر بني إسرائيل وعصيانهم المتواصل لموسى وحنينهم للعودة إلى مصر ، ورفضهم دخول فلسطين خوفا من جبروت أهلها ، ويذكر عقاب الله لهم بالتيه في الصحراء، وغير ذلك من العقوبات ، ويسجل أيضا ارتداد بعض اليهود وعبادتهم للأوثان[١].

٥) **سفر تثنية ، أو سفر تثنية الاشتراع :**

وجاء عنوان السفر في الأصل العبري ((دبرتم = كلمات)) ، وفي الترجمة السبعينية ((دويتر نوميوم = تثنية أو تثنية الإشتراع)) ، وهو السفر الخامس والأخير من أسفار التوراة الخمسة ، ويتكون من أربعة وثلاثين إصحاحا أو ((٣٤ فصلا على نظام الطبعة الكاثوليكية)) ، وتثنية معناها الإعادة والتكرار لتثبيت التشريعات والتعاليم ، ففيه خطاب طويل من موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل في السنة الأخيرة من التيه ، عرض فيه الوصايا العشر والأحكام والقوانين الدينية ، وعن نظام القضاة والملك عند بني إسرائيل ، ويذكر السفر تعيين موسى ليوشع بن نون خليفة له بأمر الرب. وأن يهوه حرم موسى من دخول فلسطين لأنه أظهر ضعفا بالثقة بالله في أحد المواقف[٢] ، كما يذكر موت موسى والجهل بقبره[٣].

---

(١) قيل إنه كتب في القرنين الخامس والرابع ق.م . انظر : الأسفار المقدسة د. علي عبد الواحد وافي ص١٧ ، والكتاب المقدس ، هنري ص ٢٦- ٢٩ ، والمدخل إلى العهد القديم للقس صموئيل يوسف ص ١٦٣-١٧١ ، واليهودية من أسفارها المقدسة د. إبراهيم محمد إبراهيم ص ٨٧-٩٠، والفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص ١٥-١٦ ، واليهودية د. احمد شلبي ص ٢٤٢ ، وأديان وفرق د. امين القضاة وجماعة ص ٤٢.

(٢) عدد ٢٠: ٧-١٢، وتثنية الاشتراع ٣٢ : ٥٠-٥٢.

(٣) قيل إنه كتب حوالي سنة ١٤٥١ق.م ، وقيل إنه ألف في القرن السابع قبل الميلاد. انظر : الكتاب المقدس سفرا سفرا ص ٣٠-٣٣ ، والمدخل إلى العهد القديم ص١٧٣-١٨٨ ، واليهودية في أسفارها المقدسة ص ٩٠-٩٥، ١١٨، وأديان وفرق ص ٤٢ ، والأسفار المقدسة ص ١٤، ١٧ ، والفكر الديني اليهودي ص ١٦ ، واليهودية ص٢٤٢.

المطلب الثاني: أهم تراجم هذه الأسفار:

القول السائد في مجال الدراسات اللاهوتية هو أن أسفار العهد القديم كتبت باللغة العبرية[1]، وهذا القول لم يمنع بعض الباحثين في اللاهوت من علماء الكتاب المقدس من الاعتراف بأن بعض النصوص من أسفار العهد القديم كتبت أول الأمر باللغة الآرامية[2] ، ثم ترجمت هذه الأسفار إلى لغات أخرى عديدة[3] ، حتى حلت الترجمة محل النص الأصلي.

ومن أهم هذه الترجمات :

---

(١) اجتازت اللغة العبرية مراحل ، وتأثرت في كل مرحلة منها في مفرداتها وقواعدها وأساليبها بعدة مؤثرات، أهمها الشئون السياسية وما طرأ على وحدة بني إسرائيل واستقلالهم وعلاقتهم بالشعوب الأخرى ، حتى قال بعض الباحثين ومنهم د. حسن ظاظا ، وهو يتكلم عن العبرية القديمة : فلا شك أنها كانت تختلف اختلافا بينا جدا عن عبرية النص المقدس الذي بين أيدينا ، فلا بد أنه مع جمع نصوص العهد القديم العبري وكتابتها بيد عزرا ، حدث طوعا أو كرها(تنسيق) لا في السياق والترتيب فحسب بل في اللغة أيضا. فبين موسى وعزرا ما يقرب من ألف عام ، لا شك أن اللغة فيها ، تطورت تطورا كبيرا ، وقد بقيت مع ذلك شواهد من العبرية القديمة الضائعة ، قاومت عملية التنسيق هذه ، من أشهرها قصيدة (دبورة) النبية في الإصحاح الخامس من سفر القضاة.

انظر: الفكر الديني اليهودي د. ظاظا ص ٢٥-٢٦ ، والمدخل إلى العهد القديم القس صموئيل يوسف ص ٤٧، واليهودية في أسفارها المقدسة د. إبراهيم محمد إبراهيم ص ١١٨ ، والأسفار المقدسة قبل الإسلام د. طعيمة ص ٨٨-٩٠ ، والعرب واليهود في التاريخ د. احمد سوسة ص٣٢٤ ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية د. فتحي الزغبي ص ٥٧-٥٨ ، وفلسطين بين الحقائق والأباطيل عقيد أحمد عبد الوهاب ص ٢٣ ، والأسفار المقدسة د. علي عبد الواحد وافي ص ١٩ ، والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف د. يحيى محمد ربيع ص ١٠٢ ، والتوراة بين الوثنية والتوحيد سهيل ديب ص ٩-١٠ ، وأديان وفرق د.أمين القضاة وجماعة ص ٤٠.

(٢) وهي : تكوين ٣١: ٤٧ ، وأرميا ١٠: ١١ ، وبعض أجزاء من عزرا ودانيال ، سفر عزرا من ٤: ٨ إلى ٦: ١٨ ، وكذلك في ٧ : ١٢-٢٦ ، وفي سفر دانيال من ٢ : ٤ إلى ٧: ٢٨ ، فكل هذه الإصحاحات والفقرات المشار إليها كتبت باللغة الآرامية ، ويرجح الباحثون أن ما ألف بالآرامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه إلى حوالي سنة ٣٠٠ ق.م ، وأن ما ألف بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة لاحقة لهذا التاريخ قبل سنة ١٦٧ أو ١٦٦ ق.م.

انظر : فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٢٣ ، والأسفار المقدسة ص١٩ ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص٥٨ ، والمدخل إلى العهد القديم ص٤٧ ، والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ص ١٠٢.

(٣) قال سهيل ديب : والتوراة هي أكثر الكتب المعروفة ترجمة إلى لغات أخرى ، فقد ترجمت بكاملها إلى ٢٥٣ لغة مختلفة ، بينما ترجمت بشكل جزئي إلى ١٤٥٧ لغة أخرى. ثم قال : وهذا إحصاء عام ١٩٧١م. انظر : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٥.

١) التراجم الآرامية :

لم تعد اللغة العبرية لغة التخاطب بين اليهود في فلسطين زمن ما بعد السبي البابلي، حيث إنها أصبحت لغة يصعب فهمها، وخاصة بالنسبة لعامة الشعب، فقد نسوها تماماً، ولم تكن مفهومة ومستخدمة إلا بين الدينيين وفي مراكز الثقافة الدينية كالمعابد اليهودية. بينما كانت اللغة الآرامية[١] هي اللغة الرسمية للإمبراطورية الغربية الفارسية ، وكانت لغة التخاطب والكتابة في ذلك الوقت ، فصارت الحاجة ماسة للربط بين حاجة العامة من الشعب وأهمية إدراكهم للغة العبادة في المجامع أو المعابد اليهودية ، وهنا ظهرت التراجم الآرامية[٢].

وهناك نوعان أساسيان من هذه التراجم وهما :

١) التراجم الفلسطينية التي ظهرت في وقت مبكر[٣].

٢) التراجم البابلية التي تم تنقيح أصولها في بابل ، وتنقسم حسب أسماء من ترجموها إلى :

أ- ترجمة (ترجوم) أونكليوس (Onkelos) ، للأسفار الخمسة (التوراة).

ب- ترجمة (ترجوم) يوناثان لأسفار الأنبياء[٤].

---

(١) ومن المعلوم -كما يقول علماء المقابلة بين اللغات- أن كلا من العبرية والآرامية تنتمي إلى مجموعة متجانسة من اللغات تعرف بمجموعة اللغات السامية ، وأن العبرية مثل كل اللغات السامية ، كانت تكتب بدون حركات ولا تشكيل وكانت تعبر عن الفكرة بدون حركة ولا ضوابط. ولا توجد وثائق لهذه اللغة تدل عليها سوى القطعة إلتي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني بعد الميلاد وهي القطعة البردية المسماة (بردية ناش) ، انظر الأسفار المقدسة قبل الإسلام د. صابر طعيمة ص ٨٨-٨٩ ، وفلسطين بين الحقائق والأباطيل أحمد عبد الوهاب ص ٢٣.

(٢) ويمتد تاريخ الاحتياج إلى الترجمة أو التراجم كما جاء في التقليد اليهودي ، إلى وقت كتابة عزرا للتوراة ، نحميا (٨:٨). انظر المدخل إلى العهد القديم ، للقس صموئيل يوسف ، ص٦٩.

(٣) عثر على سبع مخطوطات منها في خزانة المعبد اليهودي (جنيزا) بالقاهرة ، يرجع تاريخها ما بين القرن ٧ إلى ٩م ، وأعيدت كتابة مخطوطة كاملة للترجوم الفلسطيني في إيطاليا في القرن ١٦م ، وبداية كتابته تعود إلى ما قبل المسيحية ، وهو مهم لفهم اليهودية في فجر المسيحية ، ويعد مادة قيمة لدراسة الآرامية أيام المسيح ، المدخل إلى العهد القديم ، للقس صموئيل يوسف ص ٧٠.

(٤) وهي ما يطلق عليها الترجمة الآرامية الحديثة ، ويعد هذا الترجوم أفضل التراجم المعروفة ، كما يعد مرجعا وافيا له قيمته لدراسة اليهودية ، وقد تمت هذه الترجمة في بابل بعد زمن طويل من الدراسة والتنقيح لأصوله الفلسطينية القديمة ، وصار لترجوم أنكليس السلطان الرسمي التعليمي مثل النص الأصلي العبري ، وطبع النص عام ١٨٨٤-١٨٨٦م وفقا لطبعة قديمة سابقة عام ١٥٥٧م، أما عن ترجوم يوناثان فيعود في بعض أجزائه إلى ما قبل عصر المسيحية ، وطبع بواسطة بولس دي لاجارد ١٨٧٢م كما ظهر ترجوم خاص بالكتوبيم ١٨٧٣م ... انظر المدخل إلى العهد القديم ٦٩-٧١ ، والأسفار المقدسة د. وافي ٢١-٢٢.

٢)- الترجمة الإغريقية ((السبعينية (Septuagint)))[١].

وكانت هذه الترجمة من العبرية إلى اليونانية[٢] ، وتعتبر من أقدم ما ترجم إليه العهد القديم[٣]. ولقد انتفع بهذه الترجمة اليهود المقيمون في العالم الإغريقي ، وخاصة في المستعمرة الإغريقية مصر ، حيث لم يكن لديهم من المعرفة بالعبرية إلا القليل ، فلذلك كانت الحاجة ملحة لهذه الترجمة اليونانية ، كما كانت الحاجة ماسة إلى الترجمة الآرامية ليهود فلسطين. وقد قبلت الكنيسة المسيحية الترجمة السبعينية. وتشتمل هذه الترجمة على أسفار لا توجد في الأصل العبري الذي وصل إلينا، وهذه الأسفار هي أسفار الأبوكريفا[٤]. وبعد مرور السنين -وفي القرن الأول الميلادي- شعر جماعة اليهود الناطقين باليونانية بحاجتهم إلى ترجمة حديثة بدلا من السبعينية[٥].

---

(١) يرجع سبب تسمية الترجمة الإغريقية بالسبعينية إلى ماجاء في رسالة أرستياس — الذي كان معاصرا وقت إعداد الترجمة : بأن ديمتريوس فاليرون -مدير مكتبة الإسكندرية- قال للحاكم بطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٧ق.م) بأن الشريعة اليهودية ، تستحق أن يكون لها مكان في المكتبة الملكية ، فقط يجب ترجمتها إلى اللغة اليونانية ، فأرسل الحاكم إلى أليعازر رئيس الكهنة في أورشليم ، يطلب إليه أن يمدهم بمترجمين أكفاء مقتدرين ، لعمل هذه الترجمة ، فأرسل الكاهن اثنين وسبعين عالما إلى الإسكندرية، ستة أفراد عن كل سبط من الأسباط الاثني عشر ، فترجموا الناموس في اثنين وسبعين يوما ، وقرئت الترجمة أمام جماعة اليهود في الإسكندرية ، ويرد أرنست فيرتفين على هذه الحادثة فيقول : إنها مزاعم لا تزيد كونها خرافة تقوية ، فهو يرى أن الترجمة السبعينية تمت بعد عصر بطليموس فيلادلفوس بقرن من الزمان ، وأن الناموس اليهودي لم يترجم إشباعا لرغبة الثقافة الملكية. بل لأن اليهود المصريين لم يعودوا يفهمون العبرية ، وكانوا في مسيس الحاجة إلى ترجمة يونانية ، وأن المترجمين لم يكونوا من يهود فلسطين ، بل من يهود الإسكندرية ، حيث كانت اللغة اليونانية لغة التخاطب.

انظر : المدخل إلى العهد القديم للقس صموئيل يوسف ص٦٠-٦١، وأيضا ،الأسفار المقدسة د.علي عبد الواحد وافي ص ١٩، وفلسطين بين الحقائق والأباطيل للعقيد أحمد عبد الوهاب ص ٢٦، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية د.فتحي الزغبي ص ٥٨-٥٩.

(٢) ولكن د.أحمد سوسة يقول : وهذه الترجمة منقولة من الآرامية إلى اليونانية ، ويقول أيضا ولهذه الترجمة الإغريقية أهمية كبيرة لأنها أخذت عن نص آرامي اقدم من النص الآرامي الذي وصل إلينا فيما بعد. العرب واليهود في التاريخ ص٣٢٤-٣٢٥.

(٣) كانت الترجمة في القرن الثالث قبل الميلاد ، فقيل إنها تمت في سنتي ٢٨٢و٢٨٣ ق. م ، وتمت سنة ٢٥٠ ق.م ، وقيل ما بين سنة ٢٨٥و٢٤٧ وكل هذه التواريخ تدور في فلك واحد ، انظر : التوراة بين الوثنية والتوحيد سهيل ديب ص٢٣ ، والأسفار المقدسة ص١٩ ، والمدخل إلى العهد القديم ص٦٢ ، والعرب واليهود في التاريخ ص٣٢٤ ، وفلسطين بين الحقائق والأباطيل ص٢٦ ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص٥٩.

(٤) انظر : الأسفار المقدسة ص١٩ ، وفلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٢٦ ، وتأثر اليهودية ص٥٩.

(٥) هذا الاحتياج ظهر لليهود الناطقين باليونانية عندما وضعت مدرسة أكيبا الصورة القانونية الأخيرة للعهد القديم باللغة العبرية ، وكان ذلك في القرن الأول الميلادي. انظر : فلسطين بين الحقائق والأباطيل للعقيد أحمد عبد الوهاب ص٢٧ ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية للزغبي ص٥٩.

فظهرت تراجم أخرى للأسفار العهد القديم من العبرية إلى الإغريقية(١).

٣- الترجمة السريانية : البشتا (Peshitta) :

وتعد هذه الترجمة من أقدم وأهم الترجمات للأسفار المقدسة، بعد الترجمة السبعينية(٢). وقد وضعت لتخدم الطوائف اليهودية التي انتشر بينها هذا اللسان الآرامي ، وأصبحت ابتداء من القرن الخامس الميلادي النسخة المعتمدة عند الكنيسة السريانية الشرقية ((النسطورية))(٣)، والكنيسة

---

(١) وهذه التراجم من النسخة العبرية القانونية الأخيرة ، وعددها ثلاثة تراجم وهي : ١- ترجمة أكيلا : وهو يهودي ، ويرجع تاريخها إلى عام ١٣٠م وقيل ١٩٠م ، وقد ظهرت أجزاء من هذه الترجمة في جنيزا القاهرة (بمصر القديمة) ويرجع تاريخ هذه الرقوق إلى القرن السادس الميلادي. ٢- ترجمة ثيودوثن : وهو مسيحي ، ويرجع تاريخها إلى عام ١٩٠م ، و لم تكن ترجمته جديدة بل تنقيحا لترجمة يونانية كائنة في ضوء النص العبري الأصلي. ٣- ترجمة سماخوس ، قيل إنه كان من طائفة الأبيونيين وقيل إنه كان سامريا وصار يهوديا ، ويرجع تاريخها إلى عام ٢٠٠م وقيل ١٧٠م، وهي ترجمة يونانية دقيقة ، وقد استعان سيماخوس في ترجمته هذه بالترجمات اليونانية السابقة له ، وقيل إنه ابتعد عن العبارات التجسيدية لله تعالى ، وقيل أيضا إنها أفضل من ترجمتي أكيلا وثيودوثن لغة وأسلوبا. ولكن لم تبق نسخة أصلية من هذه الترجمات وإنما تم معرفتها عن طريق كتاب آخرين أشهرهم أوريجانوس ، وقد عمل أوريجانوس هذا -وهو عالم لاهوتي من الإسكندرية- أضخم عمل في محاولة تثبيت النص النهائي للتوراة ، فقام بجمع ست ترجمات للكتاب المقدس على التوالي وبشكل متقابل وهي : ١- النص العبري ٢- النص العبري نفسه ولكن بالأحرف اليونانية (محاولة منه للمحافظة على طريق النطق بالعبرية) ٣- ترجمة أكيلا ٤- ترجمة سيماخوس ٥- الترجمة السبعينية ٦- ترجمة ثيودوثن. وسمى هذا العمل بالهكسابلا (Hexapla) أي السداسية وكان ما بين عام ٢٣٠-٢٤٠م، وذلك ليعين المسيحيين في دراستهم للأسفار المقدسة وحوارهم مع اليهود في تلك الفترة ، وقد اندثر هذا العمل ((الهكسابلا)) بأكثر أجزائه وبقي منه بعض الأقسام في المتاحف. انظر : المدخل إلى العهد القديم ص ٦٢ ، ٦٣ ، والتوحيد والوثنية ص ٢٣-٢٥ ، والتوراة الهيروغليفية ص ٢٧، ودائرة المعارف الأمريكية المرجع ١٥ ص ٦١٩ نقلا عن فلسطين بين الحقائق و الأباطيل ص ٢٧، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٥٩.

(٢) جاء في التقاليد اليهودية أن الترجمة السريانية تعود إلى زمن حكم سليمان عليه السلام. بينما ينسبها البعض إلى العصر المسيحي ، وبالتحديد إلى القرن الأول عندما دخلت الأسرة المالكة وقادة إديابين (وهي إمارة سورية تقع شرق دجلة) الديانة اليهودية ، واحتاجوا إلى ترجمة التوراة إلى لغتهم السريانية. وتعد هذه إشارة إلى بدء هذه الترجمة في منتصف القرن الأول الميلادي ، وقيل بل تمت هذه الترجمة في خلال القرن الثاني الميلادي ، ولكن في هذا القرن ((أي الثاني الميلادي)) لم تحصل الترجمة ولكن حصل تنقيح مخطوطة وجدت في وقت مبكر من ذلك القرن فنقحت فيه حتى تكون مطابقة للنص العبري القديم. ولا يُعرف بالتحديد متى تُرجمت ومن هو المترجم ، ولكن يرى بعض الباحثين أنها تشبه الترجمة السبعينية في أنها ثمرة عمل أيدي كثيرين. انظر المدخل إلى العهد القديم للقس صموئيل يوسف ص٧٢- ٧٣ ، وفلسطين بين الحقائق والأباطيل للعقيد احمد عبد الوهاب ص٢٧ ، وتأثر اليهودية د. فتحي الزغبي ص ٦١.

(٣) النسطورية : أتباع نسطور الحكيم الذي ظهر في زمن المأمون ، وقيل أنهم ينسبون إلى نسطوريوس بطريق القسطنطينية. قالوا : إن مريم لم تلد إلهاً وإنما ولدت إنساناً ، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام كإشراق الشمس في كوة على بلورة ، وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. وأن الإبن لم يزل متولداً من الأب ، وإنما تجسد واتحد بجسد =

السريانية الغربية ((اليعقوبية)) [١][٢].

الترجمة اللاتينية :

في الوقت نفسه الذي سادت فيه اللغة اليونانية كلغة للدين والسياسة في روما حتى القرن الثالث المسيحي ، كانت اللغة اللاتينية منتشرة كلغة تخاطب وتعامل في جنوب فرنسا وشمال أفريقيا ، بل إنها تأصلت في تلك المناطق حتى إنه عثر فيها على بعض النصوص الكتابية التي تعود إلى عام ١٥٠ م[٣] ، وأول الترجمات اللاتينية ظهرت في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي[٤].

ثم ظهر الكتاب المقدس في صور عديدة من الترجمات اللاتينية[٥] ، ولقد قام القديس جيروم إيرونيموس بإعادة تنقيح بعض أسفار النسخة اللاتينية القديمة على ضوء الترجمة السبعينية[٦] ، ولكنه ما لبث أن قام في الفترة ما بين عام ٣٩٠-٤٠٥م ، بترجمة العهد القديم من النص العبري

= المسيح حين ولد ، فهو إله وإنسان اتحدا ، إله تام وإنسان تام ، فصار مسيحاً واحداً. وأما القتل والصلب فوقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، لأن الإله لا تحله الآلام. انظر : الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ١/٢٦٨-٢٧٠ ، تحقيق عبدالأمير علي مهنا ، وعلي حسن فاعور ، ومحاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ص١٩١-١٩٤.

(١) اليعقوبية : أصحاب يعقوب البرذعاني ، وقيل البراذعي ، وهم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان وتكون من الإتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت. وبسبب هذه العقيدة انعقد مجمع خليكدونية في شهر أكتوبر سنة ٤٥١م وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة. وبسبب هذا القرار انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية. المرجعان السابقان ، الأول١/٢٧٠-٢٧١ ، والثاني ص ١٩٤.

(٢) توجد مجموعة من مخطوطات البشتا في المتحف البريطاني (Ms.Add. ١٤،٤٢٥) ويعود تاريخها إلى عام ٤٦٤م ، وتضم أسفار التكوين والخروج والعدد والتثنية. وأهم هذه المخطوطات جميعها هي مخطوطة الكنيسة السريانية الغربية (اليعقوبية) في ميلان بإيطاليا حاليا ، وترجع هذه المخطوطة إلى القرن السادس أو السابع ، وتضم كل الأسفار المقدسة. انظر : المدخل إلى العهد القديم ص٧٣.

(٣) المدخل إلى العهد القديم ، للقس صموئيل يوسف ص ٧٤.

(٤) تمتد جذور اللاتينية القديمة إلى عام ١٩٠م ، وقيل : لقد وجدت إشارات كتابية لا تينية من كبريانوس الذي مات عام ٢٥٨م والذي كان معتمدا على اللاتينية القديمة المرجع السابق ص ٧٤.

(٥) منها الترجمة اللاتينية القديمة المعروفة باسم ((أفرا)) ظهرت في شمال أفريقيا ، وترجمة إتالا ظهرت في وقت لاحق في إيطاليا، وأيضا ظهرت مخطوطة ليون والتي تم طبعها عام ١٨٨١م، المرجع السابق ص٧٤.

(٦) وتستخدم هذه الترجمة المنقحة في العبادة إلى اليوم ، وهي في روما بمكتبة كنيسة القديس بطرس ، وقد أعاد إيرونيموس تنقيح هذه الترجمة مرة ثانية في قيصرية فلسطين ، في ضوء مقارنات أوريجانوس المسماة هكسابلا ، المرجع السابق ص٧٥.

إلى اللاتينية ((الفولجاتا : لغة العامة من الشعب)) وأُعتبرت بعد ذلك النسخة المعتمدة من الكتاب المقدس للكنيسة الكاثوليكية[1].

الترجمة السامرية :

كانت التوراة السامرية أصلا بالعبرية ولكنها مكتوبة بحروف سامرية ، وعندما فقد اللسان العبري بين السامريين رأوا أنهم في حاجة إلى ترجمة باللغة الآرامية التي يفهمونها ، فبدءوا في تصنيف هذه الترجمة في مطلع القرن الأول الميلادي ، واستمر العمل بها حتى حلت اللغة العربية محل الآرامية في القرن الحادي عشر الميلادي[2].

الترجمة القبطية :

تعد اللغة القبطية لغة المصريين المسيحيين ، وتكتب بأحرف مستمدة أساسا من اللغة اليونانية التي كانت منتشرة في مصر ، بالإضافة إلى بعض الحروف المصرية القديمة ، وظهرت ترجمات قبطية للأسفار المقدسة ، وكان أول هذه الترجمات الترجمة الصعيدية وهي مأخوذة من اليونانية ، وذلك في منتصف القرن الثالث الميلادي تقريبا ، وتبعتها بعد ذلك الترجمة الأخميمية التي تأسست على الترجمة الصعيدية ، وفي أواخر القرن الرابع ظهرت الترجمة البحيرية ، والتي ترجمت من اليونانية مباشرة ، مستقلة عن الصعيدية[3].

---

(١) كلمة الفولجاتا تعني البسيطة ، أي الترجمة المفهومة للشعب. وقد ذاع استخدام هذه الكلمة وارتبطت بترجمة إيرونيموس اللاتينية منذ القرن السادس عشر الميلادي. كما أنها استغرقت قروناً عديدة حتى اعترف بها علماء الكنيسة ، وكانت الفولجاتا حتى بداية القرن السابع ، موضوعة على الرف مع الترجمة اللاتينية القديمة. وفي القرن الثامن والتاسع احتلت مكانتها في الدراسة والتعليم مع اللاتينية القديمة ، وفي ٨ أبريل عام ١٥٤٦م قرر مجمع ترنت Trent: أن الفولجاتا (الترجمة اللاتينية البسطية للكتاب المقدس) في مقابل الترجمات العديدة الجديدة ، هي الكتاب المقدس للكنيسة الكاثوليكية ، دون ما رفض أو منع للترجمة السبعينية أو اللغات الأصلية للكتاب المقدس العبرية منها للعهد القديم واليونانية للعهد الجديد ، كما ظهرت طبعات أخرى منقحة ، بعد قرابة نصف قرن من مجمع ترنت (أي عـــام ١٥٨٩ م) بواسطة سكستس الخامس ، وأعقبتها طبعة كليمندس الثامن عام ١٥٩٢م ، ثم الطبعتان الثانية والثالثة في عامي ١٥٩٣م/١٥٩٨م مع بعض التعديلات، وأخيرا ظهرت الفولجاتا الحديثة في عام ١٩٧٩م انظر : المدخل إلى العهد القديم للقس صموئيل يوسف ص٧٦-٧٧ ، وفلسطين بين الحقائق والأباطيل للعقيد أحمد عبد الوهاب ص٢٧، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية د.فتحي الزغبي ص٦٠ ، والأسفار المقدسة د. علي عبد الواحد وافي ص ٢٠.

(٢) المدخل إلى العهد القديم للقس صموئيل يوسف خليل ص ٥٨-٥٩ ، ودائرة المعارف الأمريكية ، المرجع ١٥ ص ٦١٩ نقلا من فلسطين بين الحقائق والأباطيل للعقيد احمد عبد الوهاب ص ٢٦.

(٣) الصعيدية كان يُتكلم بها في مصر العليا ؛ وهي أقدمها ترجع إلى القرن الرابع الميلادي ، والأخميمية في منطقة طيبة ، والبحيرية في شمال دلتا وجوار البحر المتوسط ؛ وهي أحدثها وترجع إلى القرن السابع الميلادي ، وهناك ترجمة رابعة وهي الفيومية حول منطقة الفيوم . المدخل إلى العهد القديم ص ٧٨ ، وفلسطين بين الحقائق والأباطيل ص٢٧-٢٨.

الترجمة الحبشية :

بعد أن انتشرت المسيحية في الحبشة، يرى بعض الباحثين أن فرومنتيوس أسقف الحبشة عام ٣٧٠م هو الذي قام بترجمة الأسفار المقدسة إلى اللغة الحبشية أو تحت إشرافه شخصياً، مأخوذة من السبعينية. وفي القرن الرابع عشر نقحت الترجمة الحبشية في ضوء اللغات السريانية والعبرية واليونانية[١].

الترجمة الإنجليزية :

أول ظهور للكتاب المقدس مترجم بالإنجليزية بجملته كان عام ١٣٨٣م بواسطة اتباع جون ويكلف ، وبنيت هذه الترجمة على الترجمة اللاتينية[٢].

ومع اختراع الطباعة ، وتطور اللغة الإنجليزية في صورة أنسب للتعبير ، ظهرت تراجم عدة للكتاب المقدس ، أولها كانت في القرن السادس عشر الميلادي، وقام بها وليم تندل عام ١٥٩٢ م (Tyndate Bible) والتي تعد أول ترجمة مأخوذة من الأصل العبري للعهد القديم ، والأصل اليوناني للعهد الجديد ، وتبعت هذه الترجمة تراجم عدة في القرن نفسه ، كان آخرها ترجمة الملك جيمس عام ١٦١١م[٣].

كما شهد القرن العشرين ترجمات كثيرة منها : الترجمة اليهودية للكتاب المقدس في الإنجليزية عام ١٨٨٤م وعام ١٩١٧م ، وترجمة للتوراة عام ١٩٦٣م ، وترجمة رونالد نوكس عام ١٩٥٠ م وهي مبنية على اللغة اللاتينية ، وترجمة Jerusalem Bible عام ١٩٦٦م بواسطة علماء كاثوليك فرنسيين ، وفي عام ١٩٧٠م ظهرت ترجمة New English Bible من طوائف في إنجلترا وأسكتلنده[٤].

---

(١) المدخل إلى العهد القديم ، للقس صموئيل يوسف خليل ص٧٩.

(٢) المرجع السابق ص ٨٠.

(٣) ترجمة الملك جيمس (King James Version) : في عام ١٦٠٤م طلب ملك بريطانيا الملك جيمس ، من علماء اللاهوت أن يقوموا بترجمة للكتاب المقدس من اللغات الأصلية (العبرية واليونانية) إلى الإنجليزية ، ليمكن استخدامها في كل كنائس إنجلترا ، فانتهت هذه الترجمة التي قام بها سبعة وأربعون مّن علماء اللاهوت عام ١٦١١م ، ولم تأخذ هذه الترجمة مكانتها في الاستخدام الديني إلا بعد نصف قرن من الزمان ، وأخذت في الانتشار الشعبي والذيوع حتى وصلت إلى مكانة لم تصل إليها أي ترجمة إنجليزية أخرى ، وخلال ثلاثة قرون ونصف أعيد تنقيحها عام ١٨٨٠م ، و ١٩٠١م ، و ١٩٥١، و١٩٧١ م المرجع السابق ص٨٠-٨١.

(٤) وتختلف هذه الترجمة عن الترجمات الإنجليزية السابقة في أنها صيغت بأساليب اللغة العادية لا بالأساليب الدينية التقليدية القديمة، وفي اتسامها بالتحرر الكامل من قيود والتزامات جميع الترجمات السابقة ، وفي تصرفها معنى ومغزى في بعض النصوص بالانحراف بها إلى غير اتجاهها الأصلي أو بإضافة أمور أخرى إليها ، وفي اشتمالها على اثني عشر سفراً =

الترجمات العربية :

يعتقد غالبية الباحثين أن الترجمة العربية الشاملة للأسفار المقدسة بدأت بعد ظهور الإسلام وانتشاره خارج حدود الجزيرة العربية(١).

وقيل إن أقدم ترجمة عربية تلك التي قام بها ((يوحنا)) أسقف أشبيلية -من أعمال أسبانيا- عام ٧٢٤م ، وقيل عام ٧٥٠م ، والتي نقلها عن ترجمة إيرونيموس اللاتينية التي شاعت في أسبانيا. ثم قام رجل يهودي بترجمة أخرى مأخوذة من العبرية ، وهذا الرجل اسمه سعديا بن جاوون أو

= من الأسفار المعروفة بالأسفار الخفية ، انظر في هذا مقالا للأستاذ شوقي عبدالحكيم في عدد ١٩٧٠/٩/٥م من أخبار اليوم، نقلا من الأسفار المقدسة د. علي عبد الواحد وافي ص ٢٢ ، وأيضا من الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف د.يحيى محمد علي ربيع ص ١٤٠،. وانظر المدخل إلى العهد القديم ص ٨١.

(١) يقول جميل حناطر انجان ((وهو أحد خريجي مدارس اللاهوت الإنجيلية)) في كتابه (الكتاب المقدس في اللغة العربية) : لما ظهر الإسلام لم يكن قد ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة العربية ، فلم يكن للكنيسة المسيحية القوة الكافية للوقوف أمام رسالته. انظر : الأسفار المقدسة قبل الإسلام د. صابر طعيمة ص ٩٥ ، والمدخل إلى العهد القديم ، للقس صموئيل يوسف ص٨٢.

يقول فضيلة د. صابر طعيمة : وما كان في يد أهل الكتاب من العرب -حتى مطلع القرن السابع الميلادي أي حتى وقت ظهور الإسلام وانتشاره- كان خليطا من اليونانية والسريانية والعبرية غير المشكلة ولا المضبوطة وكانت شرائعهم تتداول مشافهة ، وما كان مكتوبا من الكتاب المقدس بعهديه عند اليهود والنصارى العرب قبل الإسلام لم تكن تتداوله إلا فئة قليلة ممن كان يعرف تلك اللغات المكتوب بها ذلك الكتاب كالسريانية واليونانية. انتهى كلامه بتصرف. انظر : الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص ٩٥.

وقال أيضاً : ((وليس صحيحاً ما يقوله (الثعالبي) في كتابه (قصص الأنبياء) من أن كتب اليهود والنصارى كانت معروفة عند العرب وبلغتهم قبل ظهور الإسلام ... لو كان هذا القول صحيحاً عن ورقة بن نوفل وبحيرا الراهب في مكة وغيرهم من قيادات أهل الكتاب التي كانت في المدينة ولو كان الكتاب المقدس قد نُقل إلى اللغة العربية قبل الإسلام ... لعُرف ذلك وشاع ولكن شيئاً من هذا لم يتم تداوله و لم يتحدث به أحد من علماء التاريخ والحضارة المسلمين أو غيرهم وكل ما هنالك والله أن بعض مدونات التوراة والإنجيل ربما تكون قد كُتبت كتابة عربية خاصة لبعض الأحبار ، لكنها لم تكن شائعة . المرجع السابق ص ٩٦ .

ومن الأمثلة على أن أهل الكتاب من العرب كانوا يستخدمون تلك اللغات المكتوب بها كتابهم المقدس ، ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى – قبل أن يسلم جاء في الحديث الطويل الذي فيه : أن رسول الله محمد ﷺ لما كان يتحنث في غار حراء جاءه جبريل عليه السلام فقال له أقرأ... وفي نهاية الحديث جاء وصف لورقة بن نوفل فيه أنه كان امرءاً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني... ، فتح الباري (١/٣٠/ح٣). ومن الأدلة على إسلام ورقة بن نوفل قول الرسول ﷺ : (قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض) رواه الإمام أحمد وحسنه الساعاتي في الفتح الرباني (١٧٤/٢٠). وانظر أيضا : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د. مهدي رزق الله أحمد ص ١٥٩.

(سعيد بن يوسف الفيومي) توفي عام ٩٤٢م[١] ، وفي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهرت تراجم للكتاب المقدس بعهديه ، وهي : الترجمة الأمريكية – البروتستانتية التي قام بها خمسة أعضاء عام ١٨٦٠م للعهد الجديد وعام١٨٦٤م للعهد القديم[٢].

والترجمة الكاثوليكية -اليسوعية- اللاتينية ، قام بها الآباء اليسوعيون في بيروت أيضا ، وقد استغرقت هذه الترجمة تسع سنوات ، من عام ١٨٧٢م إلى عام ١٨٨٠م ، فأصدرت العهد الجديد عام ١٨٧٨م والعهد القديم عام ١٨٨٠م[٣].

وهناك ترجمة أخرى قام بها فارس الشدياق سنة ١٨٥١م عهدت بها إليه إحدى اللجان الإنجليزية، وصدرت هذه الترجمة ، عام ١٨٥١م وقيل عام ١٨٥٧م عن جمعية الكتاب المقدس ، وقد منعت هذه الترجمة من التداول لكون صاحبها أعلن بعد الفراغ منها إسلامه ، واتخذ له اسم أحمد وتكنى بأبي العباس ردّاً على ما وجده من المغالطات والتناقضات الموجودة في كتابهم المقدس ، والأستاذ فارس ((أحمد)) الشدياق من أصل لبناني، توفي عام ١٨٨٧م[٤].

---

(١) انظر : بروتوكولات حكماء صهيون ، لعجاج نويهض ص ٥٨٦-٥٨٧ ، والعرب واليهود في التاريخ د. أحمد سوسة ص ٣٢٥-٣٢٦ ، والمدخل إلى العهد القديم ، للقس صموئيل يوسف ص ٨٢ ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية د. فتحي محمد الزغبي ص ٦١-٦٢ ، والأسفار المقدسة قبل الإسلام د. صابر طعيمة ص ٩٦-٩٧.

(٢) وهذه الترجمة قام بها الإرساليون الأمريكان في بيروت بواسطة لجنة مؤلفة من خمسة أعضاء : اثنان أمريكيان وهما عالي سمث وكرنيليوس فانديك ، وثلاثة لبنانيون هم بطرس البستاني وناصيف اليازجي ويوسف الأسير الحسيني ، وقد فرغت هذه اللجنة من تحقيقاتها بإصدار العهد الجديد عام ١٨٦٠م والعهد القديم عام ١٨٦٥م ومن ثم عمدت إلى ضم العهدين معا في مجلد واحد. انظر : بورتوكولات حكماء صهيون ٥٨٨-٥٩٤ ، والعرب واليهود في التاريخ ص ٣٢٦ ، والمدخل إلى العهد القديم ص٨٣.

(٣) هذه الترجمة قام بها الآباء اليسوعيون في بيروت ، وعلى رأسهم الأب روديت اليسوعي ، وقد استعانوا بالأستاذ: إبراهيم اليازجي، وقد جرت طباعة هذه الترجمة على مطابع ونفقة المطبعة الكاثوليكية في بيروت ، وفي عام ١٩٦٠ عاودت المطبعة الكاثوليكية طباعة هذه الترجمة في مجلد واحد بضم العهدين معا. وتعتبر هاتان الترجمتان (الترجمة البروتستانتية الأمريكية والترجمة الكاثوليكية اليسوعية) الأكثر تداولا بين المسيحيين العرب ، ويقول كل من القائمين بهما إنهم استندوا في ترجمتهم على الكتب الأصلية في اللغات اليونانية والكدانية الآرامية ، ويضم العهد القديم في الترجمة الأولى ٣٩ سفرا بينما تضم الترجمة الثانية ٤٦ سفرا ، كما مر معنا من قبل ص ١٢٩ من هذا البحث. انظر : بروتوكولات حكماء صهيون لعجاج نويهض ص ٥٩٥-٦٠١ ، والعرب واليهود في التاريخ د. أحمد سوسة ص ٣٢٦-٣٢٧ ، والتوراة بين الوثنية والتوحيد ، لسهيل ديب ص ٢٧ ، والمدخل إلى العهد القديم ، للقس صموئيل يوسف ص٨٣ ، والأسفار المقدسة قبل الإسلام د. صابر طعيمة ص ١٠١-١٠٥.

(٤) انظر : بروتوكولات حكماء صهيون ص ٦٠٢-٦١٥ ، والعرب واليهود في التاريخ ص ٣٢٧ ، والمدخل إلى العهد القديم ص ٨٣ ، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٦٢.

المبحث الثاني : التلمود.

يعتبر التلمود المصدر الثاني للفكر اليهودي .

والتلمود ، لفظة عبرية ، مستخرجة من كلمة ((لامود)) التي تعني الكتاب الذي يحتوي على التعاليم ((اليهودية)) التي تدعى اليوم ، ومنذ زمن طويل ، باسم ((التلمود)) أي الكتاب العقائدي الذي يفسر وحده ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه[1].

ينقسم التلمود إلى جزءين : ١) المشناة. ٢) الجمارا.

أولا : المشناة :

وهي أصل التلمود ومتنه[2] ، حيث هي مجموعة من الشرائع اليهودية المروية على الألسنة ، والتي كان بعض اليهود وما يزالون يعدّونها مصدرا من مصادر التشريع ، يأتي في المقام الثاني بعد التوراة -أسفار موسى الخمسة- مباشرة[3] ، فهم يرون أن موسى عليه السلام بالإضافة إلى تسلمه ألواح الحجر المكتوب عليها التوراة -الأسفار الخمسة- من الله على جبل سيناء ، فقد تسلم منه أيضا شريعة شفوية ، ومعنى ذلك أن موسى عليه السلام -في زعم اليهود- تلقى شريعتين أو توراتين ، المكتوبة وهي الأسفار الخمسة ، والشفوية وهي هذه التي أطلق عليها فيما بعد مشناة. وهي تفسيرات وإيضاحات للتوراة المكتوبة ، وأيضا تكملة لها.

فالمشناة -عندهم- شريعة مقدسة ينبغي التمسك بها والعمل بمقتضاها[4].

---

(١) فضح التلمود ص٢١ آي.بي.برانايتس ، إعداد زهدي الفاتح.

وللتلمود معان ثلاثة هي :

أ) التلمود بمعنى التعليم والتعلم والدرس (Midrash) المدراش.

ب) تدل على التدريس بواسطة نصوص الكتاب المقدس ، والاستنتاجات التفسيرية المستخلصة من دراسة تلك النصوص أي أنها طريقة خاصة في التعليم والمحاجة ، حيث يتم شرح الأصول الشرعية والأحكام الفقهية بالاستناد إلى نصوص التوراة وتفسيرها الإثباتي.

ج) التلمود بمعناه اللاحق : مصنف للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهية لليهودية. وهذه الدلالة هي الأكثر شيوعا وشمولا منذ منتصف القرن الثامن الميلادي. انظر : التلمود والصهيونية ص ١٠٥ د. أسعد رزوق.

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ١١ ، ظفر الإسلام خان.

(٣) الفكر الديني اليهودي ص ٦٦ د. حسن ظاظا.

(٤) فضح التلمود ص ٢١-٢٢ ، والتلمود والصهيونية ص ١٠٧ - ١٠٨ د. رزوق ، والفكر الديني اليهودي ص ٦٦ د. حسن ظاظا ، والكنز المرصود ص ٤٧-٤٨ ترجمة د. يوسف نصر الله.

و قد انقسم اليهود في مختلف مراحل تاريخهم إلى فرق دينية ، وأهم موضوع يدور حوله اختلاف هذه الفرق هو الاعتراف بأسفار العهد القديم وأسفار التلمود أو إنكار بعضها ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام وتعاليم. وترجع أهم فرقهم=

وقد فسر بعض علماء اليهود نص سفر الخروج : ((وقال الرب لموسى اصعد إلي إلى الجبل ، وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم))[1]. فقال : ((إن المراد من الألواح : الوصايا العشر، والشريعة : هي الشريعة المكتوبة، والوصية : هي المشناة لتعليمهم : أي الجمارا ، فهذا كله أعطي لموسى في طور سينا))[2] وهذه الشريعة الشفوية – مشناة– في زعمهم ، ظلت الأجيال المتعاقبة تتناقلها شفويّاً جيلا بعد جيل ، حتى جاء حين من الدهر بات من المستحيل استيعابها والحفاظ عليها شفويّاً[3].

وقيل إن هذه الشريعة كانت تروى بلا رقيب ولا حسيب ، وتسودها الفوضى الكاملة إلى القرن الأول قبل المسيح ، فكان أول جهد بذل لإقرار شيء من النظام والمنهج في تلك الشريعة المختلطة من الروايات ، هو الذي قام به العالم اليهودي هليل[4] الذي خطط تقسيم هذه المرويات

=الباقية والمنقرضة إلى خمس فرق. وهي فرقة الفريسيين ، وفرقة الصدوقيين ، وفرقة السامريين ، وفرقة الحسديين ، وفرقة القرائين.

والذين يؤمنون بأسفار التلمود ويعتقدون الاعتقاد الذي أوردناه هم : فرقة الفريسيين. وهم أهم فرق اليهود وأكثرها عددا في ماضي تاريخهم وحاضره. وقد استمروا إلى يومنا هذا تحت أسماء مختلفة هي التي تميز الجماعات والأحزاب الدينية الصهيونية في فلسطين المحتلة وباقي أنحاء العالم.

راجع في تفاصيل الحديث عن فرق اليهود : الأسفار المقدسة ص٦٢-٧٥ د. وافي ، والفكر الديني اليهودي من ص٢٠١-٢٧٣ د. ظاظا ، واليهود واليهودية ص١١٩-١٣٤ د. عبد الجليل شلبي.

(١) خروج ٢٤: ١٢.

(٢) هذا يرويه اليهود عن الحاخام ليفي ين شما الذي يروي عن سيمون بن لاكيش هذا التفسير. كتاب الأدب العبري ، مقدمة المترجم د. جوزيف باركلي ، انظر : التلمود تاريخه وتعاليمه ص ١٤ ظفر الإسلام خان ، واليهودية في اسفارها المقدسة ص ١٤٠ د. إبراهيم محمد إبراهيم.

وقال الأستاذ ظفر الإسلام خان معقبا على هذا التفسير : وتتضح من هذا خدعة الحاخام لشعبه : كيف إنه يفرق بين ألواح الحجر والشريعة المكتوبة (وهما شيء واحد) ثم زعم أن الوصية : هي المشناة. ثم يخدع شعبه مرة أخرى بأن يوهمهم بأن المراد من ((تعليمهم)) : ليس تعليم التوراة وإنما تعليم الجمارا ((حيث هي تعتبر الأهم بين الكتب التي وضعها الحاخامات)) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ١٤.

(٣) قصة الحضارة ، الجزء ٣ من المجلد ٤ (١٤) ص١١ ، وفضح التلمود ص ٢٢ إعداد زهدي الفاتح ، والتلمود تاريخه وتعاليمه ص١٤-١٥ ظفر الإسلام خان ، واليهودية في أسفارها المقدسة ص١٣٨ د. ابراهيم محمد إبراهيم.

(٤) هليل : رئيس المجلس الديني الأعلى ((السنهدرين)) في أيام هيرودس ، ولد في بابل ، وقيل أنه من نسل داود عن طريق أمه. هاجر إلى فلسطين وبقى فيها ٤٠ سنة ، يمثل وجهة نظر فرقة الفريسيين ، الفكر الديني اليهودي ص٦٦ د. ظاظا ، وبروتوكولات حكماء صهيون ص٤٦١ عجاج نويهض.

إلى أقسامها الستة المعروفة ، ثم جاء من بعده عالم آخر هو عقيبة بن يوسف[1] فنظم بعض التفاصيل الجزئية في داخل هذه الأقسام الستة ، حيث أنه هو الذي أرسى أصول التأويل والتفسير التلمودي على قواعد ، ثم جاء تلميذه العالم اليهودي مئير[2] فأكمل نصوص المشنة وأضاف إلى نظامها مزيدا من الإحكام ، وهذه النسخة التي أعدها مئير من المشناة هي التي ارتضاها فيما بعد العالم اليهودي يهوذا هاناسي[3] وأعدها على الوضع المعروف الآن ، وكان ذلك حوالي نهاية القرن الثاني بعد الميلاد ، وعلى هذه الصورة باتت المشناة أساس ما سمي بعدئذ بالتلمود[4] ، ولغة المشناة هي اللغة العبرية تتخللها ألفاظ كثيرة مستعارة من اللغات المجاورة ، ومنها اليونانية واللاتينية[5].

وتنقسم المشناة -كما قلت- إلى ستة أقسام وهي كما يلي :

١) زيرائيم أي البذور ، ويتضمن اللوائح الزراعية.

٢) موئيد أي الأيام المقررة ، ويحتوي على لوائح الأعياد والصيام.

٣) نشيم أي المرأة ، ويتضمن قوانين الزواج والطلاق والنذور.

٤) يتريكين أي الأضرار ، ويشمل القوانين المدنية والجنائية.

٥) كوداشيم أي الأشياء المقدسة ، ويشمل الشرائع الخاصة بالصلاة والقرابين وخدمة الهيكل.

٦) توهاروث أو طهاروت أي الطهارة ، ويشمل الأحكام الخاصة بالطهارة والنجاسة.

وهذه الأقسام الستة تسمى سيداريم أي الأنظمة أو الأوامر الدينية الستة.

---

(١) عقيبة بن يوسف ، عالم يهودي مات في قتال الرومان سنة ١٣٢م ، يقال إنه هو مهندس أوضاع المشنا ، ولولا عمل عقيبة -قالوا- لما كان هناك تلمود وهو مؤسس اليهودية الحاخامية ولد فيما بين ٤٠-٥٠ م ، التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٩٤ ظفر الإسلام خان ، وبرتوكولات حكماء صهيون ص٤٦٤ عجاج نويهض.

(٢) مئير أو مائير ، عالم يهودي من تلاميذ عقيبة بن يوسف واقتفى أثره في الاعتناء بالمشناة وهذا الحاخام يسمى أيضا بعامل المعجزات وهو أحد علماء الجيل الثالث من الحاخامات الذين يسمون تنائيم وأكبر رجال التلمود في القرن الثاني الميلادي بعد أستاذه عقيبة ، كان اسمه الحقيقي ميشا ثم سمي ((مئير)) أي المنير ، بسبب خدماته في إكمال التلمود. المرجعان السابقان.

(٣) يهوذا هاناسي : ولد سنة ١٣٥م ابن معلم مشهور هو سيمون بن عملائيل الثاني من عائلة غنية. درس اليونانية وكان صديق الرومان. المرجع السابق ص ٤٦٥ عجاج نويهض.

(٤) الفكر الديني اليهودي ص٦٦ د. حسن ظاظا ، واليهودية في أسفارها المقدسة ص ١٤٣ د. إبراهيم محمد إبراهيم ، وانظر بتوسع إلى بروتوكولات حكماء صهيون ٤٦١-٤٦٥ عجاج نويهض.

(٥) قصة الحضارة (١٤) ص١٥ ول ديورانت ، والتلمود تاريخه وتعاليمه ص ١٩ ظفر الإسلام خان.

وكل قسم من هذه الأقسام يحتوي بدوره على عدة فصول بحيث يصل مجموع الفصول للأقسام إلى ثلاثة وستين فصلا[١].

ثانيا : الجمارا.

وهي عبارة عن حواشٍ وشروحات مسهبة على المشناة[٢] ، وهي بمعنى التكملة أي عبارة عما أضيف إلى هذه الشريعة بقصد استكمالها[٣] ، وحيث إن المشناة هي الجزء الرئيسي والأساسي للتلمود ، وإنه المرجع الرسمي الموثوق به لشريعتهم ، فقد اعتمده اليهود ووزعوه على أكاديميتهم في بابل[٤] وعلى أكاديميتهم في فلسطين[٥] ، بدأت طبقات متعاقبة من أحبار اليهود تشرح نص المشناة ، شرحا مستفيضا ، تودع من خلاله كل ما أرادت الاحتفاظ به وإشاعته بين اليهود من شرائع وفتاوي وحكايات وأساطير وخرافات وتفريعات واستطرادات ، في كل علم وفن دون ترتيب أو تخطيط[٦] وهكذا كثرت التفسيرات يوما بعد يوم حول محتويات هذا النص ، في كل من البيئتين المختلفتين ، فلسطين غربا والعراق شرقا ، فكانت تدون وتضاف إلى النص (المشناة) كجزء جديد ، شكل فيما بعد ما يعرف باسم الجماره ، ولكن هناك جماره أو شروح بواسطة حاخامات فلسطين ، وجماره أو شروح بواسطة حاخامات بابل ، فأدى هذا إلى ظهور تلمودين ، التلمود الأورشليمي ، والتلمود البابلي ، ولا يختلف التلمودان إلا في الجمارا أو ((الشروح)) ، أما المتن المشروح (المشناة) فهي فيهما واحد[٧].

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر الإسلام خان ص ١٥-١٦ ، وانظر بتوسع في ذكر فصول هذه الأقسام إلى الفكر الديني اليهودي ص ٦٧-٧٥ د. حسن ظاظا. فضح التلمود ص ٢٦-٣٦ إعداد زهدي الفاتح.

(٢) التلمود ، تاريخه وتعاليمه ص١١ ظفر الإسلام خان ، الكتر المرصود ص٤٨ ترجمة د. يوسف نصرالله.

(٣) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٩٦ د. فتحي الزغبي. بروتوكولات حكماء صهيون ص٤٦٦ عجاج نويهض. التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٢٠ ظفر الإسلام خان.

(٤) حيث إن مراكز البحث العلمي والديني في العراق -بابل- موزعة على ثلاثة مراكز هي : نهر دعة ، في إقليم مابين النهرين بشمال العراق إلى الجنوب الشرقي من مدينة الرها ، وبلدة سورة القريبة من بغداد في إقليم الجزيرة بوسط العراق ، ثم ظهرت أخيرا قاعدة ثالثة للنشاط اليهودي التلمودي في العراق بالقرب من سورة ، في مدينة عانة التي كانت تسمى قديما فومباديثا. الفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص ٨٤ ، وفضح التلمود ، إعداد زهدي الفاتح ص ٢٣.

(٥) وفي فلسطين كانت هناك مراكز ثلاثة أيضا ، في شمال البلاد هي : طبرية ، وقيسارية ، وصفورية ، وهو الإسم الدارج الآن للبلدة التي كانت على أيام اليونان تسمى سفوريس. المرجع السابق د. ظاظا ص٨٤.

(٦) الفكر الديني اليهودي ص ٨٢-٨٣ د. حسن ظاظا.

(٧) الفكر الديني اليهودي ص٨٣ ، والتلمود تاريخه وتعاليمه ص٢٢، وبروتوكولات حكماء صهيون ص٤٦٦.

١) التلمود الأورشليمي :

وسمي بذلك تبركاً بمدينة القدس ، ويسمى أيضا تلمود أرض إسرائيل ، والتلمود الفلسطيني، والتلمود الغربي ، بحكم وجود فلسطين في الناحية الغربية من العراق.

تم جمعه سنة ٤٠٠م ، حيث إنه لما قارب القرن الرابع على الانتهاء نسقت مدارس فلسطين شروطها وصاغتها في الصورة المعروفة بالجمارا الفلسطينية أي تلمود فلسطين[١] ، وكان الحاخام جوشانان على رأس القائمين بأمر تدوين هذا التلمود[٢].

٢) التلمود البابلي :

وسمي بذلك تذكيرا بقوة البحث الديني في العراق منذ السبي البابلي على أيام بختنصر ، ولأن العراق كانت منذ ذلك الوقت تسمى عند اليهود ((بابل)). ويسمون هذا التلمود بالشرقي – لوقوع العراق شرق فلسطين– العراقي[٣]. شرع الكوهن رب آشي[٤] في تقنين هذا التلمود[٥] ، وأتمه في عملية التجميع بشكلها النهائي الحاخام ربينا الثاني بار في حوالي سنة ٥٠٠م[٦].

وكما مر فإن التلمودين الأورشليمي والبابلي يتفقان في أصل المتن (المشناة) ولكنهما يختلفان في الجمارا أو الشروح من عدة وجوه :

---

(١) قصة الحضارة (١٤) ص ١٤ ول ديورانت ، والتلمود تارخه وتعاليمه ص ٢٢ ظفر الإسلام خان.

وقال الأستاذ خان : ((والحقيقة أن علماء قيصرية هم الذين قاموا بتدوين تلمود أورشليم وليس علماء أورشليم أنفسهم ، ويذكر هذا الاسم مجازا على سبيل إطلاق الكل على الجزء)) ص ٢٣.

(٢) جوشانان : كبير اليهود في القدس لمدة ثمانين سنة وقد كتب ٣٩ فصلاً من الشروحات على المشناة ، انتهى منها عام ٢٣٠ م ، فضح التلمود ص ٢٤ ، أي. بي. براناتيس ، اعداد : زهدي الفاتح ، وظفر الإسلام خان ، المرجع السابق.

(٣) الفكر الديني اليهودي ص ٨٣ د. حسن ظاظا.

(٤) الكوهن رب آشي : رئيس جامعة سورا ، استمر يعمل في تجميع جمارا بابل حوالي ستين سنة وكان هدفه من ذلك إن تكون في أيدي اليهود لائحة قانونية معتمدة وكتاب يدرسه الطلبة اليهود. واسمه الحقيقي : سليمان بن إسحاق ، ولد في بلدة ترواز الفرنسية سنة ١٠٤٠م وسمي ((راشي)) باختصار الأحرف الأولى من اسمه : رابينو (حاخامنا) شيلو مويتسحاقي. أكمل تفسيره الشهير للتوراة في سن الثالثة والثلاثين. مات في سن الخامسة والسبعين ، التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٩٤ ظفر الإسلام خان.

(٥) قصة الحضارة (١٤) ص ١٤ ول ديورانت ، وفضح التلمود ص ٢٤–٢٥ إعداد زهدي الفاتح ، والتلمود تاريخه وتعاليمه ص ٢٤ ظفر الإسلام خان ، والتلمود شريعة بني إسرائيل ص ٩ ترجمة وإعداد محمد صبري ، وبروتوكولات حكماء صهيون ص ٤٦٦ عجاج نويهض.

(٦) ربينا الثاني بار من جامعة سورا أيضاً ، توفي سنة ٤٩٩م وقيل بل الحاخام سابورائيم (في القرنين السادس والسابع) هو الذي وضعه في الصورة النهائية حيث إنه قام بوضع الحواشي والشروح على نسخة رابينا وفصل في الأمور المختلف في أمرها. المراجع السابقة.

١) التلمود البابلي يغطي بشرحه كل نص المشناة ، بينما التلمود الأورشليمي ظل ناقصاً فلا يشرح إلا بعض المشناة فقط[١].

٢) مادة التلمود البابلي أربعة أمثالها في التلمود الأورشليمي[٢] ، وقيل بل إن تلمود أورشليم ثلث مادة تلمود بابل[٣].

٣) تلمود فلسطين ((الأورشليمي)) ينقصه العمق المنطقي والشمول الجامع اللذان يمتاز بهما تلمود بابل[٤].

٤) طبقات الشراح في العراق ((بابل)) كانت أطول زمنا من طبقاتهم في فلسطين ، فهي تغطي طبقاتهم من سنة ٢١٩م إلى سنة ٥٠٠م ، في حين أن طبقات الشراح في فلسطين لا تغطي إلا الفترة ما بين ٢١٩م و٣٥٩ م[٥].

٥) لغتا التلمودين ، الأورشليمي والبابلي ، مختلفتان ، وتمثلان لهجتين آراميتين ، فالأورشليمي لهجته آرامية غربية (شامية) [٦] أما البابلي فلهجته آرامية شرقية نسجت فيها عبارات بالعبرية ويتضمن كلمات عربية وسريانية ويونانية ولاتينية وكلدانية[٧].

٦) والمعتمد اليوم عند اليهود هو التلمود البابلي ، وذلك بسبب لغته ، وأيضا فإن أحبار اليهود في بابل كانوا يحظون بثقة أرسخ من ناحية التبحر في الفكر اليهودي مما كان يحظى به شرّاح فلسطين[٨].

---

(١) الفكر الديني اليهودي ص ٨٣ د. حسن ظاظا. بينما قال المؤرخ عجاج نويهض : لم يتناول التلمودان حتى ولا أحدهما بشرح كامل يأتي على كل أبوابه ، فالفلسطيني أو الأورشليمي مجمر منه ٣٩ بابا ، والعراقي أو البابلي مجمر منه ٣٧ بابا. بروتوكولات حكماء صهيون ص ٤٦٦.

(٢) قصة الحضارة (١٤) ص ١٥ ول ديورانت.

(٣) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٣٨، والتلمود شريعة بني إسرائيل ص١٠، واليهودية في أسفارها المقدسة ص ١٤٨.

(٤) وقيل إن هذا يرجع إلى أن تلمود بابل ألف في فترة استغرقت قرنا من الزمان في سلام وأمان ، أما تلمود فلسطين فجمع على عجل وفي ظروف غير مساعدة بسبب اضطهاد الرومان. التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٣٨ ظفر الإسلام خان ، واليهودية في أسفارها المقدسة ص ١٤٨ د. إبراهيم محمد إبراهيم.

(٥) الفكر الديني اليهودي ص ٨٤ د.حسن ظاظا ، وأشار إلى ذلك عجاج نويهض بالنسبة إلى تلمود بابل حيث ذكر أن شرح تلمود بابل تم من أواخر القرن الثالث الميلادي إلى سنة ٤٩٩ م. بروتوكولات حكماء صهيون ص٤٦٦.

(٦) بينما يقول محمد صبري وظفر الإسلام خان إن تلمود أورشليم لغته لغة عبرية تتخللها عبارات بالآرامية الغربية. التلمود شريعة بني إسرائيل ص ١٠ ، والتلمود تاريخه وتعاليمه ص ٣٩ ، واليهودية في أسفارها المقدسة ص ١٤٩.

(٧) بروتوكولات حكماء صهيون ص ٤٦٩ عجاج نويهض ، والتلمود تاريخه وتعاليمه ص ٣٩ ظفر الإسلام خان ، والتلمود شريعة بني إسرائيل ص ١٠ ترجمة وإعداد محمد صبري ، واليهودية في أسفارها المقدسة ص ١٤٩.

(٨) بروتوكولات حكماء صهيون ص ٤٦٦ عجاج نويهض ، والفكر الديني اليهودي ص ٨٤ د. حسن ظاظا.

وقد طبع التلمود طبعات كثيرة ، أهمها الطبعة الأولى الكاملة للتلمود البابلي التي ظهرت في البندقية في اثني عشر مجلدا من القطع الكبير من سنة ١٥٢٠ إلى سنة ١٥٢٣م. وظهرت بعد هذه الطبعة طبعات أخرى مثل طبعة أمستردام (١٦٤٤-١٦٤٨م) وطبعة مدينة براغ سنة ١٨٣٩ م وغيرها. إلا أنها قد امتدت إليها أيدي التحريف والتبديل تحت اسم الرقابة الدينية الكنسية ، لما في التلمود من نصوص تقدح في عيسى عليه السلام وفي البابوية ، فحذفت من نصوصه المطبوعة خوفا من أن يعتبرها الرأي العام المسيحي في أوربا اعتداء على مقدساته ، ويوجد بياض أو رسم دائرة بدلا من ألفاظ السب في حق عيسى عليه السلام وأمه والبابوية في الطبعات التي خضعت للرقابة الكنسية ، وبقيت الطبعة الأولى الكاملة في حيازة اليهود سرا[١].

وبالنسبة لتلمود أورشليم ، فالنص الحالي له ((في حالة فاسدة جدا ، والنساخ الذين نقلوه لم يترددوا في تصحيحه كلما وجدوا أن المعنى بعيد عن إدراكهم ، وقد تكرر وقوع ذلك كثيرا بسبب أسلوب التلمود البليغ ، وبسبب لغة النص غير المألوفة)) [٢].

وهذا التلمود نشر أيضا في مدينة البندقية من سنة ١٥٢٣-١٥٢٤م في مجلد واحد ضخم. وهناك طبعات أخرى عليها بعض الحواشي والشروح مثل طبعة شيتو مير من سنة ١٨٦٠ إلى ١٨٦٧م[٣].

مكانة التلمود عند اليهود :

عاش اليهود فكريا وروحيا في داخل هذا المجموع من النصوص المقدسة : العهد القديم ، والشريعة الشفوية أو ((المشناة)) ثم التلمود[٤] لأنهم يعتبرونه كتابا منزلا مثل التوراة -كما مر معنا[٥]- ، بالإضافة إلى أنهم يعتبرونه موسوعة ضخمة لا غنى عنها في دراسة اليهودية ، موسوعة

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون ص ٤٦٩ ، والفكر الديني اليهودي ص ٩١ - ٩٣ ، والكنز المرصود ص ٤٨-٤٩ ترجمة د.يوسف نصر الله ، التلمود ص ٢٧ ظفر الإسلام خان.

(٢) دائرة المعارف اليهودية ، نقلاً عن التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٢٥ ظفر الإسلام خان ، ثم عقب على كلامها بقوله . ((يتضح من هذا أن تلمود أورشليم على حالته الموجودة الآن ، فاسد جدا وأن تلمود بابل ناقص جداً -كما مر من قبل- ولا يعني هذا إلا أن اليهود تمكنوا من إخفاء تعاليم تلمودهم الهدامة عن أنظارنا ، أما هم فيعتمدون على النسخ الأصلية التي طبعت في البندقية)).

(٣) الفكر الديني اليهودي ص ٩٢-٩٣ د. حسن ظاظا.

(٤) المرجع السابق ص ٩٥.

(٥) انظر ص ١٤٥ من هذا البحث.

تتضمن الدين والشرائع والآداب والتأملات الميتافيزيقية والعلوم الطبيعية والفلك الشعبي ممتزجة جميعا بألوان مختلفة من الفكر الخرافي(١).

جاء في دائرة المعارف اليهودية : إن التلمود له أسلوب أدبي ممتاز ، وإنه دائرة معارف تشمل كل نواحي الحياة الإنسانية(٢).

وجاء فيها أيضا : إبان انحطاط الحياة الفكرية لدى اليهود ، وهو الانحطاط الذي بدأ في القرن السادس عشر، نظرت أكثريتهم الساحقة إلى التلمود وكأنه السلطة العليا، حتى إن التوراة أنزلت إلى مرتبة ثانوية، والمعاهد اليهودية نذرت نفسها لدراسة التلمود دون منازع(٣).

((إن التلمود قام بدور عنصر التوحيد بين اليهود ، ووضع المواصفات الأساسية لحياتهم ، وأسهم في تماسكهم وجمعهم معاً على صعيد العمل والفكر ، حتى إنه وحدهم في اللغة ، لأن الكتابات اليهودية المتأخرة ، سواء كان ذلك في الكتب أو على صعيد المراسلات الخاصة ، استعملت لغة التلمود وعباراته ، أما المناقشات الشرعية في التلمود فلم تكن وحدها في ممارسة التأثير على اليهود فالقصص والحكايات الرمزية والأمثلة والأقوال المأثورة وهي الموزعة على سياق المناقشات ، لعبت دورا مماثلا من حيث الأهمية القصوى في تكوين الخلق اليهودي ، والتلمود كان قوة فاعلة في بقاء الشعب اليهودي على قيد الحياة))(٤).

وهناك قول يرد ذكره في معظم المقتبسات التلمودية من أجنبية وعربية أنه من درس التوراة (وحدها) فقد فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ، ومن درس المشنا فقد فعل فضيلة واستحق أن يكافأ عليها ، أما الجمارا فلا تسمو على فضيلة درسها أية فضيلة أخرى(٥).

---

(١) التراث اليهودي الصهيوني ص ٨٨ صبري جرجس.

(٢) التلمود شريعة بني إسرائيل ص ١١ ، ترجمة وإعداد محمد صبري.

(٣) التلمود والصهيونية ص١٦٨ ، د. أسعد رزوق.

(٤) المرجع السابق ص ١٨٨-١٨٩.

(٥) المرجع السابق ص ١٨٤. وانظر أيضاً : الكتر المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة د. يوسف نصر الله ص ٥٠ ، والتلمود شريعة بني إسرائيل ص ١١ ترجمة وإعداد : محمد صبري ، وجاء فيه : واليهود الأرثوذكس يعترفون بالتلمود كما هو ، ويتقيدون بنصوصه باعتبارها مترلة ، هذه الآرثوذكسية اليهودية هي الحاكمة اليوم في إسرائيل ص ١١ المرجع السابق : محمد صبري. ولمكانة التلمود عند اليهود راجع بالتفصيل : الفصل الرابع (مكانة التلمود واليهودية التلمودية) ص ١٦٨-١٩٨ من كتاب التلمود والصهيونية د. أسعد رزوق .

والتلمود بما يحتويه لا يمكن أن يكون من الكتب المنزلة ، على عكس ما يعتقد اليهود ، لأن ما يحتويه من التعاليم مناف لجميع الديانات ، وأنه ليس من حق الحاخامات أن يكتبوا أقوالا لا علاقة لها بالرسالات السماوية ، ولأن اليهود يعتقدون أن لكل الحاخامات سلطة إلهية[1].

---

(١) راجع من التلمود الأقوال المحرفة والباطلة في الله سبحانه وتعالى ، وفي الملائكة ، وفي الأنبياء وآدم عليه السلام والمسيح عليه السلام، وفي الشياطين ، وفي الروح والجنة والجحيم ، وفي المرأة ، وفي الأخلاقيات. التلمود شريعة بني إسرائيل ، حقائق ووقائع، ص ١٣-٣٢. ترجمة وإعداد محمد صبري ، والكنز المرصود في قواعد التلمود ، القسم الأول منه، كتاب : اليهودي على حسب التلمود د. روهنج ، ترجمة د. يوسف نصر الله من ص ٥٥ إلى ص ١١٢ ، وإسرائيل والتلمود ، دراسة تحليلية من ص ٣٦-٣٩ ، والباب الثاني من الكتاب : نماذج من التلمود ، إبراهيم خليل احمد ، واليهودية من أسفارها المقدسة من ص ١٥١-١٥٩ د. إبراهيم محمد إبراهيم ، والتلمود تاريخه وتعاليمه ، من ص ٥٠ إلى ٩٣ ، ظفر الإسلام خان ، وفي مسألة موقف التلمود من المسيح عليه السلام والمسيحيين : انظر مجمل كتاب : فضح التلمود (تعاليم الحاخامات السرية) الأب آي بي ، براناتيس إعداد زهدي الفاتح.

الفصل الثاني : نصوص الوعد ودراستها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الوعد وما يحتويه.

المبحث الثاني : الصهيونية والوعد.

المبحث الأول : الوعد وما يحتويه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تحديد الوعد من أسفار العهد القديم.

المطلب الثاني : ما يحتويه هذا الوعد.

المطلب الأول: تحديد الوعد[1] من أسفار العهد القديم.

من سفر التكوين:

((وقال الرب لأبرام انطلق من عشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك * ... فأخذ أبرام ساراي امراته ولوطاً ابن أخيه وجميع أموالهما والنفوس التي امتلكاها في حاران وخرجوا ليمضوا إلى أرض كنعان وأتوا أرض كنعـــان*... فتجلّى الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض))[2].

((وقال الرب لأبرام بعدما فارقه لُوط ارفع طرفك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً * إن جميع الأرض التي تراها لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد *... قم فامش في الأرض طولها وعرضها فإني لك أعطيها))[3].

((في ذلك اليوم بَتَّ الرَّبُّ مع أبرام عهداً قائلاً لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات))[4].

---

(١) ((وعد)) : الواو والعين والدال : كلمة صحيحة تدل على ترجية بقول. يقال : وعدته أعده وعداً. ويكون ذلك في الخير والشر. ففي الخير الوعد والعدة ، وفي الشر الإيعاد والوعيد. قال الأزهري : كلام العرب وعدت الرجل خيراً ووعدته شراً، وأوعدته خيراً وأوعدته شراً ، فإذا لم يذكروا الخير قالوا : وعدته ولم يدخلوا ألفاً ، وإذا لم يذكروا الشر قالوا : أوعدته ولم يسقطوا الألف. ومن القرآن من الوعد بالخير ﴿ **أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاَقِيهِ** ﴾ (القصص الآية٦١) ، ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ (المائدة الآية ٩). ومن الوعد بالشر ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَلَن يُخلِفَ اللَّهُ وَعدَهُ** ﴾ (الحج الآية ٤٧) ﴿ **قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِن ذَلِكُم النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ (الحج الآية ٧٢). ومما يتضمن الأمرين ﴿ **أَلاَ إِنَّ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ** ﴾ (يونس الآية ٥٥) ، وهـــو وعد بيوم القيامة لمن عمل خـــيراً فخير ومن عمل شراً فسيجد سوء عمله ﴿ **فَاجعَل بَينَنَا وَبَينَكَ مَوعِدًا** ﴾ (طه الآية ٥٨) ﴿ **وَلَو تَوَاعَدتُّم لاَختَلَفتُم فِي المِيعَادِ** ﴾ (الأنفال الآية ٤٢).
والوعد من المصادر المجموعة ، قالوا الوعود. يقال : واعدت زيداً إذا وعدك ووعدته. والموعد : موضع التواعد ، وهو الميعاد وقد يكون وقتاً وموضعاً. وقد تواعد القوم واتعدوا ، والاتعاد قبول الوعد.
والموعد : العهد. قال مجاهد في قوله تعالى ﴿ **مَا أَخلَفنَا مَوعِدَكَ بِمَلكِنَا** ﴾ (طه الآية ٨٧) قال : الموعد : العهد ، وكذا قوله تعالى ﴿ **فَأَخلَفتُم مَوعِدِي** ﴾ (طه الآية ٨٦) قال : عهدي. والعهد : حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال ، وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً. قال تعالى ﴿ **وَأَوفُوا بِالعَهدِ إِنَّ العَهدَ كَانَ مَسئُولاً** ﴾ (الإسراء الآية٣٤) ﴿ **وَلَقَد عَهِدنَا إِلَى آدَمَ** ﴾ (طه الآية ١١٥). والعهد جمع العهدة وهو الميثاق واليمين التي تستوثق بها ممن يعاهدك. انظر : لسان العرب ٣/ ٤٦١-٤٦٤، ٣١١-٣١٥. معجم مقاييس اللغة ٦ / ١٢٥. القاموس المحيط ٣٨٧. مفردات ألفاظ القرآن ٨٧٥ ، ٨٧٦.

(٢) ((١٢ / ١ - ٧)).

(٣) ((١٣ / ١٤ - ١٨)).

(٤) ((١٥ / ١٨)).

وكذلك في : ((٧/١٥)) ((٧/١٧-١٠ ، ١٩)) ((٧/٢٤)) ((٢/٢٦-٤)) ((٤/٢٨ ، ١٣)) ((١٢/٣٥)) ((٤/٤٨)) ((٢٤/٥٠)).

من سفر الخروج :

((فقال الرب لموسى الآن ترى ما أصنع بفرعون إنه بيد قديرة سيُطلقهم وبيد قديرة سيطردهم من أرضه * وكلّم اللهُ موسى وقال له أنا الرب * أنا الذي تجلّيت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إلهاً قادراً على كُلّ شيء وأمّا اسمي يهوه فَلم أعلنه لهم * وأقمت معهم عهدي على أن أُعطيهُم أرض كنعان غُربتهم التي نزلوا بها *... وسأدخلكم الأرض التي رفعت يدي مقسماً أن أُعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب فأعطيها لكُم ميراثاً أنا الرب))[١].

((فدعا موسى جميع شيوخ بني إسرائيل وقال لهم... واحفظوا هذا الأمر فريضةً لكم ولبنيكم مدى الدهر * وإذا دخلتم الأرض التي يعطيكم الرب كما قال فاحفظوا هذه العبادة))[٢].

((وقال الرب لموسى قد رأيتُ هؤلاء فإذا هم قساةُ الرِّقاب * والآن دعني يضطرمُ غضبي عليهم فأفنيهم... فتضرّع موسى إلى الرّبِّ إلهه وقال يا رب... واذكُر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين أقسمتَ لهم بذاتك وقلت لهم إنّي أكثّر نسلكم كنجوم السماء وجميع الأرض التي تكلمت عنها سأعطيها لنسلكم فيرثونها إلى الدهر))[٣].

وكذلك في : ((٢/٢٣-٢٥)) ((٨/٣ ، ١٧)) ((١٣/٥ ، ١١)) ((١٩/٥-٦)) ((٢٣/٢٢-٢٣ ، ٢٨-٣٢)) ((٣٣/١-٣)) ((٣٤/١١-١٦)).

من سفر الأحبار ((اللاويين)) :

((وكلّم الرب موسى وهارون قائلاً * إذا دخلتم أرض كنعان التي أنا معطيها لكم مِلكاً))[٤].

((وكلّم الرب موسى قائلاً * مُر بني إسرائيل وقل لهم إذا دخلتم الأرض التي أنا مُعطيكم))[٥].

---

(١) ((٦ / ١-٨)).

(٢) ((١٢ / ٢١-٢٥)).

(٣) ((٣٢ / ٩-١٣)).

(٤) ((١٤ / ٣٣-٣٤)).

(٥) ((٢٣ / ٩-١٠)).

((أنا الرب إلهكُمُ الّذي أخرجكم من أرض مصر لأُعطيكم أرض كنعان وأكونُ لكم إلهاً))[1].

وكذلك في : ((١٨ / ١-٤)) ((٢٠ / ٢٤)) ((٢٥ / ٢)) ((٢٦ /١- ٤٦)).

من سفر العدد :

((فكلّم الرّبُّ موسى قائلاً * ابعث رجالاً يجسون أرض كنعان التي أنا مُعطيها لبني إسرائيل))[2].

((إن جميع الرّجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي صنعتها في مصر وفي البريّة وجرّبوني عشر مرات و لم يسمعوا قولي * لن يروا الأرض التي أقسمت لآبآئهم وكلُّ من استهان بي لن يراها))[3].

((وكلّم الربُّ موسى... قائلاً * مُر بني إسرائيل وقل لهم إنكم جائزون الأردن إلى أرض كنعان * فتطردون جميع أهل الأرض من وجهكُم وتُبيدون جميع منقوشاتهم وأصنامهم المسبوكة ومشارفهم تدكُونَهَا * وتملِكُون الأرض وتُقيمون بها فإنّي قد أعطيتُها لكُم مِيراثاً * وإن لم تطرُدُوا أهل الأرض من وجهكُم كان من تُبقُونَهُ منهم كإبرةٍ في عُيُونكم وكحربةٍ في جُنُوبِكُم يُضايقونكم في الأرض التي أنت مُقيمون فيها))[4].

وكذلك في : ((١٠/٢٩)) ((١١/١٢)) ((١٤/٣٠-٣١)) ((١٥/٢ ، ١٨)) ((١٨/١٩ـــ ٢٠)) ((٢٠/١٢ ، ٢٤)) ((٢١/٢٤ - ٢٦)) ((٢٤/١٧ - ١٨)) ((٢٦/٥٢ - ٥٥)) ((٢٧/ ١٢)) ((٣٢/١-٤٣)) ((٣٤/١-٢٩)).

من سفر تثنية الاشتراع ((التثنية)) :

((... انظروا إنّي قد جعلتُ الأرض بين أيديكم فادخلوا واملِكوا الأرض التي أقسم الرّبُّ لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم))[5].

((وأما مُدُن أولئك الأمم التي يُعطيها لك الرّبُّ إلهك ميراثاً فلا تستبقِ منهم نسمة * بل أبسلهم إبسالاً...))[6].

---

(١) ((٢٥ / ٣٨)).

(٢) ((١٣ / ٣)) وفي البروتستانتية ((١٣ / ٢)).

(٣) ((١٤ / ٢٣-٢٤)).

(٤) ((٣٣ / ٥١-٥٦)).

(٥) ((١ / ٦-٨)).

(٦) ((٢٠ / ١٦)).

((لا تُقرض أخاك بربىً في فضّةٍ أو طعامٍ أو شيءٍ آخر ممّا يُقرضُ بالربى * بل الأجنبي إيّاهُ تُقرضُ بالربى وأخاكَ لا تُقرضهُ بالربى لكي يُباركَ الرّبُّ إلهُكَ جميعَ أعمالِ يديكَ في الأرضِ التي أنت داخلٌ لِتمتلكها))(1).

وكذلك في: ((١/٢١، ٢٥، ٣٥-٣٨)) ((٢ / ١٢، ٢٩)) ((٣/١٨-٢٠، ٢٧-٢٨)) ((٤/١-٤٩)) ((٥/١- ٣٣)) ((٦ / ١ - ٢٥)) ((٧ / ١-١٦)) ((٨/١، ٦-١١، ١٨-٢٠)) ((٩/١-٦، ٢٣-٢٩)) ((١٠/١١)) ((١١/١-٣٢)) ((١٢/١-٣٢)) ((١٣/١٢)) ((١٥/٤-٧)) ((١٦ / ٥، ١٨، ٢٠)) ((١٧ / ٢، ١٤)) ((١٨ / ٩)) ((١٩/١-٣، ٨-١٠، ١٤)) ((٢١ / ١، ٢٣)) ((٢٤ / ٤)) ((٢٥ / ١٥، ١٩)) ((٢٦ / ١ - ٣، ٩-١٠، ١٥ - ١٨)) ((٢٧ / ١- ٤)) ((٢٨ / ١، ٢، ٨، ٩، ١١، ٢١، ٣٦، ٥٢، ٦٣)) ((٢٩/١٣-١٥، ٢٥-٢٩)) ((٣٠ / ١-٢٠)) ((٣١ / ١- ٨، ١٣، ١٦، ٢٠-٢٣)) ((٣٢ / ٤٧-٤٩، ٥٢)) ((٣٤ / ١-٥)).

من سفر يشوع:

((وكان بعد وفاة موسى عبد الربّ أن الربّ كلّم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً * إنّ موسى عبدي قد مات والآن قُم فاعبر هذا الأردن أنت وجميع هؤلاء الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل * من البريّة ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثّيّين وإلى البحر الكبير الذي في جهة مغارب الشمس تكون تخومكم))(2).

((لأن بني إسرائيل ساروا أربعين سنةً في البريّة... لم يطيعوا أمر الربّ الذين أقسم الربّ أن لا يُريهم الأرض التي أقسم لآبائهم أن يُعطيها لنا أرضاً تدرُّ لبناً وعسلاً))(3).

((فقال يشوع لبني إسرائيل إلى متى أنتم مُتقاعدون عن الدخول لامتلاك الأرض التي أعطاكم الرّبُّ إله آبائكم))(4).

وكذلك في: ((١ / ٥-١٨)) ((٢ / ٩، ١٤)) ((٦ / ٢)) ((٩ / ٢٤)) ((١١ / ١٥-٢٣)) ((١٣ / ١ ــ ١٣)) ((١٤ / ١)) ((٢٣ / ١-١٦)) ((٢٤/ ١٣-١٤)).

---

(1) ((٢٣ / ٢٠)).

(2) ((١ / ١-٤)).

(3) ((٥ / ٦)).

(4) ((١٨ / ٣)).

من سفر القضاة :

((وصعد ملاكُ الربِّ... وقال إنّي أخرجتكم من مصر وأدخلتكم الأرض التي أقسمت عليها لآبآئكم وقلت إنّي لا أنقض عهدي معكم إلى الأبد * وأنتم لا تعاهدوا أهل هذه الأرض واهدموا مذابحهم))[1].

((... يقول الربّ إله إسرائيل إنّي قد أصعدتكم من مصر وأخرجتكم من دار العبودية * وأنقذتكم من أيدي المصريين ومن أيدي جميع ظالميكم وطردهم من وجهكم وأعطيتكم أرضهم * وقُلت لكم إنّي أنا الربُّ إلهكم لا تخافوا آلهة الأموريّين الذين أنتم مقيمون بأرضهم))[2]. وكذلك في : ((١٨ / ١-١٠)).

من سفر الملوك الثالث ((وهو الأول في البروتستانتية)) :

((وإذا انهزم شعبك إسرائيل أمام أعدائهم بسبب خطيئتهم إليك ثمّ تابوا إليك واعترفوا باسمك وصلّوا وتضرعوا إليك في هذا البيت * فاسمع أنت من السماء واغفر خطيئة شعبك إسرائيل وردّهم إلى الأرض التي أعطيتها لآبائهم))[3].

((... لأنك أنت وحدك تعرف قلوب جميع بني البشر * ليتقوك كلّ الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض التي أعطيتها لآبائهم))[4].

وكذلك في : ((٨ / ٤٨)) ((٩ /٤-٧)) ((١٤ /١٥)) .

من سفر الملوك الرابع ((وهو الثاني في البروتستانتية)) :

((فرثى الربُّ لهم ورحمهم وعطف عليهم من أجل ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب))[5].

((ولا أعود أيضاً أزعزع قدم إسرائيل من الأرض التي وهبتُ لآبائهم على أن يحفظوا جميع ما أوصيتهم به ويعملوا به وبجميع الشريعة التي أوصاهم بها عبدي موسى)) [6].

---

(١) ((٢ / ١-٣)).

(٢) ((٦ / ٩ ، ١٠)).

(٣) ((٨ / ٣٣ ، ٣٤)).

(٤) ((٨ / ٣٩ ، ٤٠)).

(٥) ((١٣ / ٢٣)).

(٦) ((٢١ / ٨)).

من سفر أخبار أيام الأول :

((يا ذرية إسرائيل عبده يا بني يعقوب مختاريه * هو الربّ إلهنا أحكامه في الأرض كُلّها * تذكروا إلى الأبد ميثاقهُ الكلمة الّتي أوصى بها إلى ألف جيل * الذي بته مع إبراهيم ويمينه لإسحاق * والذي جعله سنّة ليعقوب وميثاقاً دهرياً لإسرائيل * قائلاً لكَ أعطي أرض كنعان حبل ميراثكم))[1].

((لأن داود قال إنّ الربّ إله إسرائيل قد أراح شعبه فهم يسكنون في أورشليم إلى الأبد))[2].

وكذلك في : ((٢٨ / ٨)).

من سفر أخبار أيام الثاني :

((ليتقوك ويسلكوا في طرقك كلّ الأيام التي يحيون فيها على وجه الأرض التي أعطيتها لآبائهم))[3].

((ألست أنت إلهنا الذي طردت سكّان هذه الأرض من وجه شعبك إسرائيل وأعطيتها لنسل إبراهيم خليلك إلى الأبد))[4].

وكذلك في : ((٦ / ١٦ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٨)) ((١٩/٧ ، ٢٠)) ((٣٠/٦-٩)) ((٣٣ / ٨)) ((٣٦ / ٢٢ ، ٢٣)).

من سفر عزرا :

((في السنة الأولى لكورش ملك فارس لكي يتمّ ما تكلم به الرّب بفم إرميا نبّه الرّبُّ رُوح كورش ملك فارس فأطلق نداءً في مملكته كُلّها وكتابات أيضاً قائلاً * هكذا قال كورشُ ملك فارس جميعُ ممالك الأرض قد أعطانيها الرّبُّ إله السماوات وأوصاني بأن أبني له بيتاً في أورشليم التي بيهوذا * فمن كان منكم من شعبه أجمع فإلهُهُ يكونُ معَه فليصعد إلى أورشليم التي بيهوذا ويبنِ بيت الربِّ إله إسرائيل))[5].

((والآن يا إلهنا ماذا نقول بعد هذا فإنّا قد أهملنا وصاياك * التي أمرت بها على ألسنة عبيدك الأنبياء قائلاً إن الأرض التي تذهبون إليها لتملكوها هي أرض مُنَجَّسةٌ بأدناس شعوب الأرض من

---

(١) ((١٦ / ١٣ - ١٨)).

(٢) ((٢٣ / ٢٥)).

(٣) ((٦ / ٣١)).

(٤) ((٢٠ / ٧)).

(٥) ((١ / ١-٣)).

رجاستهم التي ملأوها بها من الطرف إلى الطّرف بنجاستهم * والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلمهم ولا خيرهم إلى الأبد لكي تتمكّنوا وتأكلوا خيرَ الأرض وتورّثوا أعقابكم مدى الدهر))[1].

من سفر نحميا :

((أنت الربُّ الإله الذي اصطفيت أبرام وأخرجته من أور الكلدانيين وجعلت اسمه إبراهيم وقد وجدت قلبه أميناً أمامك فعاهدته على أن تُعطيهُ أرض الكنعانيين والحثّيّين والأموريين والفرزّيين واليبوسيين والجرجاشيين وتُعطيها لنسله وقد حققت وعدك لأنك صادق))[2].

((ورزقتهم خبزاً من السماء في جوعهم ومياهاً من الصخر أخرجت لهم في عطشهم وأمرتهم أن يدخلوا ليملكوا الأرض التي رفعت يدك مُقسماً أن تُعطيها لهم))[3]. وكذلك في : ((١/٨-٩)) ((٩ / ٢٣ ، ٢٤)).

من سفر إستير : ((في الكاثوليكية)) :

((فالآن أيّها الرّبُّ الملك إله إبراهيم ارحم شعبك لأنّ أعداءنا يطلبون أن يهلكونا ويستأصلوا ميراثك))[4].

((لقد سمعت من أبي أنّك أيها الربّ اتخذت إسرائيل من جميع الأمم وآباءنا من جميع أسلافهم الأقدمين لتحُوزهم ميراثاً أبدياً وصنعت معهم كما قلت))[5].

من سفر المزامير :

((إني مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي. لأخبرنّ بحكم الربّ * قال لي أنت ابني اليوم ولدتك * سَلني فأعطيكَ الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض مِلكاً لك))[6].

---

(١) ((٩ / ١٠ — ١٣)).
(٢) ((٩ / ٧-٨)).
(٣) ((٩ / ١٥)).
(٤) ((١٣ / ١٥)).
(٥) ((١٤ / ٥-١١)).
(٦) ((٢ / ٦-٨)).

((لقد علمت أنّ الربّ عظيم وأن سيدنا فوق جميع الآلهة *... هو الذي ضرب أمماً كثيرة وقتل ملوكاً مقتدرين * سيحون ملك الأموريّين وعوجاً ملك باشان وسائر ممالك كنعان * وأعطى أرضهم ميراثاً. ميراثاً لإسرائيل شعبه))[1].

وكذلك في : ((٢٤[أ] / ١٢ ، ١٣ ، ١٤)) ((٣٦[ب] / ٩، ١١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٤)) ((٤٣[ج]/ ٤)) ((٦٨[د] / ٣٦ ، ٣٧)) ((٧٨[هـ] / ١)) ((٨٨[و] /٤ -٥ ، ٢٨-٣٨)) ((١٠٤[ز] / ٨-١١)) ((١١٠[ح] / ٧)) ((١٣١[ط] / ١٢-١٣)) ((١٣٥[ي] / ١٧-٢٢)).

من سفر يشوع بن سيراخ:

((إبراهيم كان أباً عظيماً لأممٍ كثيرة ولم يوجد نظيرهُ في المجد. وقد حفظ شريعة العليّ فعاهدهُ عهداً * وجعل العهد في جسده وعند الامتحان وُجد أميناً * فلذلك حلف له أنّ الأمم سيُباركون في نسلهِ وأنّه يُكثّرُ نسلهُ كتُراب الأرض * ويُعلي ذريته كنُجُومٍ ويُورثّهُم من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقصى الأرض* وكذلك جعل في إسحاق لأجل إبراهيم أبيه * بركةَ جميع النّاسِ والعهد ثمّ أقرّهُما على رأس يعقوب))[2].

((كان يشوع بن نون رجل بأسٍ في الحروب خليفة موسى في النبؤات *... وفي أيام موسى صنع رحمة هو وكالب بن يفُنّا إذ قاما على العدو وردّا الشّعب عن الخطيئة وسكّنا تذمُّر السُّوء * وهما وحدهما أُبقيا من الست مئة ألف راجل ليدخلاهم إلى الميراث إلى أرض تدُرُّ لبناً وعسلاً))[3].

---

(١) ((١٣٤ / ١٠-١٢)). وفي البروتستانتية الإصحاح ١٣٥.

(أ) في البروتستانتية الإصحاح ((٢٥)).

(ب) في البروتستانتية الإصحاح ((٣٧)).

(ج) في البروتستانتية الإصحاح ((٤٤)) فقرة ((٣)).

(د) في البروتستانتية الإصحاح ((٦٩)).

(هـ) في البروتستانتية الإصحاح ((٧٩)).

(و) في البروتستانتية الإصحاح ((٨٩)) فقرات ((٤ ، ٢٧-٣٧)).

(ز) في البروتستانتية الإصحاح ((١٠٥)).

(ح) في البروتستانتية الإصحاح ((١١١)) فقرة ((٦)).

(ط) في البروتستانتية الإصحاح ((١٣٢)).

(ي) في البروتستانتية الإصحاح ((١٣٦)).

(٢) ((٤٤ / ٢٠-٢٦)).

(٣) ((٤٦ / ١ ، ٩-١٠)).

من سفر نبوة أشعيا :

((ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية من يعقوب يقولُ الربُّ * وأنا فهذا عهدي معهم... من الآن وإلى الأبد))[١].

((ويكون شعبك كلهم صديقين وإلى الأبد يرثون الأرض. هم فرعُ غرسي وعملُ يدي الذي أتمجّدُ به))[٢].

وكذلك في : ((١٤ / ٢١)) ((٥٨ / ١٤)) ((٦١ / ٧-٩)) ((٦٤ / ٩-١٢)) ((٦٥ / ٩)).

من سفر إرميا :

((فإني أُسكنكُم في هذا الموضع في الأرضِ التي أعطيتها لآبائكم من الدهر إلى الدهر))[٣].

((لكي أقيم الحلف الذي حلفتُ لآبائكم أن أعطيهم أرضاً تدرّ لبناً وعسلاً))[٤].

وكذلك في : ((٢ / ٧)) ((٣ / ١٤-١٩)) ((١٢ / ١٤ ، ١٥)) ((١٦ / ١٥)) ((١٧ / ٤)) ((٢٣ / ٣٩)) ((٢٤ / ٦ ، ١٠)) ((٢٥ / ٥)) ((٣٠ / ٣)) ((٣١ / ٦-٩ ، ٣١-٣٤)) ((٣٢ /١٥، ٢١-٢٣ ، ٤١)) ((٣٣ / ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦)) ((٣٥ / ١٥)).

من سفر باروك ((باروخ)) :

((فلحق بِنا الشرُّ واللعنة اللّذان أمر الرّبُّ موسى عبده أن يُوعد بهما يوم أخرجَ آباءنا من أرض مصر ليُعطينا أرضاً تدرُّ لبناً وعسلاً))[٥].

((وأعيدهم إلى الأرض التي حلفتُ عليها لآبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب فيتسلّطون عليها وأُكثّروهم فلا يقلّون * وأقيم لهم عهداً أبدياً فأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً ولا أعود أُزعزع شعبي إسرائيل من الأرض التي أعطيتها لهم))[٦]. وكذلك في : ((٢ / ٢١)).

---

(١) ((٥٩ / ٢٠ ، ٢١)).

(٢) ((٦٠ / ٢١)).

(٣) ((٧ / ٧)).

(٤) ((١١ / ٥)).

(٥) ((١ / ٢٠)).

(٦) ((٢ / ٣٤ ، ٣٥)).

من سفر حزقيال :

((في ذلك اليوم رفعتُ يدي لهم على أن أُخرجهم من أرض مصر إلى الأرض التي ارتدها لكُم التي تدرُّ لبناً وعسلاً وهي فخر جميع الأراضي))[1].

((فتعلمون أنّي أنا الربُّ حين آتي بكم إلى أرض إسرائيل إلى الأرض التي رفعت يدي على أن أُعطيها لآبائكم))[2].

وكذلك فـــي : ((١١ / ١٥-١٧)) ((٢٠ / ١٣-٢٤ ، ٢٨)) ((٣٣ / ٢٤ - ٢٦)) ((٣٦ / ١٢ ، ٢٨)) ((٣٧/٢٥-٢٨)) ((٤٤/٢٨)) ((٤٧/١٤-٢١)).

سفر نبوة عاموس :

((وأغرسُهُم على أرضهم ولا يقتلعون فيما بعدُ من أرضهم التي أعطيتها لهم قال الربُّ إلهك))[3].

من سفر عوبديا :

((وفي جبل صهيون تكون النجاةُ ويكونُ قدساً ويرثُ آل يعقوب اللذين ورثوهم))[4].

من سفر زكريا :

((وأُعيدهم من أرض مصر وأجمعهم من أشور وآتي بهم إلى أرض جلعاد ولبنان))[5].

من سفر المكابيين الثاني :

((إلى الاخوة اليهود الذين في مصر سلام. إليكم من الاخوة اليهود الذين في أورشليم وبلاد اليهودية أطيب السّلام * ليبارككم اللّهُ ويذكر عهده مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب عبيده الأمناء))[6].

((والله الذي خلّص جميع شعبهِ وردّ على جميعِ الميراث والملك والكهنوت والمقدس))[7].

وكذلك في : ((١/٢٦-٢٩)) ((١٤/١٥)).

---

(١) ((٢٠ / ٦)).

(٢) ((٢٠ / ٤٢)).

(٣) ((٩ / ١٥)).

(٤) ((١٧-٢١)).

(٥) ((١٠ / ١٠)).

(٦) ((١ / ١-٢)).

(٧) ((٢ / ١٧)).

المطلب الثاني : ما يحتويه هذا الوعد

تلك هي مواضع الوعود التي يدعيها اليهود ، ويدعون أنها تختص بإعطاء الأرض المباركة ((أرض فلسطين وما حولها)) لهم وحدهم ، وأنها تجعل منهم شعبا مالكا لتلك الأرض بمقتضى هذا الحق الإلهي المتكرر في كتابهم.

وكما سيمر ذكره[1] بالأدلة -إن شاء الله-، فإن كثيرا مما ورد في أسفار العهد القديم مدسوس على حقيقة رسالة التوحيد ، وعلى وحي الله لأنبيائه ، ابتداء من أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى آخر من ذكر من أنبياء أسفارهم.

وحيث إن هذه الوعود متكررة على ألسنة كثير من أنبياء أسفار العهد القديم ، وأنها سند اليهود في مطالبتهم بفلسطين ، فسأقوم -إن شاء الله- بالنظر إلى هذه الوعود من زاوية الأمور التالية :

١) لمن أعطيت هذه الوعود ؟

٢) ما هي حدود الأرض الموعودة ؟

٣) هل كانت هذه الوعود مطلقة بلا قيد أو شرط ، أو كانت بقيود وشروط ؟

أولا : لمن أعطيت هذه الوعود ؟

كما هو واضح من استعراض نصوص الوعد في أسفار العهد القديم ، فإن أول نص صريح أعطى أرض فلسطين وما حولها كان لإبراهيم عليه السلام ولنسله من بعده. ((وقال الرب لأبرام انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك ... فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه ... وخرجوا ليمضوا إلى أرض كنعان وأتوا أرض كنعان ... فتجلى الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض))[2] ((فأقام أبرام في أرض كنعان ... وقال الرب لأبرام ... ارفع طرفك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا إن جميع الأرض التي تراها لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد... قم فامش في الأرض طولها وعرضها فإني لك أعطيها))[3].

---

(١) انظر من ص ٢٨٢ من هذا البحث.

(٢) تكوين ١٢: ١-٥-٧.

(٣) تكوين ١٣: ١٢-١٤-١٥-١٧.

((ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة تجلى له الرب وقال له أنا الله القدير اسلك أمامي وكن كاملا فاجعل عهدي بيني وبينك... وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعد جميع أرض كنعان))[1].

ومثلها من نصوص الوعد لإبراهيم عليه السلام ونسله في : تكوين (١٥: ٧، ١٥: ١٨، ٢٤ : ٧) فالوعد كما جاء في الرواية اليهودية كان في الأصل لإبراهيم عليه السلام ، ولنسله من بعده. ثم تحول هذا الوعد إلى ابنه إسحاق عليه السلام دون باقي ذرية إبراهيم عليه السلام ، علما بأن الابن الأكبر لإبراهيم عليه السلام هو إسماعيل عليه السلام وليس إسحاق عليه السلام.

و لم تذكر الرواية اليهودية أسبابا لهذا التحول من جميع نسل إبراهيم عليه السلام إلى إسحاق عليه السلام و لم تذكر شروطا لهذا الاختيار.

((فقال إبراهيم لله لو أن إسماعيل يحيا بين يديك ، فقال الله بل سارة امرأتك ستلد لك ابنا وتسميه إسحاق وأقيم عهدي معه عهدا مؤبدا لنسله من بعده ، وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه وهاأنذا أباركه وأنميه وأكثره جداً جدا ويلد اثني عشر رئيسا وأجعله أمه عظيمة ، غير أن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة))[2].

((فمضى إسحاق إلى أبيملك ملك فلسطين في جرار ، فتجلى له الرب وقال لا تنزل إلى مصر بل أقم بالأرض التي أعينها لك ، انزل هذه الأرض وأنا أكون معك وأباركك لأنني لك ولنسلك سأعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمته لإبراهيم أبيك))[3].

تم تحول هذه الوعد في الرواية اليهودية من إسحاق عليه السلام إلى ابنه يعقوب عليه السلام وهو الابن الثاني له ، و لم يكن لابنه الأول عيسو أي نصيب من الوعد. و لم تذكر الرواية اليهودية أسباباً لهذا التخصيص ، علماً بأنه جاء فيها أن الوعد بالأرض لنسل إسحاق عليه السلام ، ويعقوب عليه السلام جزء من نسله عليه السلام وليس كل نسله.

((فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه فقال له ... والله القدير يباركك وينميك ... ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك من بعدك لترث أرض غربتك التي وهبها الله لإبراهيم))[4].

(١) تكوين ١٧: ١-٢-٨.

(٢) تكوين ١٧: ١٨-٢١.

(٣) تكوين ٢٦: ١-٢-٣.

(٤) تكوين ٢٨: ١-٣-٤.

((وخرج يعقوب من بئر سبع ... فصادف موضعا بات فيه إذا غابت الشمس... فرأى حلما... وإذا الرب... فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق الأرض التي أنت نائم عليها لك أعطيها ولنسلك))[١].

((وظهر الله ليعقوب ... وقال له الله اسمك يعقوب لا يكون بعد اسمك يعقوب بل إسرائيل يكون اسمك.. وقال له الله أنا الله القدير انمّي وأكثّر ... والأرض التي جعلتها لإبراهيم وإسحاق لك أجعلها ولنسلك من بعدك))[٢].

((وقال يعقوب ليوسف : إن الله القدير ... قال لي هاأنا أنميك وأكثرك ، وأجعلك جمهور شعوب وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك ملكا أبديا))[٣].

ثم أصبح الوعد من بعد يعقوب عليه السلام لنسله من بني إسرائيل ، كما جاء في بعض نصوص الرواية اليهودية ومنها :

((وقال يوسف لإخوته أنا مائت والله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي أقسم عليها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب))[٤].

((وكان بعد أيام كثيرة أن ملك مصر مات. وتنهد بنو إسرائيل من خدمتهم وصرخوا وصعد صراخهم إلى الله من الخدمة ، فسمع الله أنينهم وذكر عهده مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونظر الله إلى بني إسرائيل وعرفهم الله))[٥].

((وكلم الله موسى وقال له أنا الرب ... سمعت أنين بني إسرائيل الذين استعبدهم المصريون فذكرت عهدي لذلك قل لبني إسرائيل أنا الرب لأخرجنكم من تحت أثقال المصريين ... وسأدخلكم الأرض التي رفعت يدي مقسما أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب فأعطيها لكم ميراثا أنا الرب))[٦].

وكذلك في خروج : ((١٣: ١١ ، ٣٢: ١٣ ، ٣٣: ١)) وعدد : ((١١: ١٢)) وتثنية : ((١ : ٨ ، ٦: ١٠ ، ٧: ١٣ ، ٨ : ١ ، ١٠: ١١ ، ١١ : ٩)) ومزامير : ((١٣٥ : ٢١ ، ٢٢))

---

(١) تكوين ٢٨: ١٠-١١-١٢-١٣.

(٢) تكوين ٣٥: ٩-١٠-١١-١٢.

(٣) تكوين ٤٨: ٣-٤.

(٤) تكوين ٥٠: ٢٤.

(٥) خروج ٢: ٢٣-٢٤-٢٥.

(٦) خروج ٦: ٢ ، ٥ ، ٦، ٨.

ونبوءة أشعيا : ((٥٨: ١٤)) ونبوءة أرميا : ((٣٠: ٣)) ونبوءة حزقيال : ((١١: ١٧ ، ٢٠: ٤٢ ، ٣٦ : ١٢)) ومكابيين ثاني : ((١ : ١-٢)) ، وغيرها من النصوص[1].

ثانيا : ما هي حدود الأرض الموعودة ؟

باستعراض النصوص الواردة في شأن حدود الأرض الموعودة يتضح لنا أنه ليس من السهل تعيين حدود هذه الأرض ، ومن الصعب القطع فيه برأي.

فهناك نصوص تشير إليها بقولها ((هذه الأرض)) و ((أرض كنعان)) و ((أرض الكنعانيين والحيثيين والأموريين والحويين واليبوسيين)).

وذلك ما جاء في : تكوين : ((١٢: ١-٧ ، ١٥ :٧ ، ١٧: ٨ ، ٢٤: ٧ ، ٢٦: ٣ ، ٤٨: ٣-٤)) ، وخروج : ((٣: ٨ ، ٣: ١٧ ، ٦: ٤ ، ١٣: ٥ ، ١٣: ١١ ، ٢٣: ٢٣، ٣٣: ١-٢-٣ ، ٣٤ : ١١)) ، الأخبار : ((١٤: ٣٤ ، ١٨: ٣ ، ٢٥: ٣٨)) ، وعدد : ((١٣: ٣ ، ١٥: ٢ ، ١٥: ١٨ ، ٢١ : ٢٤-٢٥ ، ٣٢ : ١٩-٢٩-٣٠-٣٠ ، ٣٣: ٥١ ، ٣٤ : ٢)) ، وتثنية : ((٧ : ١ ، ٣٢ : ٤٩)) ، ويشوع : ((٢: ٩ ، ٢: ١٤)) ، وأخبار الأيام الأول : ((١٦: ١٨)) ، ونحميا : ((٩: ٨ ، ٨: ٢٤)) ، ومزامير : ((١٠٤: ١١ ، ١٣٤: ١١-١٢ ، ١٣٥ : ٢١-٢٢))، ونبوءة إرميا : ((٢: ٧)).

وهناك نصوص بتحديد الأرض ولكن أوسع من أرض الكنعانيين ((فلسطين)). كقول النصوص : ((من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)). ((إلى أرض جلعاد ولبنان)).

وذلك ما جاء في : تكوين : ((١٥ : ١٨)) ، وتثنية ((١ : ٧ ، ١١ : ١٤)) ، ويشوع : ((١ : ٤)) ، وزكريا : ((١٠ : ١٠)).

وهناك نصوص جاءت بلا تحديد للأرض الموعودة في أسفار العهد القديم. ولكنها تشير إليها بقولها : ((كل ما تراه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا)) ، و ((جميع الأرض)) و ((إلى أقصى الأرض)) و((كل مكان تطأه أخامص أرجلكم)) و ((أرض غربتك)).

وذلك ما جاء في: تكوين : ((١٣: ١٤-١٥ ، ١٧ : ٨ ، ٢٨ :٤)) ، وتثنية : ((٣: ٢٧)) ، ويشوع : ((١: ٣ ، ٣: ٢٧ — ٢٨ ، ٩: ٢٤ ، ١١ : ٢٤ ، ١٤ :٩)) ، ومزامير : ((٢ : ٩))، ويشوع بن شيراخ : ((٤٤ : ٢٣)).

---

(١) وأيضا النصوص التي بها حدود الأرض الموعودة والنصوص التي بها شروط التمليك والتوريث تدخل في هذا الشأن.

وهناك نصوص جاءت بتحديد الأرض بحدود غير معروفة ، ومبهمة غير واضحة كقول النصوص : ((من أرنون إلى يبوق إلى بني عمون)) ((والجنوب والمرج بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوعر)) ((من البحر الكبير على طريق حتلون وأنت آت إلى صدد حماة بيروتة وسبرائيم)) ((والحد الجنوبي من برية صين على جانب أدوم)) ((وينفذ من الجنوب إلى قادش برنيع ثم ينفذ إلى حصر أدار ويمر إلى عصمون)).

وذلك ما جاء في : خروج : ((٢٣: ٣١)) ، وعدد : ((٢١: ٢٤-٢٥ ، ٣٤: ٢-١٢))؛ وتثنية : ((٣٤: ١-٣)) ، وحزقيال : ((٤٧: ١٤-٢١، ٤٨: ١-٣٥))، وعوبديا: ((١٩-٢٠)).

ثالثا : هل كانت الوعود مطلقة بلا قيد أو شرط أو كانت بقيود وشروط ؟

الوعد بالأرض المباركة ((أرض فلسطين)) وما حولها ، تذكره أسفارهم -أسفار العهد القديم- مرة بأن الرب أعطاهم إياه بلا قيد أو شرط. وأخرى تذكره -وهي النصوص الأكثر- أن الرب أعطاهم إياه بشروط وواجبات.

فمن النصوص التي تذكر الوعد للأبد بلا قيد أو شرط :

((فقال الله بل سارة امرأتك ستلد لك ابنا وتسميه إسحاق وأقيم عهدي معه عهدا مؤبدا لنسله من بعده))(١).

((وقال يعقوب ليوسف إن الله القدير ... قال لي ها أنا أنميك وأكثرك وأجعلك جمهور شعوب وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك ملكا أبديا))(٢).

وفي أشعيا : ((ويكون شعبك كلهم صديقين وإلى الأبد يرثون الأرض))(٣).

وفي نبوءة حزقيال : ((ويسكنون في الأرض التي أعطيتها لعبدي يعقوب التي سكن فيها آباؤكم فيسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد))(٤).

وهناك نصوص -وهي الأكثر من سابقتها- تذكر الوعد بقيود وشروط ، بواجبات على بني إسرائيل للرب وهي التزامهم بأوامر الرب ونواهيه التزاما لا يحتمل التأويل أو التساهل(٥).

(١) تكوين ١٧: ١٩.

(٢) تكوين ٤٨: ٤.

(٣) نبوءة أشعيا ٦٠: ٢١.

(٤) نبوءة حزقيال ٣٧: ٢٥.

(٥) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ١/٣٠١ محمود نعناعة.

ومن هذه النصوص :

((فقال الرب ... إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي صنعتها في مصر وفي البرية وجربوني عشر مرات ولم يسمعوا لقولي ، لن يروا الأرض التي أقسمت عليها لآبائهم وكل من استهان بي لن يراها))(١).

((فاحفظ الوصايا والرسوم والأحكام التي آمرك اليوم أن تعمل بها ، فإذا سمعت هذه الأحكام وحفظتها وعملت بها فجزاؤك أن يحفظ الرب إلهك عهده لك ورحمته التي أقسم عليها لآبائك ، فيحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة أحشائك وثمرة أرضك من برك وعصيرك وزيتك ونتاج بقرك وغنمك في الأرض التي أقسم لأبائك أن يعطيها لك)) (٢).

((فاحفظوا جميع الوصايا التي أنا آمركم بها اليوم لكي تتشددوا وتدخلوا وتملكوا الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها ، ولكي تطول أيامكم على الأرض التي أقسم الرب لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم أرضا تدر لبنا وعسلا ... إحذروا أن تغوي قلوبكم فتضلوا وتعبدوا آلهة غريبة وتسجدوا لها ، فيشتد غضب الرب عليكم فيحبس السماء فلا يكون مطر والأرض لا تخرج أكلها فتبيدون بسرعة عن الأرض الصالحة التي يعطيكم الرب))(٣).

((... وإن حدتم زائغين عن اقتفائي أنتم وبنوكم ولم تحفظوا وصاياي ورسومي التي جعلتها أمامكم وذهبتم وعبدتم آلهة غريبة وسجدتم لها فإني أقرض إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتها لهم والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من حضرتي فيكون إسرائيل مثلا وأحدوثة بين الشعوب بأسرها))(٤).

((هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل أصلحوا طرقكم وأعمالكم فأسكنكم في هذا الموضع ، لا تتكلوا على قول الكذب قائلين هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب ، ، فإنكم إن أصلحتم طرقكم وأعمالكم وأجريتم الحكم بين الرجل وقريبه إن لم تجوروا على الغريب واليتيم والأرملة ولم تسفكوا الدم الزكي في هذا الموضع ولم تتبعوا آلهة أخر لمساءتكم ، فإني أسكنكم في هذا الموضع في الأرض التي أعطيتها لآبائكم))(٥).

---

(١) عدد ١٤: ٢٠ ، ٢٢-٢٣.

(٢) تثنية الاشتراع ٧: ١٣،١٢،١١.

(٣) تثنية الاشتراع ١١: ٨-٩ ، ١٦-١٧ ، وكل الفصل الحادي عشر في شروط الوعد.

(٤) ملوك ثالث ٩: ٦-٧.

(٥) نبوءة إرميا ٧ : ٣-٧.

وكذلك في : تكوين : ((١٧ : ١-٢ ، ٢٦ : ٣-٥)) وخروج : ((١٩: ٥-٦ ، ٢٣ : ٢٤ -٢٧)) وأخبار : ((١٨: ٣-٥ ، ٢٠: ١-٢٢ ، ٢٦: ٣-٩ ، ٢٦: ١٤-٤٤)) وعدد : ((٣٢ : ١١)) وتثنية : ((١: ٣٥ ، ٤: ١-٦ ، ٢٤-٢٨ ، ٣٩-٤٠ ، ٥ : ١-١٦ ، ٦ : ١-٣ ، ١٠- ٢٥ ، ٨: ١ ، ٦-٢٠ ، وكل الفصل الحادي عشر ، ١٥: ٤-٦ ، ١٦: ٥-٨-٢٠ ، ٢٥: ١٥ -١٦ ، وكل الفصل الثامن والعشرون ، وكل الفصل التاسع والعشرون ، وكل الفصل الثلاثون ، وكل الفصل الحادي والثلاثون)) ويشوع : ((١: ٦-١٨ ، ٥: ٦ ، وكل الفصل الثالث والعشرون)) وقضاة : ((٢: ١-٤ ، ٢٥: ١-٢٣)) وملوك ثالث : ((١٤: ١٥)) وملوك رابع : ((٢١: ٨-٩)) وأخبار أول : ((٢٨: ٨)) وأخبار ثاني : ((٧: ١٩-٢٠ ، ٣٠ : ٦-٩، ٣٣ : ٨)) وعزرا : ((٩: ١٠-١٢)) ومزامير : ((٨٨ : ٥ ، ٢٨-٣٨ ، ١٣١ : ١٢)) ونبوءة إرميا : ((١٩ : ٢٤ ، ١١ : ٣-٥ ، ١٢ : ١٤-١٥ ، ٢٣ : ٣٩-٤٠ ، ٢٤: ٦-١٠ ، ٢٥: ٥ ، ٣١: ٣١- ٣٢ ، ٣٢ : ٢٢-٢٣ ، ٣٣ : ٢٠-٢١ ، ٣٥ : ١٥)) ونبوءة باروك : ((٢ : ٢٨-٣٥)) ونبوءة حزقيال : ((٢٠ : ١٤ ، ١٩، ٢٨ ، ٣٣ : ٢٤-٢٦ ، ٣٦ : ٢٧-٢٨)) وزكريا : ((١١ : ١٠)).

المبحث الثاني : الصهيونية والوعد.

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالصهيونية.

المطلب الثاني : الصهيونية واليهودية.

المطلب الثالث : هل الصهيونية تحقيق للوعد المزعوم !.

المطلب الأول : التعريف بالصهيونية :

أصل لفظة الصهيونية :

الصهيونية ((Zionism)) كلمة مشتقة من لفظة صهيون ((تلفظ تسيون))[1].

وصهيون إحدى القمم الأربع للشعاب الجبلية التي تقوم عليها مدينة القدس. وهي تقع على المشارف الجنوبية لمدينة القدس الشريف[2].

جاء في قاموس الكتاب المقدس أنها : رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم ((القدس الشريف)). ورد ذكرها ، للمرة الأولى ، في العهد القديم كموقع الحصن يبوسي ، فاحتله داود عليه السلام. وسماه مدينة داود[3].

فمعناه في العهد القديم عبارة عن حصن من حصون أورشليم ((القدس الشريف)). فجاء فيه : ((وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض ... وأخذ داود حصن صهيون. هي مدينة داود))[4].

ولذا تكون لفظة صهيون لفظة كنعانية ((عربية)) وليست عبرية ((يهودية))[5]. ((ولعل اللفظ عربي مشتق من الصهوة أي الربوة أو قمة الجبل على وزن فعلون ، فيه صفة المبالغة كما هو

---

(١) سرقة أمة ص ٣٩ ، وليم و. بيكر ، ترجمة د. سهيل زكار ، وأ. عدنان برنية.

(٢) سياسة الاستعمار والصهيونية في فلسطين د. حسن صبري الخولي ١/٥ ، والصهيونية بين الدين والسياسة ص ٢٥ ، عبد السميع الهراوي ، وسرقة أمة ص ٣٩.

يقول د. حسن ظاظا : يقع جبل صهيون في الجنوب الغربي للقدس القديمة ، وكانت عليه قلعة اليبوسيين التي فتحها داود عليه السلام ، ثم نقل إليها قاعدة حكمة التي كانت حتى السنة الثامنة لتوليه الملك في جبل (جرزيم) بالقرب من نابلس شمالا ، وسماه منذ هذا الوقت ((مدينة داود)). وكان يفصل جبل صهيون قديما عن هضبة القدس جبل أقل ارتفاعا هو جبل أكرا يمتد منحنيا على شكل هلال إلى الشمال الشرقي من صهيون وكان يمر بين الجبلين واد ضيق كان يسمي حسب قول المؤرخ اليهودي يوسفوس –من القرن الأول الميلادي– ((وادي الجبانة ، التيروبويون)) أي صانعي الجبنة ، وكان يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي حيث يتصل بوادي سلوان ، الذي يتصل بدوره بوادي قدرون شرقا. انظر : أبحاث في الفكر اليهودي ص ٢١ ، د. حسن ظاظا.

وذكر بعض الباحثين أن من معاني كلمة صهيون : جبل في صحراء سيناء يقدسونه اليهود أكثر من تقديسهم لجبل الطور واستدلوا على ذلك بفقرات من المزامير (٥٠ / ٢–٣) و (٧٦ / ١–٣) . انظر : أسرار من الصهيونية والماسونية ص ٦ ، ٧ ، د. محمد عمر بن محمد حسن .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٥٨.

(٤) صموئيل الثاني ٥: ٦-١٠.

(٥) العرب واليهود في التاريخ ص ٦١٩ ، أحمد سوسة.

معروف عند العرب في بعض الألفاظ كرحمون و سعدون وحمدون))[1].

وردت هذه الكلمة مرات عدة في أسفار العهد القديم ، منها :

((أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي))[2].

((رنموا للرب الساكن في صهيون))[3].

((إذا بنى الرب صهيون يرى بمجده))[4].

((لكي يحدث في صهيون باسم الرب وبتسبيحه في أورشليم))[5].

((لأن الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكنا له))[6].

((مثل ندى حرمون النازل على جبل صهيون ، لأنه هناك أمر الرب بالبركة حياة إلى الأبد))[7].

((على جبل عال اصعدي يا مبشرة صهيون))[8].

((من أجل صهيون لا أسكت ومن أجل أورشليم لا أهدأ))[9].

((ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هاأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب))[10].

يتبين لنا من خلال هذه النصوص ، وغيرها ، أن العهد القديم وضع هالة من القداسة على جبل صهيون ، ففيه يقيم إله اليهود ((يهوه)) وفي رحابه يظهر الماشيخ ((المسيح اليهودي المخلص))[11] الذي ينتظره اليهود ، لكي يبشرهم بتوبة الله لهم ويخلصهم مما يعانونه من اضطهادات وإعنات ، ولكي يقودهم إلى صهيون التي أصبحت عندهم رمز لمنطقة القدس بل لجميع أرض فلسطين ، ويحكم العالم ، فيسود العدل والرخاء -على زعمهم-.

---

(١) أصول الصهيونية ومآلها ص١١٠ ، عبد الحميد بن شنهو. وأيضا : سرقة أمة ص ٣٩ ، وليم و. بيكر.

(٢) مزامير ٢: ٦.

(٣) مزامير ٩: ١١.

(٤) مزامير١٠٢: ١٦.

(٥) مزامير ١٠٢: ٢١.

(٦) مزامير ١٣٢: ١٣.

(٧) مزامير ١٣٣: ٣.

(٨) أشعيا ٤٠: ٩.

مبشرة صهيون : المبشرة هي إحدى الفتيات اللاتي كن يتقدمن طابور الجيش بالأبواق معلنات للملأ عودة الجيش المنتصر إلى بلده. انظر : سياسة الاستعمار والصهيونية في فلسطين ٦/١ د. حسن الخولي.

(٩) أشعيا ٦٢: ١.

(١٠) زكريا ٢: ١٠.

(١١) عن الماشيخ ((المسيح اليهودي المخلص)) انظر ص ١٩٥ من هذا البحث.

وارتباط صهيون بأول مجد لبني إسرائيل على يد النبي الكريم داود عليه السلام حيث بنى عليها مدينته وعاصمة مملكته ، وبناء سليمان عليه السلام -على زعم اليهود- الهيكل عليها ((وهو أكبر مركز روحي لليهود)) ، أضفى على تلك المنطقة وما حولها مزيدا من الأهمية الدينية عند اليهود.

يقول د. المسيري : ((وقد وردت إشارات شتى في الكتاب المقدس إلى هذا الارتباط بصهيون الذي يطلق عليه عادة (حب صهيون) ، وهو حب يعبر عن نفسه من خلال الصلاة والطقوس الدينية المختلفة ، وفي أحيان نادرة على شكل الذهاب إلى فلسطين للعيش فيها بغرض التعبد وحسب ، ولذا كان المهاجرون اليهود الذين يستقرون هناك لا يعملون ، ويعيشون على الصدقات التي يرسلها أعضاء الجماعات اليهودية في العالم ، وكان العيش في فلسطين يعد من أعمال التقوى لا عملا من أعمال الدنيا ، جزاؤه في الآخرة أو في آخر الأيام))(١).

ويقول د. مروان بحيري : ((على الرغم من أن الدافع للعودة إلى صهيون كان مظهرا من مظاهر الحياة اليهودية ، فإنه وجد التعبير عنه تقليديا في طقوس اليهود الدينية ، إن التربية اليهودية تشدد على تلك الناحية التي أظهرت اليهود كشعب له مصير تاريخي خاص قدره الله ، وانطوى على النفي ولكن على الخلاص أيضا))(٢).

يقول وليم بيكر : ((وأصبح صهيون مع الأيام لا يمثل الدولة الدينية فحسب ، بل العقيدة الروحية المتعلقة بإله إسرائيل الذي يسكن الهيكل في قداس الأقداس))(٣).

ولهذه المكانة والأهمية لصهيون عند اليهود ، اتخذوا صفتها ((الصهيونية)) اسما للمذهب الحركي اليهودي.

يقول رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحاق شامير : ((المثل الأعلى للصهيونية هو جمع اليهود في هذه البقعة من الأرض (فلسطين)))(٤).

((وبالرغم من مضي ما يزيد على ألفين وخمسمائة سنة على زوال حكم بني إسرائيل في الأجزاء التي استطاعوا أن يحكموها في فلسطين ، فقد ظلوا عبر هذه القرون يحلمون بالعودة إلى هذا الحكم، وصاروا يصلون من أجل العودة إليها ومن أجل بناء دولة ووطن لهم في أورشليم ،

---

(١) من بحوث المدخل إلى القضية الفلسطينية ، تحرير : جواد الحمد. ص ١٠٥ بقلم د. المسيري.

(٢) من بحوث القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني ١/١٦٩ د. مروان بحيري.

(٣) سرقة أمة ص ٤٠ ، وليم و. بيكر ، ترجمة د. سهيل زكار ، وأ عدنان برنية.

(٤) برنامج الصراع العربي الإسرائيلي ، الحلقة الخامسة من الجزء الثالث ، الساعة العاشرة والنصف مساءً ، يوم الاثنين ١/١/١٤١٩هـ في قناة تلفزيون الشرق الأوسط MBC.

ويتغنون بهذه العودة بمزاميرهم مقدسين لذكراها متلهفين إليها ولذلك فإن بعض اليهود كافح وجاهد لتحقيق هذا الحلم ووضعه موضع التنفيذ ، إلى أن تحول ذلك كله إلى عقيدة راسخة في نفوسهم وفلسفة عميقة هيمنت على مشاعرهم وتفكيرهم ، فخرجت بذلك الصهيونية إلى العالم))[1].

فالصهيونية إذا هي نتاج العقل اليهودي[2].

وهي الفلسفة القومية لليهود ، تنطوي في جوهرها على حمل اليهود على المحافظة على معتقداتهم وتقاليدهم ، ورفض كل اندماج في المجتمعات التي يعيشون بينها ، وتدعو إلى ضرورة تكوين مجتمع يهودي محض له دولته الخاصة في فلسطين ، ومناشدة اليهود في العالم إلى الهجرة من جميع بقاع الأرض إلى فلسطين التي يسمونها أرض الميعاد وهي أرض إسرائيل بحدودها التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة لديهم[3].

فهي حركة دينية عنصرية سياسية استعمارية متطرفة ، تمذهب بها في بادئ أمرها غلاة اليهود، وأسبغت على اليهودية صفة القومية والدلالة الجنسية ، وزعمت أن الشعب اليهودي يكون عرقا نقيا، وتستمد أصولها من الفكر الصهيوني النابع من عقائد التوراة -المحرفة- وشرائع التلمود -المختَلَق- كما تستمد حيويتها من ارتباط الفكر اليهودي بعقائد دينية وعنصرية ثابتة في أذهان اليهود[4].

((الصهيونية دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والغزو والعنف كحل للمسألة اليهودية))[5].

وفي العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥م أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم ٣٣٧٩ الذي ينص على أن ((الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري))[6].

وقد رد الدكتور عبد الوهاب المسيري على من أنكر تلك التعريفات عن الصهيونية ، بقوله:

---

(١) قضية فلسطين ص ١١ د. حسن الجلبي .

(٢) سرقة أمة ص ٣٧ ، وليم و. بيكر ـــ ترجمة د. سهيل زكار ، وأ. عدنان برنية.

(٣) هذه فلسطين ص ١٧ ، وتاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١/١٥ ، والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص ٥١ ، ونظام الحكم في إسرائيل ص ١٧ ، والصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ٢٦.

(٤) الصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ٢٦ ، والصهيونية بين الدين والسياسة ص ٢٥ ، والجذور التاريخية للقضية الفلسطينية ص ٢٣.

(٥) موسوعة السياسة ٣ / ٦٥٩ ، د. عبد الوهاب الكيالي.

(٦) الصهيونية العنصرية ص ٢٣ ، ضمن أبحاث ندوة طرابلس حول الصهيونية والعنصرية.

((وقيل إن الصهيونية هي حركة تهدف إلى إنقاذ اليهود من هجمات المعادين لليهود في أوروبا وأن العالم الغربي شعر بالإحساس بالذنب تجاه اليهود بعد أن اضطهدهم وسامهم صنوف العذاب عبر التاريخ الغربي كله.

فإن كانت كذلك فلم تم اختيار فلسطين بالذات ، ولم يتم بدلا من ذلك اختيار منطقة داخل أوروبا ذاتها ((التي عذبتهم واضطهدتهم)) أو في جزيرة نائية خالية من السكان ، أو أي بلد استيطاني مثل الأرجنتين وأستراليا ، من الدول (التي ما تزال تبحث عن لاجئين بيض) ليوطن فيها اليهود ويتم إنقاذهم من ((العذاب الغربي)) ؟ ولِمَ استيقظ الضمير الغربي فجأة في نهاية القرن التاسع عشر ، عصر الإمبريالية ، وظل غافلا عن ظلم الإنسان الغربي وبطشه عبر القرون ؟.

وقيل إن الصهيونية هي حركة ترمي إلى تجميع شعب هائم على وجهه في بقاع الأرض إلى فلسطين التي لا يقطنها أحد ، وذلك تحت شعار ((شعب بلا أرض لأرض بلا شعب)).

فإن كانت كذلك ، فكيف نفسر وجود ملايين الفلسطينيين في شتاتهم في مخيمات اللاجئين وفي أرجاء العالم الغربي وغير الغربي ، وأن كثيراً من اليهود يفضلون البقاء في أوطانهم وإن هاجروا فهم عادة يفضلون الهجرة إلى الولايات المتحدة (كما تفعل معظم العناصر المهاجرة في العالم)[1].

ثم قال : إن تعريف الصهيونية الذي يرد في المعاجم الغربية عاجز تماما عن الإجابة عن كل هذه الأسئلة ، ولذا فمقدرته التفسيرية ضعيفة[2].

---

(١) الحركة الصهيونية ومشروعها السياسي ص ١٠٧ د. عبد الوهاب المسيري ، ضمن أبحاث كتاب المدخل إلى القضية الفلسطينية، تحرير جواد الحمد.

(٢) المرجع السابق.

المطلب الثاني: الصهيونية واليهودية:

اختلف الباحثون في مسألة الصهيونية وعلاقتها باليهودية.

فمنهم من يرى أنهما مختلفتان ، ومنهم من يرى أنهما متفقتان ، فهما وجهان لعملة واحدة ، وأن الصهيونية ماهي إلا الجهاز التنفيذي للعقائد اليهودية ومنها العنصرية ، ورفض اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها ، وضرورة تكوين مجتمع يهودي محض في فلسطين أولا ثم في باقي أرض الميعاد التي يسمونها أرض إسرائيل بحدودها التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة عندهم.

والذي أذهب إليه وأرجحه القول الثاني في هذه المسألة ، وهو أن الصهيونية واليهودية لا تفترقان، وأن الصهيونية حركة دينية عنصرية سياسية استعمارية متطرفة تستمد أصولها من عقائد التوراة -المحرّفة- وشرائع التلمود -المختلقة- كما مر ذكره في التعريف بالصهيونية[1].

((إن الصهيونية واليهودية إنما تعبران عن فلسفة واحدة متكاملة ، وهي تتخطى الخلافات السطحية بين اليهود لتصل إلى البنية الفكرية الكامنة وإلى التنسيق الأيديولوجي الواحد بغض النظر عن التنوع والاختلافات ، وإن العلاقة بينهما مركبة إلي حد بعيد ، إذ أن الأفكار الأساسية للأيديولوجية الصهيونية مستقاة من العقيدة اليهودية))[2].

وذلك لنقاط ، منها :

١- اشتقاق اسم الصهيونية من جبل صهيون في القدس ، وهو مكان مقدس عند اليهود ، كما مر ذكره[3].

٢- اتفق الباحثون على أن جوهر الحركة الصهيونية هو صهر جميع يهود العالم -بطريقة أو بأخرى- وإسكانهم في فلسطين.

ومن المعلوم عند الباحثين أن فكرة العودة إلى فلسطين -أرض الميعاد- هي فكرة عقدية في التراث اليهودي.

فعند اليهود أن فلسطين وما حولها هي أرض وعدهم الله بامتلاكها إلى الأبد.

وهناك نصوص عدة على هذا في كتابهم المقدس ((العهد القديم))[4].

---

(١) انظر ص ١٧٧ من هذا البحث.

(٢) الصهيونية واليهودية ص ٨٦ د. محمد المخزون ، مجلة البيان العدد ٨٧.

(٣) انظر ص ١٧٤ من هذا البحث.

(٤) انظر من ص ١٥٦ من هذا البحث.

انعكست هذه النصوص على نفوس اليهود ، فاعتقدوا أنهم مهما بعدت بهم الأيام عن فلسطين فلا بد أن يرجعوا إليها طال الزمان أم قصر.

((على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون ، على الصفصاف في وسطها علقنا كنانيرنا ... إن نسيتك يا أورشليم فلتنسني يميني ، ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك إن لم أعل أورشليم على ذروة فرحي))(١).

((ستفرح البرية والقفر وتبتهج البادية وتزهر كالورود ... قووا الأيدي المسترخية وشددوا الركب الواهنة ، قولوا لفزعي القلوب لا تخافوا هوذا إلهكم... يأتي ويخلصنا... والذين فداهم الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنيم ويكون على رؤوسهم فرح أبدي ويتبعهم السرور والفرح وتنهزم عنهم الحسرة والتأوه))(٢).

((قالت صهيون قد خذلني الرب ونسيني السيد... ارفعي طرفك إلى ما حولك وانظري قد اجتمعوا كلهم وجاءوك. حي أنا يقول الرب إنك تلبسينهم جميعا كالحلي وتتقلدين بهم كالعروس... هكذا قال السيد الرب هاأنذا أرفع إلى الأمم يدي وللشعوب أنصب رايتي فيأتون ببنيك في حضونهم وبناتك على أكتافهم يحملن ، ويكون الملوك لك مربين والملكات مرضعات وعلى وجوههم إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون تراب قدميك فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزى منتظروه))(٣).

((وقد وجدت الصهيونية في هذا النص سندا قويا لزيادة الاقتناع بصحة ما تدعو إليه ، واعتبرت نفسها تحقيقا لمعجزته التي بدأت تتحقق على أيدي الصهيونية ، فقد بدأت الأمم تأتي بأبناء اليهود وبناتهم إلى فلسطين ... وذلك بصدور وعد بلفور (١٩١٧/١١/٢م) وموافقة عصبة الأمم المتحدة عليه ، وبوضعها فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وبوضع نصوص صك الانتداب التي تحقق هذا الوعد بتحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود ، ثم تأييد الولايات المتحدة وفرنسا وإنكلترا وإيطاليا وروسية ...))(٤).

((وتشير عبارة (بنت صهيون) إلى اليهود أنفسهم ، والعودة إلى صهيون فكرة محورية في النسق الديني اليهودي))(٥).

---

(١) المزامير ١٣٦: ١-٦.

(٢) نبوءة أشعيا ٣٥ : ١-١٠.

(٣) نبوءة أشعيا ٤٩: ١٨،١٤، ٢٢،٢٣.

(٤) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ص ٨٢،٨١،٨٠، للكيلاني.

(٥) المدخل إلى القضية الفلسطينية ص ١٠٥.

((وكانت الفكرة الصهيونية -وهي تملك أرض فلسطين على ما جاء في الوعود التوراتية- عقيدة دينية عامة يؤمن بها الشعب اليهودي كأية عقيدة أخرى تتضمنها تعاليم التوراة وهذه الفكرة ولدت في اللحظة الأولى من اليوم الأول لتشريد اليهود من فلسطين ، ومع الزمن نمت هذه الفكرة وتطورت عبر الأجيال خلال الصلوات والأدعية ومن خلال المشاريع والأعمال أيضا.

إن الصهيونية -رغم تحديد نظريتها- لم تحمل اسمها المعروفة به حاليا إلا منذ القرن التاسع عشر الميلادي))[١].

نعم ، فالحركة الصهيونية لم تتقيد بالتصور اليهودي التقليدي حول مسألة العودة ، حيث يرى المتصوفة من اليهود أن العودة إلى أرض الميعاد -إلى صهيون وما حوله- لن تتم إلا بواسطة المسيح المخلص اليهودي ((الماشيخ)) ، وأن هذه العودة ستتم في الوقت الذي يحدده الرب وبطريقته، وأنها ليست فعلا بشريا يتم على يد البشر وبمشيئتهم وحسب هواهم وإرادتهم[٢].

فهذا الرفض من الحركة الصهيونية الحديثة لهذا التصور اليهودي التقليدي لا يخرجها عن كونها حركة دينية مبناها في مسألة العودة على الوعود التوراتية.

ولكن ((حركة التنوير، الهسكلاة[٣] أفادت الصهيونية خلال عملية تكيف الجرثومة اليهودية مع معطيات الواقع ، فلقد أفلحت حركة التنوير في تبديد وهم المسيح المنتظر ، على الرغم من عجزها عن اغتيال الفكرة الأصلية المكونة للذات اليهودية ، وهي فكرة العودة ، فتقدمت الصهيونية السياسية بالذات اليهودية المغلقة خطوة أداء مستوعبة تراثية العودة وأكذوبة المسيح المنتظر))[٤].

٣- اعتراف زعماء الحركة الصهيونية وقادة الكيان الصهيوني بهذا التطابق بين الصهيونية واليهودية ومن ذلك :

---

(١) الصهيونية بين الدين والسياسة ٣٠، ٣١.

(٢) المرجعان السابقان. الأول ص١٠٥ ، والثاني ص٢٥ ، ٢٦ ، وملف إسرائيل لجارودي ص ٧.

(٣) انظر ص ١٠٢ في تعريف الهسكلاة .

(٤) رؤية دينية للدولة الإسرائيلية ص ١٤ ، حسن محمد مي.

جـــاء فـــي خطاب هرتزل الافتتاحي فـــي المؤتـــمر الصهيوني الأول فـــي بازل فـــي ٢٩/أغسطس/١٨٩٧م : ((إن الصهيونية هي العودة إلى الحياة اليهودية قبل أن تكون عـــودة إلى الأرض اليهودية))[١].

ويقول د. وايزمان : ((إن العقيدة الصهيونية هي الإيمان باليهودية وما تعنيه من مفاهيم فكرية وتاريخ وعادات من الناحية النظرية ، ثم الهجرة إلى فلسطين للإقامة فيها بقصد بناء الدولة من الناحية العملية. إن يهوديتنا وصهيونيتنا متلازمتان متلاصقتان : ولا يمكن تدمير الصهيونية دون تدمير اليهودية))[٢].

وقال أيضاً : ((إن الشعور الديني هو مصدر الصهيونية والحافز لقيامها. هذا الشعور الناجم عن التقاليد والمعتقدات اليهودية ، والمبني على أقدم الذكريات للبلاد التي نشأت فيها الحياة اليهودية الأولى ، والتي مارس فيها اليهود حريتهم))[٣].

كما أوضح المفكر اليهودي سولمون شيختر ، وحدة الصهيونية واليهودية وترابطهما بقوله : ((حيثما يكون الصهيونيون عاملين نشيطين تكون اليهودية حيّة فعّالة))[٤].

وبيّن بن جوريون أن الصهيونية تستمد وجودها وقوتها من مصدرين :

المصدر الأول : مصدر عاطفي دائم مستقل عن الزمان والمكان ، قديم قدم الشعب اليهودي ذاته ، وهذا المصدر هو الوعد الإلهي والأمل بالعودة، ذلك الوعد الذي يرجع إلى قصة اليهودي الأول[٥]، الذي أبلغته السماء أن ((سأعطيك ولذريتك من بعدك جميع أراضي بني كنعان ملكا خالدا لك)).

---

(١) وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني ١٣٩/١ د. سمير أيوب ، وفلسطين و الصهيونية ص ٢٧ د. ممدوح الروسان ، والنظام السياسي في إسرائيل ص ٢١، ٢٢ لواء د. فوزي محمد طايل ، وصراعنا مع اليهود في ضوء السياسية الشرعية ص ٩١ د.محمد عثمان شبير ، وإسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص ٢١ أبكار السقاف ، والصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ٢٢ محمد فوزي وعمر رشدي.

(٢) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص ٧ ، ص ٤١١-٤١٢ ، والصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ٢٢ محمد فوزي وعمر رشدي، والعرب واليهود في التاريخ ص ٦٥٩ د.أحمد سوسة.

(٣) صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية ص٩١ ، وإسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص٤١٢.

(٤) الصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ٢٢ ، وإسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص ٤١٢.

(٥) قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ إِبرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِينَ** ﴾ سورة آل عمران الآية ٦٧.

المصدر الثاني : يستمد وجوده من الفكر السياسي للشعب اليهودي ، فهو مصدر تجديد وعمل تولد عن اليقظة القومية النابعة من التوارث التي اجتاحت شعوب أوربا في القرن التاسع عشر حاملة ألوية الاستقلال والوحدة مما كان له آثار عميقة في الحياة اليهودية(١).

ونقل أيضا عن بن جوريون أنه كان يقول : ((إن الصهيونية الحقيقية لم تبدأ بـ((هرتزل)) ومؤتمر بال ، ولا بوعد بلفور ، ولا بقرارات الأمم المتحدة ١٩٤٨م ، لكنها بدأت يوم وعد الله أبانا إبراهيم وعده))(٢).

ويقول الصهيوني اليهودي كلاتزكين : ((الدستور اليهودي وحده هو الذي يسيّر شؤون حياتنا. نحن نشكّل بأنفسنا كياناً مغلقاً وتعاوناً مترابطاً. وثمّة جدار يفصل بيننا وبين الشعوب التي نعيش في بلادها ، وخلف هذا الجدار تقوم الدولة اليهودية)) (٣).

ويقول د. وايزمان : ((هانحن : يهود فقط ، ولا شيء آخر. شعب داخل شعب))(٤).

ويقول بن جوريون : ((أنا يهودي أولا وإسرائيلي بعد ذلك ، لاعتقادي بأن دولة إسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره ونيابة عنه)) (٥).

وقال إسرائيل إبراهامز : ((لقد أجمع يهود العالم على أن قوميتنا اليهودية المشتركة لن يكتسحها قصيروا النظر المتعصبون من دعاة الوطنية المحلية ، فجميعنا إذن صهيونيون بحكم أن الصهيونية هي التي تقوي فينا روح التضامن وتشعرنا بقوميتنا اليهودية المشتركة))(٦).

ويقول الصهيوني يهيل مايكل بايتز : ((إن أي شعب يمكن أن تكون له تطلعات وطنية منفصلة عن الدين ، أما نحن اليهود فإننا لا نستطيع ذلك))(٧).

ويقول الحاخام والمفكر الصهيوني إبراهام إسحاق كوك : ((إن القومية اليهودية الدنيوية هي نوع من خداع النفس وتضليلها ، فروح إسرائيل مرتبطة كل الارتباط بروح الله ، بحيث يتحتم على القومي اليهودي -مهما بلغ تعلقه بالخط الدنيوي الزمني- أن يتمسك بقدسية هذه القومية

---

(١) الصهيونية وربيبتها إسرائيل ص ٢٢ ، والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ص ٧٨ ، ٧٩ للكيلاني.

(٢) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ص ٧٩ إسماعيل الكيلاني.

(٣) اليهود ص ١٢١ زهدي الفاتح.

(٤) المرجع السابق.

(٥) صراعنا مع اليهود في ضؤ السياسة الشرعية ص ٩٨.

(٦) جذور البلاء ص ١٤٣ عبد الله التل.

(٧) مجلة المعرفة السعودية العدد (٢٠). مقالة الجذر الديني للتعليم في الدولة العبرية ص ٧٧ للركابي.

وطابعها الديني ، ففي وسع الفرد الإسرائيلي أن يقطع الروابط التي تربطه بالدين ، ولكن إسرائيل كمجموع لا تستطيع أن تفعل ذلك))[1].

ويقول الحاخام موشى لفينغر ، قائد الإرهابيين الذي أدين بتهمة التخطيط لاغتيال رؤساء البلديات الفلسطينيين ولتدمير قبة الصخرة : ((الصهيونية هي الإيمان بالغيب. تتلاشى الصهيونية إذا فصلتها عن جذورها الإيمانية الغيبية. الصهيونية هي حركة لا تفكر على أساس عقلاني ، ((على أساس السياسة العملية، والعلاقات الدولية، والرأي الدولي والديمغرافي، والديناميكية الاجتماعية)) ، إنما على أساس الأوامر الإلهية. إن ما يهم فقط هو وعد الله لإبراهيم كما هو مسجل في كتاب سفر التكوين)) [2].

هذه بعض أقوال زعماء الحركة الصهيونية ومفكريها ، ولا شك أنهم أعلم بحركتهم من غيرهم وأعلم بمنشئها وحقيقتها.

٤) قد يردّ البعض على هذه الأقوال بقوله إنها مجرد تكتيك أو استغلال سياسي للدين ، لجأ إليه قادة الصهيونية من أجل كسب التأييد والعطف للحركة الصهيونية من قبل يهود العالم من ناحية ، والجماهير المسيحية المؤمنة بوعود العهد القديم من ناحية ثانية ، وأن يضفوا القداسة على السياسة، لكي يجعلوا من هذه الأخيرة مجالاً محرما على الناس أن يمسوه[3].

((مثل هذا الاعتراض قد يكون مقبولا أو وجيها لو أن قادة الكيان الصهيوني اقتصروا على مجرد التصريحات ولم يتجاوزوا ذلك إلى أسلوب التربية والتنشئة الاجتماعية للأجيال الصهيونية))[4].

فمعالم النظام التربوي اليهودي الإسرائيلي قد تشكل ولا يزال ، بتأثر من تاريخ الشعب اليهودي القديم والحديث.

((وإسرائيل المعاصرة ((في فلسطين المحتلة)) بواقعها الغريب والمأزوم تتطلب نظاماً تعليمياً وتربوياً بمواصفات خاصة ، يضمن لها البقاء الذي لا تملك مقوماته))[5].

---

(١) المرجع السابق ص ٧٧، ٧٨.

(٢) النبوة والسياسة ، غريس هالسل ص ١٤٥.

(٣) فلسطين و الصهيونية ص ٣٠ د. ممدوح الروسان ، وملف إسرائيل ((دراسة للصهيونية السياسية)) ص ١١ رجاء جارودي ، ومن اليهودية إلى الصهيونية ص ١٨٩-١٩٠ د. أسعد السحمراني.

(٤) فلسطين والصهيونية ، ص ٣٠ د. ممدوح الروسان.

(٥) مجلة المعرفة ص ٦٨ العدد التاسع عشر شوال ١٤١٧هـ إصدار وزارة المعارف السعودية.

ونص قانون التعليم الصادر عام ١٩٥٣م على : ((إرساء الأسس التربوية على قيم الثقافة اليهودية ومنجزات الشعب اليهودي))[١].

((وبديهي أن يكون التعليم الديني في إسرائيل منبثقا من طبيعة الكيان العبري. فالتعليم -في جوهره- : تعبير عن فلسفة الدولة وثوابتها ومقاصدها ونظرتها إلى الحياة والناس والقيم ، والتعليم -من جهة أخرى- صياغة للأجيال وفق هذه الثوابت والمقاصد والفلسفة))[٢].

((وبعد إنشاء دولـــة إسرائيل صدر قانون التعليم عام ١٩٥٣م ، الذي قسم المدارس إلى نوعين : مدارس حكومية ينتظم بها ثلثا عدد الطلبة ، ومدارس حكومية دينية ينتظم بها الثلث الباقي ، ويزيد التركيز في هذه الأخيرة على التعاليم الدينية والمبادئ الأرثوذكسية. وسبب هذا التقسيم أن الدوائر الدينية رفضت نظام التعليم الموحد ، رغم أن نصيب الدراسات الدينية كبير في المدارس الحكومية. كما استطاعت هذه الدوائر أن تحمل وزير التعليم الإسرائيلي عام ١٩٥٧م على إدخال مادة جديدة في المنهج الدراسي وجعلها إجبارية ببرامج المدارس الدينية وهي مادة ((الوعي اليهودي)) والغرض من فرض هذه المادة هو تعميق معرفة الأجيال الناشئة بالقيم اليهودية والتوراة والتلمود ، وزيادة اهتمام الشباب بشئون الدياسبورا والطقوس اليهودية وعناصر الفكر اليهودي ومغزى الفلكلور الديني اليهودي))[٣].

وفي كل مراحل التعليم في الدولة الغاصبة إسرائيل ، ابتداء من التعليم غير الإزامي ((٣-٤)) سنوات والمرحلة الابتدائيـــة والإعداديـــة ، يدرس التلاميذ فيها اللغـــة العـــبرية والدين اليهودي -باعتبارهما الأساس لقيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين- والتاريخ والجغرافيا ، ولاشك من منظور يخدم الصالح الإسرائيلي العام ، وغيرها من العلوم الأخرى ، كل على حسب مرحلته[٤].

والسبب واضح في ظاهرة التركيز على الأساسيات الدينية والفكرية والحضارية في هذه السنوات المعينة إلى سن الخامسة عشرة ، وهو سبب علمي موضوعي حيث إن هذه السنوات هي التي يتكون فيها فكر الإنسان وتصوره عن الدين والتاريخ والعلاقات والمفاهيم والقيم ، والنظرة إلى الذات وإلى الآخر[٥].

---

(١) فلسفة وأهداف تربية الطفل اليهودي في فلسطين ، عرض : مجدي عيسى. المعرفة عدد ((١٩)) ص٩٦.

(٢) الجذر الديني للتعليم في الدولة العبرية ص ٧٩ ، زين العابدين الركابي. مجلة المعرفة العدد العشرون.

(٣) أزمة الفكر الصهيوني ص ٧٩ د. محمد ربيع.

(٤) مؤسسات التعليم الإسرائيلية ص ٧٢-٧٣ د. هيثم الكيلاني ، المناهج الإسرائيلية في سياق التشويه الغربي ص ٨٥ د.سعد البازغي من مجلة المعرفة السعودية العدد التاسع عشر شوال ١٤١٧هـ.

(٥) الجذر الديني للتعليم في الدولة العبرية ص ٧٩-٨٠ ، مجلة المعرفة السعودية العدد العشرون.

((أما في المرحلة الثانوية فتقوم وحدات عسكرية خاصة بتدريب الطلبة على الفنون العسكرية، بشكل يجعل الطالب مستعدا للانخراط في صفوف الجيش وتنفيذ المهام التي يمكن أن يكلف بها ، كما يتم خلال هذه الفترة أيضا تلقين الطلبة التعاليم التوراتية وطريقة الحياة اليهودية في عملية مزج بين خرافات التوراة المحرفة والعلوم العصرية المتقدمة ، إضافة إلى التدريب على بعض المهن الصناعية والزراعية الأخرى))[1].

حتى إن بعض المدارس والمعاهد الدينية في إسرائيل ((في فلسطين المحتلة)) من أمثال ((مدارس اليشفوت)) تكفل لطلابها عدم الالتحاق بالخدمة العسكرية[2].

وقد قال صاحب كتاب الأصولية اليهودية : ((وأصبحت أعداد الذين يقبلون على التعليم الديني من التجار ورجال الأعمال والمهنيين والباحثين وطلاب المدارس التلمودية في تزايد مستمر. وأصبح أولئك يقضون جزءا هاما من أوقاتهم وساعات الفراغ في دراسة التلمود وكل التراث الديني ذي الصلة بالدين اليهودي))[3].

ومن أقوى الأمثلة على انتشار التعليم الديني في الدولة الإسرائيلية في فلسطين المحتلة ؛ قتل رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين على يد أحد الطلبة اليهود ، واسمه ييغال أمير ، وكان متدينا متمسكا ((بأرض التوراة)). وذلك لمنع السلام المزعوم مع الفلسطينيين ، وعدم تسليمهم أي شبر من أرض التوراة المزعومة[4].

فهذه التنشئة وهذا التعليم لأبناء اليهود في أرض فلسطين يدل دلالة عظيمة على أن الصهيونية حركة دينية ، ولم تستغل الدين للسياسة ولكن أصلها مبني على الديانة اليهودية ، واستخدمت الطرق السياسية لتنفيذ عقائدها الدينية بطريقة تناسب هذا الزمان ، وتوفر لها تنفيذها بطريقة عصرية مناسبة ((الوجود للأقوى والضعيف يلقى في البحر)).

٥- ومن الأمور التي يفرق بها من فرق بين اليهودية والصهيونية ، أن الصهيونية حركة عنصرية ، أما اليهودية فهي دين سماوي ذو قيم عالية تستبعد منه العنصرية[5].

ومن هنا يقول البعض إن اليهودية الحالية وأسفارها الحالية هي دين سماوي.

---

(١) مليون ونصف رأس بشرية تقبع في المؤسسات التعليمية ص ٦٩ ، المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ص ٧٣.

(٣) الأصولية اليهودية (العقيدة والقوة) ص ٢٤٧ ديفيد لانداو ، ترجمة : مجدي عبدالكريم.

(٤) مجلة الحوادث ص ١٦ العدد (٢٠٣٦) تشرين الثاني ١٩٩٥م.

(٥) من بحوث ندوة طرابلس حول الصهيونية والعنصرية ص١٩١ ، والعرب واليهود في التاريخ ص٦٥٧ ، وتطور القضية الفلسطينية ص ٥٠ ، والحصاد المر ص ٥٤.

وهذا كلام غير صحيح ، فليست اليهودية الحالية هي الدين الذي أرسل الله به موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل ، فقد تعاقبت هذه الديانة أيدي التحريف والتبديل ، كما جاء ذلك في القرآن والسنة[١] ، وكما ثبت ذلك عند الباحثين[٢].

أما بالنسبة للعنصرية ، فإن الديانة اليهودية الحالية تعتبر أسفارها أسفاراً عنصرية ، غايتها تمجيد العنصر اليهودي.

فأسفار العهد القديم -المصدر الأول للديانة اليهودية الحالية- مليئة بالنصوص التي تبعث العنصرية في النفس اليهودية ، وكذلك المصدر الثاني في الديانة اليهودية الحالية وهو التلمود فإن مبنى تعاليمه تقوم على أساس أن العنصر اليهودي هو صفوة الخلق[٣].

فمثلاً :

أ- أنهم شعب الله المختار :

((لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض))[٤].

((نحن شعب الله في الأرض ، سخر لنا الحيوان الإنساني ، وهو كل الأمم والأجناس سخرهم لنا ، لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان ، نوع أعجم كالدواب والأنعام والطير ، ونوع كسائر الأمم من أهل الشرق والغرب ، وكما أن بني الإنسان يسمون على الحيوانات فإن اليهود يسمون على شعوب الأرض جميعا))[٥].

ب – أنهم أبناء الله وأحباؤه.

وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ** ﴾[٦].

---

(١) انظر من ص ٣٤٥ من هذا البحث .

(٢) انظر من ص ٢٨٢ من هذا البحث .

(٣) العنصرية اليهودية ١/٩٤-١٠٧ د. أحمد الزغيبي.

(٤) تثنية ٧: ٦.

(٥) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي،ص ٨٣ إسماعيل الكيلاني. وأيضاً : التلمود شريعة بني إسرائيل ص ٢٦ محمد صبري .

(٦) سورة المائدة آية ١٨.

وفي مسألة العنصرية اليهودية بتفصيل كلا من : رسالة دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان: ((العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها)) لفضيلة د. أحمد بن عبدالله الزغيبي ، والجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية ، للأستاذ خالد القشطيني.

يقول د. أحمد الزغيبي : ((العنصرية اليهودية نشأت متزامنة مع بدء تحريف الديانة اليهودية. وهذه العنصرية اليهودية تتطور بتعاقب الأزمنة تدريجيا نحو الأسوأ ، حتى بلغت أوجها بعد أن تمكن اليهود -من خلال الحركة الصهيونية- من إقامة دولة إسرائيل في فلسطين عام ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م ، حيث يمارس اليهود رسميا عنصرية الدولة المعروفة -دوليا- بالعنصرية الصهيونية. فالعنصرية في المجتمع اليهودي ليست وليدة العصر الحديث الذي انبعثت فيه الصهيونية ، ولكن عمرها قديم مع بدء تحريف ديانتهم))[١].

وبهذا يتضح أن الصهيونية كانت قاعدتها في مسألة العنصرية هي الديانة اليهودية الحالية ، فالصهيونية لم تكن حركة عنصرية من فراغ ، ولكنها أخذتها من دينها الذي تدين به ومن عقيدتها التي تعمل بها وهي الديانة اليهودية الحالية.

فكيف بعد هذا يفرق من يفرق بين الصهيونية واليهودية على اعتبار أن الصهيونية حركة عنصرية، والديانة اليهودية الحالية ديانة سماوية لا علاقة لها بهذه العنصرية ؟!.

٦- البعض يقول : إن بعض اليهود معادون للصهيونية ، مما يدل على أن الصهيونية مختلفة عن اليهودية ، ولا تمت لها بصلة[٢].

مر ذكر أن العودة إلى صهيون ((القدس ، فلسطين)) عقيدة من عقائد اليهود الفعالة عندهم[٣].

ولذلك فإن اليهودي ، مهما يكن اتجاهه أو مذهبه الفكري ((دينيا أو علمانيا ، ماركسيا أو رأسماليا)) إنما يؤمن بفكرة رئيسة وهي العودة لأرض الميعاد لتأسيس دولة يهودية تعبر عن الروح الخالدة للشعب اليهودي ، وهذه هي نقطة البداية والنهاية بالنسبة لجميع اليهود بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية أو المذهبية التي ينبغي أن تكون في خدمة الأمة اليهودية أولا وأخيراً[٤].

فمن هؤلاء الذين يدعون معارضة الحركة الصهيونية ؟

---

(١) العنصرية اليهودية ٦٨/١ د. أحمد الزغيبي.

(٢) العرب واليهود في التاريخ ٦٥٩-٦٦٣ د. أحمد سوسه ، وهذه فلسطين ٥٧-٦٢ حسين التريكي ، وتطور القضية الفلسطينية ص٥٠ فاطمة عبد الحميد ، والحصار المر ص٥٩-٦٣ سامي هداوي ، وموسوعة السياسة ٨٢٥/٢ د. عبد الوهاب الكيالي ، والصهيونية السياسية ٢١٥، ٢٢٧ من بحوث ندوة طرابلس حول الصهيونية والعنصرية ، وتاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١/ ٣٦٥-٣٨٧ د. محمد عبد الرؤوف سليم.

(٣) انظر التعريف بالصهيونية ص ١٧٤ من هذا البحث.

(٤) الصهيونية واليهودية د. محمد أمحزون ، مجلة البيان ص ٨٢ العدد ٨٧.

أ- اليهود المحافظون ((الأرثوذكسيون)) :

هذه الفئة تدّعي رفضها للحركة الصهيونية من منطلق ديني ، فهي ترى أن العودة إلى ارض الميعاد لا يمكن أن تتم إلا بعد ظهور الماشيخ ((المسيح)) المنتظر ، فالعودة ستتم في الوقت الذي يحدده الرب وبطريقته، وأنها ليست فعلا بشريا يتم على يد البشر وبمشيئتهم وحسب هواهم وإرادتهم[1].

فهذه الفئة إذاً تؤمن كما تؤمن الصهيونية بعودة اليهود إلى فلسطين ولكنها تختلف معها في كيفية العودة.

فهو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. حتى سمّوا ((بالصهيونية الدينية)) وإلا فلماذا هاجر أولئك المحافظون إلى فلسطين المحتلة مندمجين في دولة إسرائيل مكونين الأحزاب الدينية فيها ؟[2].

يقول د. رشاد الشامي: ((إلا أنهم يعترفون بحقيقة الوجود السياسي لإسرائيل، ويمتثلون لقوانينها ، ويشتركون في الانتخابات للكنيست ، ويشاركون في الائتلافيات الحكومية))[3].

ب- اليهودية الروحية الثقافية :

وهذه الفئة تدّعى معارضتها للصهيونية ؛ من منطلق أن وحدة الشعب اليهودي وهويته لا تأتي من تجميعهم في أرض الميعاد ابتداء ، وإنما تأتي أولا من تنمية الوعي الثقافي اليهودي عند

---

(١) المدخل إلى القضية الفلسطينية ص ١٠٥ ، تحرير جواد الحمد ، وموسوعة السياسة ٢/٨٢٥ ، وملف إسرائيل لجارودي ص ٧، والصهيونية بين الدين والسياسة ص ٣٠ ، والقوى الدينية في إسرائيل ص ٨٥.

(٢) ومن الأحزاب الدينية في إسرائيل (فلسطين المحتلة) :

المزراحي (١٩٠٢م). وحزب العامل المزراحي (١٩٢٢م) ، واتحدا في حزب واحد وهو ((الحزب الديني القومي)) ويعرف اختصاراً باسم ((مفدال)) عام ١٩٥٦م. وحركة ((أجودات يسرائيل)) عام ١٩١٢م تفرعت من حزب المزراحي. و((تامي)) -أي قائمة تقاليد إسرائيل- خاضت انتخابات الكنيست العاشرة (١٩٨١م). و((موراشا)) أي -التراث- وهما منشقان من الحزب الكبير ((المفدال)). حتى أن مكون ((موراشا)) الحاخام المتطرف صييم دوركمان ، اتهم بأنه كان السبب في نشوء ((شراذم أحزاب دينية)) كما أنه المتسبب أيضا في المزيد من التفتيت فيها.

وهذه الأحزاب وغيرها من الأحزاب الدينية لها أثر ملموس في واقع المجتمع الإسرائيلي في فلسطين المحتلة ، وأقرب دليل على ذلك فوز حزب الليكود على حزب العمل في انتخابات رئاسة الوزراء الإسرائيلي في١٩٩٦ م وما ذلك إلا بفضل تصويت الأحزاب الدينية له.

انظر في مسألة الأحزاب الدينية في إسرائيل ((في فلسطين المحتلة)) إلى : القوى الدينية في إسرائيل ، د. رشاد عبد الله الشامي ، والأحزاب السياسية في إسرائيل ، هاني عبد الله ، والنظام السياسي في إسرائيل ، اللواء د. فوزي طايل ، ونظام الحكم في إسرائيل د. عبد الحميد متولي.

(٣) القوى الدينية ص ١٢٩ د. رشاد عبد الله الشامي.

اليهود ، وحثهم على التمسك بقيمهم وتقاليدهم الروحية والدينية ، ومسايرة تطور العصر الحديث في الحدود التي تمليها روح اليهودية وشخصيتها.

فالمطلوب إيجاد مركز ديني ثقافي لليهود في فلسطين يوصلهم إلى تلك النتيجة. ومن ثم يأتي أمر إقامة دولة سياسية كغاية نهائية عندما تكون الظروف الخارجية مناسبة لتكوينها. على أن تعمل هذه الدولة الحديثة على تقوية الوجدان اليهودي بأن تكون بمثابة المركز الروحي والثقافي عند اليهود(١).

إذا فهذه الفئة تؤمن -كما تؤمن الحركة الصهيونية- بعودة اليهود إلى فلسطين ، وهذه العودة هي الخطوة الأولى أو تسبقها خطوة وهي تكوين مركز روحي ثقافي لليهود في فلسطين ، المهم أن اليهود يجتمعون في أرض الميعاد فهذا الخلاف إذا خلاف تنوع لا خلاف تضاد ، لذلك سموا بـــ((الصهيونية الروحية أو الثقافية)).

ولولا ذلك لما تحولت هذه الفئة بعد قيام الدولة الصهيونية على أرض فلسطين من فئة معارضة للحركة الصهيونية إلى تيار يؤكد أهمية العملية الثقافية والروحية في الولادة اليهودية الجديدة(٢).

---

(١) المدخل إلى القضية الفلسطينية ص ١٣٥ تحرير جواد الحمد ، وتاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١/٣٦٨-٣٦٩ ، وموسوعة السياسة ٣/ ٦٦٢ ، ١/٧٤ ، وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص٢٤٩ ، والموسوعةالفلسطينية ٢/ ٤٣٧، ومعجم المصطلحات الصهيونية ص ١٨.

(٢) موسوعة السياسة ٣/٦٦٣ د. عبد الوهاب الكيالي.

وهذه الصهيونية الثقافية ليست تيارا صهيونيا بقدر ما هي ((نقطة تأكيد)) خاصة بعد إنشاء الدولة ، ولذلك لا توجد أحزاب تمثل الصهيونية الثقافية ولا منظمات صهيونية مستقلة ، وإنما توجد تيارات صهيونية ثقافية داخل الأحزاب والحركات الصهيونية المختلفة. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص٢٥٠.

- ومن أكبر المنادين بهذا التيار : آشرجيتر برج المشهور بـــ((آحادهعام)) وهي كلمة عبرية تعني ((أحد العامة)) ولد بأوكرانيا عام ١٨٥٦م. يعد من أهم الكتاب والمفكرين في أدب العبرية الحديث وفيلسوف الصهيونية الروحية أو الثقافية ، التحق بجمعية ((أحباء صهيون)) لكنه ما لبث أن انتقد سياسة هذه الجمعية الداعية إلى الاستيطان الفوري في أرض فلسطين، وذلك في مقال له بعنوان ((ليس هذا هو الطريق)) فهو يرى أن قيام الدولة اليهودية هو نهاية المطاف وليس بدايته، أما البداية فهي جعل فلسطين مركزا ثقافيا روحيا وبؤرة الارتباط العاطفي لكل يهود العالم ، وعلى إثر أكثر من زيارة لفلسطين شدد على هذه الناحية التي يؤمن بها استقر آحاد هعام في لندن عام ١٩٠٨م ولعب دورا مهما في الأحداث التي أدت إلى صدور وعد بلفور ، وفي عام ١٩٢٢م ذهب إلى فلسطين واستقر هناك إلى أن توفى عام ١٩٢٧م. انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٥٨-٥٩ ، وموسوعة السياسية ١/٧٤ ، ومعجم المصطلحات الصهيونية ص١٨.

ج – يهودية الدياسبورا (الشتات) أو اليهودية الاندماجية :

وهذه الفئة ((يهود العالم الذين لم يسكنوا الدولة اليهودية في أرض فلسطين المسلمة)) تدّعي معارضتها للحركة الصهيونية من منطلق أن الاعتراف بالحركة الصهيونية قد يفقد أتباعها -وهم الذين اندمجوا في مجتمعاتهم الجديدة وأصبحت لهم امتيازات يتعذر عليهم أن يتركوها- هذه المراكز الحضارية والاقتصادية الجديدة التي حصلوا عليها عن طريق الاندماج في المجتمعات التي حصلوا على جنسياتها.

وأن تجمع اليهود في فلسطين المحتلة يسبب الولاء المزدوج لليهود في الخارج ، مما يعرضهم إلى موجة من العداء والبغضاء في مجتمعاتهم التي نشأوا فيها[١].

أما بالنسبة لاعتقاد هذه الفئة في أرض الميعاد ، فقد تبنت صيغة الصهيونية الثقافية الروحية ، أي أن فلسطين هي المركز الروحي الثقافي لليهودية ، وهذا الاعتقاد لا شك أنه يناقض العلمانية التي ينادي بها هؤلاء اليهود في المجتمعات الغربية التي يحملون جنسياتها[٢].

وهذه الفئة كان لها دور فعّال وقوي -خاصة يهود أمريكا وأوروبا- في مسألة وجود هذه الدولة اليهودية ، من قبل هرتزل ، ومروراً به وبمؤتمره الصهيوني الأول في بازل عام ١٨٩٧ م ، وفي استخراج وعد بلفور وتطبيقه ، وإنشاء الدولة اليهودية وبنائها ، وتم ذلك كله بفضل مساعدة هؤلاء اليهود ، ومساعدة الدول الخاضعة لسلطانهم مثل بريطانيا و ألمانيا وفرنسا وروسيا وعلى رأسهم أمريكا.

وإن التاريخ والواقع ليشهدان على مسلسل تواطؤ تلك الدول وغيرها والتي تدور في فلك الخضوع لسيطرة يهود الدياسبورا ، على مساعدة الدولة اليهودية في فلسطين المسلمة المحتلة.

حتى لقد تجرأ رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق ((نتنياهو)) بأنه مستعد وهو في فلسطين المحتلة أن يحرق عاصمة أقوى دولة في العالم ((واشنطن))[٣].

وهنا نسأل لو لم يكن هذا اليهودي متأكداً من قوة اليهود في أمريكا وباقي الدول الكبرى في العالم هل كان يستطيع أن يوجه هذه التهديدات لدولة ما قامت إسرائيل واستمرت إلا على مساعداتها اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وحضارياً ؟!.

---

(١) تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ٣٦٦/١-٣٦٨ د. محمد سليم ، وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٥١ د.المسيري ، وموسوعة السياسة ٨٢٥/٢ ، ٦٦٣/٣ د. الكيالي.

(٢) الموسوعة السياسية ٦٦٣/٣ ، وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٥١.

(٣) عكاظ ((الأسبوعية)). العدد ((١١٥٩٢)) الاثنين ٢٢ محرم ١٤١٩هـ. الموافق ١٨ مايو ١٩٩٨م.

وبهذا يتبين أن اليهود الذين يدّعون معارضة الحركة الصهيونية السياسية هم أيضا يؤمنون بفكرة العودة إلى أرض الميعاد لتأسيس دولة يهودية. والخلاف الذي يدعونه خلاف ظاهري لا يمس الجوهر بأية حال.

يقول موشي ليلينبلوم : ((إن الأمة كلها هي أعزّ علينا من كل التقسيمات المتصلة المتعلقة بالأمور الأرثوذكسية أو الليبرالية في الدين. فعندما يتعلق الأمر بالأمة يجب أن تختفي الطائفية ، فلا مؤمنون ولا كفار ، بل الجميع أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، لأننا كلنا مقدسون ، كل واحد منا ، سواء أكنّا غير مؤمنين أو أرثوذكسيين))(١).

ويقول د. محمد أمحزون : ((ولذلك فلا الماركسيون اليهود يصرون على ماركسيتهم فحزب ((المابام)) اليساري لم يعارض الاستثمارات الأجنبية والخاصة في إسرائيل ، ولا الليبراليون الرأسماليون يصرون على ليبراليتهم ورأسماليتهم ، فحزب ((المابام)) اليساري يدخل في تحالف مع الأحزاب الدينية مطلقا يدها في كثير من جوانب الحياة في إسرائيل العلمانية ، كما أن الأحزاب اليمينية لا ترفض التحالف مع الأحزاب اليسارية ، وتقبل بعض السمات الاشتراكية أو الجماعية التي تتسم بها الحياة في إسرائيل ، والجميع في حالة الحرب يقفون صفا واحدا إذا كان الأمر يتعلق بإبادة الفلسطينيين أو شن حرب ضد الإسلام والمسلمين. كما أن التنسيق فيما بينهم يسير في الاتجاه نفسه نحو التكامل للسهر على مصالح الدولة العبرية.

إن الخلاف بين العلمانيين والمتدينين الصهاينة هو خلاف أسلوب لا مضمون ، إذ لا يختلفون في الأسس والمبادئ ، كما يتفقون حول الغايات والأهداف لخدمة إسرائيل وأمنها ومستقبلها))(٢).

يقول أوسكار هاندلين الأستاذ اليهودي للتاريخ الأمريكي في جامعة هارفارد في محاضرة ألقاها أمام المؤتمر الصهيوني الدولي : ((أنا واحد من اليهود الذين عارضوا قيام دولة إسرائيل فكرياً، لم أكن صهيونيا قط ، وإن كنت الآن أتمنى لها النجاح))(٣).

ويؤكد هذا المؤرخ اليهودي ((سبسيل روث)) بقوله : ((إن هؤلاء اليهود الذي عارضوا قيام دولة إسرائيل يتمنون الآن نجاحها ولا شك ، بعد أن قامت بالفعل))(٤).

---

(١) أرثر هرتزبرج : الفكرة الصهيونية : تحليل تاريخي ومختارات ، (ترجمة لطفي العابد وموسى عنتر) ص ٣٨ ، مقالة د. محمد أمحزون الصهيونية واليهودية ص ٨٢ ، مجلة البيان العدد ٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ٨٣.

(٣) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي ص٩٠ إسماعيل الكيلاني.

(٤) المرجع السابق.

وعندما أعرب أحد المسئولين في الحكومة الإنجليزية عن دهشته للموقف المناهض للصهيونية الذي اتخذه قادة اليهود البريطانيين ، أكد له د. حاييم وايزمان أن خطة شن الهجوم ((من أعلى)) مؤكدة النجاح ، وتكهن بأنه بمجرد الاعتراف بفلسطين وطنا قوميا لليهود ، فإن اليهود البريطانيين المناهضين للصهيونية ((سيوافقون على الفور)) على الحل الصهيوني، وأنهم هم أنفسهم سينخرطون في صفوف الحركة الصهيونية في الوقت المناسب(١).

٧- البعض يرى بما أن هناك صهيونية غير يهودية من النصارى يعملون جاهدين في تجميع اليهود في أرض فلسطين ، بل إنهم أول من نادى بهذا التجميع، فهذا يدل على أن الصهيونية غير اليهودية(٢).

أقول وكما سيمر ذكره : إن هناك عقيدة عند النصارى وخاصة البروتستانت منهم أن اليهود المشتتين حاليا إذا تجمعوا من جديد في فلسطين فإنّ هذا مقدمة لمجيء المسيح المنتظر والعهد الألفي السعيد عندهم (أي عند النصارى). فهم عملوا جاهدين على تجميع اليهود في فلسطين وإحياء فكرة عودة اليهود إلى أرض الميعاد(٣).

هذا يدل على أن الصهاينة غير اليهود إنما عملوا على توطين اليهود واحتلالهم أرض فلسطين من منطلق ديني عقائدي ، وليس من منطلق سياسي علماني -وإن كان الهدفان اجتمعا فكونا هذه المساعدة- فالصهيونية إذا مرتبطة بالعقيدة الدينية إن كانت من جهة اليهود أو من جهة غير اليهود من النصارى.

هذه النقاط السالفة الذكر توضح أن الصهيونية واليهودية لا تفترقان ، فبينهما علاقة عضوية حيث لا تنفك إحدهما عن الأخرى ، فهما وجهان لعملة واحدة. وأن الصهيونية ما هي إلاّ التطبيق العملي للقيم اليهودية المستمدة من التوراة والتلمود المتداولين بين أيدي اليهود اليوم.

---

(١) الحركة الصهيونية ومشروعها السياسي ص ١٣٦ د. عبد الوهاب المسيري ، من بحوث كتاب : المدخل إلى القضية الفلسطينية، تحرير : جواد الحمد.

(٢) من اليهودية إلى الصهيونية ص ١٩١ د. أسعد السحمراني ، والاستعمار وفلسطين ص ٥٥ رفيق شاكر النتشة ، والنظام السياسي في إسرائيل ص ٢٧ اللواء دكتور فوزي محمد طايل.

(٣) سيأتي -إن شاء الله تعالى- توضيح هذه المسألة وعقيدة النصارى في الوعد التوراتي لليهود بالعودة إلى فلسطين ، في الفصل الثالث من الباب الأول من هذه الرسالة.

((وما الماركسية والليبرالية إلا قناعان يستعملها اليهود لتمرير مخططاتهم وخدمة أهداف الصهيونية القريبة والبعيدة))(١).

وبهذا نصل إلى أن الصهيونية ما هي إلا ((حركة يهودية دينية سياسية تهدف إلى إعادة مجد إسرائيل بإقامة دولة يهودية في فلسطين ، وهي تمزج بين السياسة والدين وتتخذ الدين ركيزة تقوم عليها الدعوة السياسية))(٢).

((فالصهيونية حركة يهودية في مبناها ومعناها ، ولا تنتفي يهوديتها لتداخل عوامل خارجية في نسيجها الحركي))(٣).

((فالصهيونية السياسية مرآة اليهودية الرجعية ، ورثت عنها أكذوبتها ، وعكست عقيدتها الدينية الضالة ، وحملت فساد التراث اليهودي من أصقاع الأرض ، وثنايا التاريخ إلى فلسطين ، في زمن ساعدت عوامله على تحقيق الحلم اليهودي القديم))(٤).

وبالنظر إلى دولة الصهاينة على أرض فلسطين من ناحية الاسم ((إسرائيل)) وشكل العلم ذي اللونين الأبيض والأزرق -لون ((الطاليت)) (شال الصلاة اليهودي)- تتوسطه نجمة داود ، ويتحدث نشيدهم القومي عن العودة إلى الوطن ، تذكّر المرء بالعودة إلى العصر((الماشيخاني))، واسم البرلمان الذي يجتمع فيه ممثلو الشعب اليهودي ((الكنسيت)) أي المعبد ، والدستور غير المدون عندهم الذي يعتبر التوراة هي الدستور الأعلى عندهم ، وعدم توضيحهم لحدود دولتهم محاولةً منهم لتطبيق حدود وعدهم المزعوم لما ينبغي أن يحتلوه من الأرض. في كل هذا وغيره يتضح بجلاء البعد الديني اليهودي لدولة الصهاينة(٥).

---

(١) الصهيونية واليهودية د. محمد أمحزون ، مجلة البيان ، العدد ٨٧ ، ص ٨١.

يقول د. عطا الله المعايطة : ((إن الصهيونية صورة حيّة لليهودية المعاصرة التي استوعبت تجارب السابقين ودهاء المعاصرين، ولا يصلح في حربها إلا وعي حقيقي باليهود من خلال كتبهم التي يسمونها بالمقدسة وألاعيب المعاصرين الذي يخوضون كل مجال من أجل السيطرة على العالم ، وهذه الخطة تمشي وتسير بلا عوائق مادام أهل الحق إلى الآن لم يتفقوا ويعرفوا هوية عدوهم الحقيقي ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ **وَالَّذينَ كَفَرُوا بَعضُهُم أَولِيَاءُ بَعضٍ إلاَّ تَفعَلُوهُ تَكُن فِتنَةٌ فِي الأَرضِ وَفَسَادٌ كَبِير** ﴾ سورة الأنفال الآية ٧٣. أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر ص ٢٥٧.

(٢) القاموس السياسي ، ص ٧٣٦ ، أحمد عطيّة الله.

(٣) رؤية دينية للدولة الإسرائيلية ص ٢٦ حسن محمد مي.

(٤) المرجع السابق ص ٣٣.

(٥) والصهيونية واليهودية د. محمد أمحزون ، مجلة البيان ، العدد ٨٧ ، ص ٨٦.

المطلب الثالث : هل الصهيونية تحقيق للوعد المزعوم ؟ :

سبق أن ذكرت أن اليهود الدينيين ((الأرثوذكسيين)) يدّعون رفضهم لحركة الصهيونية من منطلق ديني ، حيث في اعتقادهم أن الوعد التوراتي ((المزعوم)) في العودة إلى فلسطين((أرض الميعاد)) لن يتم إلا عن طريق الماشيخ ((المسيح)) المنتظر المخلص ، وأن العودة ستتم في الوقت الذي يحدده الرب وبطريقته وأنها ليست فعلا بشريا.

وذكرت أيضا في الصفحات السابقة أنّ هذا الرفض للحركة الصهيونية رفض مضلل كاذب وليس رفضا حقيقيا ، حيث إن هذه الفئة الدينية اليهودية اندمجت في دولة إسرائيل الحالية عندما احتلت أرض فلسطين ، وكونت فيها الأحزاب الدينية ، ولذلك سميت((بالصهيونية الدينية))[1].

ولمناسبة المقام أود أن أعرض عقيدة اليهود في مسيحهم المنتظر المخلص من خلال الأسطر التالية .

المسيح[2] المنتظر المخلّص عند اليهود :

إنّ من أهم العقائد في اليهودية : عقيدة المسيح المنتظر ، ويعتبر الإيمان بهذه العقيدة أحد الأركان الأساسية في الديانة اليهودية[3] ، وأحد الأسس الجوهرية فيها[4].

---

(١) انظر ص ١٨٩ من هذا البحث.

(٢) كلمة ((مسيح)) بالعبرية ((مَاشِيح)) أي ممسوح بالزيت.

كان اليهود وعلى عادة الشعوب القديمة يمسحون رأس الملك أو الكاهن بزيت مقدس -عندهم- قبل تنصيبه ، وهي علامة على أنه قد أصبحت له مكانة خاصة وأن الروح الإلهي سرى فيه.

وهكذا كان كل ملك عند اليهود يسمى في القديم ((مسيحا)) أي أنه متوج بطريقة شرعية وممسوح بالزيت المــقدس. انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣٥٣ د. المسيري ، والفكر الديني اليهودي ص ١٠٩ د.حسن ظاظا، وحول مسيح اليهود المنتظر ص ٣٤ بديع السيوفي.

ويقول الأستاذ أحمد عثمان : ((إن كلمة المسيح لم تكن في أصلها من اللغات السامية و لم يعرفها أبناء إسرائيل في المراحل الأولى من تاريخهم ، وإنما هي كلمة مصرية الأصل. كان المصريون هم الوحيدون من بين الشعوب القديمة الذين يقومون بدهان الملك بالزيوت والعطور عند تنصيبه وقبل جلوسه على العرش ، كما كانوا يدهنونه بزبدة التمساح -وهي عادة ما تزال موجودة في بلاد النوبة حتى وقتنا هذا- لاعتقادهم بأن هذا سيجلب له سلالة قوية. وكان الملك الجديد بسبب عملية الدهان هذه ، يتلقى لقب ((مسيح)) من بين ألقابه. ثم بدأ كتاب العهد القديم من العبرانيين يستخدمون هذه الكلمة للدلالة على ملوك بني إسرائيل)) تاريخ اليهود ٣/٥٣-٥٤.

(٣) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي ص ١١٧ ، جورجي كنعان.

(٤) المسيحية والتوراة ص ٣٨ ، شفيق مقار.

يقول د. ظاظا في عرضه لهذه الفكرة اليهودية : ((وتأتي فكرة انتظار المخلص ، أو المسيح ، مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب أو فكرة ((العهد الجديد)) عندئذ تتجدد أمة الله لتصبح جديرة بالله))[١].

يقول بن جوريون : ((ففي أسفار التوراة والأبوكريفا ، وفي المشنا والمدراش كما في الصلوات اليهودية والشعر العبراني يتكرر هذان الباعثان : رؤيا الخلاص وفكرة الشعب المختار))[٢].

ذكر المسيح المنتظر اليهودي في مصادر العقيدة عند اليهود :

أولاً : في أسفار العهد القديم :

أ – في أسفار التوراة الخمسة :

((لم يذكر في أسفار التوراة الخمسة ما يدل على الدعوة لمجيء مسيح منقذ لليهود))[٣].

((ولكن الباحثين ، واليهود منهم بوجه خالص ، تأوّلوا ذلك من خلال نصين ، في كل التوراة ، مع كثير من التكلف والتعسف))[٤].

النص الأول :

((لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو وتطيعه الشعوب))[٥].

وفي البروتستنتية ((لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب))[٦].

((أي لا يزول صولجان الملك في يهوذا ، أي يبقى في هذا السبط المجد والعظمة ، ((ومشترع بين رجليه)) أي صولجان السلطة يكون من نسله أو مواليده ، ((حتى يأتي شيلون)) ، ترجم كثير من المحدثين الأصل العبراني بقوله ((حتى يأتي إلى شيلوه)) ((وهي مدينة)). لكن هذه الترجمة رفضت؛ أولا لمخالفتها لكل الترجمات القديمة ؛ وثانيا لأنه بهذه الترجمة لا يبقى للفقرة من معنى. وكانت مدينة شيلوه في أرض افرايم. ولم يُذكر قط أن سبط يهوذا أتى إليها. وهُدمت قبل أن

(١) الفكر الديني اليهودي ، ص ٩٨ ، د. حسن ظاظا.

(٢) التلمود والصهيونية ، ص ٢٢٦ ، د. أسعد رزوق.

(٣) حول مسيح اليهود المنتظر ، ص ٩ ، بديع السيوفي.

(٤) الفكر الديني اليهود ، ص ٩٨ ، د. حسن ظاظا.

(٥) تكوين ٤٩: ١٠.

(٦) تكوين ٤٩ : ١٠.

يعظم سبط يهوذا والذين هدموها الفلسطينيون. ومعنى ((شيلوه)) الذي يكون. وترجمها بعضهم بالمسالم وصانع السلام فتنطبق على لقب المسيح.

واعتبرت هذه الفقرة أنها نبوءة بالمسيح. جاء ذلك في مؤلفات علماء اليهود القدماء ومنها التلمود أن شيلوه فسرت بالمسيح. ((وتطيعه الشعوب)) والمقصود بالشعوب هنا كل أمم الأرض. وفي ترجمة انكيلوس ((وله يخضع الشعوب)) وفي النسخة السامرية ((وبيده الشعوب تُقاد)) وفي السبعينية والسريانية والفلغاتا ((وإيّاه تنتظر الأمم)) أو ((وهو يكون منتظر الأمم))[(١) (٢)].

أما النص الثاني فهو :

((أراه وليس حاضرا ، أُبصرُهُ وليس بقريب. يسعى كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل فيُحَطِّمُ طَرَفي مُوآب ويُريح جميع بني شيث))[(٣)].

وفي البروتستنتية ((أراه ولكن ليس الآن ، أُبصرهُ ولكن ليس قريباً. يبرُزُ كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيُحطِّمُ طَرَفي مُوآب ويُهلِكُ كُلَّ بني الوغى))[(٤)].

((الرؤية هنا بعين الذهن من سيأتي لا من هو في الحضرة. والظاهر أنه كان يتصوّر كوكبا بارزا من يعقوب أي رجلا ذا سلطان من نسل يعقوب. والكوكب كناية عن المَلِك. وفي ترجمة أنكيلوس ((يقوم ملك من يعقوب والمسيح يمسح من إسرائيل)). وقال ابن عزرا ((إن النبوءة في داود ولكن كثيرين من المفسرين قالوا أنها في المسيح)) ((فيحطم طرفي موآب)) تمّت هذه النبوة جزئياً أو رمزياً في عصر داود. وموآب وأدوم رمزان إلى أعداء المسيح ، ((ويهلك كل بني الوغى)) أي بني الحرب))[(٥)].

---

(١) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ١ / ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) وهذا هو رأي العالم اللاهوتي ((دريفر)) إذ يقول : ((إن الاصحاح ٤٩ من سفر التكوين الذي يبارك فيه يعقوب الأسباط ، هو بطبيعة الحال مقحم على يد كاتب من المدرسة اليهودية ((اليهوية)) أخذه من مصدر مستقل. فالملابسات التاريخية والجغرافية التي تشع منه ، هي الملابسات نفسها المعروفة في عصر القضاة وصمويل وداود ، وهو العصر الذي أخذت فيه عادة بركة شيخ القبيلة شكلها الشعري الذي نراه هنا.

والعالم البريطاني هذا يوافق في ذلك الألماني دلمان ، ويتفق معهما في الرأي نفسه العلامة السويسري لوسيان جوتيه وغيره)) . انظر الفكر الديني اليهودي ص ٩٩-١٠٠ د. حسن ظاظا.

(٣) عدد ٢٤: ١٧.

(٤) عدد ٢٤ : ١٧ ((بروتستنتية)).

(٥) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ٢/٣١٥-٣١٦.

ب- باقي أسفار العهد القديم :

وجاء ذكر المسيح اليهودي المخلص في بعض كتب الأنبياء ، كما في نبوءة أشعيا وأرميا ودانيال وزكريا.

ففي أشعيا : ((لأنه قد ولد لنا ولد أعطي ابنا فصارت الرئاسة على كتفه ودُعي اسمه عجيبا مشيرا إلها جبّارا أبا الأبد رئيس السلام ، لنمو الرئاسة والسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته ليُقرّها ويُوطّدها بالإنصاف والعدل من الآن إلى الأبد. إنّ غيرة رب الجنود تصنع هذا))(١).

وفي البرتستنتية : ((لأنه يولد لنا ولد ونُعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويُدعى اسماً عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسيّ داود وعلى مملكتهِ ليُثبّتها ويعضدها بالحق والبرِ من الآن إلى الأبد. غيرةُ ربّ الجنود تصنعُ هذا))(٢).

وفيه أيضا : ((ويخرج قضيب من جذر يسّي وينمي فرعا من أصوله. ويستقر عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة وروح العلم وتقوى الرب. ويتنعم بمخافة الرب ولا يقضي بحسب رؤية عينيه ولا يحكم بحسب سماع أُذُنيه. بل يقضي للمساكين بعدل ويحكم لبائسي الأرضي بإنصاف ويضرب الأرض بقضيب فيه ويُهلك المنافق بنَفَس شفتيه. ويكون العدل منطقة حقوية والحق حزام كشحية. فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي ويكون العجل والشبل والمعلوف معا وصبي صغير يسوقها. ترى البقرة والدب معا ويربض أولادهما معا والأسد يأكل التبن كالثور. ويلعب المرضع على حجر الأفعى ويضع الفطيم يده في نفق الأرقم. لا يُسيئُون ولا يُفسدُون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر. وفي ذلك اليوم أصل يسّي القائم رايةً للشعوب إيّاه تترجّى الأمم ويكون مثواه مجيداً. وفي ذلك

---

(١) نبوءة أشعيا ٩: ٦-٧.

(٢) نبوة أشعيا ٩ : ٦-٧.

ولكن النص الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح مختلف عن النصين الموجودين في الترجمتين العربيتين الكاثوليكية والبروتستانتية ، فقال رحمه الله : قالوا : وقال أشعيا : ((إن غلاما ولد لنا ، وابنا أعطيناه الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه ويدعى اسمه ملكا ، عظيم المشية مسيرا عجيبا إلها قويا مسلطا رئيس السلامة في كل الدهور ، وسلطانه كامل ليس له فناء)). فقال رحمه الله تعالى : ((وقد يقال المراد بها محمد ﷺ فإنه الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين :

من جهة خاتم النبوة على بعض كتفيه ، وهو علامة من أعلام النبوة الذي أخبرت به الأنبياء وعلامة ختمهم.

ومن جهة أنه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه ، ويرفعه إذا ضرب به على عاتقه ، ويدل على ذلك قوله : ((مسلط رئيس قوي السلامة)). الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/٤٠٦-٤٠٧ .

اليوم يعود السيد فيمدُّ يده ليحوز بقيّة شعبه من بقي منهم من أشور ومصر وفتروس وكوش وعيلام وشنعار وحماة وجزائر البحر. وينصِبُ رايةً للأمم ويجمع المنفيّين من إسرائيل ويضم المشتّتين من يهوذا من أربعة أطراف الأرض ...

وينقَضُّون على أكتاف الفلسطينيين نحو الغرب وينهبون بني المشرق جميعاً ويُلقُون أيديهم على أدوم وموآب ويُطيعهُمُ بني عمُّون))[1].

وفيه أيضا : ((ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية من يعقوب يقول الرب))[2].

وفي نبوءة أرميا : ((ها إنها ستأتي أيام يقول الرب أُقيم فيها لداود نبتا صدّيقا ويملك مَلِك يكون حكيما ويُجرى الحُكم والعدل في الأرض. في أيّامه يُخلّصُ يهوذا ويَسكن إسرائيل في الدّعة، وهذا اسمه الذي يُدعي به الرب بِرُّنا))[3].

وفي البروتستنتية : ((ها أيّام تأتي يقولُ الرب وأقيمُ لداود غُصن بِرٍ فيملك ملك وينجح ويُجري حقاً وعدلاً في الأرض. في أيامه يُخلّصُ يهوذا ويسكنُ إسرائيل آمنا وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الربُ بِرُّنا))[4].

وفي نبوءة دانيال : ((ورأيت في رؤى الليل فإذا بمثل ابن البشر آتيا على سحاب السماء فبلغ إلى القديم الأيام وقُرّبَ إلى أمامه وأوتي سلطانا ومجدا وملكا فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبُدونه وسلطانُه سلطانٌ أبدي لا يزول ومُلكُه لا ينقرض))[5].

وفي البروتستنتية : ((كنت أرى في رُؤى الليل وإذا مع سُحُب السماء مِثلُ ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيّامِ فقرّبُوهُ قُدّامه. فأعطي سُلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأُمم والألسنة. سُلطانه سُلطانٌ أبديٌ ما لن يزُول وملكوتُهُ ما لا ينقرض))[6].

وفي نبوءة زكريا : ((ابتهجي جدا يا بنت صهيون واهتفي يا بنت أورشليم هوذا مِلكُكَ يأتيك صدّيقا مُخلّصاً وديعا راكبا على أتان وجحش ابن أتان. واستأصل العجلة من أفرائيم

---

(١) نبوءة أشعيا ١١: ١- ١٤.

(٢) نبوءة أشعيا ٥٦: ٢٠.

(٣) نبوءة أرميا ٢٣: ٥-٦ .

(٤) نبوءة أرميا ٢٣ : ٥-٦ ((بروتستنتية)).

(٥) نبوءة دانيال ٧: ١٣-١٤.

(٦) نبوءة دانيال ٧ : ١٣-١٤ ((بروتستنتية)).

والخيل من أورشليم وتُستأصَلُ قوس القتال ويتكلم بالسلام للأمم ويكون سلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرضي))(١).

وفي البروتستنتية : ((ابتهجي جداً يا ابنةَ صهيون اهتفي يا بنت أُورشليم مَلِكُكِ يأتي إليك هو عادلٌ ومنصور وديع وراكب على حِمارٍ وعلى جحش ابن أتان. وأقطَعُ المركبةَ من أفرايم والفرسَ من أورشليم وتُقطعُ قوسُ الحرب ويتكلمُ بالسلامِ للأمم وسُلطانُهُ من البحرِ إلى البحرِ ومن النهرِ إلى أقاصي الأرض))(٢).

ثانياً : في التلمود :

((وفي أسفار التلمود يتجلى اهتمام الربانيين بفكرة المسيّا ((المسيح)) هذه ، فتتحول على أيديهم إلى عقيدة شاملة في أعقاب الصدام الدموي بين عصاقم والسلطات الرومانية. ويشغلون أنفسهم بإجراء الحسابات التي تنبئ عن موعد قدومه ، كما يزداد تطلعهم إلى مجيء ذلك ((المخلص)) المتحدّر من نسل داود ، لكي يتبوأ عرش الملك وترتفع به إسرائيل إلى سدة السلطنة على العالم))(٣).

وقد كتب د. جوزيف باركلي ، معتمدا على التلمود : ((إن قضية المسيح هي من أهم قضايا اليهود. تقول مدرسة إليجاه : إن العالم سيبقى ألفي سنة في الارتباك والبلبلة. وألفي سنة من سيادة القانون ((التوراة)) وألفي سنة بعد مجيء المسيح))(٤).

((حتى إنهم زعموا وجوده قبل وجود العالم. فقد جاء في التلمود أن هناك أشياء كان خلقها قبل خلق العالم وهي : التوراة والتوبة وجنة عدن وجهنم وعرش المجد والهيكل واسم المسيا))(٥).

وأن الحرب سوف تشتعل قبل مجيئه ((وقبل أن يحكم اليهود نهائيا يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق ، ويهلك ثلثا العالم ، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر القريب))(٦).

---

(١) نبوءة زكريا ٩: ٩-١٠.

(٢) نبوءة زكريا ٩ : ٩-١٠ ((بروتستنتية)).

(٣) التلمود والصهيونية ص ٢٢٨ د. اسعد رزوق.

(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٥٨-٥٩ ظفر الإسلام خان.

(٥) التلمود والصهيونية ص ٢٢٩ د. اسعد رزوق.

(٦) قبل أن يهدم الأقصى ص ١٣٥ عبد العزيز مصطفى ، ونهاية العالم قريبا ص١٤٠ منصور عبد الحكيم.

((سيأتي المسيح الحقيقي ، ويحصل النصر المنتظر ، ويقبل المسيح وقتئذ هدايا الشعب ، ويرفض هدايا المسيحيين ، وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم))[1].

و((لمّا يأتي المسيح تطرح الأرض فطيرا ، وملابس من الصوف ، وقمحا حبه بقدر كلاوي[2] الثيران الكبيرة. وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود ، وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له. وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه ، وثلاثمائة وعشرة أعوان تحت سلطته))[3].

و((أن كروم العنب ستثمر حتى أن عنقودا واحدا سيكفي لثلاثين جرة من الخمر ، وسيترفع بناء أورشليم ثلاثة أميال ، وأبوابها ستكون من لآلئ وأحجار كريمة قامتها ثلاثين ذراعا طولا وثلاثين ذراعا عرضا))[4].

((ولكن لا يأتي المسيح عندهم ، إلا بعد انقضاء حكم الأشرار -أي الخارجين عن الدين اليهودي-))[5].

هذه بعض النصوص الواردة في ذكر المسيح اليهودي المنتظر وبها يتبين لنا أن انتظار مجيء المسيح المنتظر يظل حجر الزاوية في الإيمان اليهودي[6].

حيث هو ((إيمان بمخلّص من نسل داود سوف يأتي في نهاية التاريخ ، فيفدي شعب إسرائيل وذلك بإنقاذه من (المنفى) ، والعودة به إلى الأراضي المقدسة ، حيث يُحطّم أعداء إسرائيل ، ويعيد بناء الهيكل ، ويتخذ من القدس (أورشليم) عاصمة له.

وقد ظل هذا الإيمان ، وما فتئ ، راسخا في الذهنية اليهودية. ففحوى الديانة اليهودية أن المسيح لم يأت. وهم ينتظرون مجيئه الذي لن يتم إلا فوق أرض فلسطين ، تحت سقف هيكل سليمان.

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٧١ ، ترجمة د. يوسف نصر الله . والمرجعان السابقان.

(٢) يقصد المترجم بالكلاوي جمع (كلية) العضو المعروف ، جريا منه على الخطأ العامي ، لأن العوام يقولون في المفرد (كلوة) ويجمعونها (كلاوي) والصواب (كلية وكلى) مثل (دمية ودمى). انظر : القاموس المحيط ص ١٧١٣ ، وحاشية ص ٧٠ من كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود.

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها ، والتلمود شريعة بني إسرائيل ص ٢٤ ، والتلمود تاريخه وتعاليمه ص٦٠.

(٤) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٦١ ظفر الإسلام خان.

(٥) الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمة د. يوسف نصر الله.

(٦) المسيحية والتوراة ص ٥٧ ، شفيق مقار.

إن كلمة ((يهودي)) تدل اليوم على إنسان ما فتئ ينتظر مسيحه منذ ألفي سنة. وحين شعر أن الانتظار طال ، اقتحمه بالقوة والاغتصاب عن طريق الصهيونية))[(١)].

((وقد حُدّدت مهمة المسيح المنتظر بوضوح ، ومنذ البداية ، وهي سحق الرؤوس وملء الأرض بالجثث ، وجعل الأمم جميعها موطئا لأقدام بني إسرائيل ، وانتداب اليهود بقيادة المسيح المنتظر لحكم الأرض نيابة عن يهوه ((الرب)) أي إقامة ملكوت يهوه على الأرض))[(٢)].

و((ينبني الإيمان اليهودي على أن ((المسيح بن داود)) المسيح المنتظر ، عندما يجيء سيصبح في العالم دين واحد ، هو دين يهوه ، وستتعاظم المعرفة ، وسيكون الرب وحده واسمه ((يهوه إله إسرائيل)) وعلى أن ذلك المسيح المنتظر عندما يتسيد العالم ، سيمحق البعض ويرفع البعض ، وعلى أنه عندما يجيء سوف يسود السلام ويصبح السلام أبديا ، وحتى الوحوش الكاسرة لن تؤذي أحداً وبمجيئه يتحقق خلاص إسرائيل أبديا ، ويكون خلاص أورشليم باستيطان ((الشعب)) لها دون شريك من الجوييم. وبمجيء المسيح المنتظر ((سيشفى)) الهواء ذاته وتقوى الطبيعة وتطول أعمار البشر. وسيكون الخلاص الذي يأتي به المسيح المنتظر مصحوبا بانبعاث الموتى. وسوف يلتئم شمل إسرائيل بشكل لم يسبق له مثيل منذ أيام رحبعام بن سليمان.

وبعد مجيء المسيح المنتظر بوقت قصير للغاية ستنشب حرب يأجوج ومأجوج ((معركة هرمجدّون))[(٣)] ، وفي تلك الحرب سيكون النصر لإسرائيل وستنتقم إسرائيل من كل أعدائها ، من كل الأمم))[(٤)].

و((لاعتقاد اليهود في خروج مسيحهم المنتظر علاقة مباشرة بسعيهم لهدم الأقصى وبناء الهيكل الثالث مكانه ، وهذا المعتقد قديم عندهم ، وظل حلم إعادة بناء الهيكل لتهيئة الجو لخروج مسيحهم يراود الحركات الصهيونية عبر التاريخ ، فكتبهم المقدسة تخبرهم أن على يده سيكون خلاص اليهود ، وهو الذي سيتوج ملكا عليهم ، يحكم العالم من أورشليم القدس من بيت الرب من الهيكل الثالث كما يعتقدون))[(٥)].

((وهكذا اختصت العقلية اليهودية بظاهرة عمّت اليهود عبر القرون ، ورسخت في أذهان بني إسرائيل منذ القدم ، أعني ظاهرة انتظار المسيح الموعود. وكان طبيعيا أن يقوى هذا الأمل

---

(١) لأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي ص ١١٧ ، جورجي كنعان.

(٢) المرجع السابق الصفحة نفسها.

(٣) سيأتي الكلام عن هذه المعركة ص ٢٣٧ من هذه الرسالة.

(٤) المسيحية والتوراة ص ٥٦ ، شفيق مقار.

(٥) قبل أن يهدم الأقصى ص ١٢٩ عبد العزيز مصطفى. وانظر في حقيقة الهيكل ص ٣٣٩ من هذه الرسالة.

بالموعود المنتظر كلما كانت الأحداث التاريخية معاكسة للتصور الذي يفرضه مصير شعب الله المختار. فإذا كان اليهود خاضعين لسلطة أجنبية أو وثنية ، أليس المسيح الموعود هو الكفيل بتخليصهم منها ، فهو الذي سيعيدُ مجدَ داود ، وسينتقم من أعدائهم. فالانتظار المؤمل إذن يتعلق بتحقيق أهداف دينية وغايات سياسية في آن واحد))[١].

((والواقع أن الحلم المسيحاني لم يكفّ عن مداعبة خيال اليهود منذ السبي البابلي حتى القرن العشرين))[٢].

وعندهم أن مسيحهم المنتظر المخلّص ((لم يأت بعد ويتعين انتظار مقدمه في زمان آت يقود فيه جيش ((أبناء النور)) ضد جيش ((أبناء الظلام)) ، وتتحقق النبوءات ، ويبدأ العصر الألفي السعيد[٣] الذي تحكم فيه صهيون كل الأمم ، وتنبذ كل الأمم الحربَ فتُحوّل سيوفها إلى محاريث، ورماحها إلى مناجل ، في ظل سلام صهيوني شامل تخرج فيه الشريعة من صهيون ، وتختفي كل الأديان ، فلا يبقى إلا يهوه وحده ولا تبقى إلا عبادته))[٤].

ولكن الحق كما سيتضح -إن شاء الله- أن اليهود قد ((اختلط عليهم الأمر وهم يبحثون عن الدفء. فأخذوا اسم ((المسيح)) الذي يستقيم مع أفعالهم. ويتناسب مع أهوائهم. فالمسيح الدجال آخر الزمان فتنة ، يقود الجيوش، ويسفك الدماء، ويحتل الأرض. وهم في حاجة إلى الجيش والأرض ليسفكوا كثيراً من الدماء. فوضعوا نبوة الدجال في جراب ((التبشير)) عند إجرائهم لعمليات الفرز بدلاً من وضعها في جراب ((التحذير))[٥].

وانطلاقا من عقيدة المسيح المنتظر عند اليهود ((ولأن الفكر الديني اليهودي يدور حول عقيدة الماشيح -المسيح- ويرتبط ارتباطا قويا بأرض الميعاد))[٦].

---

(١) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ٢٥١ عبد المجيد الشرفي. نقلا عن اليهودية عرض تاريخي ص٤٤ د.عرفان عبد الحميد فتاح.

(٢) الفكر الديني اليهودي ص ١١١ ، د. حسن ظاظا.

(٣) العصر الألفي السعيد : هو الاعتقاد بعودة المسيح المنتظر الذي سيقيم مملكة الله في الأرض والتي ستدوم ألف عام. والمؤمنون من النصارى بالعصر الألفي السعيد يعتبرون أن مستقبل الشعب اليهودي أحد الأحداث المهمة التي تسبق نهاية الزمان ، وأن عودة اليهود كأمة إلى فلسطين هي بشرى الألف عام السعيدة .

انظر : ص ٢٣٢ من هذه الرسالة.

(٤) المسيحية والتوراة ص ٦٠ ، شفيق مقار.

(٥) المسيح الدجال ((قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى)) ، ص ٣٢ ، سعيد أيوب.

(٦) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص ٩٩ ، د.عبد الوهاب المسيري.

فالرأي العام اليهودي مهيأ لمجيء هذا المسيح ، خاصة في الأوقات التي تنزل فيها على اليهود البلايا والمحن[1].

انتهز بعض اليهود هذا التهيؤ والترقب العام ، فظهر المسحاء الكذّابون.

ومن هؤلاء :

تيوداس :

ظهر سنة ٤٤ م ، فاتبعه جمهور كبير من اليهود ، وانتهى أمره على يد الرومان[2].

باركوكبا :

قائد الثورة اليهودية التي نشبت في القرن الثاني الميلادي ، حوالي سنة ١٣٢م ، أعلن فيها الجهاد المقدس لطرد الرومان وغيرهم من فلسطين ، والاستيلاء عليها لتكون وطنا لليهود. شجعه على انتحال شخصية المسيح المنتظر الحاخام عقيبا بن يوسف[3].

وكان اسمه شمعون فغيّره إلى باركوكبا أي ((ابن الكوكب)) ، استطاع -مع الحاخام عقيبا- أن يستقطب كثيراً من اليهود. ولكن هذه الجماعة تلقت ضربة قوية من الرومان وإمبراطورها هدريان. ولقي باركوبا ومن معه حتفهم. فأطلق اليهود عليه بعد هزيمته من الرومان اسم ((بركوزيبا)) أي ابن الكذاب بدلا من ((باركوكبا))[4].

شبتاي زفي[5] :

ادعى أنه المسيح المنتظر سنة ١٦٤٧ م ، واتبعه عدد كبير من اليهود وألغى كل النواميس والشريعة المكتوبة والشفوية ، وتنقل إلى عدة مدن منها القاهرة ، ثم رحل إلى فلسطين سنة ١٦٦٣م ودخل القدس وادعى أنه المتصرف في مصير العالم كله. ولكن السلطات التركية قبضت

---

(١) اليهودية ، ص ٢٢٣ ، أحمد شلبي.

(٢) الفكر الديني اليهودي ص ١١٢ ، د.حسن ظاظا.

(٣) انظر ص ١٤٧ من هذا البحث في التعريف بعقيبا بن يوسف.

(٤) الفكر الديني اليهودي ص ١١٤ ، د.حسن ظاظا ، وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٩٩ د.عبد الوهاب المسيري ، والمشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ٢/٢٦٣ محمود نعناعة.

(٥) إسمه شبتاي صبي ، وقيل إنها تنطق زفي خطأ. وقيل : شبتاي لاوي. ولد في مدينة أزمير التركية في صيف سنة ١٦٢٦م الموافق ١٠٣٥هـ لأسرة يهودية إشكنازية في بيئة تلمودية متزمتة. وكان أبوه ((مردخاي)) وكيل شركة إنكليزية هناك تعلم التوراة والتلمود ، وتعلق بفكرة المسيح المنتظر المخلص عند اليهود. انظر : الفكر الديني اليهودي ص ١٢٠، وبروتوكولات حكماء صهيون ص ٥١٧ عجاج نويهض.

عليه في عام ١٦٦٦م ((١٠٧٦ هـــ)) في القدس ورحّلته إلى تركيا. وحينما وصل إلى تركيا أعلن إسلامه ((نفاقا))، وتعلم العربية حتى ينجو من حكم الإعدام ، وتسمى بـــ((محمد عزيز أفندي)) وحذا حذوه كثير من أتباعه الذين أصبح يطلق عليهم اسم ((الدونمة)) وحين أُكتشف أنه يمارس الطقوس اليهودية ، نفي إلى البانيا ، حيث مات هناك بوباء الكوليرا ، في ٣٠ ســبتمبر سنة ١٦٧٥م[١].

وكثيرون غير هؤلاء ، ادعى كل منهم أنه المسيح المنتظر عند اليهود ، لما وجدوا لهذه العقيدة رواجا في الديانة اليهودية[٢].

وبعد هذا العرض لعقيدة المسيح المنتظر المخلص عند اليهود. يتبين لماذا رفض اليهود الدينيون ((الصهيونية الدينية)) في بداية الأمر ، عمل الصهيونية السياسية ، واعتبروا أن عملها في إرجاع اليهود إلى أرض الميعاد ، تدخل في عمل الرب ، وعلى ذلك فإن دولة إسرائيل في أرض فلسطين المحتلة ليست تحقيقا لنبوءة العهد القديم ، ولا تمثل حلم العودة إلى فلسطين. ولكن ما لبثت الصهيونية الدينية أن انخرطت في الحياة الاجتماعية في دولة إسرائيل في أرض فلسطين المحتلة وأصبح لها شأن قوي -كما مر ذكره-[٣].

لذلك فإن فكرة ((المسيح المخلص)) كانت عائقا فكريا جابهت الحركة الصهيونية ، فحاولت الالتفاف على هذه الفكرة عن طريق الادعاء بأن جهودها لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، ستكون من أجل تمهيد الطريق أمام قدوم المسيح[٤].

---

(١) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٢٦ ، والفكر الديني اليهودي ص ١٢٠ ، وبروتوكولات حكماء صهيون ص ٥١٧ ، والعنصرية اليهودية ٢٢٢/١ د. احمد بن الزغيبي ، وتاريخ اليهود ص ٥٦ أحمد عثمان ، واليهودية ص ٢٢٤ د. احمد شلبي ، والعرب واليهود في التاريخ ص ٣٥٢ د. أحمد سوسة ، وحول مسيح اليهود المنتظر ص٦٥ بديع السيوفي.
يقول د. عبدالوهاب المسيري : ((والحركة الشباتية هي واحدة من الحركات اليهودية الماشيحانية الحديثة التي تعبر عن بؤس اليهود وعن أزمة اليهودية والتي انتهت بظهور الحسيدية ثم الصهيونية ، وكلها حركات هروبية ترفض الزمان والمكان وتطالب بالانتقال من وضع تاريخي معين إلى مجتمع جديد مثالي يشيد على أرض فلسطين)) موسوعة المفاهيم ص ٢٢٦.

(٢) منهم : عوبديا المعروف باسم أبي عيسى الأصفهاني في زمن عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥م). وسيرينوس في أيام عمر بن عبدالعزيز (٧١٧-٧٢٠ م). وداود الرائي بن سليمان ظهر في إقليم كردستان سنة ١١٦٣م أيام الدولة العباسية ، وأشرا إملين يهودي الماني سنة ١٥٠٢م. وداود الرأوبيني ولد سنة ١٤٩٠م في خيبر بالقرب من المدينة المنورة، ويعقوب فرانك المولود سنة ١٧٦٢م، وغيرهم. انظر : الفكر الديني اليهودي ص١١٢-١٢٨، وحول مسيح اليهود المنتظر ص٦٧، وقبل أن يهدم الأقصى ص ١٣٥.

(٣) انظر ص ١٨٩ من هذا البحث.

(٤) القوى الدينية في إسرائيل ص ١٢٩ ، د. رشاد عبدالله الشامي.

بل إن ((الصهيونيين حاولوا أن يقنعوا الفئات اليهودية المختلفة بأن وجود إسرائيل هو تحقيق لوعد الكتاب المقدس ، وبذلوا في ذلك جهودا مضنية))[١].

((ولقد استغل القائمون على الحركة الصهيونية البواعث الدينية والخلاصية التي ترسبت في عقيدة المسيح المنتظر ، مشيعين في نفوس أتباعهم أن عودة ((الشعب)) اليهودي إلى أرض فلسطين هي حركة مسيحانية. امتدادا لرسالة الأنبياء العبرانيين. وإسرائيل كدولة هي جوهر تلك الرسالة ، وهي بداية منجزات العصر المسيحاني.

يقول بن غوريون : إن ما ضمن بقاء الشعب اليهودي عبر الأجيال ، وأدى إلى خلق الدولة اليهودية ، هو رؤيا المسيح المنتظر لدى أنبياء إسرائيل. ورؤيا خلاص الشعب اليهودي ومعه الإنسانية جمعاء ، ودولة إسرائيل هي أداة لتحقيق هذه الرؤيا عن المسيح المنتظر))[٢].

وتقول جولدا مائير : ((وجد هذا البلد تنفيذا لوعد الرب ذاته ولهذا لا يصح أن نسأله أيضاً عن شرعية ذلك الوجود))[٣].

وقد ذكّر دافيد بن غوريون بنبوءات أشعيا ، في خطابه الاحتفالي بإنشاء إسرائيل عام ١٩٤٨م ، واعتبر قيامها تحقيقا لنبوءات النبي المحارب ، كما يسمونه[٤].

ومن هذه النبوءات :

((يقول الرب وفاديك هو قُدُّوسُ إسرائيل ، هاأنذا قد جعلتُك نورجا محددا جديدا ذا أسنان فتدوس الجبال وتدكها وتجعل التلال كالعاصفة ، تُذرّيها فتذهب بها الريح وتبددها الزوبعة فتبتهج أنت بالرب وتفتخر بقدوس إسرائيل))[٥].

((لا تخف فإني معك وسآتي بنسلك من المشرق وأجمعك من المغرب ، أقول للشمال هات وللجنوب لا تمنع. هلم ببني من بعيد وبناتي من أقاصي الأرض))[٦].

ويقول بن غوريون : ((إن الصهيونية الحقيقية لم تبدأ بهرتزل ومؤتمر بال ، ولا بوعد بلفور ، ولا بقرارات الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م ، لكنها بدأت يوم وعد إله أبانا إبراهيم وعده))[٧].

---

(١) إسرائيل في التوراة والإنجيل ص ٤١ ، د. مراد كامل.

(٢) الأصولية المسيحية ص١١٧ جورجي كنعان ، والتلمود و الصهيونية ص ٢٢٣-٢٢٤ د. اسعد رزوق.

(٣) نهاية اليهود ص ١١٩ ، محمد عزت عارف.

(٤) فلسطين والوعد الحق ، ص ٢٣ ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

(٥) أشعيا ٤١ : ١٤ - ١٥ - ١٦.

(٦) أشعيا ٤٣ : ٥ - ٦.

(٧) الصهيونية بين الدين والسياسة ص ٢٧، عبد السميع سالم الهراوي.

ويقول أيضا : ((إن فكرة العودة إلى صهيون ، وإحياء الدولة اليهودية ليست من اختراع بنسكر ، أو هرتزل ، فالرؤيا والأمل هما بعمر المنفى ذاته ، لا بل يرجعان إلى ما قبل خراب الهيكل الثاني. وجل ما فعلته الصهيونية السياسية هو محاولة إرساء هذه الفكرة القديمة بجذورها العميقة في حياة الشعب على أساس الحاجات المادية لدى اليهود الأوربيين في القرن التاسع عشر ، والبحث عن طرق عمل ناجحة لتحقيق الفكرة))[١].

وبما أن فكرة العودة هي جرثومة الذاتية اليهودية منذ خروجها من فلسطين -أيام السبي الآشوري، والبابلي- وهذه الفكرة هي الفكرة المحورية للحركة الصهيونية السياسية ، ولكنها رفضت التصور اليهودي التقليدي حول كيفية العودة بانتظار المسيح المنتظر المخلص ، وسلكت باتجاه تحقيق الحلم القديم منهجا متكيفا مع عوامل الزمن الملائمة لحركتها[٢].

لذلك فإن الحركة الصهيونية السياسية نبهت اليهود إلى ((أن انتظار مسيح منتظر)) لن يكون إلا انتظاراً فاشلا. فإذا كان الأمل في العودة إلى صهيون عن طريق ((مسيح منتظر)) فلن يتحقق أبدا ، فإنما في المجال السياسي عوض عن هذا المجال العاطفي. ومن هنا بدأ الاتجاه السياسي يبرز على الاتجاه العاطفي حتى أصبح عملا إيجابيا له دوره الفعال))[٣].

ونشرت الصهيونية معتقدها بأن الخلاص على يد المسيح خلاص مادي وليس خلاصا روحيا فحسب كما يعتقد البعض ، فهم لا يصطنعون السلبية حيال الوعود الإلهية ((المزعومة)) انتظارا لمشيئة الله وتصرفات القدر كي تعيد اليهودي إلى فلسطين[٤].

والصهيونية نجحت إلى درجة ما حول معتقدها هذا. ((ومصداقا لذلك نجد أن كثيرا من الطوائف التي كانت تتظاهر بمناهضة الصهيونية قد ساعدت بالانضواء تحت لوائها ، والتشيع لها بعد أن تم إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين قبيل ختام النصف الأول من القرن الحالي))[٥].

---

(١) التلمود والصهيونية ص ٢٢٦ ، وحقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل ص ٥٨.

(٢) رؤية دينية للدولة الإسرائيلية ص ١٣-١٤ حسن محمد مي.

(٣) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، ص ٤١٧ ، أبكار السقاف.

(٤) الصهيونية بين الدين والسياسة ، ص ٢٦ ، عبد السميع سالم الهراوي.

(٥) المرجع السابق. وذلك ما مر ذكره في موضوع الصهيونية واليهودية من ص ١٨٩ من هذا البحث.

الفصل الثالث:

موقف النصرانية من هذه النصوص، وأثره

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف الكنسية الكاثوليكية.

[وفيه مطلبان].

المطلب الأول: الموقف العدائي لليهود.

المطلب الثاني: ما حصل في هذا الموقف من تغيير.

المبحث الثاني: موقف الكنسية البروتستانتية [الإصلاح الديني في الكنيسة].

المبحث الثالث: أثر هذه المواقف على إنشاء دولة إسرائيل الحالية على أرض فلسطين.

المبحث الأول: موقف الكنيسة الكاثوليكية.

المطلب الأول: الموقف العدائي لليهود.

العلاقات بين المسيحيين واليهود لم تكن في كثير من الأوقات وديّــة ، بل إن بعض هذه العلاقات مصبوغة بالدم ، فهي بين مد وجزر ، وما مر معنا في الباب التمهيدي من موقف الدول الأوربية النصرانية من اليهود في القرون الوسطى أكبر دليل على ذلك.

((شهدت أوربا خلال القرون الوسطى ، وبخاصة في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر سلسلة دامية من الأحداث والصراعات والاضطهاد ضد اليهود. فقد طُرد اليهود من إنكلترا في نهاية القرن الثالث عشر ، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر ، ومن أسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر. وعانى اليهود على مدى هذه القرون أشكالا مختلفة من العزل والتمييز والقتل والمحظورات والقيود في الحركة والفكر لأسباب متعددة))[١].

والسبب في هذا الاضطهاد هم اليهود أنفسهم ، حيث إنهم منذ بداية عيسى عليه السلام ودعوته؛ قابلوه بالمناوأة وناصبوه العداء ، وقدحوا فيه عليه السلام ، وفي أمه مريم الصديقة.

((فأخذ اليهود يكيدون لعيسى عليه السلام ، ويوسوسون للحكام بشأنه ، ويحرضون الرومان عليه، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحُكّام. ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه ، وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الروماني على أن يصدر الأمر بالقبض عليه))[٢].

وعندما سئل الحَبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي عن سبب تركه لملته السابقة ((اليهودية)) ودخوله في الإسلام ، أجاب أن السبب مركب من سبع قضايا ، الخامس منها هو : ((قد جاء سيدنا عيسى عليه السلام فاستكبرتم عليه ، وتكلمتم في حقه ألفاظا غير جائزة ومحرمة. لا سيما أنها مبنية على التزوير والبهتان والكذب))[٣].

وجاء في إنجيل يوحنا ، أن عيسى عليه السلام قال لليهود : ((قد عرفت أنكم تطلبون قتلي ، أن كلامي لا محل له فيكم))[٤]. ((فقال له اليهود الآن علمنا أن بك شيطانا))[٥]. ((فأخذوا حجارة

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ١٩ د. يوسف الحسن. وانظر من ص ٨٩ من هذا البحث.

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٢٩ ، الشيخ محمد أبو زهرة.

(٣) الرسالة السّبعيّة بإبطال الديانة اليهودية ص ٣٦ ، تخريج وتعليق عبد الوهاب طويلة.

(٤) يوحنا ٨: ٣٧.

(٥) يوحنا ٨: ٥٢.

ليرجموه))[1].

وهناك أيضا نصوص في التلمود تقدح في المسيح عليه السلام وفي المسيحيين ، منها : أنه ((ابن غير شرعي حملته أمه وهي حائض))[2]. وأنه : مضلل وثني مدفون في جهنم[3].((المسيحيون الذي يتبعون أضاليل يسوع وثنيون ، ويلزم معاملتهم كمعاملة باقي الوثنيين))[4].

وغير ذلك من الاحتقارات والسب الموجه من اليهود إلى النصارى.

((إن التلمود يوجب على كل يهودي أن يلعن في كل يوم النصارى ثلاث مرات ، ويطلب من الله أن يبيدهم ويفني ملوكهم وحكامهم ، ويوجب عليهم سلب ما استطاعوا من مقتنياقم بأية طريقة كانت ، أما مع الوثنيين فلا تفعلوا لا خيرا ولا شرا ، وأما مع النصارى فابذلوا كل جهدكم في سفك دمهم ، وإذا شاهد يهودي مسيحيا على حافة هوة فليرم به إلى أسفل ، لأن ممالك النصارى هي أكثر نجاسة من جميع الممالك ، وحرام على اليهودي الخدمة عند الحاكم الوثني وأما عند الحاكم النصراني فغير جائزة أصلا وجريمة لا تغتفر ، وكنائس النصارى كبيوت الضالين ومعابد الأصنام يجب على اليهود خرابها ، وأناجيل النصارى عين الضلال والنقص، ويجب على اليهود إحراقها ولو كان اسم الله مدونا فيها))[5].

((ومن ثم فإن العداوة بين أتباع ((القديم)) وأتباع ((الجديد)) لم تخمد منذ نشوب الخلاف حتى مطلع العصر الحديث. وقد شهدت ساحات فلسطين آثار استئصال المسيحيين الأوائل بواسطة اليهود المتحالفين مع الدولة الرومانية -على تخاصم يطرأ مرات بين الحليفين- ولكن

---

(١) يوحنا ٨: ٥٩.

(٢) فضح التلمود ص ٥٧ ، الأب آي. بي. براناتيش ، إعداد زهدي الفاتح.

(٣) فضح التلمود ص ٦٦ ، إعداد زهدي الفاتح ، والكنز المرصود في قواعد التلمود ص ١٠٥ ، ترجمة د. يوسف نصر الله ، والتلمود شريعة بني إسرائيل ص ٢٥ ، ترجمة وإعداد محمد صبري.

(٤) الكنز المرصود ص ١٠٦ ، وفضح التلمود ص ٨٦.

(٥) اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية ص ٤٩ ، إيليا أبو الروس.

وقال المؤلف : ((وتاريخ اليهود حافل بتعصبهم اللئيم ضد المسيحيين وسائر الأديان. ففي سنة ١٣٥م حاولوا بقيادة باركوكبا المسيح الدجال إقامة مملكة ، وذبحوا المسيحيين في القدس. وفي القرن السادس تجمعوا وأقاموا ملكا مع السامريين وقتلوا المسيحيين. وفي أوائل القرن السابع ذبحوا المسيحيين في القدس وسائر فلسطين برعاية الفرس طمعا في إقامة حكم ذاتي لهم. كل ذلك من أجل دولة يقيمونها على سفك الدماء والسرقة والغش ، فباءوا بفشل ذريع وتشتتوا في أنحاء الأرض. ((لأن أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم وأرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي. أفكارهم أفكار إثم ، في طريقهم اغتصاب وسحق. طريق السلام لم يعرفوه. وليس في مسالكهم عدل، من أجل ذلك ينتظرون نورا فإذا ظلام)) أشعيا ٥٩: ٦-٩ ، والمرجع السابق ص١٣٦.

العداوة والبغضاء ظلت مشتعلة في نفوس اليهود على أتباع الصليب من الجيل الأول إلى الجيل الرابع ، وهي فترة جعلت المسيحيين يتشردون في الأرض ويلقون عنادا وعنتا لا يدانيه إلا ما لقيه اليهود فيما بعد على أيدي المسيحيين ، حين عادت الغلبة والسلطة لهؤلاء ، وذلك بعد تحول الإمبراطورية الرومانية على عهد قسطنطين للمسيحية ، في الفترة ما بين ٣١٢-٣٣٧م))[١].

((وحين رد المسيحيون على معذبيهم السابقين من اليهود ردوا عليهم الصاع صاعين ، والكيل كيلين ، وتتبعوهم في كل المواقع ، حتى بلغ هذا الاضطهاد قمته على عهد محاكم التفتيش -في أوروبا- في أواخر العصور الوسطى ، ثم ظهرت مع طلائع العصر الحديث موجات العداء للسامية، فتعرض اليهود للكراهية والإبعاد والاضطهاد ثم الطرد من قبل المسيحيين في عدة دول ، الأمر الذي جعل اليهود يتحسرون على عهود التسامح المشرقة التي شهدوها في ظل الخلافة الإسلامية والحكم الإسلامي، سواء كان ذلك في المشرق أو الأندلس المسلمة))[٢].

ويقرر جيمس هوسمر : ((أن كل الأمم المسيحية اشتركت في اضطهاد اليهود وإنزال مختلف العنت بهم ، وكانت القسوة مع اليهود تعد مأثرة يمتدح المسيحيون بعضهم بعضا عليها))[٣].

((وهكذا صارت المسيحية في الوعي الجَمعي العام لليهود قرينة القتل الجماعي والتصفيات العرقية المتكررة ، والمثول أمام محاكم التفتيش ، والمعاناة من قرارات مصادرة الأملاك ، وحملات التهجير القسرية والجماعية العامة ، بل مصدر النزعات اللاسامية حتى بدايات هذا القرن))[٤].

((وفي تلك الفترة ، لم تكن فلسطين تذكر إلا على أنها أرض المسيح المقدسة ، وظلت كذلك طوال مئات السنين القليلة التالية ، إلى درجة أن الرجل الإنكليزي كان يقول : ((حينما أموت ، ستجد فلسطين ساكنة في قلبي)).

---

(١) خلفية صراع أهل الأديان حول فلسطين ولبنان ص ٢٧ ، د. محمد عثمان صالح.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨.

(٣) اليهودية ص ١٠٢ ، د.أحمد شلبي.

(٤) اليهودية عرض تاريخي ، ص ٥٧ د. عرفان عبد الحميد فتاح.

((وإن المواقف العدائية التي تعبر عن نفسها في إنجيل متى ، قد انتهت إلى تشجيع وتغذية المشاعر المعادية لليهود بين النصارى منذ القرن الثاني الميلادي وحتى القرن الثامن عشر الميلادي. إن الإنجيل الرابع ، أكثر من أي مصدر آخر ، كان المسئول عن تكرار مشاعر اللاسامية بين النصارى طيلة القرون الثمانية عشر الماضية ، خاصة تشخيص اليهود أنهم قتلة المسيح)) المصدر السابق ص ٥٧.

((فاليهود في نظر مسيحيي أوروبا ، هم أعداء المسيح وقتلته. وهاجمتهم الجماهير الشعبية وبخاصة في إنكلترا وأعملت فيهم ذبحا وتنكيلا. ومن نجا منهم قام بذبح زوجته وأطفاله ثم قتل نفسه بيديه ، كما كانت هذه الجماهير تصادر ممتلكاتهم وأموالهم)) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ١٩ د. يوسف الحسن.

واستمرت فلسطين ، كأرض مقدسة ، تحتل مكانا بارزا في خيال أوروبا المسيحية وطموحاتها ، سواء لأسباب اقتصادية أو سياسية أو دينية))[1].

لذلك فالكنيسة الكاثوليكية ، وهي التي تمتد جذورها إلى أيام المسيحية الأولى ، وترى أنها هي الكنيسة الوحيدة التي تجسم المسيحية بمبادئها وتراثها وتقاليدها وتعاليمها وطقوسها وصلواتها ، لا تنسى دور اليهود في محاربة المسيحية منذ أيامها الأولى[2].

والموقف التقليدي للكنيسة الكاثوليكية ، خلال ما يقرب من ألفي عام ، تجاه اليهود ، يقوم على ثلاث نظريات ، ((حتى وقت انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٤م)) .

وهذه النظريات هي :

١- أن اليهود بقتلهم يسوع ((المسيح عيسى بن مريم عليه السلام)) ، قد قتلوا الرب ـــ على زعمهم ـــ ، فهم الشعب ((قاتل الإله)).

٢- والشعب المختار من الرب منذ ذلك الوقت هو الكنيسة.

٣- والعهد القديم تجسيد رمزي مسبق للعهد الجديد[3].

فلم ((يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي ، قبل عهد الإصلاح الديني ، أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين ، أو لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية. وكان القساوسة الأوائل يرفضون التفسير الحرفي للتوراة ويفضلون الأساليب الأخرى للتفسيرات اللاهوتية ، وبخاصة التفسيرات المجازية التي أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسيرات التوراتية كما وضعته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية))[4].

((وعلى ضوء العهد الجديد فسرت الكنيسة الكاثوليكية كل الإشارات والتنبؤات المتعلقة باليهود في الكتاب المقدس تفسيرا جديدا يستبعد أي مضمون سياسي للنصوص قد يعني قضائية عودة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها))[5].

((وكان يعتقد أن الفقرات الواردة في أسفار العهد القديم والتي تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين لا تنطبق على اليهود بل على الكنيسة المسيحية مجازا))[6].

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـــ الصهيوني ص ٢٠ ، د. يوسف الحسن.

(٢) نحن والفاتيكان وإسرائيل ص ٢٢ ، أنيس القاسم.

(٣) فلسطين أرض الرسالات الإلهية ص ٢٢١ ، رجاء جارودي.

(٤) الصهيونية غير اليهودية ص ٢٦ ، ريجينيا الشريف ، ترجمة : أحمد عبد الله عبد العزيز.

(٥) النبوءة والسياسة ص٦، مقدمة الناشر ، ترجمة محمد السماك ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا.

(٦) الصهيونية غير اليهودية ص ٢٦ ريجينا الشريف ، ترجمة : أحمد عبد الله عبد العزيز.

فاليهود إذن طبقا للفكر الكاثوليكي الرسمي قد اقترفوا آثاما وجرائم في حق المسيح -عليه السلام- والمسيحيين ، حُكم عليهم بسببها باللعنة والشتات والضياع ، فانتهى ما يسمى بالأمة اليهودية ، حيث طُردوا من فلسطين ، وأرسلوا سبايا إلى آشور وبابل ، واضطهدوا من قبل اليونان وتشتتت وحدهم عن طريق الرومان ، فقُطّعوا في الأرض أمما ، وفرقوا في الدنيا ، فليس لهم -على رأي الفكر الكاثوليكي- مستقبل قومي جماعي ، ولكنهم كأفراد ، يستطيعون أن يجدوا الخلاص الروحي باعتناقهم المسيحية ، إذ لم تعد هناك إسرائيل يتحقق خلاصهم بالعودة إليها إلا ((إسرائيل الجديدة)) الحقه وهي ((الكنيسة الكاثوليكية)) ، وبهذا رفضوا أن يُطلق على القدس (صهيون اليهودية) بل أسموها مدينة العهد الجديد ، واعتبروها (الوطن المقدس) الذي ورّثه المسيح لهم ، واستودعهم إياه حتى يعود ثانية ، فالفقرات الواردة في العهد القديم التي تتنبأ بمستقبل مشرق لإسرائيل ، فإنها كانت تحمل على أنها تنطبق على الكنيسة المسيحية الوريث المباشر للديانة اليهودية[(١)].

((وتبعا لهذا المنطلق الكاثوليكي ، لم يعد هناك مجال للتمسك بحلم مجيء مسيح آت يُخلّص اليهود ويقيم مملكة الله (مملكة يهوه) على الأرض. فالمسيح الذي بشرّت بمجيئه النبوءات الواردة في أسفار العهد القديم قد جاء بالفعل ، و ((الفداء)) الذي تحدثت عنه تلك النبوءات قد حدث بالفعل، ولكن لكل البشر الذين افتداهم الناصري و ((الخلاص)) قد بات في متناول كل البشر بما علمهم به، وأن مسيرة التاريخ اكتملت بقيامها مملكة لله على الأرض))[(٢)].

((وهي التي تجسد مملكة الله الألفية السعيدة))[(٣)].

ففي الفكر الكاثوليكي ((فلسطين تعتبر أساسا الوطن المقدس الذي أورثه المسيح لأتباعه المسيحيين))[(٤)] و((القدس مدينة العهد الجديد))[(٥)].

ولكن ما لبثت أهمية فلسطين و ((أورشليم -القدس- أن تناقصت في نظر الكنيسة ، ولا سيما بعد عام ٥٩٠م ، ففي عهد البابا جريجوار الأكبر ، والذي كان جالسا على كرسي البابوية، مركز السلطة المسيحية ، منح الأولوية نهائيا لروما ، وبذلك لم يعد للقدس دور في القيادة

---

(١) انظر إلى: المسيحية والتوراة ، شفيق مقار ص٢٦، والصهيونية غير اليهودية ص٢٦، ٢٧ ، والصهيونية المسيحية ، محمد السماك ص٣٥ ، وحُمّى سنة ٢٠٠٠ عبد العزيز كامل ، وفلسطين أرض الرسالات ص٢٢١ ، والنبوءة والسياسة ص٧.

(٢) المسيحية والتوراة ، شفيق مقار ص ٦٢.

(٣) الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ، ترجمة : أحمد عبد الله عبد العزيز ص ٢٧.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الصهيونية المسيحية ص ٣٥.

الروحية، لم تعد سوى مكان للحج ، ولم تستعيد قيمتها ، باعتبارها مركزا للاهتمام إلا عندما ولدت فكرة الحروب الصليبية))[1]. وشنتها أوروبا على الأمة الإسلامية بقصد احتلال فلسطين.

(١) فلسطين أرض الرسالات الإلهية ص٢٢١. و أيضاً : المسيحية والتوراة ص٦٣ ، والصهيونية غير اليهودية ص ٢٨.

ويقول أحد النصارى من الكنيسة الشرقية ((الأرثوذكسية)) وهو د. مراد كامل : ((ويدرك المتعمق في فهم وحي الأنبياء في العهد القديم أن الوعد الإلهي قصد به جميع البشر ، ولم يقتصر على اليهود أو الصهيونيين. وأن التعبيرات المختلفة الدالة على معان مثل ((النصر)) و((الخلاص)) تشير إلى مفهوم ديني وروحي وليس المقصود بها الغزو أو الحط من قدر الأعداء السياسيين.

ومن الواضح أن المصطلح ((إسرائيل)) أو ((إسرائيل الجديدة)) أو ((إسرائيل الإلهية)) في العهد الجديد ينطبق على الكنيسة المسيحية المثلى أو على جماعة المؤمنين الحقيقيين بالمعنى الديني.

والواقع الذي لا يتطرق إليه شك أنه لا يوجد مؤمن مسيحي يعتقد بالعهد الجديد ، يخلط بين ((إسرائيل الجديدة)) التي قامت على المكائد والاحتيال والقوة الحربية ، مصحوبة بحرمان أهل فلسطين من حقوقهم ، بطريقة قاسية خالية من الرحمة والإنسانية وتجريدهم من ممتلكاتهم وطردهم من أوطانهم في عنف وظلم ، و ((إسرائيل الإلهية)) التي يعتقد بها المؤمنون من المسيحيين ، فكل من الاعتقادين يعارض ويخالف ويناقض الآخر تمام المخالفة ، وهذا يفسر المعضلة السيكولوجية ذات الوجهين عند الكثير من المسيحيين الشرقيين)) إسرائيل في التوراة والإنجيل ، د. مراد كامل ص١٧.

المطلب الثاني : ما حصل في هذا الموقف من تغيير :

إلى عهد قريب والكنيسة الكاثوليكية بمركزها الديني في الفاتيكان ، كانت محافظة على موقف ثابت من المسألة اليهودية ، يقوم على رفض التصالح مع اليهود ، ورفض فكرة قيام كيان صهيوني في فلسطين من منطلق لاهوتي. فكانت معارضة للحركة الصهيونية منذ مؤتمرها الأول في بال السويسرية عام ١٨٩٧م ، ومعارضة للهجرة اليهودية إلى فلسطين. وقد أكد ذلك البابا بيوس العاشر في لقائه مع الزعيم اليهودي الصهيوني هرتزل في٢٦ كانون الثاني/ يناير١٩٠٤م[١].

فارتأت ((الصهيونية أن من أهم العوامل التي تضمن لها النجاح في حملتها لتدعيم خططها ، وإضعاف الموقف الإسلامي والعربي ، إعادة كتابة التاريخ الذي يروي علاقة اليهود بالكنيسة ، وبالينبوع الذي صدرت عنه الديانة المسيحية))[٢].

((لهذا ركزت الحركة الصهيونية جهدها لتدخل إلى الدوائر الكاثوليكية العليا ، سعياً وراء تعديل موقف الكنيسة الكاثوليكية من اليهود ، وبالتالي من أمانيهم ، وعلى الأخص فيما يتعلق بإسرائيل))[٣].

((فشكلت الصهيونية الجمعيات المسيحية اليهودية في شتى بقاع العالم ، فدست يهودا متنصرين على الكهنوت الكاثوليكي ، ثم ألقت بثقلها على أبواب الفاتيكان تدقه بعنف وإصرار ، وهي تحاول جاهدة أن تفتحه لإسرائيل تمهيدا لاعتراف الفاتيكان بها. وما يمثله هذا الاعتراف من قوة أدبية ضخمة لإسرائيل والصهيونية في كافة أنحاء العالم))[٤].

وقال هرتزل : ((أردت أن أحل مشكلة اليهود في النمسا على الأقل بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية، وأردت أن أضمن لنفسي مساعدة رؤساء الكنيسة قبل أي شيء ، وأن أحصل على مقابلة البابا بواسطتهم لكي أقول له : دافع عنّا أمام اللاسامية ، وسأقوم أنا بتأسيس حركة قومية لليهود ، بحيث يقومون بتغيير دينهم إلى المسيحية وهم فخورون وبإرادتهم الحرة. أما زعماء الحركة وبخاصة أنا ، فسنبقى يهودا ، وكيهود سننصح وسنوصي بقبول الدين السائد ، وسُنغيّر دين أولادنا إلى المسيحية))[٥].

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية د. يوسف الحسن ص ٥٦ ، والنبوءة والسياسة ص ٧، ٨.

(٢) الصهيونية في الستينات -الفاتيكان واليهود- محمود نعناعة ص ٧.

(٣) نحن والفاتيكان وإسرائيل ، أنيس القاسم ص ١١.

(٤) الصهيونية في الستينات ، محمود نعناعة ص ٨.

(٥) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ٥٦.

((فالكنيسة الكاثوليكية لم تعلن موافقتها على وعد بلفور حينما أُعلن عنه عام ١٩١٧م ، وظلت على موقفها من معارضة الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وحافظت على علاقات طيبة مع الجماعة اليهودية ، وكانت تبريرات الكنيسة الكاثوليكية لهذه المواقف تشير دائما إلى التزامها بموقف البابا وتعاليمه ، والقائمة على أسس دينية وإنسانية تتعلق بالمسيحيين العرب في فلسطين.

وقد اعتمد الفاتيكان عند قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ م واعتمدت معه كذلك الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية ، موقفا صامتا لا يعترف بها ولا يدين قيامها. وأخذ يبدي اهتماما أكثر بتدويل القدس ومسألة اللاجئين العرب))[١].

وبما أن للبابا قداسته وعصمته ، وهو المرجع الأول والأخير في أمور الدين واللاهوت في الكنيسة الكاثوليكية. وهذا التماسك والمركزية هما اللذان حافظا على وحدة العقيدة الكاثوليكية ، وعلى السير في خط واحد لا يملك أحد العدول عنه إلا بقرار بابوي. لهذا كان البابا نفسه هو الهدف الذي ركزت عليه الصهيونية وأعوانها جميع أسلحتها[٢].

نشطت الحركة الصهيونية ومن يشايعونها نشاطا كبيرا في الفترة التي سبقت انعقاد المجمع المسكوني عام ١٩٦٣م ، وفي الفترة التي انقضت بين انعقاد دورات المجمع الأربع.

وكان هذا النشاط يرمي إلى عدة أهداف :

الهدف الأول : التقليل من نظام المركزية في الفاتيكان واتباع نظام اللامركزية ، حيث المطالبة بتوسيع اختصاصات كبار رجال الكنيسة في أماكن وجودهم ، وهذه الخطوة الأولى لاحتمال ظهور تباين في ممارسة هذه السلطة التقديرية بين جهة وأخرى ، وقد استجاب البابا بولس السادس إلى هذه الدعوة ، فأعلن في خطابه الذي ألقاه في المجمع في ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٣ م أنه لا يعارض في إشراك ممثلين عن الكنيسة معه في ممارسة السلطة العليا. وتنفيذا لذلك، فقد أعلن البابا في الدورة الرابعة والأخيرة للمجمع بتاريخ ١٤ سبتمبر(أيلول) ١٩٦٥ م أنه استجابة لرغبة المجمع ، قرر إنشاء مجلس من البطاركة يساعده في شئون الكنيسة ويستشيره فيما يرى من أمور[٣].

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦ ، ٥٧.

(٢) نحن والفاتيكان وإسرائيل ، أنيس القاسم ص ٢٣.

(٣) المرجع السابق ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦. ثم قال المؤلف : وحتما سيكون من بين هؤلاء أمريكيون. وسيكون الأمريكيون كما هم دائما ، دعاة مخلصين للأهداف الصهيونية)) ص ٢٥.

الهدف الثاني : إثارة الرأي العام ضد البابا بيوس الثاني عشر. وبالتالي ضد الفاتيكان ، لموقفه من اضطهاد الحركة النازية لليهود[1]. والغاية من وراء هذا الحصول على بيان من المجمع المسكوني يساعد الحركة الصهيونية في أطماعها في فلسطين والوطن العربي ، وإن اكتسى البيان بالصبغة الدينية.

الهدف الثالث : الزج برجال الكنيسة الكاثوليكية في القضية الصهيونية والفوز بتأييدهم أمام شعوبهم.

الهدف الرابع : تفسير الكتاب المقدس أو تحريفه تفسيرا أو تحريفا يؤدي إلى إعادة كتابة دور اليهود في اضطهاد المسيحيين الأوائل ، وعلى الأخص فيما يتعلق بموضوع صلب المسيح[2].

---

(١) وهذا ما حصل عن طريق مسرحية ((المندوب)) التي أثارت الكثير من الجدل والنقاش.

قيل : إن مؤلف هذه المسرحية شاب ألماني اسمه دولف هوخهوث وكان عمره ٣٢سنة بروتستانتي المذهب ، كان في وقت من الأوقات من اتباع حركة الشباب النازي وشُهّر به على أنه ميال للشيوعية وعلى أنه لا سامي. فوقع فريسة ممتازة للحركة الصهيونية. فإذا سار معها فإنه لا يُبلّغ عنه ولا يوشي به ولا يقدم للمحاكمة كما قُدم غيره من النازيين السابقين. والثمن هو مسرحية المندوب.

والنقطة الأساسية في المسرحية هي ما يدعيه المؤلف من أن البابا بيوس الثاني عشر قد رفض أن يدين علانية قتل النازيين لليهود الأوربيين. فقد كان قداسة البابا يعتبر هتلر حاجزا ضروريا يفصل بين الشيوعية السوفيتية والغرب المسيحي.

ويعتقد المؤلف أن البابا ، بوصفه الرجل الأول في أقوى كنيسة في العالم ، كان الرجل الوحيد الذي قد يؤدي احتجاجه الرسمي إلى كبح جماح هتلر. غير أن البابا ، في زعم المؤلف ظل صامتا. ويقول المؤلف في ملحق للرواية : ((لم يحدث في التاريخ أبدا أن دفع هذا العدد الكبير أرواحهم ثمنا للنظرة الصليبية لسياسي واحد)).

فالمؤلف في هذه المسرحية لم يكتف بإثارة الجدل حول موقف قداسة البابا. وإنما أدانه ، وفتح الباب واسعا لتوجيه النقد أو اللوم أو الاتهام إلى كل شخص في الكنيسة الكاثوليكية مهما علت مرتبته ، إذا كانت قراراته لا تروق للحركة الصهيونية.

واستمرت الحملة على قداسة البابا بيوس الثاني عشر. ففي الولايات المتحدة أصدر أستاذ يهودي اسمه جونتر ليفي كتابا أسماه ((الكنيسة الكاثوليكية وألمانيا النازية)). وكان محور البحث في هذا الكتاب ؛ ما إذا كان البابا بيوس الثاني عشر قادرا على وقف قتل اليهود على يد النازيين.

لقد سقطت الهالة عن قداسة البابا وأسقطتها الحركة الصهيونية.

انظر : نحن والفاتيكان وإسرائيل ، أنيس القاسم ص ٢٦-٣٠. وحول مسرحية ((المندوب)) وأثرها في ضعف مكانة قداسة البابا واهتزاز مكانة الفاتيكان أمام الحركة الصهيونية انظر: الصهيونية في الستينات ص ٥٠ ، وحول كتاب ((الكنيسة الكاثوليكية وألمانيا النازية)) انظر المرجع السابق ص ٥٥.

(٢) وقد ظهرت حركة قوية في الكنيسة الكاثوليكية لإعادة تفسير الكتاب المقدس باستعمال طرق النقد الحديثة التي يستعملها البروتستانت واليهود. وبعد استنكار هذه الحركة مدة من الزمن أخذت الآن تنال قبولا في الأوساط الكاثوليكية. وكجزء من هذا الاتجاه فإن خمسة من العلماء اليهود اشتركون في إعداد ترجمة جديدة للكتاب المقدس. وتضم هذه اللجنة ، فضلا عن اليهود الخمسة ، سبعة من الكاثوليكيين وخمسة عشر من البروتستانت. وقد صدر الجزآن الأول والثاني من هذه الترجمة في أكتو بر (تشرين الأول) ١٩٦٤م. وكجزء من هذه الحملة المركزة لإعادة تفسير الكتاب المقدس ، =

وقد توجت جهود الصهيونية المكثفة على الكنيسة الكاثوليكية والفاتيكان بنجاحها في ((اكتساب عدد من الأنصار من بين صفوف أعضاء المجمع المسكوني المقدس ، الذين طلبوا إلى المجمع المسكوني أن يستنكر التيارات المعادية لليهود في العالم ، وأن يلغي من الصلوات المسيحية تلك العبارات التي تسيء إلى اليهود ، وأن يصدر وثيقة تبرئ اليهود من مسئولية صلب المسيح ، وإلقاء هذه المسئولية على الجنس البشري كله))(١).

وفي ٢٠ نوفمبر ((تشرين الثاني)) ١٩٦٤ م صدرت هذه الوثيقة بقلم الكاردينال بيا الألماني(٢).

وقال هذا الكاردينال في معرض دفاعه عن وثيقة التبرئة : ((إن الكنيسة ما هي إلا استطراد لشعب إسرائيل المختار)). ((إن الكنيسة لا يمكن أن تنسى أن المسيح جاء في الجسد من نسل إبراهيم ، وأن أمه المباركة وكذلك الرسل هم أيضا من نسله))(٣).

وقال الأب جوزيف جاكسون الأمريكي : ((إذا كنا نلوم اليهود لموت المسيح فيجب أن نثني عليهم لمولده))(٤).

= بدأ الحاخامات اليهود في أمريكا نشاطهم داخل الكنائس المسيحية مباشرة، فخطبوا فيها، واشترك العلماء اليهود والبروتستانت في دورة، مدتها ثمانية أسابيع، لدراسة الكتاب المقدس الكاثوليكي. وفي كلية ((يونيون العبرية)) يوجد ٢٥ طالبا مسيحيا يدرسون دراسات عالية. مجلة تايم ٢٧ سبتمبر(آذار) ١٩٦٤م و ٢٩ مايو (أيار) ١٩٦٤م. نقلاً عن كتاب : نحن والفاتيكان وإسرائيل أنيس القاسم ص ٣٢ ، ٣٣.

فالحركة الصهيونية ومعها عدد كبير من اليهود من ذوي الخبرة والنفوذ وعدد آخر من غير اليهود ممن تأثروا لسبب أو لآخر بالحركة الصهيونية ، تركز تركيزا كبيرا على الكتاب المقدس. وإن هذا التركيز ظهر بصورة واضحة قبيل انعقاد المجمع المسكوني وفي أثناء انعقاد دورتيه الأولى والثانية وفيما بعد ذلك.

وإن الاتجاه في هذا التركيز هو إعادة تفسير نصوص الكتاب المقدس -سواء ما تتبناه الكنيسة الكاثوليكية أو الكنائس البروتستانتية- تفسيرا يلائم النظرة اليهودية ، وإنه ينصب الآن على علاقة اليهود بصلب السيد المسيح ، ثم سيتطور ولا شك ليشمل النواحي الأخرى التي تهم الحركة الصهيونية ، ومن بينها تفسير النصوص الخاصة بعودة اليهود إلى فلسطين. المرجع السابق: نحن والفاتيكان وإسرائيل ص٣٤، ٣٥.

(١) الصهيونية في الستينات -الفاتيكان واليهود- محمود نعناعة ص ٨.

(٢) نحن والفاتيكان وإسرائيل ، ص ٥٧ ،٥٨ ، ٦٠ ، وموسوعة فلسطين والوعد الحق ص ٢٧.

(٣) الصهيونية في الستينات -الفاتيكان واليهود- ص ٧٦.

(٤) المرجع السابق.

وقال الزعيم الدومينكاني في إنجلترا هنري سانت : ((إن اضطهاد اليهود عمل شرير ، وعلى أية حال فنحن بمعنى من المعاني كلنا يهود لأن يسوع كان يهوديا ، والدين الذي كان يزاوله كان دين اليهود))[1].

وفي عام ١٩٧٣م صدر عن اللجنة الأسقفية الفرنسية الكاثوليكية الخاصة بالعلاقات مع اليهود بيان يؤكد حق ما أسماه بالشعب اليهودي في كيان سياسي ، وقد جاء فيه : ((فيما يتجاوز الاختلاف المشروع في الخيارات السياسية لا يستطيع الضمير العالمي بأن يرفض للشعب اليهودي الذي عرف تقلبات عديدة عبر تاريخه الحق في وجود سياسي بين الأمم والوسائل اللازمة لذلك))[2].

وفي عام ١٩٧٦م تراجع الفاتيكان عن التصديق على البندين (٢٠و٢١) من توصيات ندوة الحوار الإسلامي-المسيحي التي عقدت في طرابلس بليبيا في شهر فبراير بعد أن كان الوفد المسيحي قد وقّعهما.

وكان قد جاء فيهما : البند (٢٠) : إن الجانبيين ينظران إلى الأديان السماوية نظرة احترام وعلى هذا فإنهما يفرقان بين اليهودية والصهيونية[3] باعتبار الصهيونية حركة عنصرية عدوانية أجنبية عن فلسطين وعن كل منطقة الشرق.

البند (٢١) : إن التزام الحق والعدل ، والحرص على السلام والإيمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها يحمل كلا الجانبين على تأكيد الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وحقه في العودة إلى دياره وعلى تأكيد عروبة مدينة القدس ورفض مشروعات التهويد والتقسيم والتدويل. واستنكار كل مساس بحرمة الأماكن المقدسة. ويطالب الجانبان بإطلاق سراح المعتقلين في فلسطين المحتلة ، وفي طليعتهم علماء المسلمين ورجال الدين المسيحي ، كما يطالبان بتحرير جميع الأراضي المحتلة ، ويدعوان إلى تأليف لجنة دائمة للتحقيق في محاولات تغيير الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية ، وكشف ذلك أمام الرأي العام العالمي[4].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) النبوءة والسياسة ص ١٢.

(٣) وقد ذكرت أنه لا فرق بين الصهيونية واليهودية ، انظر ص ١٧٩ من هذا الرسالة.

(٤) النبوءة والسياسة ، من مقدمة الناشر : جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ليبيا ، طرابلس ص ١٢.

فالفاتيكان أصبح معترفا بالوجود الصهيوني ، ولم يعد يطالب بتدويل القدس كما كان الشأن سابقا ، بل أصبح همه محصورا في إيجاد ضمانات لحرية ممارسة الشعائر الدينية لجميع الأديان في القدس[(١)].

فهو معترف بإسرائيل يجتمع بممثليها ومبعوثيها. وقد اجتمع باباوات الفاتيكان بعدد من المسئولين الإسرائيليين في العقدين الأخيرين، ومن بينهم غولدا مائير ((رئيسة وزراء إسرائيل السابقة))[(٢)]، التي قامت بزيارة للفاتيكان في ١٥/١/١٩٧٣م، والتقت مع البابا بول السادس.

وصارت إسرائيل بعد حرب حزيران ، يونيو ١٩٦٧م على جدول أي حوار يهودي-كاثوليكي. وظلت القدس على رأس الاهتمامات الكاثوليكية. وجاءت بعدها مسألة الطموحات المشروعة للاجئين الفلسطينيين[(٣)].

ومنذ ذلك الحين أخذت الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة الأمريكية تشهد مظاهر مؤيدة لإسرائيل ، سواء داخل صحافتها أو في مواعظ وبيانات بعض قياداتها وفي بعض مؤتمراتها. وقد ساعد على ذلك توافر المناخ السياسي المؤيد للاتجاهات الصهيونية داخل الولايات المتحدة الأمريكية.

ويُعتبر المقال الذي كتبه الأسقف أوستريشر من أشهر البيانات الواضحة في تأييدها للصهيونية السياسية. وقد ذكر المقال : ((أن القدس مدينة يهودية. وطالب المسيحيين بالاعتراف اللاهوتي بالصهيونية معتبرا أن إسرائيل هي تعبير عن ((إرادة الله))))[(٤)].

---

(١) المرجع السابق ص ١٣.

(٢) غولدا مائير ((١٨٩٨-١٩٧٨)) : سياسية صهيونية ، تولت رئاسة الوزراء ١٩٦٩م - ١٩٧٤م. ولدت في روسيا ، وكان اسمها ((غولدا مايرسون مايوفيتش)) ، هاجرت مع عائلتها عام ١٩٠٦م إلى الولايات المتحدة، وانظمت إلى حزب عمال صهيوني عام ١٩١٥م. وفي عام ١٩٢١م هاجرت إلى فلسطين حيث نشطت للعمل في حركة الكيبوتز ، وانتخبت عام ١٩٣٤م عضواً في قيادة الهستدروت ، وتولت في مرحلة لاحقة رئاسة الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية.
قامت أثناء حرب ١٩٤٨م بجمع ٥٠٠ مليون دولار من يهود الولايات المتحدة الإمريكية لشراء أسلحة ومعدات قتالية للتنظيمات العسكرية الصهيونية. عينت أول سفيرة لإسرائيل في موسكو في أعقاب إعلان الدولة اليهودية. وفي عام ١٩٥٦م عينت وزيرة للخارجية إلى عام ١٩٦٦ م. وبعد حرب حزيران ـــ يونيو ١٩٦٧م تولت منصب السكرتير العام لحزب العمل الإسرائيلي الموحد. وبعد موت رئيس الوزراء الإسرايلي ((ليفي إشكول)) عام ١٩٦٩م تولت رئاسة الوزراء. اشتهرت مائير بكراهيتها الشديدة للمسلمين ، وتمسكها بالأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧م ، وبإنكارها وجود الشعب الفلسطيني. قدمت إستقالتها عام ١٩٧٤م بعد حرب حزيران تشرين الأول - أكتوبر ١٩٧٣م. انظر : موسوعة السياسة ٥/ ٦١٧ ، د.عبدالوهاب المسيري.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني ، د. يوسف الحسن ص ٥٨.

(٤) مجلة نيويورك تايم ٢٦ مايو ١٩٧١ م ، نقلا عن المرجع السابق.

وفي شهر مارس عام ١٩٨٢ م أصدر الفاتيكان وثيقة حول القضية الفلسطينية والكيان الصهيوني جاء فيها : ((إن تاريخ إسرائيل هو تاريخ متواصل ، وإن انتشار إسرائيل في الأرض شهادة تاريخية بطولية لثقتها بالرب ، وهي تحتفظ دائماً في قلبها بذكر أرض الأحرار ، وإن وجود الدولة التاريخية أمر تاريخي هو علامة للتفسير في اتجاه واضح للرب)) (١).

((ويُقدّر معهد غالوب عدد الأصوليين ممن يتبنون الاتجاهات الصهيونية ويعتبرون أنفسهم أصوليين بأكثر من ثمانية ملايين كاثوليكي من مجمل تعداد الطائفة الكلي البالغ ٥٢ مليونا و ٧٧٤ ، ٨٨ في عام ١٩٨٢ م))(٢).

ومن الجدير بالذكر : أن أكثر الكاثوليك خروجا على الخط السياسي العام المتعلق بالصراع العربي- الإسرائيلي ، هم السياسيون الملتزمون بالكنيسة المنظمة.

ومن الأمثلة على ذلك تلك الرسالة التي وقّعها أكثر من عشرين نائبا كاثوليكيا في مجلس النواب الأمريكي ، والتي سلّمها إلى البابا ممثلون عنهم في ١٩٨٤/١١/٢٣م. وقد طالبت الفاتيكان بالاعتراف بإسرائيل ، وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها ، ودعت البابا ((إلى تدخله الشخصي لتحقيق التأكيد البارز الذي يربط عالم الكاثوليك باليهود))(٣).

وبهذا نجحت الحركة الصهيونية اليهودية في أن تُدخِل الكنيسة الكاثوليكية في فلكها ، بعد أن ضمنت من قبل الكنائس البروتستانتية ، حتى يتسنى لها أن تُنَفِّذ أمانيها ، وعلى الأخص فيما يتعلق بدولتهم إسرائيل ، بكل يسر وسهولة ، وخاصة في ظل الضعف الإسلامي العام.

---

(١) النبوءة والسياسة ، مقدمة الناشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ليبيا ، طرابلس ص ١٢.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ٥٩.

(٣) المرجع السابق ص ٦٠.

علماً بإن بعد كل هذه التنازلات من الجانب المسيحي من الناحية العقائدية لليهود ، فإن اليهود لم تتنازل عن شيء للمسيحية من الناحية العقائدية ، فقد اعترفت اليهودية بأن المسيحية دين سماوي للأمميين فقط وليس لليهود وإن هذا الاعتراف من الناحية العملية وليس من الناحية العقائدية التي يجب أن يعتقدها كل يهودي. وردت على المسيحية بقولهم : إن الله لا يستحيل بشرا وإنما يظل إلها ولا يموت على الصليب ((وكأنه رجل مهجور)). إذ ببقائه إلها ، لا بموته على الصليب ، يعبر عن حبه للإنسان. وإن اليهود ليسوا في حاجة لأن يضحي المسيح من أجل خلاصهم ، فخلاصهم مضمون بعودتهم إلى التوراة.

ضمن هذه الحدود الضيقة فإن اليهودية تعترف بالمسيحية. ويجب على المسيحية والحالة كذلك أن تعترف أن اليهود هم شعب الله المختار وبأن الميثاق قد أعطاه الله للشعب اليهودي فقط ، وأن ترى الكنيسة صنع الله لا في العهد القديم فحسب، وإنما فيما تلاه في العصور اللاحقة إلى يومنا هذا في إسرائيل.

انظر : نحن والفاتيكان وإسرائيل ، أنيس القاسم ص٤٥-٤٩.

المبحث الثاني : موقف الكنيسة البروتستانتية[1]

ذكرت في المبحث السابق أن أوروبا قبل القرون الأربعة الأخيرة ، وخاصة في القرون الوسطى ، ((لم تكن تعتبر اليهود الشعب المختار الذي قُدر له أن يعود للأرض المقدسة ، وإذا كان اليهودي مختارا لأمر فإنه اللعنة. وكان اليهود يُعتبرون مارقين ، ويُوصمون بأنهم قتلة المسيح. ولم تكن هناك ذرة من حب عاطفي للمجد القديم للجنس العبري ، كما لم تكن هناك أدنى بارقة أمل في إعادة بعث اليهود روحيا أو قوميا. ولم تكن هناك أدنى فكرة عن تملك اليهود لفلسطين. وكانت إسرائيل تعني مجرد اسم لديانة ، بل ديانة دنيا))[2].

وكانت ((الصهيونية غير اليهودية))[3] أو ((المسيحية المتهودة أو الأصولية المسيحية))[4] غائبة تماما عن أوروبا في القرون الوسطى.

بدأت رياح التغيير في الموقف المسيحي تجاه اليهود مع بداية مرحلة جديدة من تاريخ العلاقات المسيحية واليهودية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي حين برزت حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في الكنيسة المسيحية[5].

حيث كانت المبادئ البروتستانتية التي وضعتها حركة الإصلاح الديني مغايرة تماما للمبادئ الكاثوليكية السابقة[6].

وهذه المبادئ البروتستانتية منها ما حدث في الماضي ومنها ما سيحدث بعد ذلك.

فمن الأمور والأحداث التي حدثت في الماضي :

١) أن اليهود هم شعب الله المختار ، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم.

---

(١) ليس المقصود من هذا المبحث الدراسة التاريخية لنشوء الحركة البروتستانتية في ألمانيا والأراضي المنخفضة (هولندا) وفرنسا وباقي الدول المسيحية ، وتمكنها من إنجلترا وفي الولايات المتحدة منذ اكتشافها وأسباب ذلك النشوء وهذا الانتشار. ولكن المقصود عرض للعقائد البروتستانتية المتعلقة باليهود وبالمسيح المنتظر وأرض فلسطين وأثر هذه العقائد على الساسة ورجال الدين النصارى فيما يتعلق بفلسطين وتكوين الدولة اليهودية الحالية فيها.

(٢) الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ، ترجمة : أحمد عبد الله عبد العزيز ص ٢٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي ، جورجي كنعان ص٣٣. والمقصود بهاتين التسميتين الإصلاح الديني البروتستانتي ، في الكنيسة المسيحية.

(٥) النبوءة والسياسة ص ٩ ، البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٢١.

(٦) الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ص ٢٩.

٢) أن ثمة ميثاقا إلهيا يربط اليهود بالأرض المقدسة ، فلسطين وما حولها ، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الرب لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة ، مع أن الرب عاقب اليهود لمخالفتهم تعاليمه ، ولكن هذه المخالفة لم تؤثر على وعده لشعبه المختار ، ففلسطين لهم كمكان لمعبد ربهم وموقع لمملكتهم ((إسرائيل)).

وهناك أمور ستحدث بعد ذلك :

١) أن خطة الرب تتضمن العودة الثانية للمسيح للتبشير بمملكة الرب.

٢) أن ذلك مشروط باستعادة إسرائيل كشعب مختار لأرضها الموعودة ، من أجل تمهيد المكان للمجيء الثاني للمسيح[١].

((هذه الأدبيات اليهودية التي تسربت إلى صميم العقيدة المسيحية ، وهي التي ألّفت في الماضي ، وتؤلّف اليوم قاعدة الصهيونية المسيحية التي تربط الدين بالقومية ، والتي تسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية))[٢].

لذلك سميت هذه الحركة بمبادئها بأنها ((بعث عبري أو يهودي)) أو ((المسيحية المتهودة)) وتولدت عنها وجهة نظر جديدة عن الماضي والحاضر اليهودي وعن مستقبله بشكل خاص[٣].

وكذلك سميت ((الصهيونية غير اليهودية))[٤]

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص١١، يوم الغضب ص١٢، والصهيونية المسيحية ص٣٤ ، والصهيونية غير اليهودية ص ٢٤ ، ٢٥ ، والنبوءة والسياسة ص ٩٤ ، ٩٥ ، والأصولية المسيحية ص ٣١ ، ٣٢ ، حمّى سنة ٢٠٠٠ ص ١٤٢ .

(٢) الصهيونية المسيحية ، محمد السماك ص ٣٤.

(٣) الصهيونية غير اليهودية ص ٢٩ ، والأصولية المسيحية ص ٣٣.

(٤) تقول ريجينا الشريف : ((فالتعاليم الصهيونية غير اليهودية قائمة على مجموعة من الأساطير الصهيونية التي تسربت للتاريخ الغربي ، وكان أكثرها وضوحا ما تم عبر حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في القرن السادس عشر. وهذه الأساطير أصبحت تشكل في النهاية المنطق الروحي الباطني للصهيونية اليهودية السياسية ، وهي أساطير الشعب المختار والميثاق وعودة المسيح المنتظر. وقالت أيضا : هي مجموعة من المعتقدات المنتشرة بين غير اليهود والتي تهدف إلى تأييد قيام دولة قومية يهودية في فلسطين بوصفها حقا لليهود ، طبقا لبرنامج بازل)). الصهيونية غير اليهودية ، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز ص ١٠-٢٤.

أما قولها : ((إن تعبيريْ ((الصهيونية غير اليهودية)) أو ((المسيحية)) التقليديان فهما مضللان لأنهما يوحيان الآن بحماس مسيحي للصهيونية تمليه الحجج الإنجيلية اللاهوتية ، مع أن الدوافع السياسة لأنصار الصهيونية من غير اليهود هي التي تشكل في الوقت الراهن الجزء الأساسي من بنية الصهيونية غير اليهودية)). انظر : ص١٠ من المرجع السابق.

فقد أخطأت في ذلك، ولنعلم أن الدين هو المحرك للغرب المسيحي، خاصة فيما يتعلق بأمور كبيره في ديانتهم مثل التبشير ونزول المسيح ومعركة آخر الزمان ((هرمجدّون)) والألفية السعيدة كما سيمر معنا -إن شاء الله- وغيرها من مثل علاقتها بالحروب ضد المسلمين خاصة الذين هم بين أظهرهم مثل البوسنة والهرسك وكوسوفو أو خارج أراضيها مثل الشيشان. =

و ((الأصولية المسيحية))[١] و ((الصهيونية المسيحية))[٢].

وتكريسا لهذا التحول ، فقد استطاعت هذه الحركة الانقلابية ((البروتستانتية)) أن تسل سلاح الكنيسة الكاثوليكية الرئيس -وهو وصايتها على الكتاب المقدس نصا وتفسيرا- من يدها[٣].

ودُعي المؤمنون -المسيحيون- للعودة إلى الكتاب المقدس نفسه ، باعتباره مصدر المسيحية النقية الثابتة ، وإلى فهم النصوص بمعناها الواضح البسيط[٤].

فأصبح العهد القديم المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها ، وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفاهيم الدينية دون قيود[٥].

((وقد أسهمت الأجواء التي وفّرها المناخ الديني الجديد في أوروبا في إشاعة جملة مفاهيم أو مبادئ، مفادها أن لكل فرد الحق في أن يفهم النصوص المقدسة بنفسه ، ومن دون أي وساطة من كهنوت أو من سلطة كنسية. ومن المشروع دينيا وأخلاقيا أن يتناول الفرد الكتاب المقدس من أي

= وأن ما يظهر من حياة عَلمانية عندهم إنـــما هي مسالة طارئة في حياتهم ستنتهي مع مـــرور الزمان وسيبقى الدين النصراني -المحرف- هو المنطلق الأساسي بل الأوحد في علاقاتهم مع الآخرين خاصة أتباع الدين الإسلامي.

ولا ننسى أيضاً أن مصالح الغرب ، وبالذات الاقتصادية ، مع المسلمين أهم بمراحل من مصالحه مع الدولة اليهودية ((إسرائيل))، وهذا لا يجهله أحد. وخاصة أن الدولة اليهودية تأخذ سنوياً من الدول الغربية النصرانية جزية من أموال ضخمة على حسب ما يقرره اليهود على النصارى ، ولا إشكال عند اليهود في تغيير أسماء هذه الجزية كاسم مساعدات للإعمار والتنمية أو قروض طويلة الأجل لا تُسدد أو هبات أو كفّارات لما حصل لليهود في الغرب. و بعكس ذلك تماماً فالمسلمون هم الذين يدفعون للنصارى ما يشاءون تحت أسماء مختلفة. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) يقول د.يوسف الحسن : فالأصولية تُطلق على الاتجاهات الدينية المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق ، والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس ، سواء العهد القديم أو العهد الجديد ، والمقتنعة بأنه يتضمّن توجيهات لمجمل الحياة بما في ذلك الشئون السياسية ، وبخاصة النبوءات التي تشير إلى أحداث مستقبلية تقود إلى ((استعادة إسرائيل والعودة الثانية للمسيح)). البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي-الصهيوني ص ١٠.

(٢) الصهيونية المسيحية : هي مجموعة من المعتقدات الصهيونية المنتشرة بين المسيحيين ، وبخاصة بين قيادات وأتباع الكنائس البروتستانتية ، والتي تهدف إلى تأييد قيام دولة يهودية في فلسطين بوصفها حقا تاريخيا ودينيا لليهود ، ودعمها بشكل مباشر وغير مباشر باعتبار أن عودة اليهود إلى الأرض الموعودة -فلسطين- هي برهان على صدق التوراة ، وعلى اكتمال الزمان وعودة المسيح ثانية. وحجر الزاوية في الدعم الشديد من هؤلاء المسيحيين لإسرائيل هو الصلة بين ((دولة إسرائيل)) المعاصرة وإسرائيل التوراة. لذلك أطلق على هذه الاتجاهات الصهيونية في الحركة المسيحية الأصولية اسم الصهيونية المسيحية. البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي-الصهيوني ، د. الحسن ص ١٢.

(٣) المسيحية والتوراة ، شفيق مقار ، ص٧٧.

(٤) الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ، ص ٣٠.

(٥) الصهيونية المسيحية ، محمد السماك ، ص ٣٥.

وجه ، ويقرأ بأي شكل ، ويأخذ مما يمليه عليه عقله بحسب درجة فهمه واستيعابه. فلا قيود على حرية الفرد في القراءة والفهم ، لأن الكتاب المقدس في متناول الجميع. ولا قيود على حرية العقل في الفهم ، فكل فرد هو الوصي على عقله وعلى ما يختزن فيه. ثم إن مسألة ((الخلاص)) الديني مسألة شخصية ، فكل إنسان مسئول عن نفسه ، ويبحث عن خلاصه بالطريقة التي يشاء وبالشكل الذي يريد.

وبهذا عمدت حركة الإصلاح الديني ((البروتستانتية)) إلى إحلال سلطة الكتاب المقدس ، على اعتبار أنه معصوم من الغلط ، محل سلطة الكنيسة الكاثوليكية المتمثلة في السلطة البابوية ، فغدت سلطة الكتاب المقدس باعتبارهم فوق سلطة البابا والكنيسة))[١].

وهكذا فُتح الباب للبدع في اللاهوت المسيحي ، وأصبح التأويل الحرفي البسيط هو الأسلوب الجديد في التفسير بعد أن هجر المصلحون البروتستانتيون الأساليب التقليدية الرمزية والمجازية[٢].

و((فتحت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات الوطنية وجعله في متناول عامة الناس الباب أمام العهد القديم ، كي يصبح مكوِّنا مهما من مكونات العقلية الغربية ويشيع بين الشعوب معرفة لم تكن ميسرة من قبل بتاريخ العبرانيين ومعتقداتهم وشرائعهم وبأرض فلسطين التي لم تطل صلتهم بها إلا لبضعة قرون من تاريخها الطويل. فحكايات العهد القديم باتت زادا يوميا للعقل البروتستانتي، وبات المؤمنون ، من تكرار قراءتهم لها ، يحفظونها عن ظهر قلب. وحتى المسيح ((يسوع الناصري)) لم يعد المسيح بن مريم ورأس الديانة التي انتمى إليها أولئك المؤمنون ، بل مجرد نبي آخر من عديد الأنبياء اليهود.

والحقيقة أن العهد القديم لم يصبح فحسب أحب كتاب إلى قلوب البروتستانت، بل أصبح مرجعهم الرئيسي ومصدرهم الموثوق به الذي استمدوا منه معرفتهم بالله ومعرفتهم بالتاريخ. فحكايات ذلك الجزء من الكتاب المقدس ورواياته التاريخية وأساطيره لم ينظر إليها بوصفها كذلك بل بوصفها التاريخ الحقيقي لله والعالم))[٣].

---

(١) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي ، جورجي كنعان ص ٣٣-٣٤ ، وأنظر أيضا : المسيحية والتوراة ، شفيق مقار ص ٧٧ ، ونحن والفاتيكان وإسرائيل ، أنيس القاسم ص ١٨ ، والأصولية الإنجيلية ، صالح بن عبد الله الهذلول ص ٤٠ ، والصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ص ٣١.

(٢) الصهيونية غير اليهودية ص ٣١.

(٣) المسيحية والتوراة ، شفيق مقار ص ٨٢-٨٣ .

و ((علا شأن ما يسمى بـــ((اللغة العبرية)) على اعتبار أنها اللسان المقدس الذي تكلم به الله مع آدم ونوح وإبراهيم ، وهي اللغة التي أوحى بها الله إلى موسى ، وأنزل عليه بها ما أنزل من فرائض وشرائع. وهكذا أخذت تحتل مكانها إلى جانب اللغات الأوربية. وصارت المعرفة بالعبرية في عصر النهضة جزءا من الثقافة الأوربية العامة. وكان على من يريد التخصص في الدراسات اللاهوتية ، أن يتقن العبرية. وبذلك شكّلت العبرية عنصرا مهما في اللاهوت البروتستانتي))[1].

ولقد أدى انتشار العبرية والدراسات اليهودية في الجامعات والثقافة الأوربية إلى إحداث التأثيرات التالية :

١- إمكان قبول التفسير اليهودي للعهد القديم ، ولا سيما التفسير المتعلق بمستقبل استعادة اليهود لفلسطين.

٢- اقتناع طلبة الجامعات والباحثين بأن كلمة إسرائيل الواردة في العهد القديم تعني كل الجماعات اليهودية في العالم.

٣- قبول التفسير بارتباط زمن نهاية العالم بعودة المسيح الثانية ، وأن هذه العودة مرتبطة بمقدمة تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين[2].

وبهذا التغلغل للفكر اليهودي في الحركة الدينية البروتستانتية بواسطة ترجمات الكتاب المقدس إلى اللغات القومية ، تغيرت مفاهيم كثيرة ومصيرية في الفكر المسيحي ، منها ما يتعلق بفلسطين ((أرض الميعاد)).

((فقد أصبحت فلسطين ، في قراءات الكنائس ومواعظها ، وفي العقل المسيحي في أوروبا البروتستانتية ، الأرض اليهودية ، وصار اليهود هم شعب فلسطين الغرباء في أوروبا والغائبين عن وطنهم ، والعائدين إليه في الوقت المناسب))[3].

((وقُلّص تاريخ فلسطين قبل المسيح إلى تلك القصص التي تحكي عن الوجود العبراني في الأرض))[4].

وبتأصل الفكر البروتستانتي ((اليهو-مسيحية)) في الذهنية الأوربية ، أصبحت فلسطين عند الأوربيين ، هي أرض اليهود والوطن الذي خص الرب به بني إسرائيل ، بناءً على الوعود الموجودة

---

(١) الأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ص ٣٥ ، وأيضا الصهيونية المسيحية ، محمد السماك ص٣٥.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـــ الصهيوني ، د. يوسف الحسن ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٢.

(٤) الأصولية المسيحية ص ٣٥ ، ونحن والفاتيكان وإسرائيل ص ١٩.

في العهد القديم. وسرى في النفـــوس الأوربية اعتقاد بأن من الضروري عودة أو إعادة اليهود المنتشرين في مختلف بلدان العالم إلى ارض فلسطين[1].

وإن هذه المسألة عند المسيحيين -وهي العمل على تجميع اليهود في فلسطين- لم تكن لأجل خاطر اليهود ، بل لأن هناك عقيدة عند النصارى مفادها: أن عودة المسيح الثانية إلى الأرض وبداية العصر الألفي السعيد لن تتحققا إلا إذا سبقهما تجميع اليهود في فلسطين[2].

والواقع أن التفسير الحرفي لنصوص سفر الرؤيا هو الذي قادهم إلى هذا الاستنتاج[3].

رؤيا يوحنا :

((وهي مجموعة من الرؤى المتتابعة تنسب إلى يوحنا اللاهوتي صاحب الإنجيل الرابع. أعرب عنها الكاتب بأسلوب رمزي. مما جعل النصارى يختلفون في تأويلها وتفاصيلها. سُمّيت رؤيا لأنها تشبه الأحلام. لكن يوحنا رآها في اليقظة. ويزعمون أنها وحي ، أوحى إليه الروح فيها بكثير من حقائق الديانة النصرانية وأحداث المستقبل ، فهي نبوءة توسلت الرؤى والرموز لتهيئة النصارى لما سيواجههم من اضطهاد ، وإلى مجيء المسيح ثانية واليوم الآخر والجنة والجحيم))[4].

بيد أن بعض محققي النصارى قديما وحديثا ينكرون أن يكون يوحنا الحواري ابن زبدي هو الكاتب الحقيقي لما ينسب إليه من أسفار العهد الجديد ومنها الإنجيل الرابع والرؤيا ، وكان هذا الإنكار قد ابتدأ في القرن الثاني الميلادي بل يرون أن مصنفوها أناس مجهولون[5].

وذهب الشيخ رحمت الله إلى أن هذه الرؤيا لا يصح إسنادها إلى يوحنا الحواري ، لأنها بلا حجة على ذلك ، وكانت مشكوكا فيها إلى سنة ٣٦٣م ، وبعض فقراتها مردودة وغلط إلى الآن عند جمهور المحققين. وكذلك تردها الكنيسة السريانية. وأن كثيرا من محققي البروتستانت لا يسلمون بها كذلك.

---

(١) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي ، جورجي كنعان ص ٣٥.

(٢) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ص ٩٤ ، والصهيونية المسيحية ، محمد السماك ص ٣٩ ، والأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ص ٣٩-٤١ ، المسيحية والتوراة ، شفيق مقار ص ٩٢ ، والصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ص ٣٨، ٤٥ ، والأصولية الإنجيلية ، صالح الهذلول ص ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٤ ، وقبل أن يُهدم الأقصى ، عبد العزيز مصطفى ص ١٣٩- ١٤٠ ، والاختراق الصهيونية للمسيحية ، القس إكرام المعي ، ص١٣٣ ، ١٣٤.

(٣) الصهيونية غير اليهودية ص ٣٨.

(٤) الكتب السماوية وشروطها ، عبد الوهاب طويلة ص ٥٤٦.

(٥) المرجع السابق ص٤٠٠-٤٠١.

وأثبت المحقق برفسرا يوالد بالشهادة القوية أن إنجيل يوحنا ورسائله وكتاب المشاهدات لا يمكن أن تكون من تصنيف مصنف واحد. حيث إن إنجيله والرسالة الأولى له كانت على اللسان اليوناني وليس فيها ألفاظ صعبة ، بخلاف عبارة المشاهدات ((الرؤيا)) لأنها على خلاف محاورة اللسان اليوناني ، ويستعمل السياق الوحشي. وأنها على خلاف عادته ((أي يوحنا)) فهو لم يظهر اسمه في الأسفار المنسوبة إليه في العهد الجديد ((لا الإنجيل الرابع ولا رسائله الثلاث العامة الكاثوليكية الملحقة بإنجيله)) بخلاف هذه الرؤيا[1].

وجاء في دائرة المعارف الفرنسية المشهورة باسم ((لاروس القرن العشرين)) : ((ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وأربعة أسفار أخرى من العهد الجديد. لكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة))[2].

ويقول كميل خباز : ((إن أئمة اليهود وضعوا مؤامرة سرية تهدف إلى القضاء على المسيحية بأساليب متعددة ، ومنها تحريف الإنجيل. حيث إن رؤيا يوحنا ، وهي آخر الأسفار في الكتاب المقدس عند المسيحيين ، هي نبوءة كاذبة ومدسوسة ، كما أنها تؤلف إحدى حلقات تلك المؤامرة .

وهذه الرؤيا لم تكن في الأصل كتابا واحدا كما هي عليه اليوم، بل هي عبارة عن ثلاثة نصوص مستقلة ، دونت على مراحل ، ثم أعيدت صياغتها في سفر واحد في أواخر القرن الميلادي الأول. وهذه النصوص هي :

النص الأول : ((الرسائل إلى الكنائس السبع)) هو الإنجيل اليهودي-النصراني الذي انتشر نحو سنة ٥٧م. في كنائس غلاطية ((تركيا)) على يد رسل كذبة ، وهو ((الإنجيل الآخر)) الذي أشار إليه بولس الرسول في رسالته الشهيرة إلى أهل غلاطية ((غلاطية ١: ٦-٧)) ويدعو هذا الإنجيل إلى تطبيق شريعة موسى عليه السلام لأن خلاص الإنسان لا يتحقق بدونها.

النص الثاني : هو نبوءة عن قرب مجيء الدينونة ((رؤياه ١:)) بشكل رسالة منحولة نسبت زورا إلى القديس بولس الرسول ونشرت في كنيسة تسالونيكي سنة ٥٢م. وقد دحض بولس الرسول تلك النبوءة في رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي ((٢ تس ٢: ١-٣)).

(١) إظهار الحق ، الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي ، ت د. محمد أحمد ملكاوي ١٥٨/١-١٦٠.

(٢) الكتب السماوية وشروط صحتها ، عبد الوهاب طويلة ص ٤٠٢.

النص الثالث : هو نبوءة قمرانية عن مجيء القيامة ، كتبت سنة ٦٦م. في مطلع الحرب اليهودية الكبرى (٦٦-٧٠) م والهدف منها إقناع السلطات الرومانية بأن نصارى فلسطين هم المحرضون على الثورة ضد روما.

وبعد سقوط أورشليم سنة ٧٠م وإقصاء الصدوقيين عن الزعامة الروحية للشعب اليهودي ، تابع الفريسييون حربهم السرية ضد المسيحية ، وفي أواخر عهد الإمبراطور دوميتيان (٨١-٩٦م) جُمعت النصوص الثلاثة المذكورة في كتاب واحد ((رؤيا يوحنا)) بعد ما أعيدت صياغتها وصبغت بصبغة مسيحية. ومن المعروف أن انتشار الرؤيا في ذلك العهد ، ترافق مع موجة من الاضطهادات قامت بها السلطات الرومانية ضد المسيحيين))[1].

فرؤيا يوحنا كلها عبرانية ، أي مأخوذة من رؤى العهد القديم ، وبالأخص من حزقيال ودانيال ، وقد كان الأجدر، بدلا من وضع رؤيا يوحنا كحاشية في ذيل العهد الجديد ، أن توضع كمعبر أو كهمزة وصل بين العهدين. غير أنه كان من المؤكد ، أيا كان موضعها من ((الكتاب)) أن تظل تمارس غواية لا تقاوم على عقول ((المسيحيين)). وهي رؤيا تعوِّض اليهودية كما هي مكتوبة في ((العهد القديم)) عن فقدان البعد الأخروي ، وتعزز الوعد الذي أكمل به مسيح المسيحيين الناصري ((الناموس)) الذي أكد أنه ما جاء لينقضه بل ليكمله ، وهو وعد الحياة الباقية والانبعاث من الموت وعيش الصالحين الذين تكتب أسماؤهم في سفر الحياة في ملكوت السماوات[2].

المسيح المنتظر عند النصارى :

مر معنا أن النصارى يعتقدون أن تجميع اليهود في فلسطين ، وتأسيس دولة لهم هناك ، يعجل بالمجيء الثاني للمسيح ((عيسى بن مريم)).

يقول ديورانت : ((وكان ثمة عقيدة مشتركة وحدت الجماعات المسيحية المنتشرة في أنحاء العالم : هي أن المسيح ابن الله ، وأنه سيعود لإقامة مملكته على الأرض ، وأن كل من يؤمن به سينال النعيم المقيم في الدار الآخرة))[3] .

---

(١) انظر : جريدة الأنوار اللبنانية تاريخ ١٩٩٠/٦/٨م ، نقلاً عن الصهيونية المسيحية ، محمد السماك ، ص ٣٦ ، ٣٧.

(٢) وقد ذكر شفيق مقار صاحب كتاب المسيحية والتوراة، الكلمات المتشابهة بين رؤيا يوحنا اللاهوتي ورؤيا حزقيال فقال : ورؤيا يوحنا اللاهوتي نبعت من رؤيا حزقيال وعلى خطاها سارت ، بل منها استعارت تصورات ظلت أساسية فيها. ثم ذكر المؤلف ستة عشر مقطعا متشابها فيما بينهما. ص٢٣٩-٢٤١. وقال أيضا : كما أخذ اللاهوتي من حزقيال ، أخذ من دانيال، ثم ذكر بعض الأمثلة ، ليس المقصود منها الحصر. فذكر خمسة مقاطع ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦. انظر ص ٢٢٧.

(٣) قصة الحضارة ، (١١) (قيصر والمسيح) ج ٣ من المجلد ٣ ، ص ٢٩٠ ، ول وايريل ديورانت .

يقول القس إكرم لمعي : ((تعتبر عقيدة المجيء الثاني من العقائد المتميزة في المسيحية ، إذ تعتبر أحد الأركان الأساسية للإيمان المسيحي ، فيؤمن المسيحيون بأن ملكوت الله يوجد الآن في العالم من خلال شعبه الذي يؤمن به ، ويجعله ملكا على حياته ، وسوف يعلن ملك الله للعالم بقوة في اليوم الآخر بالمجيء الثاني للمسيح ، ونحن الآن نعيش زمن ما بين مجيئين للمسيح ، فالمجيء الأول والذي وقع من ألفي عام. وتوقع المجيء الثاني الذي لا يعرف أحد موعده. وتوقع المجيء الثاني من أهم موضوعات الإنجيل ، وكل مسيحيي العالم تقريبا يؤمنون بهذه العقيدة))[1].

كما مر معنا أن اليهود كذلك ينتظرون مجيء مسيحهم ، حيث إن هذا الانتظار حجر الزاوية في الإيمان اليهودي[2].

وهذه العقيدة اليهودية سببت حرجا بالغاً للمسيحيين أتباع الكنائس البروتستانتية والصهيونية المسيحية وأيضا للصهيونيين اليهود الذي يطمعون في مساعدة المسيحيين لهم في الاستيطان في فلسطين. حيث إن المسيحيين يؤمنون بأن المسيح عيسى عليه السلام هو المسيح الذي بشرت بمجيئه نبوءات ((العهد القديم)) ، بينما اليهود يرفضون ذلك ، ويتمسكون بأن المسيح الموعود عندهم والمخلص لهم لم يأت بعد.

لذلك يقول الشيخ د. سفر الحوالي : ((والآن مع اقتراب نهاية الألف سنة الثانية من ميلاد المسيح عليه السلام ، واعتقاد قرب نزوله كما يؤمن الأصوليون الإنجيليون ، يلتقي الحلمان القديمان اللذان يتكون منهما الوعد المفترى[3] : حلم النصارى بعودة المسيح ونزوله إلى الأرض ليقتل اليهود والمسلمين وكل من لا يدين بدينهم في معركة هرمجدون -الآتي تفصيل الحديث عنها- ، وحلم اليهود بخروج الملك من نسل داود الذي يقتل النصارى والمسلمين ويخضع الناس أجمعين لدولة إسرائيل وهو المسيح الدجال.

ومن هاهنا اتفق اليهود والنصارى على فكرة أن قيام دولة إسرائيل وتجمع بني إسرائيل في فلسطين هو تمهيد لنزول المسيح ، كما يفسره كل منهما.

وهنا يظهر التخطيط اليهودي متجليا في تلك الحيلة الغريبة التي ابتدعها حاخامات صهيون وأقرهم عليها بلا تردد قادة الإنجيليين الألفيين ((ولا غرابة فبعضهم يهودي مندس)) وهي تأجيل

---

(١) الاختراق الصهيوني للمسيحية ، القس إكرام لمعي ص ١٨٥.

(٢) ص ١٩٥ من هذا البحث.

(٣) وكانت كلمة فضيلة الشيخ سفر في ١٩٩٢م . والوعد المفترى الذي يقصده فضيلته ، هو الوعد الذي ذُكر في التوراة ((أسفار موسى الخمسة)) وباقي أسفار العهد القديم بأن الله كتب أرض فلسطين وما حولها لبني إسرائيل اليهود وأن تجميع اليهود في فلسطين هو بداية نزول المسيح المنتظر الذي يحكم العالم في الألفية السعيدة على زعمهم.

الخوض في التفصيل والاهتمام بالمبدأ الذي هو نزول المسيح ، وذلك بالتعاون معاً والتخطيط اشتراكا لتهيئة نزوله ، فإذا نزل فسنرى هل يؤمن به اليهود أو يكون هو الذي يؤمن به -الآن- اليهود ؟!.

فلتظل هذه المسألة معلقة تماما ، لأن الخوض فيها ليس من مصلحة الطائفتين معا ! وليعملا سواء للقضاء على العدو المشترك ((المسلمين)) !!.

واتفق زعماء الملتين على نسج قناع يستر وجه المؤامرة عن أعين المغفلين من النصارى والمستغفلين من المسلمين !))[1].

((وهذا الاختلاف في شخصية المسيح الآتي ((بين اليهود والنصارى)) لا يعطل مسيرة العمل المشترك بينهما تمهيدا لمجيئه ، بل إن كليهما يعين الآخر في القدر المشترك من الاتفاق. فهما متفقان على ضرورة إعادة بناء الهيكل في ساحة الأقصى و ((تجميع اليهود في فلسطين)) ، ثم عندما يأتي المسيح يكون له شأن آخر))[2].

قال أحد زعماء اليهود لزملائه من المسيحيين : ((إنكم تنتظرون مجيء المسيح للمرة الثانية ، ونحن ننتظر مجيئه للمرة الأولى ، فلنبدأ أولا بناء الهيكل وبعد مجيء المسيح ورؤيته نسعى لحل القضايا المتبقية سويا))[3].

ولكن الناظر إلى رؤيا يوحنا اللاهوتي -متذيلة العهد الجديد- يرى أن المسيح الذي جاءت أوصافه في هذه الرؤيا ليس فيه من المسيح عيسى بن مريم عليه السلام غير صفة الحروف[4].

---

(١) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، فضيلة الشيخ د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص ٢٦ ، ٢٧.

(٢) قبل أن يُهدم الأقصى ، عبد العزيز مصطفى كامل ص ١٣٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ص ١١٨.

فالأوصاف التي طرحها يوحنا هي لمسيح يهودي ، محارب. ((عيناه كلهيب نار.. متسربل بثوب مغموس بدم. رؤيا ١٩: ١٢،١٣)). ((رجلاه شبه النحاس النقي كأنهما محميتان في أتون.. وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه. رؤيا ١: ١٥،١٦)). ((الأسد الذي من سبط يهوا ، أصل داود. رؤيا ٥: ٥)) ((الذي له مفتاح داود. رؤيا ٣:٧)) وغيرها من الأوصاف.

يقول جورجي كنعان : ((اللاهوتي يوحنا كان كاهنا يهوديا نشأ وتتلمذ على التراث اليهودي ، وأخذ به إيمانا وعقيدة ، فجاءت رؤياه يهودية بمضمونها وبصورها وبتطلّعها إلى مجيء المسيح المنتظر)) ص١٢١.

الألفية السعيدة :

تعود جذور هذه العقيدة ((عقيدة الألفية السعيدة)) إلى اليهودية ، وقد ظهرت في كتابات معلمي المشناة التلموذيين (تنائيم) وفي الأسفار التوراتية الخفية أو الخارجية (الأبوكريفيا) ؛ ولإيمان النصارى بالتوراة وتأثرهم بها انتقلت هذه العقيدة إليهم ، وجوهرها هو الاعتقاد بعودة المسيح المنتظر الذي سيُقيم مملكة الله في الأرض والتي ستدوم ألف عام [٥].

وكما ذكرتُ من قبل ، فإن إيمان النصارى بهذه العقيدة هو التفسير الحرفي لرؤيا يوحنا اللاهوتي.

جاء في هذه الرؤيا : ((ورأيت ملاكا هابطا من السماء ومعه مفاتيح الهاوية وبيده سلسلة عظيمة. فقبض على التنين الحيّة القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيّده ألف سنة وطرحه في الهاوية وأقفل خاتما عليه لئلا يُضلَّ الأمم بعدُ إلى تمام الألف سنة وبعد ذلك سيُحلُّ زمان يسير. ورأيت عروشا فجلسوا عليها وأوتوا الحكم ورأيت نفوس الذين قُتلوا لأجل شهادة يسوع ولأجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته و لم يتَّسِموا بالسمة على جباههم ولا في أيديهم فَحيَوْا وملكوا مع المسيح ألفَ سنةٍ. فأما باقي الأموات فلم يَحيَوا إلى تمام ألف سنة هذه القيامة الأولى.

سعيد ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى إن هؤلاء لا يكون عليهم للموت الثاني سلطان بل يكونون كهنةً لله وللمسيح ويملكون معه ألف سنة)) [١].

يقول د. الحوالي : ((يعتقد النصارى أن المسيح سيرجع بعد ألف سنة ، ثم يحكم العالم ألف سنة ، وعلى هذه العقيدة اجتمعت آمالهم واتجهت أنظارهم سنة ١٠٠٠ ميلادية ، ولكن المسيح لم يظهر، فهدأت المسألة وتلاشت في الواقع لكنها بقيت في الأحلام ، ولمّا شارف هذا القرن على البزوغ أي قرب سنة ١٩٠٠م بدأت الدعوات تظهر من جديد ، واعتقدوا أن المسيح إن لم يظهر في أول القرن العشرين فسيظهر في آخره أي عام ٢٠٠٠م [٢] ، وبما أن ظهوره سيكون في موطنه

---

(٥) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٦ / ١٣٩ د. المسيري ، حمّى سنة ٢٠٠٠ ص ٢٠٤ عبدالعزيز مصطفى كامل .

(١) رؤيا ٢٠: ١-٦.

(٢) وهناك ظاهرة حصلت في أرض فلسطين المحتلة ؛ تدل على هذه العقيدة عند النصارى.

حيث أصدرت وزارة الداخلية الإسرائيلية فـي ٤ كانون الثاني ((يناير))١٩٩٩م بياناً فيه : ((أن الشرطة الإسرائيلية اعتقلت ١٤ شخصا أمريكيا وهم أعضاء في طائفة أمريكية متطرفة تخطط لأعمال عنف في القدس قبل عام ٢٠٠٠ لاستعجال مجيء المسيح المنتظر)). =

الأصلي فلابد للإعداد والتهيئة لمقدمه بتجميع بني إسرائيل في أرض فلسطين التي ستكون عليها المعركة الكبرى الفاصلة ((معركة هرمجدون)) أو ((سهل مجيدون)) وهو سهل صغير في فلسطين يقولون إن المعركة ستشب فيه بجيوش يصل تعدادها إلى ٤٠٠ مليون جندي كما قال بعضهم))[١].

يقول القس إكرام لمعي : ((ولقد انقسم المسيحيون حول هذه النظرية إلى أربع فرق وهي:

الفرقة الأولى : قبل الألفين التاريخية ((سابقو الملك الألفي)).

وهم يعتقدون أن مجيء المسيح الثاني سوف يسبق الملك الألفي. بمعنى أن المسيح سوف يأتي ثانية بشكل حرفي ثم يحكم الأرض لمدة الف عام.

الفرقة الثانية : قبل الألفين المحدثون ((الحقبية))[٢].

وتعتبر هذه الفرقة امتدادا للفرقة السابقة. ولكنها تفصل بين إسرائيل والكنيسة ، وهذا ما يؤكد نظرية اختراق الفكر الديني اليهودي للمسيحية ، ويتفق أصحاب هذه النظرية مع النظرية التاريخية ((السابقة)) في أن المسيح سوف يحكم الأرض بصورة حرفية لألف سنة بعد مجيئه الثاني. ولكن هناك فروقاً بين النظريتين[٣].

=وشكلت سلطات الأمن الإسرائيلية فريق عمل العام الماضي (١٩٩٨)م للتعامل مع أعمال العنف المحتملة من الجماعات المسيحية في الأرض المقدسة مع اقتراب عام ألفين. انظر : جريدة الحياة ، الثلاثاء ٥ كانون الثاني ((يناير)) ١٩٩٩م الموافق ١٨ من رمضان ١٤١٩هـ العدد ((١٣٠٨٨)) ، وجريدة أخبار اليوم ، السبت ٩ كانون الثاني ((يناير)) ١٩٩٩م الموافق ٢١ من رمضان ١٤١٩هـ.

(١) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، فضيلة الشيخ د. سفر الحوالي ص ٣٢،٣٣.

(٢) ((الحقبية)) كلمة استخدمت لشرح النظام الذي وضعوه لشرح كيف أن الله تعامل مع الإنسان بسبع طرق مختلفة على طول التاريخ. والكلمة ((حقبة)) تعني في مفهومهم : زمن يختبر فيه الإنسان إعلانات الله عن إرادته ولقد حددوا الحقب كما يلي :

أ) حقبة الطهارة ((الفطرة)) وهي فترة ما قبل سقوط آدم في الخطيئة ((فترة الجنة)) قبل الطرد أو النزول.

ب) حقبة الضمير ((المسئولية الإنسانية)) وهي الفترة من سقوط آدم إلى نوح.

ج) حقبة الحكومة البشرية وهي الفترة من نوح إلى إبراهيم.

د) حقبة الوعد وهي الفترة من إبراهيم إلى موسى.

هـ) حقبة الشريعة وهي الفترة من موسى إلى عيسى.

و) حقبة النعمة وهي الفترة من مجيء المسيح الأول إلى بداية الملك الألفي.

ز) حقبة الملكوت ((الملك الألفي)). انظر : الاختراق الصهيوني للمسيحية ، القس إكرام لمعي ص ١٩٤. وهنا يظهر لنا -كما هو ظاهر أصلا في أفعال النصارى وأقوالهم- مدى كراهيتهم للشريعة الإسلامية ولنبيها المصطفى -خاتم الأنبياء والمرسلين- محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ومدى حقدهم على الأمة الإسلامية.

(٣) من هذه الفروق : أنه في الحقبة السابعة وفيها الضيقة العظيمة على العالم. وفي هذه الفترة سوف تؤمن أغلبية إسرائيل بالمسيح. وسيدخل المسيح في معركة مع جميع أعدائه في موقعة ((هرمجدون)) ويدمرهم ويسحقهم بقوة ، وفي ذلك=

الفرقة الثالثة : أصحاب التفسير الروحي للحكم الألفي.

وأهم ما يميز هذه الفرقة : القول بأنه بالمجيء الثاني للمسيح سوف تكون القيامة والدينونة ، وأن الملك الألفي ليس حرفيا ، وليس لمدة ألف عام بالضبط ، فتعبير الألف سنة ، إنما هو زمن لفترة معينة تنتشر فيها الرسالة بين الأمم ، ويعود فيها الأمم من المشارق والمغارب إلى الله ، ويعود اليهود إلى المسيح بطريقة طبيعية وبدون عنف أو قتل.

الفرقة الرابعة : رافضو الملك الألفي.

وهذه الفرقة كسابقتها تتفق على أن مجيء المسيح الثاني إعلان نهاية العالم والدينونة ، وخلاصة رأي أصحاب هذه النظرية أنه يجب ألا تفسر النبوة بشكل حرفي ، ففي خلال العصر الذي يتوسط المجيئين يكون حكم المسيح في السماء ، ويكون إبليس مقيدا من خلال العمل الذي عمله المسيح على الأرض. وفي هذه الفترة يعود بعض اليهود إلى المسيح. ويهزم إبليس نهائيا بمجيء المسيح الثاني ثم القيامة والدينونة بالمدينة الجديدة[1].

ومن خلال هذه العقيدة يتبين أن النصارى يعتقدون أنهم إذا عملوا على تجميع اليهود في أرض فلسطين ، ونزول المسيح مرة ثانية إلى الأرض ، فسيتحول اليهود إلى العقيدة النصرانية.

تقول لي أوبرين : ((ففي حين أن المذاهب اللاهوتية لكثرة من البروتستانت المحافظين تصف إنشاء دولة إسرائيل بأنه تحقيق لنبوءة توراتية ، فإنها أيضاً تذهب إلى أن تجمع اليهود مجرد تمهيد لتنصيرهم قبل المجيء الثاني للمسيح))[2]

يقول جورجي كنعان : ((كما يعتقد الأصوليون المسيحيون في نصف الكرة الغربي ، أنّ المسيح لا يستطيع أن يعود ما لم تكن هناك إسرائيل ليعود إليها. وإن تخلي اليهود عن يهوديتهم ، وتحولهم إلى المسيحية ، مقدمة أساسية أو شرط ضروري لحصول عملية ((الخلاص)) الخلاص من الفناء. والعيش في فردوس العصر الألفي السعيد الذي سيكون في آخر الأيام للأبرار من المسيحيين،

=الوقت يكون قد تم تجميع اليهود الذين آمنوا بالمسيح أثناء الضيقة العظيمة من كل أنحاء العالم ليستقبلهم حيث يكون عددهم مائة وأربعة وأربعين ألفا ((رؤيا ٧: ٤)). وبمجرد دخول المسيح إلى أورشليم ((القدس)) كملك يقيد إبليس ليملك المسيح ملكا حرفيا لمدة ألف عام ، وتحت هذا الحكم سيكون لليهود مكانة أعظم من كل الأمم ، فيعاد خلالها بناء الهيكل في أورشليم وتقدم الذبائح عليه ثانية ، ويملأ السلام والعدل والحب كل العالم. ويرث شعب الرب (اليهود) الأرض ، ويدخلون إلى ملكوت الله كالشعب المختار فهذا ما يؤمن به أصحاب النظرية الثانية((الحقبية)). الاختراق الصهيوني للمسيحية ، ص١٩٥.

(١) المرجع السابق ص ٢٠٤.

(٢) المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل ، ص ٢٨٦ ، لي أوبرين ، ترجمة د. محمود زايد .

ولليهود الذين تحولوا إلى المسيحية ، أما ما تبقّى من المسيحيين ، ومن اليهود الذين ((صلّبوا رقابهم)) وظلوا متمسكين برفض الإيمان بالمسيح ، فسيفنون في معركة هرمجدون الكونية التي ستنشب في آخر الأيام))[١].

وإيمانا بهذه العقيدة -تحويل اليهود إلى النصرانية- فإن بعض الجماعات الأصولية المسيحية تنشط في مسألة التنصير داخل الدولة اليهودية ((إسرائيل)) على أرض فلسطين المسلمة.

وقد لاحظت جريدة أمريكية في لوس أنجلس ((أن المبشرين المسيحيين الأصوليين في إسرائيل، ينشطون كثيرا وسط المسيحيين العرب في الأراضي المحتلة ، مثلما ينشطون في اتجاه تنصير عدد من اليهود)).

وأشارت الجريدة أيضا إلى أنّ هؤلاء المبشرين المسيحيين يقدمون خدمات ترفيهية ومالية كثيرة إلى منظمات يهودية ، وبخاصة وسط جنود الجيش الإسرائيلي. كما يقدمون دعما سياسيا إلى دولة إسرائيل مما يعني تغاضي الحكومة الإسرائيلية عن أنشطتهم التبشيرية مقابل ذلك الدعم السياسي[٢].

وقالت صحيفة نيويورك تايمز : ((يوجد في إسرائيل أكثر من ستة آلاف مبشر مسيحي من الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية الأمريكية. وقد نجحوا في تنصير أكثر من ألفي يهودي. لكن هؤلاء اليهود المتنصرين ظلوا على ولائهم لإسرائيل))[٣].

ومسألة التنصير داخل الدولة اليهودية على أرض فلسطين المسلمة ، أخذت تنظر إليها بعض الجماعات اليهودية المتعصبة بقلق بالغ.

فقد قامت بعض لجان الكنيست وبخاصة لجنة التعليم ، بالتحقيق في الاتهامات الموجهة إلى المبشرين المسيحيين ، وخصوصا من أتباع منظمة ((الأغلبية الأخلاقية)) ، حول أنشطتهم وسط الأطفال اليهود. وفسّر أتباع هذه المنظمة السياسية الدينية نشاطهم التبشيري بأنه ممارسة طبيعية في البلد الذي ولد فيه المسيح.

ورغم أن عدد المتنصرين من اليهود غير معروف ، فإن المصادر الرسمية الإسرائيلية لا تذكر سوى أنهم لا يزيدون على سبعة أشخاص أو ثمانية سنويا. لكن منظمات اليهود المتطرفة تقول إن ((الأعداد هي أكبر بكثير وتُقدّرها بالمئات، وإن أكثر من ثلاثة آلاف يهودي قد اعتنق المسيحية

---

(١) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي ، جورجي كنعان ص ١٢٤.

(٢) Times Losangele (١٨ March ١٩٨٤) ، البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ١٥٩.

(٣) المرجع السابق ص ١٦١.

منذ قيام دولة إسرائيل حتى الآن ((عام ١٩٨٤م)) وتشير هذه المنظمات اليهودية إلى أن أبرز البعثات التبشيرية المسيحية في إسرائيل هي جماعة ((السفارة المسيحية الدولية بالقدس)) حيث إن نشاط رجال هذه السفارة يشكل نوعا من المُعضلة لليهود. فمن ناحية تُقدّر إسرائيل لهم دعمهم الذي هي بحاجة إليه ، ومن ناحية أخرى تتخوف من أنشطتهم التبشيرية(١).

يقول اليهودي بيرلمتر : ((نحن نحتاج إلى كل الأصدقاء لدعم إسرائيل ، فإذا جاء المسيح ، فسوف نفكر بخياراتنا في ذلك اليوم. أما في الوقت الحاضر ، فدعونا نصلّ للرب ونرسل الذخيرة))(٢).

((ولعل اليهود لا يكتفون بالسخرية من المسيحيين في ضمائرهم ، وهم يشجعونهم على قبول المرحلة الأولى من الحلم اليهودي وهي العودة لفلسطين ، ثم يديرون لهم ظهر المجن. ولكنهم يأملون فيما هو أهم ، وهو تقويض المسيحية نفسها التي لا تفتأ تتراجع عن قواعدها الجوهرية ، وكلما تراجعت عن واحدة طالبها اليهود بتنازلات أخرى ، وسوف يظل الباب مفتوحا للتكهنات عن المنتصر الأخير في هذه ((المباراة)) القاتلة ، إلا أنّ كثيرين من زعماء الكنيسة يعتقدون أنّ اليهود هم المؤهلون للانتصار ، لأنهم حافظوا على تراثهم في أسوأ الظروف ، وأثبتوا بطلان المسيحية وتراجعاتها في هذه القواعد الهامة))(٣).

يقول الأستاذ محمود نعناعة : ((وكم يؤسف المتتبع لمجريات الأحوال في إسرائيل ذلك الحلم الذي يداعب بعض المسيحيين من أن إنشاء إسرائيل وتجميع اليهود فيها من شأنه أن يقرب الساعة التي يتحولون فيها إلى المسيحية.

ولو أنصف هؤلاء الحالمون ونزلوا على الواقع المرير لأدركوا جيدا أن هدف زعماء الصهيونية من إنشاء إسرائيل كان بناء عرش كبير على أرض فلسطين. يحكمون من عليه العالم

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٨ ، ١٥٩.

(٢) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ، ترجمة : محمد السماك ص ١٥٩.

(٣) القضية الفلسطينية : نظرة في الجذور الدينية ، الأستاذ : كامل الشريف ، من مقالات كتاب : فلسطين والوعد الحق ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص ٢٥.

ومن هذه التراجعات التي يقصدها المؤلف : تغيير النظرة المسيحية لليهودية ، من نظرة عدائية ضد اليهودية إلى نظرة مناقضة تماما ، حيث أصبحت اليهودية عندهم هي أساس المسيحية وأصلها ، وما المسيحية إلا فرع منها ، ومنها أيضا الانشقاق الذي حصل في الكنائس المسيحية (كاثوليكية ، بروتستانتية ، أرثوذكسية) وذلك بالنسبة لموقفهم من السلطة البابوية وقراءة وتفسير الكتاب المقدس.

على شريعة التلمود السرية بعد أن يتجمع اليهود في ((أرض الميعاد)) ، ويتحكموا في مصادر الثروة العالمية ، ويسيطروا على ساسة الدنيا وقادها.

فتشجيع الغرب المتواصل للوجود اليهودي السياسي في فلسطين يساعد الصهيونية على محاربة الاندماج الاجتماعي لليهود خارج إسرائيل ، ويضع في يدها السلاح الفعّال الذي يباعد بين ذلك الأمل الكلاسيكي بتحول اليهود إلى الإيمان المسيحي وبين تحقيقه على الطبيعة))[1].

معركة آخر الزمان ((هرمجدُّون ARMAGEDDON)).

لقد ذكرت في الفصل السابق اعتقاد اليهود في أن مسيحهم المنتظر سيأتي آخر الزمان ليقود -على زعمهم- الجيش اليهودي ((أبناء النور)) ضد جيش الأعداء ((أبناء الظلام)) ، وينتصر عليهم وتتحكم صهيون في كل الأمم ، وينبذ العالم الحروب ، فتتحول السيوف إلى محاريث ، والرماح إلى مناجل ، في ظل سلام صهيوني شامل ، وتختفي كل الأديان ، فلا يبقى إلا الديانة اليهودية الخاضعة لعبادة إلههم يهوه[2].

وأن وقوع هذه المعركة حتمي عند أهل الكتاب ((اليهود والنصارى)) ، كما أن وقوعها ثابت عند المسلمين[3].

ونحن المسلمون متفقون مع اليهود والنصارى على وقوع ملاحم رهيبة فيما بيننا في منطقة الشام ، ومنها فلسطين ، فهي منطقة فتن وملاحم وحرب ضروس [4].

((فكلا الأمتين ــ اليهود والنصارى ــ تعتقدان أن الفصول الكبرى في ملحمة (نهاية التاريخ) ، أي الزمن الأخير الذي سيشهد الأحداث الأخيرة ، ستكون على هذه الأرض ، أرض المَعَاد أو الميعاد أو . . (إسرائيل الكبرى) كما يسمونها)) [5].

---

(١) الصهيونية في الستينات ((الفاتيكان واليهود)) محمود نعناعة ص ٢٧٤.

(٢) سيتبين إن شاء الله ، بكل جلاء ، وبأقوال الرسول ﷺ ، كذب وافتراءات اليهود في نتائج هذه المعركة المسماة عندهم ((هرمجدون)).

والحق هو أن المسيح المنتظر عندهم هو المسيح الدجال ((مسيح الضلالة)) الذي يقود جيشه اليهودي إلى الدمار الشامل والنهاية الأبدية على يد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ((مسيح الهداية)) وجيشه الإسلامي. انظر من ص ٣٧٨ من هذا البحث.

(٣) وأعني مدلول الكلمة لا لفظها ، أي أن هناك ملاحم بين المسلمين وأهل الكتاب. فضد النصارى في دابق والأعماق بسورية ، وضد اليهود في فلسطين. كما سيمر توضيحه إن شاء الله تعالى. انظر من ص ٣٧٨ من هذا البحث.

(٤) ولهذا فلا عجب أن تظل منطقة (الشرق الأوسط) هي البقعة الملتهبة طوال قرن منصرم ، وكأنها تتهيأ للاشتعال في القرن الذي يليه .

(٥) حُمّى سنة ٢٠٠٠ ، ص ١٣ ، الشيخ عبد العزيز مصطفى كامل .

ولكننا مختلفون في نتائجها ، كل يراها لمصلحته في النهاية ، والحق ما قاله خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى** ﴾[١].

إن نتائج هذه الملاحم لمصلحة المسلمين ، حيث يبقى الإسلام هو الدين المهيمن على كل الأديان ، والحمد لله رب العالمين[٢].

تقول غريس هالسل : ((إننا نؤمن كمسيحيين أن تاريخ الإنسانية سوف ينتهي بمعركة تدعى ((هرمجدون)) وأن هذه المعركة سوف تتوج بعودة المسيح ، الذي سيحكم بعودته على جميع الأحياء والأموات على حد سواء))[٣].

وأشير إلى كيفية معالجة الرئيس الأمريكي رونالد ريغان احتلال اليهود أرض فلسطين ، كان العلاج عنده علاجاً دينياً ((توراتياً)). يقول : ((حينما أتطلع إلى النبوءات القديمة في((العهد القديم)) وإلى العلاقات المنبئة بهرمجدون أجد نفسي متسائلاً عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك واقعاً. ولا أدري إن كنت قد لاحظت مؤخراً أياً من هذه النبوءات ، لكنها قطعاً تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه))[٤]. بل إنه يعتقد أن هذه المعركة ستكون نووية[٥].

وقد أعرب في لقاء معه عن إيمانه بأن أمريكا على عتبة يقظة روحية ، وقال : ((إنني مؤمن بذلك من كل قلبي . إن الله يرعى أناساً مثلي ومثلكم في صلاة وحب ابتهالين لاعداد العالم لعودة ملك الملوك وسيد الأسياد)) [٦] .

---

(١) سورة النجم الآيتان ٣ ، ٤.

(٢) راجع من ص ٣٨٣ من هذا البحث.

(٣) النبوءة والسياسة ص ١٩.

(٤) ((Jerusalem Post ١٩٨٣ October ٢٨)) نقلاً عن البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ١٧٢.

ولقد قال الرئيس ريغان : ((إن نهاية العالم وشيكة)) وكررها في أكثر من ١١ مناسبة ، سواء حينما كان حاكماً لكاليفورنيا، أو رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية. وقالها في منزله ، وفي البيت الأبيض ، وعلى العشاء ، وعند الغداء ، وعلى الهواء ، ومن خلال أسلاك التلفون ، ولرجال الدين والسياسة ، وقيادات وجماعات الضغط. وقالها لرجال مكتبه وللشيوخ ، وحتى لمجلة ((الناس)). (New York Times) (٢٤ ١٩٨٤ October). نقلاً عن المرجع السابق ص ١٧٣.

(٥) النبوءة والسياسة ص ٢٣.

((وقد تواردت الأخبار منذ مدة بأن البنتاجون الأمريكي قرر أن يتخذ من (حيفا) وهي أقرب المدن لمنطقة مجدو ، مقراً دائماً لقطع الأسطول السادس الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط ، ولا ندري ما المدى الذي ستوصل إليه هذه التحركات المريبة)) . حُمّى سنة ٢٠٠٠ ، ص ١٧٣ ، الشيخ عبد العزيز مصطفى كامل .

(٦) وهذا اللقاء جمع القس مايك إيفانز والقس جيري فولويل والقس جيمي سواغارت وجيمي بيكر مع مجموعة أخرى ، وذلك في يناير ١٩٨٥م . النبوة والساسة ص ١٩٤ .

والقاسم المشترك الأعظم بين الطوائف البروتستانتية وبعض الكاثوليك ، فضلاً عن تأييد إسرائيل وخدمة الإسرائيليين على نحوٍ أعمى، هو إيمانهم بفكرة ((هرمجدّون)) أي المعركة التي ينتصر فيها الخير على الشر ، وتتحقق عودة الميسح[1].

والمدارس الدينية في أمريكا مختصة بتدريس النظام الديني ونظرية هرمجدّون. وأكثر الإنجيليين شهرة -خاصة الإنجيليين التلفزيونيين ((أصحاب المحطات المسموعة والمرئية)) أمثال روبرتسون وسواغرت وبيكر وفولويل وغيرهم- يجعلون من تأييد إسرائيل نوعاً من العبادة. إنهم يؤمنون بأن عليهم أن يخوضوا معركة هرمجدّون ، وأن المسيح يعود بذلك فقط إلى القدس ، وأن إسرائيل اليوم تتبارك من الله بأنها هي نفسها صهيون توراتية[2].

يقول جيمي سواغرت : ((كنت أتمنى أن أستطيع القول إننا سنحصل على السلام ، ولكنّي أومن بأن هرمجدّون مقبلة ، إن هرمجدّون قادمة وسيخاض غمارها في وادي مجيدو ((في فلسطين)))، إنها قادمة. إنهم يستطيعون أن يوقعوا على اتفاقيات السلام التي يريدون. إن ذلك لن يحقق شيئاً ، هناك أيام سوداء قادمة. إن مشاكل أفريقيا لن تحل ، وكذلك مشاكل أمريكا الوسطى ، ومشاكل أوروبا ، إن الأمور ستتوجه إلى الأسوأ))[3].

وتقول مجلة واشنطن بوست عن هذه الموقعة ((هرمجدّون)) : ((إن العصر الحالي محكوم بالشيطان. وإن الوقت قد اقترب عند نهاية العالم حينما تغزو جيوش السوفيات وإيران والعرب والأفارقة والصين دولةَ إسرائيل. وستباد جيوش الغزاة بواسطة قنبلة ذرية ، وسيموت الملايين من الإسرائيليين. أما المتبقي منهم فإنه سيتم إنقاذه لكي يقبل يسوع كمسيح له. والمؤمنون بالمسيحية والمتنصرون من اليهود ، سوف يتم رفعهم جسدياً من على الأرض ، ليتوحدوا في السماء مع المسيح. ثم سيعود المسيح إلى الأرض بجيش من القديسين لمعاقبة غير المؤمنين ، وتحطيم القوى المعادية له في معركة الخير والشر المسمَّاة هرمجدّون ، والواقعة في سهل المجدل في فلسطين. وستنتهي هذه المحنة بقبول اليهود للمسيح كمنقذ لهم ، وبزوغ فجر عصر الألف عام السعيد تحت حكم المسيح))[4].

يقول فولويل : ((وهكذا ترون أن هرمجدّون هي حقيقة. وهي تعد المسرح لتقديم الملك الرب المسيح بقوة وعظمة. وبالرغم من الآمال الوردية وغير الواقعية تماماً التي أبدتها حكومتنا حول

(١) مجلة الثقافة، المكتب السعودي بلندن ، السنة الرابعة ، رجب وشعبان ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، العدد ((٢٢، ٢٣)).

(٢) النبوءة والسياسة ص ٣٤.

(٣) المرجع السابق ص ٣٧.

(٤) (Post Washington) (١٩٨٤ October ٢١) ، نقلاً عن البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ١٧٢.

اتفاقية ((كامب ديفيد)) بين مصر وإسرائيل ، فإن هذه الاتفاقية لن تدوم. إننا نصلي بالفعل من أجل السلام في القدس. إننا نحترم رئيس حكومة إسرائيل ورئيس جمهورية مصر ، فهما يريدان السلام ، ولكن أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يأتي يوم يجلس فيه الإله المسيح على عرش داود في القدس. إن هذا اليوم مقبل وستكون أنت وأنا جزءاً منه. ولكن حتى ذلك الوقت لن يكون هناك سلام على هذه الأرض حتى يعود أمير السلام ومخلّصنا))(١).

وفي عام ١٩٧٠ م حذّر القس ((بيلي غراهام)) من أن العالم يتحرك الآن بسرعة كبيرة نحو هرمجدّون. وأنها تقع إلى الغرب من الأردن بين الجليل والسامرة في سهل جزريل ((مجيدو)) ، وعندما شاهد نابليون هذا المكان العظيم قال : ((إن هذا المكان سيكون مسرحاً لأعظم معركة في العالم. ذلك أن الكتاب المقدس يُعلّمنا أن آخر أكبر حرب في التاريخ سوف تخاض في هذا المكان من العالم : الشرق الأوسط))(٢).

وفي عام ١٩٧٧م كتب الرئيس السابق للقساوسة الإنجيليين س. س. كريب : ((في هرمجدّون ، المعركة النهائية ، سوف يسحق المسيح كلياً ملايين العسكريين المتألقين الذين يقودهم الديكتاتور المعادي للمسيح))(٣).

وأشار هول ليندسي أن العرب سيتورطون في هذه المعركة ضد المسيح(٤).

وقال أيضاً : ((إن دولة إسرائيل هي الخط التاريخي لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل))(٥).

ويرسم الإنجيليون النصارى ((سيناريو)) هرمجدّون :

قيام دولة إسرائيل.

عودة اليهود من الشتات إلى أرض الميعاد.

إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.

تعرّض إسرائيل إلى هجوم كبير من الكفار ((المسلمين)).

---

(١) النبؤة والسياسة ص ٥٣ ، ٥٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٩.

(٣) الصهيونية المسيحية ص ٨٢ ، والنبؤة والسياسة ص ٤٩.

(٤) النبؤة والسياسة ص ٥٠.

هول لندسي : صاحب كتاب ((آخر أعظم كرة أرضية)) الذي بيع منه حوالي ((١٨)) مليون نسخة، وظل على رأس لائحة الكتب الأكثر مبيعاً خلال السبعينات. المرجع السابق ص ٢١.

(٥) المرجع السابق ص ٥٠.

قيام دكتاتور يكون أسوأ من هتلر أو ستالين أو ماوتسي تونغ ، يتزعم القوات المهاجمة.

خضوع معظم العالم لسيطرة هذا الديكتاتور الذي يعادي اليهود.

تحول ((١٤٤)) ألف يهودي إلى المسيحية بحيث يصبح كل واحد منهم مثل اليهودي المتنصر والداعية إلى النصرانية ((بيلي غراهام)) ، ينتشرون في العالم لتحويل بقية الشعوب إلى الديانة الإنجيلية.

وقوع معركة هرمجدّون النووية التي تتسبب في كارثة بيئية ضخمة.

ارتفاع المؤمنين بالولادة الثانية للمسيح وحدهم ، بمعجزة إلهية فوق أرض المعركة ونجاتهم من الكارثة ، بينما تذوب أجسام بقية البشر في الحديد المنصهر.

حدوث ذلك في غفلة عين.

نزول المسيح بعد سبعة أيام إلى الأرض ومعه المؤمنون به.

حكم المسيح للعالم لمدة ألف عام بعدل وسلام حتى تقوم الساعة[١].

وكما ذكرت في صفحات مضت ، أن اليهود استغلوا هذا الاعتقاد عند النصارى ليقنعوهم بأن يساعدوهم على الاستيطان في فلسطين ، وجمع شملهم من الآفاق إلى أرض فلسطين الإسلامية، وتأسيس دولة اليهود هناك لتعجيل المجيء الثاني لمسيحهم المنتظر ، و((لكي تكون دولة اليهود على أرض فلسطين بمثابة موقع متقدم لليهود وللنصارى لقتال المسلمين في هذه المعركة))[٢].

حتى إنه في حرب الخليج الثانية في آب -أغسطس ١٩٩٠م ، نقلت وكالة الصحافة الفرنسية نبأ من القدس المحتلة يتضمن نداءً للحاخام مناحيم شنيرسون- الزعيم الروحي لحركة ((حياد)) الأصولية اليهودية يقول فيه : ((إن أزمة الخليج تشكل مقدمة لمجيء المسيح المنتظر))[٣].

---

(١) الصهيونية المسيحية ، ص ٨٢ محمد السماك ، ويوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب ، ص ١٢ د. سفر الحوالي ، النبوءة والسياسة ، ص ٩٤ غريس هالسل .

(٢) الأرض المقدسة ، إبراهيم العلي ص ١٩٥.

(٣) الصهيونية المسيحية ص ٨٠.

المبحث الثالث: أثر هذه المواقف في إنشاء دولة إسرائيل الحالية على أرض فلسطين

مر معنا أن: الصهيونية المسيحية هي مجموعة المعتقدات الصهيونية اليهودية المنتشرة بين المسيحيين وبخاصة قيادات وأتباع الكنائس البروتستانتية، والتي تهدف إلى تأييد قيام دولة يهودية في فلسطين بوصفها حقا تاريخيا ودينيا لليهود، ودعمها بشكل مباشر وغير مباشر باعتبار أن عودة اليهود إلى الأرض الموعودة -على زعمهم- وهي فلسطين هي برهان على صدق التوراة؛ وعلى اكتمال الزمان وعودة المسيح ثانية.

((والعجيب أن الحركة الصهيونية لم تولد يهودية بل هي نصرانية الأصل والمنشأ، والداعون لها من اليهود جاءوا تبعاً))[١].

ومن الثابت تاريخيا أن الصهيونية البروتستانتية والأصولية المسيحية لعبت دورا مهمّا وفعّالا في تمكين الصهيونية اليهودية من بدء تنفيذ مشروعها الكوكبي الكبير بإقامة محطتها الأولى ومنصة قفزها، إسرائيل، عن طريق حشد الرأي العام الغربي والمؤسسات الحكومية والخاصة وجمع الأموال لهم وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين. ورفع مظلّة حماية بالغة الشراسة والتصميم ممعنة في العنف الدموي فوق تلك المحطة الأولى، إسرائيل، درءا لأي خطر أو شبهة خطر يمكن أن يتهددها أو ينقص من وضعها كقوة عظمى إقليمية في المنطقة العربية[٢].

والدراسات التي تعزو نجاح الصهيونية إلى المواهب السياسية والدبلوماسية لليهود الصهيونيين. كإرجاع الفضل في صدور وعد بلفور إلى جهود وايزمان، أو إرجاع الفضل في السياسة الأمريكية الحالية الموالية لإسرائيل إلى جهود اللوبي الصهيوني في واشنطن. قد جانبت الصواب في ذلك.

فهذه التفسيرات لقوة الصهيونية ((ساذجة جدا إذ أن مواهب وايزمان في الدبلوماسية الدولية والإقناع مهما بلغت من القوة، ما كانت لتؤتى ثمارها لو لم يكن أشخاص من غير اليهود قد بذروا بذور الصهيونية ورعوها قبل ظهور كتاب ((الدولة اليهودية)) لهرتزل عام ١٨٩٦م. وللسبب نفسه فإنه ما كان للوبي الصهيوني في الولايات المتحدة أن يبلغ مستوى النفوذ الذي بلغه لولا الحقيقة البسيطة الواقعة اليوم، وهي أنه يعمل في بيئة سياسية ملائمة إلى أقصى حد للأفكار الصهيونية))[٣].

---

(١) يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب، ص ٥١، د. سفر الحوالي.

(٢) المسيحية والتوراة، شفيق مقار ص ٩٠، والنبوءة والسياسة، مقدمة الناشر ص ١٠.

(٣) الصهيونية غير اليهودية ص ١١.

يقول حاييم وايزمان : ((إن الإنجليز هم أشد الناس تأثراً بالتوراة ، وتدين الإنجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا ، لأن الإنجليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين. وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات))[1].

ومنذ التغلغل التوراتي في الديانة النصرانية ، وظهور الحركة البروتستانتية ، وظهور الصهيونية النصرانية قبل الصهيونية اليهودية في القرن السادس عشر الميلادي ، وتبنيها لفكرة عودة اليهود إلى فلسطين تمهيدا لعودة المسيح[2] ، لمعت أسماء رجال ومنظمات وهيئات في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية عملت جاهدة على تنفيذ هذه العقيدة المزعومة، على مر القرون الأربعة الماضية.

ففي أوروبا :

كان أوليفر كرومويل : في مقدمة أهم السياسيين البريطانيين المتحمسين لمشروع التوطين اليهودي في فلسطين ، وذلك على مدى عشر سنوات ((١٦٤٩-١٦٥٨م)) عندما كان رئيسا للمحفل البيورتاني[3].

وظهر في فرنسا من دعا إلى توطين اليهود فـــي فلسطين ، ومن هؤلاء إسحاق دي لابيرير ((١٥٩٤-١٦٧٦م)). وفيليب جنتل دي لا نجالير ((١٦٥٦- ١٧١٧م)). وتنبأ قسيس فرنسي يدعى بيير جوريو بإعادة تأسيس مملكة يهودية في فلسطين قبل انتهاء القرن السابع عشر[4].

---

(١) مذكرات وايزمان ص ١٨.

(٢) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، د. سفر الحوالي ص ٤٤.

(٣) الصهيونية المسيحية ص ٣٩ ، والأصولية المسيحية ص ٤٥ ، والصهيونية غير اليهودية ص ٥٧.

الحركة البيورتانية ((التطهيريون)) : فرقة من الفرق البروتستانتية كانت تمثل اشد أشكال البروتستانتية تطرفاً ، وقد غالت هذه الفرقة في إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء الأولية للعهد القديم. وكانت هذه الفرقة تجمع بين نزعة حب الخير لليهودية والانطباع بأن اليهود هم خلفاء العبرانيين القدامى وكان إكبارهم للعهد القديم وأهله ناجماً عن الاضطهاد الذي قاسوه على أيدي الكنيسة الكاثوليكية.

جلبت البوريتانية لانجلترا احتماعياً وفكرياً الغزو ((العبري)) الذي كان قد اجتاح القارة الأوروبية. وأصبحت العبرية أمراً محسوساً على المستوى الشعبي وفي حياة الأمة اليومية. وكان البيوريتانيون يستشهدون بالعهد القديم لدعم أفكارهم السياسية. الصهيونية غير اليهودية ، ص ٥٠ - ٥٢ ، والأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ، ص ٤٥.

(٤) الصهيونية غير اليهودية ص ٦١ ، والصهيونية المسيحية ، للسماك ص ٤١ .

((وطرحت فرنسا لأول مرة خطة لإقامة كومونوويلث يهودي في فلسطين ، مقابل القروض اليهودية للحكومة الفرنسية ، وإسهام اليهود في تمويل حملة نابليون بونابرت لاحتلال المشرق العربي بما فيه فلسطين. وتذكر المؤرخة اليهودية تشمان أن نابليون بونابرت هو أول رئيس دولة يقترح ((استعادة دولة يهودية في فلسطين)). البعد الديني في السياسة الأمريكية د.يوسف الحسن ص٢٦-٢٧.

وكان لألمانيا اللوثرية وإسكندنافية نصيبهما من الصهيونية التي تؤمن بالعصر الألفي السعيد ، فقد كانت هامبورغ الواقعة في شمال ألمانيا مشهورة في القرن السابع عشر بأنها الموطن الأسطوري لليهود في القارة الأوربية ، وكان هذا الميناء ثالث مكان مهم بعد لندن وأمستردام يأوي إليه اليهود الأسبان والبرتغاليون الفارون من محاكم التفتيش. كما أن هامبورغ كانت مركز الحركة التقوية الألمانية ، وهي حركة صوفية روحية تركز تعاليمها الأخروية على عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين. وقد عمل مؤسس هذه الحركة فيليب جاكوب سبنر ((١٦٣٥-١٧٠٣م)) على تعزيز حب السامية كوسيلة لإغراء اليهود بالتنصير قبل عودتهم لفلسطين ، لكنه كان يدعو كذلك إلى تفهم واحترام اليهود الذين يؤثرون التمسك بدينهم[١].

وفي عام ١٦٥٥م نشر بول فلجنهادر((١٥٩٣-١٦٧٧م)) كتابه ((أخبار سعيدة لإسرائيل)) الذي أكد فيه أن عودة المسيح المنتظر ووصول المسيح اليهودي حدث واحد[٢].

وفي عام ١٧٩٠م طلب ريتشارد بير أسقف ساند بروك من رئيس الوزراء الإنجليزي ((وليم بت)) أن يساعد على تحقيق ((عودة اليهود للأرض المقدسة))[٣].

وظهرت في القرن التاسع عشر دعوات سياسية ودينية جديدة أسهمت في تهيئة الظروف والمناخ المناسبين لولادة الصهيونية اليهودية السياسية ، ولعبت دورا أساسيا في تشجيع توطين اليهود في فلسطين[٤].

ويعتبر اللورد شافتسبري ((انطوني إشلي كوبر)) ((١٨٠١-١٨٨٥م)) أحد أبرز العناصر الإنكليزية تحمسا وتشجيعا للفكرة الصهيونية ((قيام دولة يهودية في فلسطين)) وقد عقد آمالا كبيرة على التنقيب عن آثار فلسطين للتدليل على صدق الكتاب المقدس وصحة ما ورد فيه. فجاء صندوق اكتشاف فلسطين ، ليضع أحلامه موضع التنفيذ بعد مضي حوالي ثلاثين عاما على تدوين تلك الخواطر في مفكرته.

وقد قدم في أثناء انعقاد مؤتمر لندن عام ١٨٤٠م اقتراحا إلى الحكومة البريطانية وإلى رئيس وزرائها اللورد ((بالمرستون)) كي تتبنى مشروع إعادة اليهود إلى فلسطين. وكان مقتنعا بأن من الممكن أن يكون البشر أدوات لتحقيق أهداف سماوية. حيث كانت فلسطين في مخيلته بلداً مهجوراً ، وهو واضع شعار ((وطن بدون شعب لشعب بدون وطن)).

---

(١) الصهيونية غير اليهودية ص ٦٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الصهيونية غير اليهودية ص ٨٦.

(٤) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ٢٧

الذي حوله الصهيونيون فيما بعد إلى ((أرض بلا شعب لشعب بلا أرض))[1].

((وقد بنى صهيونيته على نبوءات توراتية))[2].

وكان يطلق على اليهود دائما تعبير ((شعب الله القديم)) وقد عمل جاهدا لإعادة اليهود إلى فلسطين ، فهو يرى في ذلك مفتاح الخطة الإلهية لمجيء المسيح ثانية ، والأداة التي من خلالها تتحقق النبوءة التوراتية[3].

((وقد احتل شافتسبري مكاناً بارزاً في تاريخ الحركة الصهيونية المسيحية ، ورأى في اليهود شيئاً حيوياً بالنسبة إلى أمل المسيحيين في الخلاص))[4].

ومع أن شافتسبري كان أبرز الإنجيليين الذين اهتموا بقضية العودة اليهودية في القرن التاسع عشر ، فإن كثيراً من ذوي المكانة والنفوذ البريطانيين عملوا جادين لتحقيق هذا الهدف. منهم :

اللورد بالمرستون ((١٧٨٤-١٨٦٥م)).

عُين وزيرا للخارجية البريطانية ((١٨٣٠-١٨٤١م)) وفي فترة ثانية ((١٨٤٦-١٨٥١م)) ثم أُنتخب رئيسا لوزراء بريطانيا سنة ١٨٥٥م وظل في هذا المنصب إلى أن توفي ١٨٦٥م[5].

ظل متحمسا لفكرة توطين اليهود في أرض فلسطين. وفي هذا المجال يعتبر أهم نصير سياسي لمشروع اللورد شافتسبري الخاص بإعادة اليهود إلى فلسطين ، كما أنه كان أول من اكتشف الفكرة السياسية في صلب الحكم الديني البروتستانتي.

وأنشأ اللورد بالمرستون في عام ١٨٣٨م أول قنصلية لبريطانيا في القدس ، واختار وليام ينغ[6] ، وهو إنجيلي متدين وصديق اللودر شافنستبري ، ليكون أول نائب قنصل في القدس ، مما يدل على أن للعامل اليهودي دوراً في قرار بالمرستون.

---

(١) الصهيونية غير اليهودية ، ص ٩٠ ، ٩١ ، والبعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٢٧، ٢٨ ، وإسرائيل الكبرى، د.أسعد رزوق ، ص ٦١ ، والأصولية المسيحية ص ٤٩ ، والصهيونية المسيحية ، محمد السماك ، ص ٤٢.

(٢) الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ، ص ٩٠.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د.يوسف الحسن ، ص ٢٨.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي ، جورجي كنعان ، ص ٤٩.

(٦) وليام ينغ : عندما عينه بالمرستون باختيار من شافتسبري نائبا للقنصل في القدس عام ١٨٣٨م ، كانت تعليماته تنص بالتحديد على أن من بين مهامه حماية كل اليهود المقيمين في فلسطين ، كما طلب منه أن يبعث تقريرا لوزارة الخارجية عن حالة السكان اليهود في الأراضي الواقعة ضمن نطاق سلطاته القنصلية. وكان هذا اعترافا من بريطانيا باليهود كأمة وارتباطهم بفلسطين قبل أن يوضع البرنامج الصهيوني اليهودي بأمد طويل. أرسل وليام ينغ إلى وزارة الخارجية تقريرا في مايو عام ١٨٣٩م يقول فيه : ((إن عدد اليهود المقيمين في فلسطين ٩٦٩٠ شخصا وإن وضعهم بائس وإنهم =

كما أنه بعث برسالة في ١١ آب / أغسطس ١٨٤٠م إلى سفير بلاده في الآستانة التركية ، يدعوه فيها إلى حث السلطان والحكومة العثمانية على مساعدة اليهود ، وتشجيعهم للتوطن في أرض فلسطين ، ملوحا له فيها بالشعور الجيّاش الذي أخذ يجتاح اليهود في أوربا الشرقية للعودة إلى وطنهم القديم[١].

لورنس أوليفانت ((**١٨٢٩–١٨٨٨م**)).

((كان أقوى ممثل للصهيونية غير اليهودية))[٢] ، إنجيلي متطرف وعضو البرلمان الإنكليزي وصحفي. قام بزيارة شخصية لفلسطين لمسح أراضيها ودراسة ظروف الاستيطان والاستعمار الزراعي فيها. أصدر كتابا عام ١٨٨٠م سمّاه ((أرض جلعاد)) ضمّنه آراءه وأفكاره بخصوص توطين اليهود في فلسطين وفي الضفة الشرقية في الأردن. أما بالنسبة لسكان المنطقة العرب فدعا إلى طردهم مثلما حدث للهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية ، لأنهم أي العرب ، على حد قوله ((غير جديرين بأية معاملة إنسانية))[٣].

((ويحظى لورنس اوليفانت بأهمية تفوق الآخرين لأنه أول من أقام اتصالات بين الصهيونيين اليهود وغير اليهود))[٤].

وقد قام بإشراك اليهود أنفسهم في مشاريع الاستيطان والاستعمار[٥].

وعهد إليه رئيس الوزراء البريطاني اللورد بيكونسفيلد ((دزرائيلي)) ، ووزير خارجيته اللورد سالزبري ، أن يتفاوض مع السلطان العثماني بهدف الحصول على موافقته على توطين اليهود في أرض فلسطين[٦].

= يعتمدون اعتمادا كاملا على المساعدة الخارجية)). وكانت حماسة ينغ لتقديم الحماية ((لليهود بشكل عام)) تفضي كثيرا إلى نزاع مع القنصل البريطاني العام المقيم في مصر ، الكولونيل باتريك كامبل ، الذي شعر بأن حماسة ينغ المبالغ فيها دفعته لتجاوز حدود سلطته. انظر : الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ، ص ١١٩.

(١) الأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ص ٤٩ ، والصهيونية المسيحية ، محمد السماك ص ٤٣ـــ٤٤ ، والبعد الديني في السياسة الأمريكية د. يوسف الحسن ص ٢٧ ، والصهيونية غير اليهودية ص ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩.

(٢) الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ص ١٤٠.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ، ص ٢٩ ، والصهيونية المسيحية ، محمد السماك ص ٤٧ ، والصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ، ص ١٤١،١٤٠ ، والأصول المسيحية ، جورجي كنعان ص ٥١ ، وإسرائيل الكبرى ، د.أسعد رزوق ، ص ٦٢-٦٥.

(٤) الصهيونية غير اليهودية ريجينا الشريف ص ١٤١.

(٥) المرجع السابق.

(٦) الأصولية المسيحية ص ٥١ ، والصهيونية المسيحية ص ٤٧ ، والصهيونية غير اليهودية ص ١٤٢.

((وفي عام ١٨٨٢م استقر اوليفانت في فلسطين مستوطنا يروّج لفكرة الاستيطان اليهودي))[١].

وليام هشلر ((١٨٤٥-١٩٣١م)).

((في الوقت الذي كان أوليفانت يحاول فيه الحصول على تأشيرة دخول لليهود من السلطان العثماني. كان وليام هشلر ، الملحق في السفارة البريطانية في فيينا ، ينظّم عملية تهجير اليهود الروس إلى فلسطين))[٢].

((ولد وليام هشلر لأبوين ألمانيين بروتستانتيين ، وربي على تعاليم الأصولية المسيحية فاستحوذت على عقله نبوءات العهد القديم ، وخلبت لبّه مقولة العصر الألفي السعيد ، وما كان يُؤوله رجال الدين الأصوليون من علامات ودلائل يطلقون عليها ((شارات العصر Sings of the Time تنبئ باعتبارهم بقرب حلول العصر الألفي. انغرست في ذهنه مسألة قدوم المسيح المنتظر ، وحين التقى بهرتزل عبّر عن الهَمِّ أو الرجاء الذي يملأ فكره وحياته فقال له : أنت هو الذي كنت إنتظره. أنت المسيح المنتظر))[٣].

كان قسيسا إنجليكانيا أيد المشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين بقوة. وجمع الأموال لمساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين. أوفدته الحكومة الإنجليزية عام ١٨٨٢م إلى الآستانة لمقابلة السلطان العثماني عبد الحميد وإقناعه بمسألة توطين اليهود في فلسطين.

نظم في السنة نفسها في أيار ((مايو)) ١٨٨٢م مؤتمرا في فيينا لشخصيات مسيحية نافذة بهدف إيجاد حل ((للمشكلة اليهودية)). وفي العام ذاته زار فلسطين ليتحرى بنفسه ظروف الاستيطان اليهودي فيها[٤].

وفي عام ١٨٩٤م نشر كتابه ((عودة اليهود إلى فلسطين طبقا لنبوءات العهد القديم)) ضمّنه آراءه وأراء وأفكار الأصوليين بالعصر الألفي ، وبالحسابات والمعادلات المبنيّة -بزعمه- على نبوءات باقتراب موعد العودة ، واصطفاء اليهود للقيام ببناء هيكلهم المزعوم. ونُشر هذا الكتاب قبل كتاب هرتزل ((الدولة اليهودية)) بعامين[٥].

---

(١) الأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ، ص ٥١.

(٢) الصهيونية المسيحية ، محمد السماك ، ص ٤٧.

(٣) الأصولية المسيحية ص ٥٤.

(٤) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٢٩، ٣٠ ، والصهيونية غير اليهودية ص١٤٧،١٤٦ ، الصهيونية المسيحية ص ٤٧، وإسرائيل الكبرى ص ٥١-٥٣ ، والأصولية المسيحية ص ٥٥.

(٥) المراجع السابقة.

وصفته المؤلفات الصهيونية بـــ((حبيب صهيون المسيحي)) حيث إنه بشر بإسرائيل وبعودة اليهود إلى فلسطين[1].

وفي الفترة التي كان فيها وليام هشلر قسيسا للسفارة البريطانية في فينا ((١٨٨٥-١٩١٠م)) وبخاصة النصف الثاني منها ، قامت بينه وبين هرتزل صلات عميقة ، فسعى هشلر لتأمين الاتصالات الأولية المهمة بين هرتزل والكثيرين من القادة الأوروبيين أنصار العصر الألفي. ومن هؤلاء الأوربيين دوق بادن الأكبر فريدريك الأول وقد ساعده ذلك على إقامة لقاءات بينه وبين القيصر الألماني.

كما أن هشلر كان أول من قدّم إلى هرتزل خريطة فلسطين بحدودها من الفرات إلى النيل. وقد جاء إلى مؤتمر بال السويسرية عام ١٨٩٧م بصحبة هرتزل معتبرا نفسه سكرتيرا للمسيح المنتظر ، وهتف في المؤتمر بقوله ((يحيا الملك)) أي هرتزل ، ونادى في المؤتمر مطالبا اليهود بأن ((استفيقوا يا أبناء إبراهيم ، فالله ذاته يدعوكم للرجوع إلى وطنكم القديم))[2].

((كان تعاون هشلر ولورنس أوليفانت الفعّال مع الحركة الصهيونية اليهودية أول الحلقات في سلسلة طويلة من الاتصالات بين الصهيونيين اليهود وغير اليهود في مطلع القرن العشرين))[3].

= يقول : جورجي كنعان : ((جاء في رؤيا يوحنا ١١: ٢٠ قوله : ((وسيدوسون الأمم المدينة المقدسة اثنين وأربعين شهرا وسأعطي لشاهدي فيتنبّأن ألفا ومائتين وستين يوما)).

فكانت حسابات هشلر على النحو الآتي :

أن الشهر النبوي يساوي ثلاثين يوما نبويا وأن اليوم النبوي يساوي سنة ((كما يعتبر ذلك اللاهوتيون)) فإذا ضربنا ٤٢× ٣٠ حصلنا على ١٢٦٠ يوما نبويا أو سنة. واعتبر هشلر دخول عمر بن الخطاب ﷺ إلى القدس سنة ٦٣٧م هو بداية دوس الأمم للمدينة المقدسة -على هشلر لعائن الله المتتالية- فإذا أضفنا ١٢٦٠ سنة إلى ٦٣٧ سنة كان لدينا سنة ١٩٩٧م نهاية دوس الأمم ، وبدء عودة اليهود إلى ((سابق عزهم ومجدهم)) وكان هشلر يكرر دائما على مسامع هرتزل قوله ((لقد مهدنا السبيل لك)). الأصولية المسيحـــية ص ٥٥ ، والصهيونية غير اليهودية ص ١٤٧ ، وإسرائيل الكبرى ص ٥٤. وممن ذهب إلى هذا مؤلف كتاب ((تاريخ الحروب الصليبية)) ستيفن رنسمان ص ١٧-١٩، قال الشيخ د. سفر الحوالي وعلى هذا الرأي ذهب المؤلف النصراني العربي فيليب حتى. وقد رد عليهم فضيلته في كتاب ((يوم الغضب)) بحساب الأيام وذكر التواريخ كما وردت في نصوصهم ، ومما قاله بعد ذلك ((... فإن وصف الرجس أبعد ما يكون عن أمة التوحيد وفتوحاتها العظمى التي أخرجت الناس من الظلمات والرجس إلى النور والطهارة)) ص٨١ ــ ٨٢ . انظر ص ٧٢-٨٨ من المرجع السابق للدكتور سفر الحوالي.

(١) إسرائيل الكبرى ، د. أسعد رزوق ، ص ٥٢.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص٣٠ ، والصهيونية غير اليهودية ص ١٤٨ ، وإسرائيل الكبرى ص ٥٣ ، ٨٨ ، والصهيونية المسيحية ص ٤٨ ، والأصولية المسيحية ص ٥٥.

(٣) الصهيونية غير اليهودية ص ١٤٨.

وهكذا لم يتوقف هؤلاء القادة الكنسيون الأوروبيون -ومن بعدهم الأمريكان عندما أخذت أمريكا زمام أمر الدول- الذين آمنوا بهذه الاتجاهات والأفكار الصهيونية ، التي تبلورت حول دعم وتشجيع توطين اليهود في فلسطين واعتبارهم شعبا مختارا وفلسطين هي أرضهم الموعودة ، عند حدود المواعظ الدينية والإيمان ، بل تعدّوا ذلك إلى الحركة المباشرة ونشر هذه الدعاوى وبذل الجهد لدعمها ماليا وسياسيا وفكرياً[١].

فمثلا ، لم يلبث أن قام دعاة الصهيونية المسيحية بإنشاء ((صندوق إكتشاف فلسطين)) الذي أسس في لندن عام ١٨٦٥م برعاية الملكة فكتوريا ورئاسة أساقفة كانتربري . وقد أثار تأسيس هذا الصندوق المزيد من الاهتمام بمشروع توطين اليهود في فلسطين[٢].

((إن التأثير الثقافي والفكري والديني على مستقبل الموقف الإنكليزي السياسي نحو إقامة الدولة اليهودية في فلسطين كان كبيرا ، وبخاصة معتقدات البروتستانت المؤمنة بعودة المسيح الثانية وبناء مملكة الألف عام السعيد ، وما تم من عبرنة أو تهويد للبروتستانتية ، إذ شكّلت مسألة إعادة تفسير العهد القديم محورا مركزيا في حركة الإصلاح الديني. وقد لعبت هذه التأثيرات دورا أساسيا في تحضير إنكلترا لقبول الصهيونية اليهودية السياسية))[٣].

يعلق المؤرخ الصهيوني ناحوم سوكولوف على قوة تيار المسيحية المتصهينة في إنجلترا ، بقوله : ((لقد قام المسيحيون الإنجليز بالتبشير بالمبادئ التي تقوم عليها القومية اليهودية)). وقد أعرب عن امتنانه للكثيرين من المفكرين والأدباء والشعراء الإنجليز على مرّ العصور ((الذين ناصروا القضية الصهيونية. فقد ظلت الصهيونية قرابة ثلاثة قرون فكرة دينية يتوارثها عظماء المسيحيين ، خاصة في إنجلترا ، جيلا بعد جيل))[٤].

والواقع أن الذهن الإنجليزي كان مهيأً لتقبل الأفكار الصهيونية قبل هرتزل ووايزمان بوقت ليس بالقصير. وأن بذور الصهيونية نبتت ونمت في إنجلترا على أيدي المسيحيين المتهودين قبل ظهور كتاب هرتزل بفترة طويلة.

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ٣٠.

(٢) إذ قدمت العديد من الدراسات التفصيلية لهذا المشروع ، الذي شارك فيه خبراء آثار وتاريخ وجيولوجيا ورجال دين، وكانت غالبية هذه الدراسات تشير إلى ضرورة ((عودة اليهود إلى أرض الميعاد)) وإقامة كيان لهم تحت الحماية الإنكليزية. المرجع السابق ص ٣١.

(٣) المرجع السابق ص ٣١.

(٤) الأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ص ٥٧.

ومن هنا فإن زعماء الصهيونية يعتزون بأن وعد بلفور ((وثيقة بروتستانتية)) فهو يدعو لـــ((عودة)) اليهود إلى ((أرض إسرائيل-فلسطين)) انتظارا لـــ((عودة)) المسيح باعتقاد البروتستانت، أو لـــ((ظهوره ابتداءً)) باعتقاد اليهود[١].

اللورد آرثر جيمس بلفور ، وصهيونيته المسيحية.

أهم الأدوار في مراحل إنجاز المشروع الصهيوني -إنشاء دولة يهودية على حسب حدودهم المزعومة- لعبه اللورد آرثر بلفور وزير الخارجية البريطانية آنذاك ، وهو الاعتراف الدولي بهذا المشروع وهذه الحقوق المزعومة ، وكان ذلك تحت رئاسة ديفيد لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني. وأصدر بلفور وعده في ٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧م ، كما سبق ذكره[٢].

والمعرفة بحال آرثر بلفور الثقافية والدينية تسهل لنا إدراك سبب إصداره لوعده إلى اليهود بأرض فلسطين. ((فقد كان لثقافته وقناعته الدينية دور مهم في بلورة موقفه السياسي من المشروع الصهيوني))[٣].

((وصلة بلفور القوية بالصهيونية تعكس تشرّبه بعبرانية الكتاب المقدس ، فقد اهتم باليهود قبل ظهور الصهيونية الهرتزلية ، كما عني بالفلسفة اليهودية وبمشاكل اليهود في العالم المعاصر ، بالإضافة إلى ما يدين به كل من الدين والحضارة المسيحية لليهودية))[٤].

وتقول ابنة أخته ومؤرخة حياته بلانش دوغاديل : ((لقد تأثر بلفور منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة في الكنيسة ، وكان كلما اشتد عوده زاد إعجابه بالفلسفة اليهودية ، وكان دائما يتحدث باهتمام عن ذلك. وتعود جذور ذلك الاهتمام باليهود الذي رافقه طيلة حياته ، إلى

---

(١) والدراسات التي تتناول هذا الموضوع كثيرة ، فمثلا ، بربارا توخمان التي تبحث طبيعة المسيحية المتصهينة في كتابها((التوراة والسيف)) مركّزة على العهد البيوريتاني في إنجلترا ، تقول : إنجلترا هي التي أخذت على عاتقها إعادة اليهود إلى أرض فلسطين، وتؤكد : ((أن اضطلاعها بذلك العمل راجع إلى ما باشره الدين من تأثير قوي في ذلك الاتجاه فيما سبق زماننا من قرون)). وهناك دراستان تبحثان في الأنشطة السياسية وفي الأدوار التي قام بها المسيحيون المتصهينون في بريطانيا. وتعتبر الدراستان دعاة العودة من المسيحيين بأنهم روّاد الصهيونية الحديثة وهما :

Albert M. hyamson British projects for the restoration of the Jews, London ١٩١٧.

N. A. rose, the Gentile Zionists, London ١٩٣٧.

المرجع السابق ص ٥٧ ، ٥٨ ، ١٩٥.

(٢) انظر ص ١١٤ من هذا البحث.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ٣١.

(٤) إسرائيل الكبرى ، د. أسعد رزوق ص ٢٠٦.

دراسة أمه للعهد وتربيته الأسكتلندية. وما زلت أذكر أنني في طفولتي اقتبست منه الفكرة القائلة بأن المسيحية وحضارتها مدينتان بالشيء الكثير لليهودية))[1].

ولقد وصف والدته ذات مرة بأنها ((امرأة ذات إيمان ديني راسخ)).

فقد نشأ إذا وترعرع في أحضان التقاليد البروتستانتية الأسكتلندية بكل ما تحمله من حب للعهد القديم ، وإيمان شديد بعودة اليهود كبشرى بمجيء المسيح المنتظر ، وكان يرى أن التاريخ ما هو إلا أداة لتنفيذ هدف سماوي[2].

وفي أثناء دراسته في جامعة كمبردج كان في عداد الطلاب الذين التقوا الكاتبة اليوت مؤلفة كتاب ((دانيال ديروندا)) (١٨٧٤-١٨٧٦م) والتي دعت فيه للفكرة القائلة بضرورة تسديد الدين الأدبي والمعنوي المستحق لليهود في ذمة المسيحية والعالم المتمدن. كما أنه كان يقرأ إصحاحات سفر أشعيا التي تتغنى بالتوق الدائم لفلسطين[3].

ويقول دونالد واغتر : ((وقد كانت أطروحات شعب الله المختار وحقه في أرض الميعاد ، وتحقيق النبوءة بتجميع اليهود في دولة إسرائيل في فلسطين ، من أبرز معتقدات بلفور التوراتية ، التي ورثها في طفولته ، وتربى عليها في نشأته ، في إحدى الكنائس الإنجيلية الأسكتلندية))[4].

كما أن بلفور لم ير في اليهود أنهم أداة لتحقيق العصر الألفي المسيحي فحسب، ولم يكن ليعتبرهم بمثابة وسطاء في صفقة المصالح الإمبريالية البريطانية بل أصر على اعتبارهم منفيين يعيشون بعيدا عن وطنهم. فخالجته الفكرة القائلة بإعادة وطنهم القديم إليهم[5].

ومما يذكر عنه أنه حينما اجتمع في عام ١٩٠٦م مع الزعيم الصهيوني اليهودي وايزمان في فندق مانشستر أكد له على ضرورة أن تقدم المسيحية كل قدراتها إلى اليهود لتحقيق فرصة العودة إلى وطنهم[6].

وكان بلفور من السياسيين البريطانيين المطّلعين على التاريخ اليهودي ، وقد اعتبر أن تحطيم الرومان مملكة اليهود القديمة كان أحد أعظم الأخطاء في التاريخ[7].

---

(١) المرجعان السابقان.

(٢) الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ص ١٦٠.

(٣) إسرائيل الكبرى ص ٢٠٧.

(٤) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ٣٢.

(٥) إسرائيل الكبرى ص ٢٠٧.

(٦) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٣٣.

(٧) المرجع السابق.

ويقول عنه بيتر غروز -أحد كبار الصحفيين في جريدة نيويورك تايمز الأمريكية والذي عمل في لجنة التخطيط في وزارة الخارجية في عهد إدارة الرئيس كارتر، والذي شغل في عام ١٩٨٩م منصب مدير دراسات الشرق الأوسط في مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك- : ((لقد كان بلفور أكثر فهما من هرتزل لطموحات الصهيونية)). وكان يقول على لسان بلفور: ((إذا كان لا بد من إيجاد وطن للشعب اليهودي ، فإنه من العبث البحث عن أي مكان غير فلسطين)) كما يذكر أن بلفور أعلن صراحة إثر مغادرته واشنطن في آيار / مايو ١٩١٧ م : ((أنا صهيوني)) ، وذلك بعد أن وضع الخطوط النهائية للوعد المسمّى باسمه ، وإثر اجتماعه مع الرئيس الأمريكي ولسون، ولقائه القاضي الصهيوني اليهودي لويس برانديز))[١].

وكان بلفور لا يخفى تصوره المبني على الحقد والكراهية لعرب فلسطين وحول مستقبلهم بعد إصدار وعده بالأرض لليهود. فقد جاء في مذكراته بالنسبة ((لسورية وفلسطين وما بين النهرين)) : ((ليس في نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين ، مع أن اللجنة الأمريكية تحاول استقصاءها. إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية. وسواء أكانت الصهيونية على حق أم على باطل ، جيدة أم سيئة ، فإنها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد ، والحاجات الحالية ، وآمال المستقبل ، وهي ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمائة ألف عربي الذي يسكنون الآن هذه الأرض القديمة))[٢].

أما بالنسبة للاستيطان اليهودي في فلسطين ، فقد أوصى في الجزء الأخير من هذه المذكرة : ((إن كان للصهيونية أن تؤثر على المشكلة اليهودية في العالم فينبغي أن تكون فلسطين متاحة لأكبر عدد من المهاجرين اليهود. ولذا فإن من المرغوب فيه أن تكون لها السيادة على القوة المائية التي تخصها بشكل طبيعي سواء كان ذلك عن طريق توسيع حدودها شمالا أم عن طريق عقد معاهدة مع سورية الواقعة تحت الانتداب والتي تعتبر المياه المتدفقة من ((الهامون)) ((حرمون ، جبل الشيخ)) جنوبا ذات قيمة بالنسبة لها. وللسبب ذاته يجب أن تمتد فلسطين لتشمل الأراضي الواقعة شرقي نهر الأردن))[٣].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الصهيونية غير اليهودية ص١٥٩. وقال تعالى : ﴿ **وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم** ﴾ سورة البقرة آية ١٢٠.

(٣) المرجع السابق ، والصهيونية المسيحية ، محمد السماك ص ٥٠.

لويد جورج ، وصهيونيته المسيحية :

أصدر اللورد بلفور وعده للصهيونية اليهودية تحت رئاسة لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني في ٢ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٧م.

ولويد جورج لا يختلف عن بلفور في إيمانه بالعهد القديم ونبوءاته ، فقد نشأ وترعرع على الثقافة العبرية والتاريخ اليهودي ، مما جعل رئيس خارجيته آرثر بلفور يعمل تحت مظلته وعلى عينه بلا معارضة أو مساءلة.

((كان بلفور ولويد جورج صهيونيين متحمسين ، ومتفقين في تأييدهما للصهيونية))[١].

فلويد جورج قد كفله خاله ريتشارد لويد ، وهو واعظ متطوع ينتمي لإحدى فرق المعمدانيين الويلزية وهي ((كامبلينش أو حواريي المسيح)) بسبب وفاة والده وهو صغير. ولذلك فقد كانت له خلفية صارمة من العهد القديم.

وقد اعترف لويد جورج بأنه تمرس بالتاريخ العبري أكثر من تاريخ إنجلترا : ((نشأت في مدرسة تعلمت فيها تاريخ اليهود أكثر من تاريخ بلادي ، وبمقدوري أن أذكر أسماء جميع ملوك إسرائيل ، ولكني أشك إن كنت أستطيع ذكر أسماء بضعة ملوك من ملوك إنجلترا أو مثل ذلك العدد من ملوك ويلز. لقد أُشربنا بتاريخ جنسكم في أعظم أيام مجده عندما أقام أدبه العظيم الذي سيتردد صداه حتى آخر أيام هذا العالم القديم ، والذي سيؤثر في الأخلاق الإنسانية ويُشكّلها ، وسيدعم ويلهم الحافز الإنساني لا لليهود فحسب ، بل للمسيحيين كذلك ، لقد استوعبناه وجعلنا جزءا من أفضل ما في الأخلاق المسيحية))[٢].

وفي هذا الحديث نفسه عزا لويد جورج الفضل في صهيونيته لشخصية حاييم وايزمان فقد قال : ((لقد اهتديت على يديه. لقد حولني للصهيونية)).

وفي ١٥ أكتوبر عام ١٩٠٥م وصفته صحيفة ((جويش كرونكل)) بأنه ((مؤمن متحمس للحركة الصهيونية)). وكان مُسلِّماً لحجج وايزمان بشأن وطن قومي لليهود في فلسطين. بل إن وايزمان ذكر : ((إن تأييد لويد جورج للوطن القومي اليهودي كان سابقا لتوليه رئاسة الوزارة)). لقد بدأت معرفة وايزمان بلويد جورج في يناير عام ١٩١٥م ، ولكنه كان على اتصال وثيق بهرتزل والحركة الصهيونية عام ١٩٠٣م[٣].

---

(١) الصهيونية غير اليهودية ص ١٦٠.

(٢) من كلمة جورج للجمعية التاريخية اليهودية في إنجلترا في ٢٥ مايو ١٩٢٥م ، المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ص١٦١.

((ومع وجود لويد جورج في رئاسة الوزارة وأرثر جيمس بلفور وزيرا للخارجية تغلغلت الصهيونية غير اليهودية في أعماق دوائر القرار البريطاني التي كانت محاطة بحشد من الشخصيات المختصة الأقل شأنا ، والتي كانت مخلصة في صهيونيتها))[1].

ولهذا فإن الخلفية الدينية المؤمنة بقصص العهد القديم وتفسيراته العبرية لكل من لويد جورج وآرثربلفور كان لها أثر كبير في تحريك مواقفهما السياسية ودفعهما نحو إصدار الوعد الذي كان أول اعتراف دولي بالصهيونية السياسية ، وبمشروعها : إقامة دولة لليهود في فلسطين[2].

إن هذا الوعد ((وعد آرثر بلفور ولويد جورج والذي حمل اسم بلفور)) والذي استغرق عامين (منذ ١٩١٥ إلى ١٩١٧م) والذي يحوي بضع عشرات من الكلمات.

ونصه : ((تنظر حكومة جلالة الملك بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، ولسوف تبذل قصارى جهدها لتسهيل الوصول إلى هذا الهدف ، على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغيّر الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى))[3].

يحوي في كلماته المعتقدات الأساسية للصهيونية :

١- اعتراف هذا الوعد بوجود ((الشعب اليهودي)) كأمّة ، ثم أصبح هذا الشعب ((كيانا قوميا)) يعترف به القانون الدولي بعد أن تمّ دمج الوعد في الانتداب البريطاني على فلسطين ، وإقراره في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠م ، وضمان عصبة الأمم المتحدة له في عام ١٩٢٢م.

٢- أنكر هذا الوعد وجود شعب فلسطين العربي المسلم في الوقت الذي اعترف باليهود كأمّة ، ولم يتأثر النصارى في فلسطين بشيء لأن إخوانهم في إنجلترا وباقي أوربا وأمريكا رعوهم حق الرعاية ، فضاع في هذه اللعبة المسلمون في فلسطين ومقدساتهم.

وقد أشار الوعد إلى ٩٠% وأكثر من سكان فلسطين في ذلك الوقت بأنهم ((الطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين)) وهذه التسمية المنافية للعقل والقانون ، والتي تتجنب مجرد ذكر

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٢.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ٣٤.

(٣) سرقة أمة ، وليم و. بيكر ، ترجمة د. سهيل زكار ، و أ.عدنان برنية ص ٢٥ ، ومدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين ، د.محمد إسماعيل السيد ص ١٣٣ ، وسياسة الاستعمار والصهيونية ، د.حسن صبري الخولي ١/ ٢٠٣. وفيما يتعلق بأصداء هذا التصريح العالمية انظر الجزء الثاني من رسالة الماجستير ((تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة)) للدكتور. محمد عبد الرؤوف سليم .

كلمة ((عربي مسلم)) كانت تهدف إلى إخفاء حقيقة أن فلسطين بلد إسلامي عربي. وبهذا التقى الوعد مع تفسيرات الصهيونية المسيحية وما اقتنعت به منذ انشقاق الثورة البروتستانتية على الكنيسة الكاثوليكية الأم في القرن السادس عشر الميلادي ، التي ترى أن فلسطين بلد ليس إسلامياً وليس عربياً ولكنه وطن يهودي. وبذلك أصبحت الأسطورة القائلة إن فلسطين وطن الأجداد لكل اليهود مقبولة على أعلى مستويات صانعي القرار السياسي وفي غياب الأمة الإسلامية.

٣- كانت الألفاظ التي صيغ بها وعد بلفور غامضة ، وبخاصة فيما يتعلق بالأرض التي يضمها الوطن اليهودي في فلسطين. لكن الصهاينة غير اليهود هم أول من اشتغلوا بحدود فلسطين عند اليهود ، وهي بالطبع ((فلسطين التوراتية)) والتي تشمل الشام : ((لبنان وسورية والأردن)).

وكان هشلر ولويد جورج وأرثر بلفور وغيرهم من الصهاينة غير اليهود على دراية واسعة بالجغرافيا التوراتية ، ولم يكن يساورهم شك فيما ستسفر عنه السياسة البريطانية عن الوطن القومي اليهودي.

وقد أُثر عن بلفور قوله إنهم كانوا يعنون دولة يهودية دائمة. وأكد لويد جورج هذا التفسير في الشهادة التي أدلى بها أمام لجنة بيل. ومنذ عام ١٩١٧م قرر هؤلاء في أذهانهم وضع فلسطين المستقبلي كدولة يهودية ، وإن لم يكن ذلك مسطرا على ورق[١].

وقد كان وعد بلفور لزعماء الصهيونية اليهودية آنذاك أمراً لم يكن متوقعاً. يقول وايزمان : ((لقد حصلنا نحن اليهود على وعد بلفور بشكل غير متوقع ، لم نكن نحلم أبدا بوعد بلفور ، ولقد جاءنا بصراحة بشكل مفاجئ))[٢].

وبهذا الوعد تكون الصهيونية المسيحية الأوربية قد جسدت أطروحاتها الدينية عمليا ، فجاءت مرحلة من التعاون الوثيق بينها وبين المصالح الإمبريالية الغربية[٣].

فالصهيونية المسيحية وصلت ذروتها خلال العقدين الأولين من هذا القرن[٤].

وقد انتقلت الصهيونية المسيحية منذ بدايتها الأولى إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فالبيوريتانيون ((التطهريون)) هم مؤسسو الولايات المتحدة الأمريكية.

---

(١) الصهيونية غير اليهودية ص ١٧٢-١٧٤ ، والبعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٣٤.

(٢) الصهيونية غير اليهودية ص ١٧٢.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي- الصهيوني ، د.يوسف الحسن ، ص ٣٤.

(٤) الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز ، ص ١٧٤.

وكان تطور النظام العالمي يتجه باستمرار نحو إحداث تغييرات في مواقع القوى العظمى ومراكز الإدارة الدولية[1].

وفي أمريكا :

شكلت الاتجاهات الصهيونية عنصرا بارزا في الحياة الثقافية والسياسية الأمريكية منذ البداية الأولى لاستيطان الأوربيين العالم الجديد ، خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر، والذي سمي فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية[2].

ولأجل الصراع الديني في أوربا بين الطوائف البروتستانتية والكنيسة الأم ((الكاثوليكية)) وجدت هذه الطوائف متنفسا لها في العالم الجديد ، فصبغته بصبغتها الأصولية البروتستانتية ، فحملت معها كل التقاليد التي بسببها حصل انشقاقها على الكنيسة الكاثوليكية ، وما حصل بينها من صراعات طائفية من التصاقها التصاقا تاما بالكتاب المقدس بقسميه ((القديم والجديد)) وخاصة العهد القديم وتفسيراته ونبوءاته ((كتجميع اليهود في ارض الميعاد -فلسطين وما حولها- وكانتظار المسيح المنتظر والعصر الألفي السعيد)) التي انتشرت في إنكلترا ودول أوربا في القرن السادس عشر وما بعده.

فخرجت بعض هذه الطوائف والحركات الدينية البروتستانتية من أوربا وخاصة الطائفة البيوريتانية بروح التدين التوراتي ، فلما دخلوا العالم الجديد ((أمريكا)) تفاءلوا بأن هذا خروج كخروج بني إسرائيل من مصر ودخولهم إلى الأرض المقدسة ((فلسطين)) ، فأخذوا يسمون المدن والمناطق في أمريكا بأسماء من التوراة ، فشاعت أسماء مثل ((صهيون ، حبرون ، أورشليم الجديدة)) وسموا أبناءهم بأسماء التوراة ((إبراهام ، سارة ، اليعازر ، يشوع)) وكانت اللغة العبرية لغة مهمة في المستوطنات الأمريكية الأولى ، وبهذا تأسس المجتمع الأمريكي من بدايته على أساس بروتستانتي توراتي مقدس لليهودية[3].

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٣٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي ص ٥٩ ، والصهيونية المسيحية ص ٥٥ ، والصهيونية غير اليهودية ص ١٨٣-١٨٤، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ص ٤٤، والبعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٣٧.
حتى إن أول كتاب ينشر في العالم الجديد ((أمريكا)) كتاب يهودي ، وهو ترجمة مباشرة للكتاب التوراتي سفر المزامير ((Psalm)).

ودخلت اللغة العبرية ومعها الدراسات اليهودية في برامج جامعة هارفارد التي أنشئت في عام ١٦٣٦م وكانت العبرية من بين الموضوعات الإجبارية في الجامعة التي لا يمكن قبول الطالب فيها إلا إذا كان قادرا على ترجمة النص العبري =

وقد تحدّث الرئيس الأمريكي جيمي كارتر أمام الكنيست الإسرائيلي في آذار (مارس) ١٩٧٩م قائلاً : ((لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين وجسدوا هذه الإيمان ، بأن علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة ، بل هي علاقة فريدة ، لأنها متجذّرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه. لقد شكّل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون طليعيون ونحن نتقاسم تراث التوراة))[١].

وقد سُمح لليهود ببناء محافلهم الدينية في وقت مبكر إثر هجرتهم إلى العالم الجديد ((أمريكا)) وتم لهم ذلك قبل أن يسمح البروتستانت المسيطرون على معظم المستوطنات الجديدة لطائفة الكاثوليك ببناء كنائسها[٢].

وعندما انتهى عهد لاهوت القرن السابع عشر الميلادي ، بدأت فلسطين كوطن لليهود تحتل مكانة خاصة في الثقافة الأمريكية ، وبقيت عودة اليهود إلى فلسطين فكرة محببة ومبدأ مسلّما به في كل من الأدبين الديني والشعبي[٣].

ومع نهاية القرن الثامن عشر أصبح الاعتقاد بالبعث اليهودي يشكل جانبا مهما من اللاهوت البروتستانتي الأمريكي حيث احتلت معتقدات المسيح المنتظر والعصر الألفي السعيد مكانا بارزا. واتخذت الإنجيلية في الولايات المتحدة الأمريكية شكلا أكثر هيمنة مما كانت عليه الحال في إنجلترا، وبلغت ذروتها في ثقافة شعبية متميزة كانت تتضمن كثيرا من تعاليم الصهيونية الروحية والدينية فأصبحت هذه المعتقدات تشكل جزءا من مصفوفة التاريخ الفكري الأمريكي[٤].

وعبر تلك السنوات وبعدها ظهرت أسماء أعضاء في الكنائس الأمريكية وأعضاء في الحكومة الأمريكية -قد يصل بعضهم إلى أن يكون الرجل الأول في أمريكـــا- وأسماء هيئات ومؤسسات ومنظمات وغيرها ، لم يؤمنوا بالمعتقدات البروتستانتية والتقاليد التوراتية وتفسيرات العهد القديم- ((ومنها عودة اليهود إلى فلسطين ، ومعتقدات المسيح المنتظر والعصر الألفي السعيد)) إيمانا نظريا

= إلى اللاتينية. وقد قدمت أول دفعة طلابية تخرجت في جامعة هارفارد عام ١٦٤٢ أول أطروحة جامعية بعنوان ((العبرية هي اللسان الأم)) وأول مجلة كانت مجلة ((اليهودي)).

البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٣٧. الصهيونية المسيحية ص ٥٥ ، ٥٦.

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ٧٦.

(٢) المرجع السابق ص ٣٨.

(٣) الصهيونية غير اليهودية ص ١٨٤.

(٤) المرجع السابق.

فحسب ، ولكنهم عملوا على تطبيق هذه المعتقدات في الواقع، وخاصة ما يعتقدونه في أن مقدمة هذه المعتقدات هو تجميع اليهود في أرض فلسطين.

ومن هذه الأسماء :

أ) بعض رجال الحكومة الأمريكية :

جون آدامز ((١٧٩٧-١٨٠١م)).

إذا كان الرئيس جورج واشنطن ، الرئيس الأول لأمريكا ، وهو شديد التدين مسيحيا متصهينا ظلّ حتى آخر أيامه عظيم التقديس للشعائر والطقوس والتاريخ اليهودي ، قد اكتفى بمدح ((يهوه)) إله اليهود بأنه زرع شعبه في أرض الميعاد ((فلسطين)).

فإن خلفه الرئيس الثاني لأمريكا جون آدامز ظل يُعرب عن رغبته الصادقة في أن يعود اليهود ثانية إلى أرض يهوذا ((فلسطين)) كأمة مستقلة. وكان يؤمن على حد قوله : بأن القدر قضى بأن يكون اليهود العامل الجوهري الأعظم والأفعل في جعل أمم العالم أمما متحضّرة[1].

وودرو ولسون ((١٩١٣-١٩٢١م)) : ((ابن راعي الكنيسة)).

يُعتبر الرئيس الأمريكي ولسون أحد الرؤساء الأكثر تأثرا بالصهيونية منذ طفولته. فقد نشأ في بيئة دينية ، إذ كان ابن أحد رجال الكنيسة الإنجيلية المسيحية[2]. فنشأ بذلك على التعاليم

(١) المسيحية والتوراة ، شفيق مقار ، ص ١٦٣ ، والأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ، ص ٦٥.

وبلغ من تأثير ((العهد القديم)) على الروّاد الأوائل في أمريكا حدّا جعل أعضاء اللجنة التي شكلت عام ١٧٧٦ م في الولايات المتحدة الأمريكية وكانت مكونة من جون آدامز وتوماس جفرسون الذي أصبح رئيسا لأمريكا عام ١٧٩٧م وتوماس جفريز الذي اصبح رئيساً لأمريكا من ((١٨٠١-١٨٠٩م)) وبنيامين فرانكلين ، للتوصية بشعار رسمي لأمريكا ، يركّزون على شعار مستوحي من ((ملحمة)) بني إسرائيل الدينية. فاقترح بنيامين فرانكلين رسما يمثّل موسى عليه السلام وهو يفلق البحر الأحمر بعصاه ، ويغرق في مياهه فرعون مصر وجيشه بعد عبور بني إسرائيل سالمين. واقترح توماس جفرسون أن يمثّل الرسم بني إسرائيل خارجين من مصر بقيادة موسى عليه السلام يتقدّمهم يهوه كعمود نار ليلا وعمود سحاب نهارا. أما جون آدمز فأيّد اقتراح جفرسون على اعتبار أن عمود السحاب رمز لعلو بني إسرائيل ، وعمود النار رمز بني إسرائيل أيضا في رفعهم ((مشعل النور الذي قاد البشر إلى دروب الحضارة)). المرجعان السابقان ، المرجع الأول ص ١٦٣، المرجع الثاني ص ٦٠. ويزيد شفيق مقار قائلاً : ((من المعطيات الهامة التي توجّه البحث صوب ((العالم الجديد)) احتواء الخاتم الرسمي لدولة الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك قبل ظهور الصهيونية اليهودية بوقت طويل ، على ((مجنّ داود)) النجمة السداسية التي ترفرف اليوم من علم محطة الصهيونية الأولى ((إسرائيل)). والمجنّ في الخاتم مكوّن من ثلاث عشرة نجمة تمثل كل نجمة منها ولاية من الولايات الثلاث عشرة الأولى التي تألف منها الاتحاد. ص ١١٧.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ٤٥.

البروتستانتية آخذاً بالكتاب المقدس إيمانا وعقيدة. فظل مقتنعا بالمبادئ والأهداف الصهيونية وبضرورة تحقيقها. وطالما عبر عن تعاطفه مع الأيديولوجيا الصهيونية اليهودية[١].

ويرى نفسه أنه قد أُعطي الفرصة التاريخية لخدمة رغبة الرب بتحقيقه البرنامج الصهيوني فكان يقول عن نفسه: ((إنه يتوجب على ابن راعي الكنيسة أن يكون قادرا على المساعدة لإعادة الأرض المقدسة -فلسطين- إلى شعبها اليهودي))[٢].

وفي الحادي والثلاثين من شهر أغسطس عام ١٩١٨م بعث الرئيس ولسون رسالة إلى زعيم الصهيونية الأمريكية الحاخام ستيفن وايز مصادقاً بشكل رسمي على وعد بلفور : ((راقبت باهتمام مخلص وعميق العمل البناء الذي قامت به لجنة وايزمان في فلسطين بناءً على طلب الحكومة البريطانية ، وأغتنم الفرصة لأعبّر عن الارتياح الذي أحسستُ به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية ، والدول الحليفة منذ إعلان السيد بلفور باسم حكومته على موافقتها على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، ووعده بأن تبذل الحكومة البريطانية قصارى جهدها لتسهيل تحقيق ذلك الهدف مع الحرص على عدم القيام بأي عمل يلحق الأذى بالحقوق المدنية والدينية لغير اليهود في فلسطين ، أو حقوق اليهود ووضعهم السياسي في دول أخرى))[٣].

بل إنه في عام ١٩١٧م تبادل آرثر بلفور الرسائل مع الرئيس ولسون للاتفاق على الصيغة النهائية للتصريح الذي سوف تصدره بريطانيا بشأن الوطن القومي اليهودي. وقد وافق ولسون على مشروع التصريح سراً ، وظلت الموافقة الأمريكية طي الكتمان ، بسبب موقع الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى وفي السياسة الدولية ، وعندما تأكدت نهائيا هزيمة تركيا، قال ولسون في آب عام ١٩١٨م : ((أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا))[٤].

---

(١) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي ص ٦٦ ، والصهيونية غير اليهودية ص ١٩٠.

(٢) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ص ٤٦ ، والبعد الديني في السياسة الأمريكية ص ٤٥ ، والصهيونية غير اليهودية ص١٩٠.

(٣) رسالة ولسون إلى ستيفن وايز ، أوراق ولسون ، مكتبة الكونجرس ، واشنطن ، ملف ٦ رقم ٦١٨. نقلا عن الصهيونية غير اليهودية ص ١٨٨ ، والصهيونية المسيحية ص ٦٠.

ويُلاحظ كيف أن الرئيس الأمريكي ولسون تجنب استعمال كلمة المسلمين ، واستعمال عبارة اليهود تماما كما فعل بلفور في نص وعده.

(٤) إفلاس النظرية الصهيونية ، نصر شمالي ص ١٣١.

وقدم ولسون ورقة عمل إلى مؤتمر باريس للسلام : ((بدعوة اليهود للعودة إلى فلسطين والاستيطان فيها ، مع تأكيد المؤتمر على تقديم كل مساعدة ممكنة لذلك. والتأكيد بأن سياسة عصبة الأمم ستكون الاعتراف بفلسطين دولة يهودية عندما تصبح يهودية فعلا))[١].

هذه المواقف المؤيدة للحركة الصهيونية أملتها على ولسون في الدرجة الأولى، تربيته الدينية[٢]، حيث إن هذه التربية وفّرت له رصيدا من المشاعر والأفكار التي تركت أثرا على موقفه المستقبلي من الحركة الصهيونية وأهدافها[٣].

وكانت تصريحاته العلنية والسرية متناسقة مع الفكرة الصهيونية ، وكانت قراراته عن فلسطين والصهيونية نابعة من مشاعره الذاتية الشخصية لا من اعتبارات السياسة الواقعية. ومما يؤكد ذلك أنه بعث بمذكرته التي يوافق فيها على وعد بلفور عبر مستشاره الكولونيل هاوس متجاهلا وزارة الخارجية في دولته ووزير خارجيته روبرت لانسنغ ((الذي كان معارضا لموقف الرئيس هذا على أسس سياسية)). ولكن ولسون لم يأبه لنصيحته ، بل واصل تأكيده لزعماء الصهيونية بأن باستطاعتهم الاعتماد على تأييده الشخصي[٤].

((فقرارات هذا الرئيس وبياناته تعطي مثالا على حالة دخلت فيها اعتبارات العقائد والمشاعر والأخلاقيات مجال صنع السياسة ، وسيطرت في النهاية على جميع الاعتبارات الموضوعية للسياسة الواقعية))[٥].

---

(١) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي ، جورجي كنعان ص ٦٦.

(٢) الصهيونية المسيحية ، محمد السماك ص٦٠.

(٣) الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز ص١٩٠.

(٤) وكانت هذه الموانع السياسية ، كما يعتقدها روبرت لانسنغ ، ويرى أنها توجب تأجيل الموافقة العلنية على وعد بلفور ، ثلاثة موانع ، هي :

أ- أننا لسنا في حالة حرب مع تركيا. ولذا فعلينا أن نتحاشى كل ما من شأنه أن يظهر أننا نؤيد أخذ أراضي بالقوة منها.

ب- أن اليهود ليسوا جميعا راغبين في إعادة جنسهم كشعب مستقل. ومن غير الحكمة تفضيل فريق على آخر.

ج- أن كثيرا من الفرق المسيحية والمسيحيين سيغضبون حتما إذا وضعت الأرض المقدسة تحت السيطرة المطلقة للجنس الذي يعزو إليه موت المسيح.

ولأسباب عملية ، لا أرى ضرورة الذهاب إلى ابعد من السبب الأول ، فهو كاف لتجنب إعلان سياسة حول وضع فلسطين النهائي.

وزارة الخارجية الأمريكية ، الوثائق المتعلقة بعلاقات الولايات المتحدة الخارجية ، وثائق لا نسنغ ١٩١٤-١٩٢٠م (واشنطن ، ١٩٤٠م) مجلد ٢ ص٧١. نقلا عن المرجع السابق ، ص ١٩١.

(٥) المرجع السابق ص١٩٤.

وبعد أن وافق ولسون وبدون شروط على وعد بلفور ، أخذ خلفاؤه في الرئاسة يلزمون أنفسهم بالموقف الصهيوني بطريقة أو بأخرى. فأخذ كل رئيس يُعبّر عن تعاطفه مع الحركة الصهيونية ، ويُسلّم بهدفها في فلسطين. فأظهر الرؤساء الجمهوريون الثلاثة الذين خلفوا ولسون- وارن هاردنج (١٩٢١-١٩٢٣م) وكالفن كولدج (١٩٢٣-١٩٢٩م) وهربرت هوفر (١٩٢٩-١٩٣٣م)-المشاعر نفسها التي كان يبديها سلفهم الديموقراطي[١].

وقد عبّر الرئيس الأمريكي وارن هاردنج في الأول من حزيران ١٩٢١م عن تعاطفه مع الحركة الصهيونية ، بقوله : ((يستحيل على من يدرس خدمات الشعب اليهودي ألا يعتقد بأنهم سيعودون يوما إلى وطنهم القومي التاريخي))[٢].

وفي مايو عام ١٩٢٢م عبّر كذلك عن تأييده الشديد لصندوق إنشاء فلسطين : ((يسعدني أن أعبّر عن موافقتي وتعاطفي القلبي مع جهود صندوق إنشاء فلسطين ، من أجل إعادة فلسطين وطنا قوميا للشعب اليهودي. لقد كنت أرقب باهتمام ما أعتقد أنه عملي بقدر ما هو عاطفي ، وهو اقتراح إعادة تأهيل فلسطين ، وآمل أن تلقى الجهود المبذولة الآن في هذه البلاد وغيرها أقصى درجات النجاح))[٣].

وفي عهد هذا الرئيس ((وارن هاردنج)) في ٢١ أيلول /سبتمبر١٩٢٢م صادقت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بصورة نهائية على وعد بلفور، وبذلك دخلت شريكا مضاربا مع بريطانيا في فلسطين لبناء الوطن القومي اليهودي[٤].

وفي عهده ظهر عضو الكونغرس السناتور هنري كابوت لودج رئيس العلاقات الخارجية ، الذي لعب دورا أساسيا في تبني هذا المشروع -وهو الموافقة النهائية على وعد بلفور- وتبريره في الكونغرس الأمريكي. كما كان له دور فعّال في إبراز نص في القرار الأمريكي يشير بوضوح إلى الحقوق المدنية والدينية للمسيحيين في فلسطين. فقد جاء في القرار ما نصه : ((إن الولايات المتحدة الأمريكية تحبّذ تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، على أن يُفهم بوضوح بأنه لن

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ص ٦٦ ، والصهيونية غير اليهودية ، ريجينيا الشريف ص١٩٤.

(٣) الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ص ١٩٥.

(٤) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص٤٦ ، والصهيونية المسيحية ، محمد السماك ، ص ٦١.

يجري شيء يلحق الضرر بالحقوق الدينية والمدنية للمسيحيين والتجمعات غير اليهودية الأخرى في فلسطين))[1].

وكانت الاتجاهات الصهيونية عند لودج الدوافع القوية وراء ذلك القرار ، وتعود جذورها إلى معتقداته الدينية وقناعاته ومشاعره المعادية للمسلمين والعرب. وتتضح هذه المشاعر الصهيونية في خطاب له ألقاه في مدينة بوسطن عام ١٩٢٢م ، وقال فيه : ((إنه جدير بالثناء أن يرغب الشعب اليهودي في كل أنحاء العالم أن يكون هناك وطن قومي لأفراد جنسه الراغبين في العودة إلى البلاد التي كانت مهدا لهم ، والتي عاشوا وعملوا فيها عدة آلاف من السنوات إنني لا أحتمل فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين))[2].

((وقد لوحظ أن مواقف أعضاء الكونغرس من جمهوريين وديمقراطيين كانت متشابهة ، كما أنه لم يكن هناك ما يشير إلى أن هؤلاء الأعضاء كانوا متأثرين بالأصوات اليهودية ، فقد استشهد كثير منهم بالعهد القديم ، واقتبسوا نبوءات توراتية))[3].

فرانكلين روزفلت ((١٩٣٣-١٩٤٥ م)).

من أهم ما قام به هذا الرئيس : ممارسة الضغط على بريطانيا لحملها على التراجع عن الكتاب الأبيض للعام ١٩٣٩م الذي يقيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وهذا يتعارض مع معتقدات الصهيونية المسيحية ، والتي كان رزوفلت يُؤمن بها. حيث ترى أن هذا التحديد عرقلة لإرادة الله وتعطيل للنبوءات المقدسة[4].

هاري ترومان ((١٩٤٥-١٩٤٩م)).

كان ترومان بإجماع التواريخ الصهيونية تجسيدا للصهيونية الأمريكية غير اليهودية على المستوى السياسي[5].

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية د. يوسف الحسن ص ٤٦،٤٧.

ويُلاحظ كيف إن هذا الخطاب تجنب استعمال كلمة المسلمين واستبدل بها ((بالتجمعات غير اليهودية)) واستعمل عبارة اليهود تماما كما فعل بلفور في نص وعده وولسون في رسالته.

(٢) المرجع السابق ص ٤٧ ، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، د. سفر الحوالي ص ٤٧.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ٤٧.

(٤) الصهيونية المسيحية ، محمد السماك ص ٤٧ ، والصهيونية غير اليهودية ص ١٩٧.

(٥) الصهيونية غير اليهودية ، ريجينا الشريف ، ترجمة : أحمد عبد الله عبد العزيز ص ٢٠٤.

اعترف ترومان فعليا بإسرائيل في ١٤/٥/١٩٤٨م ، وحتى قبل أن تطلب منه حكومة إسرائيل ذلك بشكل رسمي[1].

وبادرت أمريكا في العام نفسه إلى تقديم منحة لإسرائيل قدرها مائة مليون دولار مخصصة لمشاريع التنمية ، بالإضافة إلى قرض -تحوّل إلى منحة- بقيمة ٣٥مليون دولار[2].

هذه المواقف الموالية لليهود من ترومان لم تكن مجرد سعي وراء أصوات اليهود. فقد قال مستشاره في البيت الأبيض كلارك كلفورد : ((أن الأصوات اليهودية لم تكن ذات أهمية بالنسبة لحملة الانتخابات للرئاسة القادمة)). ولم تكن نتيجة للضغط الصهيوني ، حيث إن الرئيس ترومان رفض استقبال حاييم وايزمان في مطلع عام ١٩٤٨م بسبب شعوره بالمرارة من سلوك الزعماء الصهيونيين غير اللائق وفظاظتهم الغريبة ، وكان هذا الضغط الصهيوني يضعف في بعض الأحيان حماسة ترومان الشخصية للصهيونية.

بل كانت هذه المواقف متمشية كلياً مع مشاعره الشخصية التي كانت صهيونية. فخلفيته المعمدانية وتربيته كانتا تركزان على عودة اليهود إلى صهيون. فقد درس التوراة بنفسه ، فكان يؤمن -باعتباره أحد تلاميذ التوراة- بالتبرير التاريخي لوطن قومي يهودي ، وكان لترومان اقتناع أن وعد بلفور عام ١٩١٧م حقق آمال وأحلام الشعب اليهودي القديمة[3].

وكان يقول إنه كمعمداني ((يحس بشيء عميق له مغزاه في فكرة البعث اليهودي)) وكان معروفا عنه حبه للفقرة التوراتية الواردة في المزمار ١٣٦ والتي تبدأ ((لقد جلسنا على أنهار بابل ، وأخذنا نبكي حين تذكّرنا صهيون)).

ولقد اعترف ترومان أنه ما من مرة قرأ فيها قصة إنزال الوصايا العشر في سيناء إلا شعر بوخز خفيف يسري في عروقه ، وقد قال بأن موسى -عليه السلام- تلقى المبدأ الأساسي لقانون هذه الأمة على جبل سيناء[4].

وقد عبّر عن تعاطفه مع الصهيونية قبل أن يتولى الرئاسة بأمد طويل. وظل يشدّد على وجوب إعادة اليهود إلى صهيون[5].

---

(١) الصهيونية المسيحية ص٦٤ ، والأصولية المسيحية ص٦٧ ، والصهيونية غير اليهودية ص٢١٤ ، وانظر ص ١٢٣ من هذا البحث.

(٢) الصهيونية المسيحية ، محمد السماك ، ص٦٥.

(٣) الصهيونية غير اليهودية ص٢١٢ـــ٢١٤ ، والصهيونية المسيحية ص٦٥ ، والأصولية المسيحية ص٦٦.

(٤) الصهيونية غير اليهودية ص٢١٥ ، والصهيونية المسيحية ص٦٥.

(٥) الأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ص٦٦.

((وقصة حياة ترومان الشخصية ، حافلة بالاقتباسات والإشارات التوراتية الضمنية ، وتشير إلى ميله للإسهاب في ذكر التعاليم اليهودية المسيحية))[1].

جيمي كارتر ((**١٩٧٦-١٩٨٠م**)).

يقول عنه القس بيلي غراهام : ((يذهب الرئيس كل يوم أحد إلى الكنيسة ، ويقرأ وزوجته فصولا من التوراة قبل النوم ، ولا يشرب الكحول في البيت الأبيض))[2].

فقد نشأ هذا الرجل نشأه دينية بروتستانتية إنجيلية ، فتركت هذه التربية أثرا بالغا في ثقافته واقتناعه فآمن بحرفية الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، وخاصة فيما يتعلق باليهود وعودهم -على زعمهم- إلى أرض الميعاد ((فلسطين)) بناء على نصوص من العهد القديم. لذلك كان في بيان كارتر الانتخابي أن ((تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءة التوراتية))[3].

وقد عبّر عن خلفيته الأصولية في كلمته أمام الكنيست الإسرائيلي في آذار ١٩٧٩م بقوله : ((إننا نتقاسم معاً تراث التوراة))[4].

لقد سجّل الرئيس كارتر في أثناء عهده من عام ١٩٧٦ م حتى ١٩٨٠م إنجازات كبيرة لمصلحة إسرائيل والحركة الصهيونية ، وعبّرت مواقفه عن إيمان لاهوتي بإسرائيل وبالتزام دعمها إلى الأبد[5].

وقد عبّرت الجماعة اليهودية الأمريكية عن سعادتها حينما أعلن الرئيس كارتر عن إدانته لمن يتهم اليهود بقتل المسيح بـــ((اللاسامية)). وقال مدير الشئون الدينية فيها : ((لأول مرة في تاريخ الرؤساء الأمريكيين ، يُصدر رئيس أمريكي إعلانا مباشرا عن قضية مجحفة ضد اليهود ، ولها جذور دينية تاريخية تقليدية))[6].

---

(١) الصهيونية غير اليهودية ص ٢١٥.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د.يوسف الحسن ص٨٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ص٦٧.

(٥) البعد الديني د. يوسف الحسن ص٨٣.

(٦) المرجع السابق . وجاء فيه أيضاً ص ٨٤ :

أن الرئيس كارتر قدّم إنجازات كثيرة لمصلحة إسرائيل وكان من أهمها : دوره المباشر في اتفاقيات كامب ديفيد الموقعة بين جمهورية مصر العربية والعدو اليهودي الصهيوني (إسرائيل) في أيلول سبتمبر ١٩٧٨، وتزويده (العدو اليهودي الصهيوني) بمساعدات عسكرية واقتصادية أكثر من أي رئيس أمريكي قبله فقد تسلمت إسرائيل في عهده ١٠ مليارات دولار ، وهي حوالي نصف ما تسلمته طوال تاريخها. وكان أول رئيس أمريكي يؤسس لجنة رئاسية لموضوع الهولوكست أو حرق اليهود في العهد النازي في عام ١٩٧٨م. كما كان أول رئيس أمريكي يضغط باتجاه فرض قانون أمريكي لمناهضة =

وقال كارتر في خطاب ألقاه في استقبال رئيس وزراء العدو الصهيوني بيغن في البيت الأبيض الأمريكي : ((منذ خراب بيت المقدس واليهود يصلّون كي تكون السنة القادمة في القدس. وقد عانى اليهود خلال ألفي سنة ، التمييز والمذابح المنظمة، حتى قامت دولة إسرائيل، وعاد اليهود إلى أرض التوراة))[1].

((كانت سياسة كارتر متأثرة بمفهومه عن فلسطين بأنها الأرض التي وعد الله بها اليهود. وكان مفهومه للسلام في الشرق الأوسط يدور حول ((الوجود الدائم والأمن لدولة إسرائيل اليهودية)) وطالما عبّر عن التزامه الكامل والمطلق نحوها كإنسان وكأمريكي وكشخص متديّن))[2].

((ولا يزال كارتر إلى هذا اليوم -في عام ١٩٩٩م- مبشرا ، وينتقل من أفغانستان إلى الحبشة والسودان وغير تلك البلدان مدافعا عن التنصير ، ومبشرا بالنصرانية ، فهو رجل منصّر وقسيس))[3].

رونالد ريغان ((١٩٨٠-١٩٨٨ م)).

تربى ريغان تربية دينية ، فقد ولد لأم قارئة للكتاب المقدس ، متعبدة جدا مؤمنة بالمسيح وبالخلاص ، مؤمنة بالغيب إلى مالا حدود له. فنشأ ريغان تحت هذا التأثير ، على قراءة الكتاب المقدس وزيارة الكنائس[4].

وكان يؤمن بعمق أن من علامات العودة الثانية للمسيح المخلص تجميع اليهود في فلسطين ، فقال ريغان : لجيمس ميلز -رئيس مجلس الشيوخ في ولاية كاليفورنيا- : ((إن جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل هرمجدّون قد مرت ، ففي الفصل ٣٨ من حزقيال : إن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك أخيرا بعد ألفي سنة ، ولأول مرة يبدو كل شيء في مكانه بانتظار معركة هرمجدّون والعودة الثانية للمسيح))[5].

= أنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل في عام ١٩٧٧م بعد أن رفض كل من الرئيسين الأسبقين نكسون وفورد مواجهة المقاطعة العربية لإسرائيل.

(١) الأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ص٦٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، د.سفر الحوالي ص٥٠.

(٤) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ، ص٦٠.

(٥) المرجع السابق ص٦٤ ، وانظر بعض أقواله في هرمجدّون ص ٢٣٧ من هذا البحث.

وفي رسالة وجهها ريغان في نهاية تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٤م إلى المؤتمر السنوي للمنظمة الصهيونية الأمريكية جاء فيها : ((إنني دائما أتطلّع إلى الصهيونية كطموح جوهري لليهود ، وبإقامة دولة إسرائيل تمكّن اليهود من إعادة حكم أنفسهم بأنفسهم في وطنهم التاريخي، ليحققوا بذلك حلما عمره ألفا عام))[١].

جورج بوش (الأب) ((**١٩٨٨-١٩٩٢ م**)) :

وصف نفسه في كتابه ((التطلع إلى الأمام)) بأنه متدين ، وأن جده كان قسيساً ، وأنه هو وأسرته يقرأون الكتاب المقدس كل يوم. ويتحدث كيف واجهته مشكلة تعميد ابنته حينما كان سفيراً في الصين. ورأينا صورته وهو يرتدي القبعة السوداء ويلثم حائط المبكى على طريقة اليهود[٢].

وله علاقات صداقة حميمة مع زعماء الأصوليين الإنجيليين ، وخاصة جيري فولويل. فأمام مئات من القيادات اليهودية ورجال الإعلام والكونغرس وفي حفل أقامته جامعة الحرية التابعة للأصولي جيري فولويل عام ١٩٨٣م -تحدث عمّا يعتقد أنه ضمان لعدم تكرار عمليات اضطهاد لليهود- فقال : ((أعتقد بكل أمانة ، أننا برجال من أمثال جيري فولويل ، فإن شيئاً فظيعاً كالإبادة الجماعية لليهود لن يحدث ثانية))[٣].

وقد امتدحه فولويل -الصهيوني المسيحي- بقوله : ((بوش سيكون أفضل رئيس في عام ١٩٨٨م))[٤].

بيل كلنتون ((**١٩٩٢-٢٠٠٠ م**)):

وهو الرئيس السابق لأمريكا -وترتيبه الثاني والأربعون فيهم- ، يحمل المعتقدات الكنسية الصهيونية نفسها والتي أفصح عنها بوضوح في خطابه الذي ألقاه في الكنيست الإسرائيلي في ٢٧/ ١٠/١٩٩٤م ، حيث قال نقلاً عن راعي كنيستة الذي أوصاه بإسرائيل قبل ١٣ عـــاماً قائلاً له : ((إنك إن تخليت عن إسرائيل فلن يغفر الله لك أبداً ، إن مشيئة الله أن اختار إسرائيل أرضاً لنا، وإنّ مشيئته أن إسرائيل ستبقى إلى الأبد))[٥].

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ١٧٩.

(٢) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، د. سفر الحوالي ص ٣٩.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ١٧١-١٧٢.

(٤) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ص ٣٢.

(٥) مجلة المجتمع، العدد ((١٢٤٥)) ص ٢٥ غرة ذي الحجة ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٧/٤/٨م ، بقلم د. أحمد منصور.

فقد خضع هذا الرئيس خضوعاً تاماً للدولة اليهودية ((إسرائيل)) الجاثمة على أرض فلسطين المسلمة.

يقول د. جون دوك- رئيس المجلس الوطني للعلاقات العربية الأمريكية- : ((إن ٥٥% من مستشاريه يهود، والمستشار الأول في البيت الأبيض كان أستراليا إسرائيلياً قبل تعيينه))(١).

وعلى رأس المسؤولين من اليهود في إدارة كلينتون وزيرة الخارجية ((مادلين أولبرايت)) فقد اعترفت أن أصولها يهودية، وأن جدها القريب توفي على يهوديته. وأيضاً ((دنيس روس)) المسؤول عن ملف الشرق الأوسط -يجوب عواصم الدول العربية كمنسق أمريكي لما يُسمى بمفاوضات السلام-(٢).

استقبل كلينتون بعض أعضاء اللوبي الصهيوني من منظمة ((إيباك)) -وهي منظمة يهودية أمريكية تعمل لرعاية المصالح الإسرائيلية في أمريكا- استقبلهم في البيت الأبيض في منتصف مارس ١٩٩٤م ، واعترف لهم بأنه يعتبر القدس عاصمة أبدية موحدة للدولة اليهودية ((إسرائيل)) غير مقسمة وحُرّة وتحت السيادة الإسرائيلية(٣).

وفي أثناء مقابلته لرئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين في واشنطن في مارس ١٩٩٣م قال له مادحاً الدولة اليهودية : ((الديمقراطية الإسرائيلية هي الصخرة التي تقوم عليها العلاقات الأمريكية الإسرائيلية وأنها النموذج المضيء لشعوب العالم))(٤).

والتزم الرئيس الأمريكي -كما جاء على لسان سفيره في إسرائيل- بأمن إسرائيل وتفوقها النوعي على دول المنطقة عسكرياً وتِقَنياً وحضارياً ، التزاما لا يتزعزع(٥).

ب) بعض القساوسة .

القس : وليم بلاكستون (١٨٤١-١٩٣٥م) :

وهو من أبرز الصهيونيين المسيحيين ، ولد في الولايات المتحدة الأمريكية من أتباع الكنيسة البروتستانتية ، شغف منذ صباه بقراءة ((العهد القديم)) وتتبع ما فيه من تنبؤات. أخذ بالتفسير

---

(١) الأصولية الإنجيلية ، صالح الهذلول ، ص ٧٣.

(٢) أضواء على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ، د. أحمد منصور ص ٣٧.

(٣) المرجع السابق ص ٣٠ ، ٣٩ ، ١٠٢.

(٤) المرجع السابق ص ٦٦.

(٥) المرجع السابق ، د. أحمد منصور ، ص ٣٢ ، ٤٥.

الواضح للكتاب المقدس و لم ير أي حاجة للجوء إلى التفسيرات الرمزية ، فهو من أتباع العصمة الحرفية للكتاب المقدس[١].

وهو مسيحي ديّن ثري وممول ورحّالة عالمي ومؤلف ومنصّر إنجيلي، كان ينفق الملايين على التنصير، من أوائل من مارس الضغط المؤسسي والمنظّم على صانعي القرارات الأمريكية لمصلحة أهداف الصهيونية اليهودية السياسية وهو بطل صهيون البارز[٢]. ((تحتفل الدولة اليهودية بذكراه))[٣].

وفي اعتقاده أن الله أبقى على اليهود ، لأنهم كانوا شعبه الخاص ، وسيبقون كذلك. آمن بالمجيء الثاني للمسيح ، وعمل من أجله. نشر في عام ١٨٧٨م كتابه ((عيسى قادم)) فحقق نجاحا باهرا ، تمثل في إعادة طباعته مرّات عدة ، وبيع منه ملايين النسخ وترجم إلى أكثر من ٤٨ لغة منها اللغة العبرية ، وكان أوسع الكتب انتشارا في القرن التاسع عشر الميلادي. وكان هذا الكتاب أخطر منشور للدعوة الصهيونية المتعلقة بـــ((الاستعادة الأبدية لأرض كنعان من قِبَل الشعب اليهودي)). وقد أشاد بلاكستون في كتابه في طبعة عام ١٩٠٨م باليهود وعودتهم إلى فلسطين كإشارة إلى نهاية الزمن.

وقد أثار هذا الكتاب انتباه عدد كبير من الزعماء المسيحيين ، يفوق عدد من أثّر فيهم أي كتاب آخر طوال عشرات السنيين[٤].

وفي العام نفسه الذي أصدر فيه كتابه السابق ، أسس بلاكستون منظمة في شيكاغو تدعى ((البعثة العبرية من أجل إسرائيل)) وعملت هـــذه المنظمة على دعوة اليهود إلى العودة إلى الأرض المقدسة في فلسطين. واستمرت في عملها إلى يومنا هذا ، وأصبح اسمها حاليا ((الزمالة اليسوعية الأمريكية)). وبذلك يكون بلاكستون من أوائل من أسس جماعة ضغط منظّمة أو مـــا يسمى لوبـــي لمصلحة الصهيونية[٥].

وقاد في أوائل ١٨٩١م حملة للتوقيع على عريضة على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية لتأييد دولة يهودية في فلسطين ، وقد قدمت هذه العريضة يوم ٥ آذار / مارس ١٨٩١م إلى

---

(١) الصهيونية غير اليهودية ريجينا الشريف ص١٨٦ ، والأصولية المسيحية جورجي كنعان ص٦٤.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية د. يوسف الحسن ص٤٢ ، والصهيونية غير اليهودية ص ١٨٦.

(٣) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، د.سفر الحوالي ص ٤٤.

(٤) لأصولية المسيحية ص٦٥ ، والبعد الديني في السياسة الأمريكية ص٤٢ ، والصهيونية غير اليهودية ص ١٨٦ ، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ص ٤٥.

(٥) الصهيونية المسيحية ص٥٨، والبعد الديني في السياسة الأمريكية ص٤٢، والأصولية المسيحية ص٦٥.

الرئيس الأمريكي هاريسون ، وطالبه فيها بـــ((استخدام نفوذه ومساعيه لتحقيق طلبات الإسرائيليين في فلسطين كوطن قديم لهم)) وقد وقع هذه العريضة ٤١٣ شخصية أمريكية بارزة[١].

واصل بلاكستون رسالته الصهيونية المسيحية حتى وفاته عام ١٩٣٥م فبعث إلى هرتزل بنسخة من العهد القديم واضعا ((خطوطا وعلامات تحت النصوص التي تشير إلى استعادة اليهود فلسطين)) ، ولقد حُفظت هذه النسخة من العهد القديم في ضريح هرتزل في القدس ، وزُرعت غابة باسم بلاكستون في إسرائيل فيما بعد تقديرا لذكراه))[٢].

القس : جيري فولويل :

برز جيري فولويل كرجل دين إنجيلي في أواخر الخمسينات ، لكنه لم يدخل الحياة السياسية الأمريكية إلا في أواخر الستينات ، حينما أخذ اعتبارا من عام ١٩٦٧م في بث برنامجه الديني المسموع ((ساعة من إنجيل زمان)) عبر محطات التلفزة[٣].

تصل دروسه التنصيرية الأسبوعية إلى ٥,٦ مليون منزل ((٦,٦ بالمائة من جميع المشاهدين))[٤].

يُعتبر من أبرز قادة الحركة الصهيونية المسيحية الأصولية تأييدا ودعما لإسرائيل. وتعود جذور فكره الصهيوني إلى معتقداته اللاهوتية التوراتية ، إذ يشير في أدبياته باستمرار إلى ما يسميه ((وعد الله لإبراهيم منذ أربعة آلاف عام سأبارك من يبارك إسرائيل وألعن من يلعنها)) ومن هذا الموقف اللاهوتـــي فإنـــه على الولايات المتحدة الأمريكية أن لا تتردد في تقديم كل الدعم المالي والعسكري إلى إسرائيل ، وإنّ دعم أمريكا لإسرائيل ليس لمصلحة إسرائيل ولكن من أجل مصلحة أمريكا نفسها[٥].

وقد اعتبر قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨م ، ليس مفتاحاً للنبوءات التوراتية فحسب ولكن علامة على ما أسماه ((مباركة الله ووفاءه لشعب الله)). ويعتقد أنه لا مجال للنقاش في كون يهودا

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص٤٣ ، والأصولية المسيحية ، جورجي كنعان ص٦٥ ، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، د. سفر الحوالي ص٤٥ ، والصهيونية المسيحية ، محمد السماك ص٥٩.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ٤٤.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٠.

(٤) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ، ص٣١.

(٥) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ١٠٠ ، ١٠١.

والسامرة جزءا من إسرائيل ، وكذلك الجولان ، وأن القدس عاصمة أبدية موحَّدة لإسرائيل. ويكرر أنه يجب أن يكون الدعم لإسرائيل غير مشروط(١).

ويؤكد جيري فولويل من خلال أنشطته المرئية والمسموعة والمقروءة وباستمرار أن :((إعادة تأسيس إسرائيل عند المسيحيين الأصوليين ، هو إيفاء بالنبوءات ، ويجب على كل أمريكي بذل كل جهد ممكن لضمان الدعم الكامل لإسرائيل)).

ولا يكتفي بالحدود الجغرافية الحالية لإسرائيل ، بما فيها الضفة الغربية والجولان ، بل يطالب بامتداد أراضيها من الفرات إلى النيل ، فهو القائل في برنامجه اليومي ((ساعة من إنجيل زمان)) في صيف١٩٨٢م في أثناء غزو إسرائيل للبنان : ((يذكر سفر التكوين من التوراة أن حدود إسرائيل ستمتد من الفرات إلى النيل ، وستكون الأرض الموعودة هي العراق وسوريا وتركيا والسعودية ومصر والسودان وجميع لبنان والأردن والكويت)). فالأصولية الإنجيلية ترى أن كل هذه الأرض أرض كنعان ، إذن فكلها موعودة(٢).

ويهاجم فولويل في برامجه وخطبه الدينية الدول العربية ، ويرى أن ((لا مكان بيننا. ولا علاقات حسنة معهم ، لأنهم ينكرون قيم الولايات المتحدة الأمريكية ، وطريقة معيشتها ويرفضون الاعتراف بإسرائيل))(٣).

وقد منحه رئيس وزراء العدو الصهيوني ((إسرائيل)) مناحيم بيغن ميدالية شرفية رفيعة تحمل اسم : ميدالية فلاد يمير زيف جابوتنسكي -وهو أيديولوجي صهيوني يميني متطرف-(٤).

وخلاصة موقفه من إسرائيل في كلمة يرددها دائما في كتبه ومنشوراته وبرامجه ومقابلاته وخطبه ، وهي أن الوقوف ضد إسرائيل هو معارضة لله(٥).

---

(١) المرجع السابق ص١٠١. القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ص ٥٦.

(٢) المرجعان السابقان ، المرجع الأول ص ١٠٥. و المرجع الثاني الصفحة نفسها.

(٣) يقول د. سفر الحوالي : وهذا اتّباع لما جاء في التوراة من أن هناك سبعة شعوب ملعونة أهمها الشعب العربي. القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ص ٥٧ ، والبعد الديني في السياسة الأمريكية ص ١٠٥.

(٤) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ص ٨٨.

(٥) البعد الديني في السياسة الأمريكية د. يوسف الحسن ص ١٠٠.

يمتلك جيري فولويل : برنامجاً دينياً اسمه ((ساعة من إنجيل زمان)) ، وكنيسة أسماها ((كنيسة شارع توماس المعمدانية)). وفي هذه الكنيسة أجهزة إعلامية ومنظمة سياسية للعمل السياسي ، تضم في أعضائها أكثر من ٦٫٥ ستة ملايين ونصف مليون شخص ، يظهر هذه جليا في جميع أنشطتها مدى تغلغل الأفكار الصهيونية فيها.

وأسس كلية أسماها ((كلية لينشبرغ المعمدانية)) ثم غير اسمها لتصبح ((كلية الحرية المعمدانية)) ثم طورها إلى جامعة أسماها ((جامعة الحرية)) يلتحق بها ٦٥٠٠ طالب ويتعلم فيها الطلبة ((علوم اللاهوت من وجهة نظر يهودية)) من خلال =

القس : بات روبرتسون :

من خلال برنامجه الشهير في أمريكا المسمى بـــ((نادي السبعمائة)) الذي يصل إلى أكثر من ١٦مليون عائلة ، أي أكثر من ١٩بالمائة من الأمريكيين الذي يملكون أجهزة تلفزيون[(١)].

ومن خلال غيره من البرامج والأنشطة كان روبرتسون يوضح باستمرار مواقفه الموالية والمؤيدة لليهود وللكيان الصهيوني ((إسرائيل)) في فلسطين المحتلة ، المبنية على عقيدته الصهيونية المسيحية.

وكان يُكثر في خلال تلك البرامج والأنشطة من القراءات التوراتية ، ومن الحديث عن التراث المسيحي -اليهودي المشترك ، وذِكر الأيام الأخيرة من هذا الزمان ، والمجيء الثاني للمسيح، وكان الإجابة عنده حول هذه القضايا وغيرها تتمحور في أن إعادة مولد إسرائيل هي الإشارة الوحيدة لبداية العد التنازلي لبقية النبوءات التوراتية[(٢)].

وإن تصميمه على العمل لصالح إسرائيل كبير جدا ، فكان يقول : ((لقد أقسمت نذرا لله ، بأنه رغم المعارضة لإسرائيل من حولي ، فإننا سنقف بجانب إسرائيل مهما يكن)).

قام في ٢٨ تموز/ يوليو ١٩٨١م باستضافة مخرج الفيلم اليهودي ((تفاحات الله)) -وهذا الفيلم عبارة عن فيلم وثائقي عن تاريخ الصهيونية وقيام إسرائيل- وقد قدم المخرج قائلا : ((نعرف نحن المسيحيين من صميم قلوبنا ، أن الله يقف بجانب إسرائيل وليس بجانب العرب الإرهابيين))[(٣)].

= المفاهيم الصهيونية لمسائل إسرائيل واليهود مختلطة بدعاوى وذرائع سياسية وإستراتيجية معاصرة. وتوفر هذه الجامعة مناخا دينيا مسيحيا لطلبتها. وتشمل برامج الدراسة في هذه الجامعة العديد من التخصصات مثل الكيمياء والمحاسبة وعلم الأحياء والتربية والعلوم السياسية وغيرها. وتمنح دبلوم الدراسات التوراتية. وهناك سبعة مقررات دينية تعليمية إجبارية في جميع التخصصات في الجامعة منها مقررين تعليميين في العهد القديم ومقررا تعليميا في مذهب ((العصمة الحرفية للكتاب المقدس)).

وأسس أيضا منظمة ((الأغلبية الأخلاقية)) وتنظر هذه المنظمة إلى مسألة دعم إسرائيل كأحد أهم بنود برامجها. وكل هذه الأنشطة والهيئات التي يمتلكها فولويل تعمل على مصلحة دولة العدو اليهودي الصهيوني ((إسرائيل)) انطلاقا من العقائد الصهيونية المسيحية.

لذلك أقام الصندوق القومي اليهودي في نيويورك في مطلع عام ١٩٨٠م حفلا لتكريم فولويل وقدمت له ميدالية زعيم الصهيونية جابوتنسكي. كما زرعت إسرائيل غابة باسم جيري فولويل في أحد جبال القدس. البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ١٠٠-١١٢.

(١) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ، ترجمة محمد السماك ص٢٩.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ١١٥.

(٣) المرجع السابق ص ١١٥.

وفي أثناء غزو إسرائيل للبنان في صيف عام ١٩٨٢م ، طلب روبرتسون في برنامجه ((السبعمائة ناد)) إلى المشاهدين أن ((يكتبوا إلى الرئيس ريغان ، ويدعوا أعضاء الكونغرس إلى حث إسرائيل على مواصلة غزوها للبنان ، إلى الحد الذي تراه إسرائيل ضروريا)).

وكان يعتبر أن استيلاء إسرائيل على القدس في حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧م ((أهم حدث تنبوئي في تاريخ حياتنا ، وأن زمان غير اليهود قد قارب على النهاية ، وأن شبكته الإذاعية ستكون جزءا حيويا من حركة الإله نحو دعم إسرائيل)).

وكان روبرتسون ضمن الوفد الرسمي الأمريكي لنائب الرئيس جورج بوش في زيارته الرسمية إلى السودان في شباط / فبراير ١٩٨٥م. وقد وُقِّع على إثرها اتفاق أمريكي-سوداني بترحيل يهود أثيوبيا ((الفلاشا)) إلى إسرائيل[١].

وهاجم في افتتاح قناته التلفزيونية رقم ١٢ المسماة ((نجمة الأمل)) في جنوب لبنان ، الإسلام والعرب. وأن الشر الكبير لدى العرب لأنهم أعداء إسرائيل. وكان ينظر إلى العرب على أنهم أعداء الله ، لأن صراعهم ضد إسرائيل ومعارضتهم لها هو تحدٍّ لإرادة الله[٢].

---

(١) المرجع السابق ص١١٦-١١٧.

(٢) المرجع السابق ١١٦-١١٨.

والقنوات التي يمتلكها روبرتسون وتعتبر منبراً للدفاع عن دولة العدو الصهيوني ((إسرائيل)) الجاثم على صدر الأمة الإسلامية . هذه القنوات هي :

في عام ١٩٦١م قام بشراء محطة تلفزة في مدينة بورتسموث في فرجينيا وأصبحت الآن شبكة واسعة من المحطات ، تغطي الولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى ٦٠ دولة أجنبية ، وتستخدم قمرا صناعيا في البث الإذاعي والتلفزيوني.

ويملك شبكة إعلامية أسماها ((شبكة الإذاعة المسيحية)) ((CBN)) وهي من بين الشبكات الأكثر حداثة وتجهيزا في عالم التلفزة ، وتقع على رأس قائمة أهم الشبكات المسيحية المرئية والمسموعة وأكثرها اجتذابا للمشاهدين. كما تحتل الموقع الرابع بعد شبكات التلفزة الرئيسية الثلاث في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويملك جامعة معتمدة منذ عام ١٩٧٧م هي جـــامعة ((CBN)) وهي تمنح درجة الماجستير إضافة إلى الشهادات الجامعية الأخرى وفيها كليات للإعلام والتربية وإدارة الأعمال والقانون والدراسات التوراتية.

وأبرز أنشطة روبرتسون وأكثر منابره تأثيرا وجماهيرية برنامج الكنيسة المرئية المسمّى ((نادي السبعمائة)) ويذاع عدة مرات يوميا في محطات البث العادية وبخاصة القناة رقم ١٠ ، وأربع مرات يوميا من خلال شبكة سي. بي. إن ((CBN)) ويجذب هذا البرنامج ٤ ملايين و٤٠٠ ألف شخص يوميا ، وبخاصة في قطاع النساء ، فضلا عن المشاهدين في سن الشباب.

ونتيجة لاهتمامه الخاص بإسرائيل -فضلاً عن منابره السابقة- فقد قام في ١٩٨٢/٤/١٠م بامتلاك وإدارة القناة التلفزيونية رقم ١٢ المسماة ((نجمة الأمل)) في جنوب لبنان. وتبث هذه المحطة التلفزيونية إرسالها في المنطقة التي يسيطر عليها الجيش المنشق عن الجيش اللبناني ، بقيادة الرائد سعد حداد ((ومن بعده انطوان لحد)) المتعاون مع إسرائيل. =

القس : جورج أوتيس :

هو أحد القياديين في الكنيسة المرئية والصهيونية المسيحية المنظّمة. يترأس منظمة سياسية دينية تسمى ((رعوية المغامرة الكبرى)). وتؤمن هذه المنظمة بمبدأ عصمة التوراة ، وبدور إسرائيل الحديثة في تقريب موعد العودة الثانية للمسيح ، وبالالتزام بدعم إسرائيل والدفاع عن سياستها ، وموضوعات وأحاديث هذه المنظمة في مضمونها صهيـــونية سياسية ، مع أجزاء ثانوية حول المسيحية وإرشاداتها، والتي لا تخرج عن تفسيرات التوراة بما يخدم غرض دعم إسرائيل ومساعداتها، ومهاجمة من يعترض طريقها[1].

وقد كانت هذه المنظمة ((رعوية المغامرة الكبرى)) من بين المنظمات الصهيونية المسيحية التي صاغت وموّلت الإعلانات باهظة الثمن في كبريات الصحف الأمريكية عقب غزو إسرائيل لبنان في صيف ١٩٨٢م. ومما جاء في هذه الإعلانات : ((نحن ملتزمون بأمن إسرائيل ، كما نؤمن بأن كل الأرض المقدسة هي ميراث للشعب اليهودي غير قابل للنقل أو التصرف ، وهو الوعد الذي أُعطي إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولم يُلغ قط. كما أن إنشاء إسرائيل الحديثة هو إيفاء لا ينازع للنبوءة التوراتية ونذير بمقدم المسيح ، ونعتقد أن اليهود في أي مكان مازالوا هم شعب الله المختار وأن الله يبارك من يباركهم))[2].

ومن أبرز أنشطة هذا الرجل أنه انخرط انخراطا مباشرا في الصراع العربي-الإسرائيلي ، بالتواجد المادي الملموس على أرض الصراع في جنوب لبنان. فقد عمل على تكوين أول محطة إذاعية صهيونية مسيحية تفتح في الشرق الأوسط ، أطلق عليها اسم ((صوت الأمل)) وهي محطة إذاعية في ٩ أيلول / سبتمبر ١٩٧٩م. وكشف أوتيس عن دور إسرائيل فـــي إقامة هذه المحطة بقوله : ((إنّ مساندة إسرائيل كانت معجزة ، فهل تصورتم أنه سيأتي اليوم الذي يدفعنا فيه اليهود إلى إقامة محطة مسيحية)). ثم افتتح محطة مرئية أطلق عليها اسم ((نجمة الأمل)) وكان يسميها أحيانا ((تلفزيون الشرق الأوسط)) وكان ذلك في ١٩٨١/٣/٨م وهي المحطة التي اشتراها القس بات روبرتسون فيما بعد.

= المرجع السابق د.يوسف الحسن ص١١٢-١١٨ ، والأصولية المسيحية جورجي كنعان ص٨٧ ، والنبوءة والسياسة غريس هالسل ص ٢٩-٣٠.

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د.يوسف الحسن ص ١١٨-١٢٠.

(٢) (New York) ١٩٨١ November ١١ نقلاً عن المرجع السابق ص١١٩.

وفي أحد البرامج لهذه المحطة قام أوتيس بقراءة نصوص توراتية ، موضحا من خلالها أن ((مجد هذا البيت الأخير ، سيكون أعظم من البيت السابق)) وهي مقارنة بين إسرائيل المعاصرة وملوك بني إسرائيل الواردة أخبارهم في الكتب الدينية المقدسة عندهم(١).

القس : مايك إيفانز :

((مايك ايفانز يهودي تنصّر من أجل مساعدة شعبه))(٢).

وهو الوحيد من بين المسيحيين الأصوليين من أم يهودية. ويرى نفسه في مهمة ربانية ، لحث الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل على العمل معا من أجل الله(٣).

ويعتبر مايك إيفانز من أكثر الأصوليين إعلانا عن علاقاته بإسرائيل.

من أبرز برامجه ((إسرائيل : مفتاح أمريكا للبقاء)) وقد اعتاد أن يستضيف فيه قيادات الحركة الصهيونية المسيحية ، والحركة الصهيونية اليهودية ، ومسئولين إسرائيليين ، فيتحدثون عن الدور الحاسم الذي تلعبه إسرائيل في المصير الروحي والسياسي للولايات المتحدة الأمريكية(٤).

ورغم أن لهذا البرنامج بعدا سياسيا واضحا فإنه يصنف من قبل المسئولين في أمريكا ضمن البرامج الدينية ، حتى يضمن بثه مجانا من محطات التلفزيون المحلية في أكثر من٢٥ ولاية، بالإضافة إلى شبكة البث المسيحية للمشتركين ((بواسطة الكابلات))(٥).

أنتج إيفانز بالتعاون مع قيادات صهيونية مسيحية أخرى فيلما تلفزيونياً أسماه ((القدس دي. سي.)) ، مستخدماً حرفي دي. سي أي عاصمة داود. ليرتبط هذا الاسم في أذهان الأمريكيين بحرفي دي.سي. أي مقاطعة كولومبيا في واشنطن العاصمة ، بهدف ترسيخ الانطباع عند الشعب الأمريكي بأن القدس هي عاصمة إسرائيل مثلما أن واشنطن هي عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية(٦).

ومن أقواله : ((إن الكتاب المقدس يقول : إن الله أعلن القدس عاصمة في أيام الملك داود عند ما طلب من سليمان أن يبني المعبد هناك. وسنصلي من أجل سلام القدس وازدهارها)).

---

(١) المرجع السبق ص ١١٩-١٢٠.

(٢) النبوءة والسياسة ص ١٩٢.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ١٢٢.

(٤) المرجع السابق.

(٥) النبوءة والسياسة ص١٩٣.

(٦) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ١٢٣.

((ولقد وُعدت إسرائيل بهذه العاصمة في الكتاب المقدس. وأعيدت هذه المناطق إليها تاريخيا بواسطة الإنكليز))[1].

وعمل على استخراج بيان دولي بتوقيع المتبرعين لأنشطته -وصل عددهم إلى أكثر من مليون أمريكي- هذا البيان موجه إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، ورئيس وزراء إسرائيل ، ومما جاء فيه : ((نحن نؤمن بأن القدس تخص الله القدير ، وأن كلمة الله غير قابلة للتفاوض. ونحن نؤمن علاوة على ذلك بأن الكتب المقدسة تعترف بالقدس عاصمة روحية لإسرائيل ، وبأن المسيح سيعود إليها كذلك. من أجل هذا قد تعاهدنا على الصلاة من أجل شعب إسرائيل ، والوقوف معه في كفاحه من أجل الحرية والسلام. ونحن نؤمن بكلمة الله حينما تقول : سوف أبارك من يباركهم وألعن من يلعنهم. نحن نؤمن بأنه يتوجب على أمريكا الوقوف بجانب إسرائيل. وكلمة الله تعرف بالقدس وعلينا واجب الاعتراف بكلمة الله))[2].

كما بث في شباط / فبراير١٩٨٦م برنامجا جديدا حول عودة المسيح الثانية ، ودور إسرائيل في تقريب موعد هذه العودة وأسماه ((العودة))[3].

ج) بعض المنظمات والهيئات .

وصل عدد المنظمات والهيئات النصرانية المتصهينة المؤيدة للصهيونية اليهودية في أمريكا إلى مائتين وخمسين منظمة في اواخر الثمانينات ، وهي تقوم بحرب مكشوفة على المسلمين في أمريكا وتشدد على ضرورة وضع حد لتزايد أعداد المسلمين ونفوذهم في المجتمع الإمريكي ، وتقوم بحملات محمومة لجمع التبرعات من النصارى الإمريكيين لصالح اليهود بهدف الإسراع بتنفيذ مخطط هدم المسجد الأقصى المبارك لتشييد ((الهيكل الثالث)) على أنقاضه ، ولإكمال حملة الإستيطان اليهودي في الأراضي الفلسطينية[4]

ومن أهم هذه المنظمات الصهيونية النصرانية :

---

(١) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ، ترجمة محمد السماك ص١٩٨،١٩٧.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ١٢٥.

(٣) المرجع السابق ص١٢٦.

(٤) من دراسة قدمها الدكتور يوسف الحسن إلى ندوة ((الإعلام الصهيوني ومتطلبات المواجهة العربية)) التي نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، نقلاً عن كتاب الخلفية التوراتية للموقف الإمريكي ص ١٩٥ لإسماعيل الكيلاني .

السفارة المسيحية الدولية – القدس :

تمّ إعلان تأسيس هذه المنظمة في ٣٠ أيلول / سبتمبر ١٩٨٠م ، في مدينة القدس المحتلة ، في القسم الغربي منها ، وبحضور أكثر من ألف رجل دين مسيحي ، يمثلون ٢٣ دولة ، إضافة إلى عدد من كبار المسئولين الإسرائيليين. ولها في الولايات المتحدة الأمريكية ٢٠ فرعا ، واتخذت من مدينة مونتريت في ولاية كارولينا مقرا رئيسا لإدارة هذه الفروع.

وجاءت ولادة هذه المنظمة الصهيونية المسيحية الأصولية تأكيدا لأهمية -ما يزعمون- وهو العمل المسيحي نيابة عن إسرائيل.

وجاء تأسيسها مباشرة إثر قيام ١٣ دولة أجنبية بنقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب ، كتعبير عن رفضها القرار الإسرائيلي -بأن أعلنت القدس عاصمة موحّدة وأبدية لإسرائيل في صيف عام ١٩٨٠م- ويديرها أصوليون متعصبون ، ممن يحملون مشاعر العداء تجاه الدين الإسلامي وتجاه العرب والمسلمين بشكل عام ، وتجاه الفلسطينيين بشكل خاص ، وقد نادت في أول نشراتها الإخبارية لـــ ((قنصليتها)) في القدس : ((ليكن دعاؤكم ضد روح الاسلام)) و ((أن الأرواح الشريرة في الإسلام مسؤولة عن العبودية الروحية في العالم العربي ، وعن موقف العداء الشديد لإسرائيل في جميع أمم الشرق الأوسط وأمم أخرى في العالم أغلبيتها من المسلمي، وعن فكرة ((الإبتزاز النفطي)) ضد أمم العالم التي تنساند إسرائيل ، وعن السخرية الكبيرة من الله ... فهناك مسجد إسلامي في أقدس بقعة ، وهي جبل موريا وهذا وصمة للموقع المقدس للهيكل ، وعن تدمير النصارى اللبنانيين، وقتل مئات الآلاف من النصارى منذ عشرة أعوام))(1).

ويقول المنشور التأسيسي لهذه المنظمة الصهيونية المسيحية : ((إنه من الواضح أن الله وحده هو الذي أنشأ هذه السفارة المسيحية الدولية في هذه الساعات الحرجة من أجل تحقيق الراحة لصهيون واستجابة حب جديدة لإسرائيل)).

وقد اختصر مدير السفارة أهدافها بقوله : ((إننا صهاينة أكثر من الإسرائيليين أنفسهم ، وإن القدس هي المدينة الوحيدة التي تحظى باهتمام الله ، وإن الله قد أعطى هذه الأرض لإسرائيل إلى الأبد)).

---

(١) المنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل ص ٢٧٨ ـــ ٢٧٩ لي أوبرين ، ترجمة د. محمود زايد ، والبعد الديني في السياسة الأمريكية ، د.يوسف الحسن ص ١٢٩ ، وقبل أن يهدم الأقصى، عبدالعزيز مصطفى ص ١٧٤ ، والاختراق الصهيوني للمسيحية القس إكرم لمعي ص١٤١.

ويرى أعضاء هذه السفارة أنه إذا لم تبق إسرائيل فإنه لا مكان للمسيح عند مجيئه الثاني. ولا تكتفي هذه المنظمة بدعمها وجود إسرائيل ، بل تدعم سياساتها التوسعية ، بما فيها اعتبار الضفة الغربية وغزة حقوقا أعطاها الرب للشعب اليهودي(١).

وأعلنت هذه السفارة إثر بدء أعمالها عن أهداف سبعة لها ، خصصت ستة أهداف منها لإسرائيل والشعب اليهودي ، أما الهدف السابع فقد كان للوعظ المسيحي الموجّه إلى اليهود -أي تنصير اليهود في أرض فلسطين ، وهذا التنصير لليهود تقدمة لمجيء المسيح الثاني- ولكن تحت ضغوط اليهود المتعصبين في إسرائيل ، تم إسقاط هذا الهدف ، وبقيت الأهداف الستة التي تتمحور حول تحالف سياسي وثيق مع الصهيونية.

ويمكن تلخيص هذه الأهداف فيما يلي :

أ) إبداء الاهتمام البالغ بالشعب اليهودي، وبدولة العدو اليهودي الصهيوني ((إسرائيل)) .

ب) تذكير وتشجيع المسيحيين للصلاة من أجل القدس ، وأرض إسرائيل ((فلسطين المحتلة)).

ج) تعليم المسيحيين في جميع أنحاء العالم وتثقيفهم بكل ما يجري في إسرائيل ((فلسطين المحتلة)).

د) حث القيادات المسيحية والكنائس والمنظمات الدينية على ممارسة النفوذ المؤثرة في بلادها لمصلحة إسرائيل والشعب اليهودي.

هـ) إنشاء مشروعات أو مساعدة مشروعات إسرائيل بما فيها المشاريع الاقتصادية لمصلحة رفاهية اليهود في إسرائيل.

و) ممارسة نفوذ وفاقي بين العرب واليهود(٢).

عقدت هذه السفارة أول مؤتمر صهيوني مسيحي دولي لها ، في المكان نفسه الذي انعقد فيه أول مؤتمر صهيوني يهودي في مدينة بازل في سويسرا في ١٨٩٧م. وقد دعت هذه السفارة لعقده في الفترة من ٢٧-٢٩ آب /أغسطس ١٩٨٥(٣).

وبعد ٨٨ سنة ، وفي بازل السويسرية ، وأمام لوحة كبيرة لهرتزل ، قام خطباء مسيحيون ويهود إسرائيليون يردّدون بابتهال نداء هرتزل : إن كل العالم يكره اليهود. وإنه طوال التاريخ

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ١٣٠.

(٢) المرجع السابق ، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، د. سفر الحوالي ص ٦٤

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص١٣٣.

كرهت شعوب العالم اليهود. وإنه يوجد حلّ واحد : إن على اليهود أن يعيشوا بشكل كامل بين اليهود ، وأن يكونوا أقوياء عسكرياً[1].

ويقول أحد المشاركين في هذا المؤتمر وهو القس الأمريكي ديفيد لويس رئيس منظمة ((مسيحيون متحدون لأجل إسرائيل)) : ((لقد بدأ الآن أعظم حوار لاهوتي في تاريخ المسيحية ، داخل الكنائس ، حول العلاقات المسيحية اليهودية ووحدة المسيحية واليهودية ، ودعم المطالبة باعتراف الفاتيكان بإسرائيل))[2].

وحثّ المسيحيون إسرائيل على ضمّ الضفة الغربية بسكاها المليون فلسطيني تقريبا إلى باقي الأجزاء التي احتلتها إسرائيل من فلسطين المحتلة. وقبل التصويت على ذلك وقف يهودي إسرائيلي كان جالسا بين الحضور وأشار إلى أن استقصاءً للرأي في إسرائيل أظهر أن ثلث الإسرائيليين يُفضّلون مقايضة الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧م بالسلام مع الفلسطينيين. فرد عليه ديرهوفن – الناطق باسم هذه السفارة– قائلا : ((إننا لا نهتم بما يصوّت عليه الإسرائيليون ، إننا نهتم بما يقوله الله ، والله أعطى هذه الأرض لليهود)).

ويتضح من وثائق وأنشطة هذه السفارة حرصها على إبراز اتجاهاتها الصهيونية دون مواربة[3].

المائدة المستديرة الدينية :

تأسست هذه المنظمة في أيلول / سبتمبر ١٩٧٩م بواسطة عدد من القيادات المسيحية الأصولية والسياسية ، من أمثال القس جيري فولويل والقس بول يريش –رئيس منظمة سياسية يمينية محافظة تسمى ((لجنة إبقاء كونغرس حر))– وقد ترأس هذه المنظمة أحد القساوسة ويدعى ((إدوارد ماك أتير))[4].

أهم أهدافها : تنظيم لقاءات ، وإعداد ندوات بين القيادات السياسية والدينية وذلك من أجل الدولة اليهودية ((إسرائيل)) وقد حضر إحداها رونالد ريغان عام ١٩٨٠م وكان حينئذ مرشحا للرئاسة[5].

---

(١) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ، ترجمة محمد السماك ص ١٣٢.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ١٣٣.

(٣) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ترجمة محمد السماك ص١٣٣-١٣٤.

(٤) المنظمات اليهودية الإمريكية ص٢٨١ ، والبعد الديني في السياسة الأمريكية ص١٣٦ ، والأصولية الإنجيلية ص٦٧، وقبل أن يهدم الأقصى ص١٧٥.

(٥) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص ١٣٧ ، والأصولية الإنجيلية ص ٦٧.

وأبرز أنشطة هذه المنظمة حفلات الإفطار السنوية التي تقيمها للصلاة من أجل إسرائيل ودعم سياساتها وأغراضها. ودرجت على إصدار بيان عقب الصلاة تبارك فيه إسرائيل باسم ما يزيد على ٥٠ مليون مسيحي يؤمنون بالتوراة في الولايات المتحدة الأمريكية. ويتضمن البيان الصادر عن هذا اللقاء والذي تحضره قيادات سياسية ودينية ورجال أعمال بارزون وممثلون عن الحكومة الأمريكية دعما واضحا لسياسات إسرائيل.

ففي مؤتمر ((مائدة إفطار وصلاة من أجل إسرائيل)) لعام ١٩٨٣م والذي عُقد في العاصمة الأمريكية تضمّن البيان نقاطا دينية وسياسية وعسكرية لمصلحة إسرائيل كان من بينها :

أ – دعوة للتعاون الإستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، وقد أعقب ذلك قراءة مختارات من التوراة تؤكد حق اليهود في أرض فلسطين.

ب- دعوة لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس ، إذ رأى البيان أن حدود الأرض المقدسة التي رسمها الكتاب المقدس ، لا يمكن أن تغيّرها رمال المقتضيات السياسية والاقتصادية المتحركة[1].

وفي الأول من شباط / فبراير١٩٨٤ عملت المنظمة حفلة أخرى ((صلاة إفطار لمصلحة إسرائيل)) ، وكان الحديث في هذه الصلاة يدور حول : العلاقات الميثاقية بين الله والشعب اليهودي ، وعن ((المسئولية الفريدة من نوعها الملقاة على عاتق المسيحيين للوقوف بجانب إسرائيل، تنفيذا لهذا الميثاق التوراتي)).

وتشارك هذه المنظمة في تنظيم الرحلات والزيارات من الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل ، وتقوم بإرسال البرقيات والرسائل إلى مراكز القرار السياسي الأمريكي لمصلحة إسرائيل.

يعني أن الحديث عن دعم إسرائيل وأمنها وعاصمتها الموحدة ، هو محور منشورات هذه المنظمة ونشاطها[2].

مؤسسة جبل المعبد (الهيكل) :

ومن أقوى المنظمات الصهيونية المسيحية هذه المنظمة التي تسمى ((مؤسسة جبل المعبد (الهيكل) ، وتتخذ من ولاية كالفورنيا مقراً لها ، وتتفرّع عنها عدة لجان ومنظمات ومعاهد لخدمة هدفها التي أُنشئت من أجله وهو بناء الهيكل الثالث ــ المزعوم ــ في القدس ، من بينها ((المنتدى الأمريكي للتعاون المسيحي اليهودي)) ، و ((معهد البحث عن المعبد في القدس)) .

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن ص ١٣٧.

(٢) المرجع السابق ص١٣٧ ، ١٣٨.

وقيادة هذه المنظمة قيادة ثلاثية ، وهم مؤسسها الأول تيري رايزنهوفر وهو رجل مسيحي إنجيلي متعصب من الأثريا (تاجر أراضي وبترول) ، ورجل أعمال آخر من كالفورنيا يدعى تشاك كريغر ورجل دين بروتستانتي أصولي يدعى جيمس ديلوش .

وقد برزت نشاطات هذه المنظمة في مطلع عام ١٩٨٣م حينما دافعت عن المعتقلين اليهود الذين قاموا بتخريب واتلاف أجزاء من المسجد الأقصى في ١٠ آذار / مارس ١٩٨٣م ، وقالت عنهم في منشور نشرته صحيفة ((جيروسالم بوست)) : ((أنهم أبناء إسرائيل المخلصون)) .

وتعقد هذه المنظمة مآدب إفطار صلاة من أجل إسرئيل في أمريكا يشارك فيها شخصيات بروتستانتية أصولية ويهود والسفير الإسرائيلي المعتمد لدى الولايات المتحدة الإمريكية . وفي مأدبة في بدايات عام ١٩٨٤م طالبت هذه المنظمة على لسان رئيسها رايزنهوفر بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

ويبعث أثريا أمريكيون تبرعات مالية معفاة من الضرائب إلى الدولة اليهودية عبر هذه المنظمة . ويقول عذو الكنيست الإسرائيلي ياهودا بيراش : ((إن لدى مؤسسة جبل المعبد الآن عشرات الملايين من الدولارات ، كما أم أكثر من ٢٠ صاحب ملايين أمريكي مستعدون لتدعيم هذه المؤسسة بمساعدات مالية اضافية)) . وهي من جانبها تقوم بتقديم المساعدات المالية لتدريب عدد من الكهنة اليهود على كيفية خدمة الهيكل في القدس الذي تنوي بناءه .

تتمتع هذه المنظمة بصلات واسعة مع المنظمات والقيادات الصهيونية المسيحية ، ولها منافذ مفتوحة على البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية[1] .

هذه أسماء بعض الشخصيات والمنظّمات في الولايات المتحدة الأمريكية التي آمنت بالمعتقدات البروتستانتية ، والتقاليد التوراتية ، وتفسيرات العهد القديم ، وعملت على تطبيق هذه المعتقدات في الواقع ، ومن نتائجه حصول اليهود على فوائد ومكاسب ضخمة وعلى رأسها إقامة دولتهم في أرض لا تحل لهم ((أرض فلسطين المسلمة)) ، ودعم الدول النصرانية لهم على ما يشاء اليهود بدون مساءلة أو استفسار ، على حين غفلة المغفلين من النصارى ، والمستغفلين من المسلمين.

---

[1] البعد الديني في السياسة الأمريكية ص١٣٨ ــ١٤١ د. يوسف الحسن ، والمنظمات اليهودية الأمريكية ونشاطاتها في دعم إسرائيل ص ٢٨٣ لي أوبرين ، وقبل أن يهدم الأقصى ص ١٧٦ عبد العزيز مصطفى كامل .

الباب الثاني : تفنيد وعد اليهود بفلسطين وإثبات بطلانه

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : إثبات وقوع التبديل والتحريف في أسفار اليهود [العهد القديم] .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : إثبات وقوع التبديل والتحريف في أسفار توراة [موسى] الخمسة.

المبحث الثاني : إثبات وقوع التبديل والتحريف في باقي أسفار العهد القديم.

الفصل الثاني : إثبات بطلان هذا الوعد.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : إثبات بطلان هذا الوعد من خلال أسفارهم [الحجة الدينية].

المبحث الثاني : إثبات بطلان هذا الوعد من الناحية التاريخية [الحجة التاريخية].

الفصل الأول
إثبات وقوع التبديل والتحريف في أسفار اليهود ((العهد القديم))

المبحث الأول : إثبات وقوع التبديل والتحريف في أسفار توراة ((موسى)) الخمسة

العهد القديم عند اليهود ، كتابهم المقدس يضم عقائدهم وشرائعهم وتاريخهم.

وأسفار موسى الخمسة (التوراة) تمثل الجزء الأول والأهم من أسفار العهد القديم. وقد ذكر القرآن الكريم أن الله قد أنزل كتابا على موسى عليه السلام **﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** (١) **﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾** (٢).

ولكن هل الكتاب (التوراة) الذي ذكر في القرآن الكريم أنه أنزل على موسى عليه السلام ، هو التوراة (الأسفار الخمسة) الموجودة في ثنايا العهد القديم عند اليهود. خاصة أن اليهود يعتبرون أن هذه التوراة (أسفار موسى الخمسة) وباقي أسفار العهد القديم هي نفسها التي كتبها الأنبياء ، حيث يقول أحدهم -بعد ما ساق بعض الأدلة على وحي الكتاب- : ((لم يبق مفر من التسليم بأنه الكتاب المقدس الموحى به من الله ، وأن فكرة وجود كتاب مقدس غيره مفقود ، هي وليدة الوهم والادعاء)) وقال أيضاً : ((فالتوراة بكل كتبها المقدسة هي بعينها كما صدرت من أيدي كاتبيها)) (٣).

فلنجب عن هذا السؤال ببيان ضياع التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام من واقع نصوص أسفار العهد القديم ومنها الأسفار الخمسة التي يقول اليهود إنها لموسى عليه السلام والتي يؤمنون بها.

جاء في الرواية اليهودية أن موسى عليه السلام تلقى التوراة ابتداء مشافهة من الرب ، ثم سجلها كتابة بعد أن قرأها على قومه ، فقالوا : كل ما تكلم الرب نفعل ونسمع له ((فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل فكتب موسى جميع أقوال الرب وأخذ كتاب العهد وقرأ في

---

(١) سورة الإسراء آية ٢.

(٢) سورة آل عمران الآيات ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٣) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ص ٦٨ د. يحيى ربيع.

مسامع الشعب. فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له ، وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال))[1].

ولكن جاء في السفر نفسه من هذه الرواية وفي الصفحة نفسها أن الرب أعطى موسى الشريعة والوصية وهي مكتوبة. ((وقال الرب لموسى اصعد إليّ إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم))[2] ، ((ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل. وكان موسى في الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة))[3].

فأمره الرب أن يأمر بني إسرائيل فيصنعوا تابوتا من خشب السنط ، بيّن له أوصافه ، ليضع فيه موسى الشهادة التي سيعطيه الرب إياها[4] ، كما أمره أيضا أن يقرب أخاه هارون عليه السلام وبنيه من بين بني إسرائيل ليكونوا كهنة لله ، وأمره أن يصنع لهم ثيابا مقدسة خاصة بهم ، بيّن وصفها[5] ((ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحي الشهادة ، لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله))[6] ((فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده. لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين. واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين))[7] ومن هذه النصوص يتبيّن أن ما كتبه الرب هو لوحا الشهادة أما الوصية فليس لها ذكر هنا. وحينما رجع موسى عليه السلام إلى قومه وجدهم يرقصون حول العجل ((فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أصف الجبل))[8] وجاء فيها أن الرب قال لموسى بعد ذلك ((انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين. فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما ، واصعد في الصباح إلى جبل سيناء ، وبكر موسى في الصباح وصعد إلى جبل سيناء كما أمره الرب وأخذ في يده لوحي الحجر))[9] ((وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات. لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك ومع

(١) خروج ٢٤ : ٣-٨.

(٢) خروج ٢٤: ١٢.

(٣) خروج ٢٤: ١٨.

(٤) خروج ٢٥: ١٠-٢١.

(٥) خروج ٢٨: ١-٤٣.

(٦) خروج ٣١: ١٨.

(٧) خروج ٣٢: ١٥-١٦.

(٨) خروج ٣٢: ١٩.

(٩) خروج ٣٤: ١-٤.

إسرائيل. وكان هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء. فكتب على اللوحين كلمات العهد : الكلمات العشر))[١].

ثم جاء بعد ذلك ((وكتب موسى هذه التوراة ، وسلمها للكهنة بن لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل ، وأمرهم موسى قائلا في نهاية السبع السنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال حينما يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره نقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم أجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذي في أبوابك لكي يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب إلهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة))[٢].

ثم بين عليه السلام نفسيات هؤلاء القوم ، وعدم صلاحيتهم للقيام بهذه المهمة وتأدية تلك الأمانة، حيث قال لهم : ((لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هو ذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحريّ بعد موتي. اجمعوا إلي كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض ، لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب))[٣].

وبعد وفاة موسى عليه السلام ، تم الأمر لخليفته يشوع بن نون ، فبنى ((مذبحا للرب إله إسرائيل ، كما هو مكتوب في سفر توراة موسى. مذبح حجارة صحيحة وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل. وجميع إسرائيل وشيوخهم والعرفاء وقضاهم وقفوا جانب التابوت من هنا ومن هناك مقابل الكهنة اللاويين حاملي تابوت عهد الرب، وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة. لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأها يشوع قدام كل جماعة إسرائيل))[٤].

ولكن العجيب والغريب أنه جاء في الرواية اليهودية أن يشوع : ((جمع جميع أسباط إسرائيل[٥] ، وقطع عهدا للشعب في ذلك اليوم وجعل لهم فريضة وحكما في شكيم وكتب يشوع

---

(١) خروج ٣٤: ٢٧-٢٨.

(٢) تثنية ٣١: ٩-١٢.

(٣) تثنية ٣١: ٢٧-٢٩.

(٤) يشوع ٨: ٣٠-٣٥.

(٥) يشوع ٢٤: ١.

هذا الكلام في سفر شريعة الله[1]. وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع))[2].

ويظهر من هذه النصوص المقدسة عندهم أن يشوع بن نون عليه السلام -على زعمها- أضاف فرائض وأحكاما جديدة إلى التوراة التي سلمها موسى إليهم. ولعلها تكون أول إضافة إلى هذه الأسفار بعد موت موسى عليه السلام. ولم يرد في الرواية اليهودية ذكر لقراءة التوراة بعد هذه القراءة التي قام بها يشوع بن نون عليه السلام ، وبعد عصر يشوع جاء حكم قضاة من الكهنة على بني إسرائيل ، وفي هذا العصر من الرذائل والمنكرات بل من الارتداد والوثنية ، مما أضعف حكم بني إسرائيل على الأراضي المقدسة ، وجعلهم في معارك دائمة مع جيرانهم من أهل فلسطين.

وفي إحدى المعارك التي جرت بين بني إسرائيل والفلسطينيين ، انكسر بنو إسرائيل وهربوا ، فاستولى الفلسطينيون على التابوت وما فيه من لوحي الحجر ونسخه التوراة ، وظل التابوت في بلادهم سبعة أشهر[3].

أعاد الفلسطينيون التابوت بمحض اختيارهم وإرادتهم ، لما حصل لهم من شرور في مدة مكوث التابوت عندهم ، فأرجعوه إلى بني إسرائيل مع قربان إثم لرب إسرائيل[4].

لم تذكر الرواية اليهودية ماذا حل بالتوراة التي في داخل التابوت في فترة مكوث التابوت عند الفلسطينيين.

وبعد عصر القضاة جاء حكم الملوك علي بني إسرائيل ، وجاء في الرواية اليهودية أن في هذا العصر وفي عهد داود عليه السلام تم نقل التابوت إلى مدينته في احتفال عظيم[5].

وفي عهد سليمان عليه السلام ، ذكرت الرواية اليهودية ما مفاده : أن سليمان عليه السلام جمع شيوخ إسرائيل في العيد لوضع تابوت عهد الرب في محراب البيت في قدس الأقداس ، وحمل الكهنة التابوت وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التي في الخيمة ، وكان الجميع يمشون مع الموكب حتى سليمان عليه السلام ، وفتح التابوت بعد وضعه في مكانه المخصص له ، وكانت

---

(١) يشوع ٢٤: ٢٥-٢٦.

(٢) يشوع ٢٤: ٢٩.

(٣) صموئيل الأول ٤: ١-٢٢ ، ٦: ١.

(٤) راجع في تفصيل ذلك : صموئيل ٥: ١-١٢ ، ٦: ١-٢١.

(٥) صموئيل الثاني ٦: ١٢-١٤.

المفاجأة : لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر[١].

وهكذا فقدت التوراة في ظروف غامضة.

ولم ترد أدنى إشارة للتوراة بعد سليمان عليه السلام ، واختفت ، حتى ورد أنه تم العثور عليها فجأة بمحض المصادفة في عهد يوشيا (٦٤١-٦١١ ق.م) أي بعد وفاة موسى عليه السلام بأكثر من سبعمائة سنة[٢].

آل الأمر في حكم بني إسرائيل إلى يوشيا بن آمون ، وكما جاء في الرواية اليهودية أنه ((عمل المستقيم في عيني الرب وسار في طريق داود أبيه ولم يحد يمينا ولا شمالا))[٣].

عمل هذا الملك في السنة الثانية عشرة من ملكه على تطهير الهيكل وأورشليم وسائر يهوذا من التماثيل والأصنام ومذابحها[٤] ، ولكنه لم يجد التوراة.

وفي السنة الثامنة عشرة من ملكه بعد أن طهر الأرض والبيت أرسل الكاتب شافان بن أصليا إلى بيت الرب ليحسب مع كاهنه العظيم حلقيا ، الفضة التي دخلت الهيكل من الزائرين لكي تصرف لعاملي الشغل الذين كانوا يعملون في بيت الرب لأجل إصلاح البيت وترميمه ، وهناك حصلت المفاجأة ((وعند إخراجهم الفضة المدخلة إلى بيت الرب وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى. فأجاب حلقيا وقال لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقيا السفر إلى شافان. فجاء شافان بالسفر إلى الملك))[٥].

ثم جاء في الرواية اليهودية أن الملك لما سلمه كاتبه سفر الشريعة أرسل إلى كل شيوخ يهوذا وأورشليم ((وصعد الملك إلى بيت الرب وجميع رجال يهوذا وكل سكان أورشليم معه والكهنة والأنبياء وكل الشعب من الصغير إلى الكبير وقرأ في آذانهم كل كلام سفر الشريعة الذي وجد في بيت الرب))[٦].

---

(١) ملوك أول ٨: ١-٩.

(٢) الفكر الديني اليهودي ص ٢٣ د. حسن ظاظا. و يوشيا بن آمون أحد ملوك يهوذا في عصر الانقسام. انظر ص ٦٩ من هذا البحث.

(٣) ملوك ثاني ٢٢: ٢ ، وأخبار الأيام الثاني ٣٤: ٢.

(٤) أخبار الأيام الثاني ٣٤: ٣- ٧.

(٥) أخبار الأيام الثاني ٣٤: ٨-١٦ ، وملوك ثاني ٢٢: ٣-٩.

(٦) ملوك ثاني ٣٣: ١-٢ ، وأخبار الأيام الثاني ٣٤: ٢٩-٣٠

وقطع معهم عهدا لإقامة كلام هذا العهد المكتوب في هذا السفر[1].

وجاء في الرواية اليهودية أيضا أن يوشيا أقام كلام الشريعة المكتوب في السفر الذي وجده حلقيا الكاهن[2] بقية حكمه وتقدر بثلاثة عشر عاماً[3].

جاء بعده ابنه يهو آحاز ، الذي قالت عنه الرواية اليهودية ((فعمل الشر في عيني الرب))[4] ، ثم توالت النكبات على اليهود من قبل الشعوب المحيطة بهم ، حتى تمكن بنو خذ نصر من سبيهم إلى بابل ، ونهبه للهيكل وتدميره له ولأورشليم ((القدس)) وتخريبها عام ٥٨٦ ق.م[5].

مكث اليهود في بابل تحت حكم السبي حتى سمحت لهم الدولة الفارسية بالعودة إلى أورشليم، فكان ممن عاد من اليهود مجموعة بقيادة عزرا بن سرايا من سبط هارون[6] ، وعاد عزرا الكاهن والكاتب إلى أورشليم عام ٤٥٨ ق.م تقريبا[7].

وعند وصول عزرا إلى أورشليم، جاء في الرواية اليهودية ما مفاده : أن الشعب طلب من عزرا أن يأتي بسفر شريعة موسى ، فأتي عزرا الكاتب بالشريعة أمام الشعب ، وشرع في قراءته هو وزملاؤه اللاويون سبعة أيام كاملة من مطلع نهار كل يوم منها إلى منتصفه حتى أتوا على جميع ما يحتويه ملفات هذا السفر ، فما كان من بني إسرائيل بعد ذلك إلا أنهم وقفوا واعترفوا بخطاياهم وذنوب آبائهم[8].

---

(١) ملوك ثاني ٣٣: ٣ ، وأخبار الأيام الثاني ٣٤: ٣١.

(٢) ملوك ثاني ٣٣: ٢٤.

(٣) لأن مدة حكمه كما جاء في الرواية اليهودية احدى وثلاثون سنة ، ملوك ثاني ٢٢: ١.

(٤) ملوك ثاني ٣٣: ٣٢.

(٥) ملوك ثاني ٢٥ : ٨-١١ ، والعنصرية اليهودية ٢٠٩/١ د.أحمد عبد الله الزغيبي ، وبنو إسرائيل في القرآن والسنة ص ٤٦ د.محمد سيد طنطاوي ، واليهود في شبه الجزيرة العربية ص ٣٢ د.محمد أرشيد العقيلي ،تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٢٦٥ د.فتحي الزغبي ، واليهود في السنة المطهرة ١١٥/١ د. عبد الله بن ناصر الشقاري.

(٦) عزرا : يرجع نسب عزرا حسب ما ورد في سفره إلى هارون (٧ :١-٥) وفيه أنه لقربه من الملك الفارسي وهو ((أرتحشستا الأول)) وعمله مستشارا له في شئون الطائفة اليهودية فقد سمح له بعودة فوج جديد إلى أورشليم ، وأرسل معه ما يحتاج إليه من مال ومعونة. جاء وصفه أنه كاتب ماهر في شريعة موسى عليه السلام (٧: ٦-١٠) ويعرف لدى الكثيرين بأنه مؤسس اليهودية ، حيث يرجع إليه الفضل في جمع الأسفار وإعادة ترتيب الشريعة.

(٧) بذل المجهود في إفحام اليهود ص ١٣٥ ، للحكيم السموأل بن يحيى المغربي ، تعليق : عبد الوهاب طويلة ، وتأثر اليهودية ص ٢٢١ د. فتحي الزغبي ، والكتب السماوية وشروط صحتها ص ١٩٣ عبدالوهاب طويلة.

(٨) نحميا ٨: ١-١٨، ٩: ١-٣.

ويقول ول ديورانت : ((ولما فرغوا من قراءتها -أي الشريعة- اقسم الكهنة والزعماء والشعب على أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستورا لهم يتبعونه ومبادئ خلقية يسيرون على هديها ويطيعونها إلى أبد الآبدين.

وظلت هذه الشرائع من تلك الأيام إلى يومنا هذا المحور الذي تدور عليه حياة اليهود ، ولا يزال تقيدهم بها طوال تجوالهم ومحنهم من أهم الظواهر في تاريخ العالم))[1].

فهذه التوراة التي قرأها عزرا لبني إسرائيل والتي قال عنها ديورانت ، هي الباقية إلى يومنا مع اليهود، لاشك أنها لم تكن هي التوراة التي سلمها موسى عليه السلام إلى اللاويين ، وذلك لأمور منها :

١) جاء في الرواية اليهودية ، كما سبق أن ذكرت ، أن يشوع بن نون عليه السلام أضاف -كما زعموا- من عنده فرائض وأحكاما جديدة إلى سفر شريعة الله.

ويتضح من هذا أن يشوع أضاف إلى توراة موسى ، وقد تكون هذه أول إضافة على ما جاء به موسى عليه السلام.

٢) جاء في الرواية اليهودية ، كما سبق ، أن يشوع بن نون عليه السلام ، كتب على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل.

بهذا التدوين على حجارة غير الحجارة التي تركها موسى عليه السلام مع اللاويين ، في ظل عهد وحكم وفريضة أخذها يشوع عليه السلام على بني إسرائيل -كما زعمت الرواية اليهودية- أصبح عندهم نسختان ، نسخة كتبها موسى عليه السلام ، ونسخة كتبها يشوع عليه السلام ، ولم تخبرنا الرواية اليهودية ، ما فعلوا بنسخة موسى عليه السلام ، هل أبقوها معهم ؟ وهل كانت تصلح للقراءة وللأخذ منها ؟ وإذا كانت كذلك ، فلم كانت نسخة يشوع عليه السلام على فروض وعهود جديدة ، ثم على فرض بقاء النسختين معا فأيهما كان عند بني إسرائيل أكثر أهمية بل أكثر قداسة ؟ ، وإذا كان الأمر يتعلق بمجرد نسخ نسخة للتداول فلم اقتصروا على نسخة واحدة ولم ينسخوا عشرات النسخ للتداول ولذيوع النص الذي تركه موسى عليه السلام ؟[2].

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول ص ٣٦٦ ، ول ديورانت.

(٢) انظر : الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص ٥٨-٥٩ د.صابر طعيمة .

٣) جاء في الرواية اليهودية -كما ذكرت من قبل- ن التابوت وما فيه من لوحي الحجر ونسخة التوراة ، لم يحفظه اليهود من أعدائهم ، بل لقد استولى عليه الفلسطينيون أعداء اليهود ومكث عندهم سبعة أشهر.

لم يأت ذكر في الرواية اليهودية لما حصل للتوراة وهي بداخل التابوت ، وهو عند الفلسطينيين تلك المدة ، ذكروا فقط أنهم أعادوا التابوت ، وما مصير التوراة التي بداخله ؟ لم تتعرض لها الرواية. فهل ذلك ناتج عن أنه من البديهي أن تكون عادت مع التابوت سالمة غانمة. أو أنه من البديهي أن تكون قد أتلفت بعد أن أخرجت من الصندوق[١].

وذكرت الرواية اليهودية أن التابوت بعد إعادة الفلسطينيين له إلى الإسرائيليين مكث عندهم عشرين سنة لم يُفتح و لم يُدر ما فيه[٢] ، فقد سقط خلال هذه السنوات بطريقة غير مفهومة في غياهب النسيان ، ربما لأنه كان قد فقد مكانته بعد أن سلبه الفلسطينيون ، ومن ثم فقد اصبح يعيش حوله عدد ضئيل من الكهنة أو الحفاظ الذين لا مكانة لهم[٣].

ثم كشفت هذه الرواية أنه ، وبعد تلك السنين الطويلة ، فتح التابوت في عهد سليمان عليه السلام ، فلم يكن فيه إلا لوحا الحجر فقط.

أي أن نسخة التوراة الموضوعة في الصندوق قد ضاعت ، ولا يعلم جزما متى ضاعت سوى هذا القدر ((أنها ضاعت قبل عهد سليمان عليه السلام))[٤].

وقد يرد احتمال وهو أن التابوت فتح من قبل الفلسطينيين المنتصرين ، ومن أجل الانتقام من بني إسرائيل اخذوا التوراة من التابوت ، فأحرقوها أو مزقوها أو تخلصوا منها بأي كيفية كانت[٥].

وهذا يدل على أن من المستحيل أن تبقى نسخة التوراة في الوجود إلى الآن[٦].

---

(١) بذل المجهود في إفحام اليهود ص ١٣٠ للسموأل بن يحيى ، تعليق عبد الوهاب طويلة ، والكتب السماوية وشروط صحتها ص ١٨٣ عبد الوهاب طويلة.

(٢) صموئيل أول ٧: ٢.

(٣) تأثر اليهودية ص ٣١٧ د. الزغبي ، وأصول الصهيونية في الدين اليهودي ص ٤٩ د. الفاروقي.

(٤) إظهار الحق ٥٩٩/٢ للشيخ العلامة رحمت الله بن خليل الهندي تحقيق : د. محمد احمد ملكاوي.

(٥) التوراة دراسة وتحليل ص ٤٣ د. محمد شلبي شتيوي.

(٦) وهذا اعتراف أحد علماء اللاهوت من النصارى ، صاحب كتاب ((خلاصة الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية)) ذكر ذلك الشيخ محمد رشيد رضا في كتابيه : تفسير المنار الجزء الثالث من المجلد الثاني ص ١٣٠-١٣١ ، وشبهات النصارى وحجج الإسلام ص ٤١ ، والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ص ١١٠ د. يحي محمد ربيع.

حتى إن اللوحين قد انقطع خبرهما بعد فتح التابوت في عهد سليمان عليه السلام ، فلم يرد إشارة إليهما في الرواية اليهودية ، حيث يرجح أنهما قد فقدا أيضا بعد سليمان عيه السلام[1].

وخلاصة الأمر أن توراة موسى عليه السلام أو نسخة يشوع عليه السلام منها -على حسب الرواية اليهودية- الموجودة في ذلك الصندوق فقدت فلم يطلع عليها الملوك أو الأنبياء ، ولم يعرفوا ما بها من أحكام[2].

٤) وبعد ذلك ولفترة طويلة من عهد سليمان عليه السلام (٩٧٠-٩٣٠ ق.م) لم يكن للتوراة ذكر في الرواية اليهودية ، حتى جاء فيها أنه تم العثور عليها فجأة وبمحض المصادفة في عهد يوشيا (٦٤١-٦١١ق.م) وبعد مرور ثمانية عشر عاماً من حكمه ، أي بعد وفاة موسى عليه السلام بأكثر من سبعمائة سنة ، وجدها الكاهن حلقيا ، كما سبق ذكره.

ويتضح من هذا أن التوراة لم تكن نسيا منسيا في عهد يوشيا فقط ، ولكن في عهد أسلافه أيضا ، كما دلت عليه كلمة يوشيا ((... لأنه عظيم هو غضب الرب الذي اشتعل علينا من أجل أن آباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب علينا)) [3].

ويرفض المحققون من العلماء والباحثين ادعاء حلقيا الكاهن بعثوره على سفر شريعة موسى.

فيرى الشيخ رحمت الله الهندي أنه : ((لا يعتمد على هذه النسخة ولا على قول حلقيا ، لأن البيت نهب مرتين قبل عهد أخزيا ثم جعل بيت الأصنام ، وسدنة الأصنام كانوا يدخلون البيت كل يوم، وما سمع أحد إلى سبعة عشر عاما من سلطنة يوشيا أيضا اسم التوراة ولا رآها ، مع أن السلطان والأمراء والرعايا كانوا في غاية الاجتهاد لاتباع الملة الموسوية ، وكان الكهنة يدخلون كل يوم إلى هذه المدة فالعجب كل العجب أن تكون النسخة في البيت ولا يراها أحد))[4].

وقد قام د. شتيوي بذكر تواريخ بعض الأحداث من ولادة سليمان عليه السلام إلى أن اكتشفت هذه التوراة عن طريق حلقيا بعد مرور ثمانية عشر عاما من عهد يوشيا ثم قال : ((وبعملية جمع وطرح تكون المدة من فقدان توراة موسى عليه السلام حتى ظهور التوراة التي أعلنها حلقيا هي ثلاثمائة وخمسون عاما ، وهذا يعني استحالة وجود توراة موسى عليه السلام

---

(١) تاريخ بني إسرائيل ص ٢٠ ، محمد عزة دروزة.

(٢) مصر والشرق الأدنى القديم ٢٠٩/٣ د. نجيب ميخائيل إبراهيم.

(٣) ملوك ثاني ٢٢: ١٣.

(٤) إظهار الحق ٦٠٤/٢ ، واليهودية في أسفارها المقدسة ص ١٠١ ، واليهودية ص ٢٥٧ .

بذاهًا بعد كل هذا الزمن الشاسع. فهو أمر يستحيل عقلا تصديقه ، وليس معجزة حتى يقال : ليس للعقل مجال فيها، وذلك لأن حلقيا ليس برسول ولا نبي))[١].

لذلك يقرر فضيلة الشيخ رحمت الله الهندي أن هذه النسخة : ((ما كانت إلا من مخترعات حلقيا ، فإنه لما رأى توجه السلطان إلى اتباع الملة الموسوية جمعها من الروايات اللسانية التي وصلت إليه من أفواه الناس سواء كانت صادقة أو غير صادقة ، وقضى هذه المدة في جمعها وتأليفها ، فبعد ما جمعها نسبها إلى موسى عليه السلام ، ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة وإشاعة الحق كان من المستحبات الدينية عند متأخري اليهود وقدماء المسيحيين))[٢].

ويقول د. نجيب ميخائيل : ((وأغلب الأمر أن هذا الكاهن حين رأى الانحلال الشامل اصطنع هذا السفر ليخيف اليهود ، وليمنع الشرور، ويوقف عبادة الأصنام، ذلك لأن العثور عليه بعد ما حل بالبيت من خراب ومن غزوات في مختلف عهود الملوك من فراعنة وملوك بابليين ، لأمر يدعو للشك))[٣].

ويرى ول ديورانت : أن الكهنة حينما وجدوا الشعب قد ارتد عن عبادة يهوه إلى الآلهة الأجنبية ، فاعتزموا أن يبلغوا الناس رســـالة منه في صورة سنن إلهية تبعث النشاط والقوة في حياة الأمة الخلقية ، وسرعان ما ضموا إلى جانبهم الملك يوشيا ، فحصل أنه في عهده ادعى الكاهن حلقيا وجود سفر الشريعة ، ولسنا نعلم علم اليقين ماذا كان سفر الشريعة هذا[٤].

فقد ادعى الحاخام حلقيا أنه رأى في أثناء منامه النبي موسى ، وأنه أخبره بأن إسرائيل قد ضلت سواء السبيل وأن الكتاب الحقيقي الذي كتبه بيديه من كلمات الخالق موجود في المحل الفلاني من المعبد ، وعندما استيقظ وحفر في المكان المذكور وجد كتابا ، فصدق الكل حتى الملك يوشيا ادعاء هذا الحاخام وأخذوه مأخذ الحقيقة[٥].

ويؤكد الشيخ رحمت الله الهندي : ((أن تواتر التوراة في اليهود منقطع قبل زمان يوشيا ، والنسخة التي وجدت في عهده لا اعتماد عليها ، ولا يثبت بها التواتر ، ومع ذلك ما كانت معمولة إلا إلى ثلاث عشرة سنة ، وبعدها لم يعلم حالها ، والظاهر أنه لما رجع الارتداد والكفر

---

(١) التوراة دراسة وتحليل ص ٢٧-٢٨.

(٢) إظهار الحق ٢/٦٠٤-٦٠٥ ، رحمت الله بن خليل الهندي.

(٣) مصر والشرق الأدنى القديم ٣/٢٠٩ د. نجيب ميخائيل إبراهيم.

(٤) قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول ص ٣٥٦ ول ديورانت .

(٥) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٣٢٢ .

بين أولاد يوشيا زالت قبل حادثة بختنصر ، وكان وجودها بين أزمنة الارتداد كالطهر المتخلل بين الدمّين ، ولو فرض بقاؤها أو بقاء نقلها فالمظنون زوالها في حادثة بختنصر))[١].

٥- وبعد حادثة نبوخذنصر ((بختنصر)) ونهبه الهيكل وتدميره أورشليم (القدس) وتخريبها عام ٥٨٦ق.م عاد الكاهن والكاتب عزرا ومعه مجموعة من اليهود إلى أورشليم حوالي سنة ٤٥٨ق.م، وهناك أخرج الشريعة وقرأها أمام الشعب ، كما جاء في الرواية اليهودية ، كما سبق ذكره ، ومن المُسلّم به عند أهل الكتاب أن التوراة ونسخ العهد القديم التي كانت مصنفة قبل غزو نبوخذنصر البابلي أورشليم ، قد انعدمت جميعا عن صفحة العالم رأسا[٢].

ويرى د.نجيب ميخائيل أن حلقيا الكاهن لربما أودع توراته عند أحد أبنائه فانحدر عن طريق الميراث لحفيده عزرا ، ولكن عزرا كان مطلعا على الأساطير البابلية ، وواقعه أنه رسول من ملك الفرس لإصلاح حال اليهود ، وقد يكون أرسله على أن يشغلهم بالدين ، ويبعدهم بما كان عنده من أقوال أو مسجلا في كتابات ، بحيث يصبح ما يقدمه متلائما ومتفقا والمستوى الروحي والخلقي في العصر الذي كان يعيش فيه ، لذلك فهو يعتبر المؤسس الأول للصهيونية حين نادى بالانعزال والاعتزاز بنعرة ((الشعب المختار)) [٣].

ويقرر السموأل بن يحيى المغربي أن عزرا : ((جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي في أيديهم. ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة ، فهذه التوراة التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليست كتاب الله))[٤].

و لم يقم دليل على عصمة عزرا ومن ساعده ، أو على تأييدهم بالوحي ، ولا على أن تلك النصوص التي جمعت هي من عين التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ، كما أنه لم يقم دليل على أن التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب اليوم هي عين التوراة التي لفقها عزرا وغيره بدون زيادة ولا نقصان ، لأنه ليس لها شبه سند ، فضلا عن أن يكون لها سند صحيح متصل ، أو تكون منقولة بالتواتر. لا سيما أن أهل الكتاب لا يعتمدون على الأسانيد ، ولا يعرفون علم الرواية ونقل الأخبار ، كما هو الحال لدى المسلمين في نقل كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ [٥].

(١) إظهار الحق ٦٠٦/٢ رحمت الله الهندي.

(٢) المرجع السابق ٤٤٩/٢ و ٦٠٧.

(٣) مصر والشرق الأدنى القديم ٢١٠/٣ د. نجيب إبراهيم .

(٤) بذل المجهود في إفحام اليهود ص ١٣٤ .

(٥) المرجع السابق ص ١٤٢ من تعليقات الأستاذ عبد الوهاب طويلة.

حتى هذه النسخة التي أظهرها عزرا ضاعت في حادثة أنتيوكس ((انطيوكس الرابع))[1].

فجاء في الرواية اليهودية ما مفاده : أن أنتيوكس السلوقي ، عند دخوله إلى أورشليم ، أحرق جميع نسخ كتب العهد العتيق التي حصلت له من أي مكان بعد ما قطّعها ، وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ كتب العهد العتيق أو يؤدي رسم الشريعة يقتل ، وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر ، فكان يقتل من وجد عنده نسخة من كتب العهد العتيق ، أو ثبت أنه أدى رسما من رسوم الشريعة، وتعدم تلك النسخة[2].

ووقعت على اليهود بعد هذه الحادثة حوادث أخرى ، وكان أشدها وأعنفها حادثة تيطس الروماني التي بها انتهى أمر الهيكل ودمر تدميرا كاملا إلى يومنا هذا ، ودمرت أورشليم ، وانتهى تاريخ اليهود في فلسطين كدولة ومجموعة كبيرة ، وفيها انعدمت نسخة عزرا ونسخ أخرى لا تحصى[3].

وصفوة القول : أن اليهود قد نالهم الاضطهاد بما كسبت أيديهم من قبل الكلدانيين والفرس، فاليونان فالرومان فالنصارى. وما من أمة إلا صدّتهم أشد الصدّ. وأشد ذلك ما نالهم من ملوكهم العصاة والمرتدين. فأي توراة مع هذا كله ؟ وأي بديل لها مما كتبه عزرا وغيره يبقى صحيحا سالما؟[4].

ولهذا فإن الإمام ابن حزم أثبت أن التوراة التي في أيدي اليهود محرفة ومبدلة ، واعتمد في نقدها على طرق منها : النظرة إلى عوامل تاريخية ، ويقصد بها الظروف التي مرت بها التوراة منذ توفي موسى عليه السلام إلى وقت كتابتها بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم[5].

فبعد أن سرد تاريخهم ، قال في عدة أماكن مناسبة مع ذكر الأحداث التي مرت بهم ما يلي: ((فاعلموا الآن أنه كان منذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عيه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول ، سبع ردات ، فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا عبادة الأصنام ، فتأملوا أي كتاب يبقي مع تمادي الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط ، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم))[6].

---

(١) إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي ٢/٤٤٩.

(٢) مكابين أول ١: ٥٩-٦٥ ، وإظهار الحق ٢/٦٠٧ ، وفي حادثة انتيوكس انظر ص ٨٠ من هذا البحث.

(٣) إظهار الحق ٢ /٦٠٨ للشيخ العلامة رحمت الله الهندي. انظر في هذه الحادثة ص ٨٥ من هذا البحث.

(٤) بذل المجهود في إفحام اليهود ص ١٤١ ، والكتب السماوية وشروط صحتها ص ٢٠٤.

(٥) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٣٤٧ د. فتحي بن محمد الزغبي.

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/٢٩٠ ابن حزم ، ت د. محمد نصر ، ود. عبدالرحمن عميرة.

وبعد أن ذكر رحمه الله ملوك الأسباط العشرة ، وما حصل في عهودهم من أحداث ، قال : ((فقولوا يا معشر السامعين ، بلد تعلن فيه عبادة الأوثان ، وتبنى هياكلها ، ويقتل من وجد فيه من الأنبياء ، كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب الله سالما ؟ أم كيف يمكن هذا ؟))[1].

وبعد أن قرر رحمه الله أن التوراة لم تكن من أول دولتهم إلى انقضائها إلا عند الهاروني الكوهن الأكبر وحده في الهيكل فقط[2] ، قال : ((ولاشك في أن تلك المدة الطويلة ، قد كان في الكهنة الهارونيين ما كان في غيرهم من الكفر والفسق وعبادة الأوثان ، ومن هذه صفته فلا يؤمن عليه تغيير ما ينفرد به ، وهذه كلها براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها))[3].

٦- وهناك اختلاف عظيم من ناحية الحجم بين التوراة التي وضعها موسى عليه السلام في التابوت وتلك التي وجدها حلقيا الكاهن ، وتلك التي ادعاها عزرا. حيث إن الأولى يمكن كتابتها على حجارة المذبح نقشا[4] ، بينما التوراة التي وجدها حلقيا قد جاء أنها قرئت على اليهود مرتين كاملتين في يوم واحد[5] على حين أن التوراة التي ادعاها عزرا احتاجت قراءتها إلى أسبوع كامل[6].

٧- ونستطيع أن نستخلص من خلال هذا العرض ، أن نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام قد هجر تماماً[7] ، ولم يبق أي من العلماء التوراتيين يقبل بنظرية تأليف موسى لهذه الأسفار[8] ، حيث إن كتبة التوراة أو الكهنة ما فتئوا يلحون في العبث بتوراتهم ، ويذكر العلماء أن التوراة على شكلها الحالي قد مرت من غير شك بمراحل متعددة تطورت خلالها مادتها من

---

(١) المرجع السابق ١/٢٩٣ ، للأمام ابن حزم.

(٢) المرجع السابق ١/٢٩٤.

الكوهن : كلمة عبرية تعني الكاهن ويُعتبر حامل هذا اللقب سليل الكهنة ومن نسل هارون أخي موسى عليهما السلام . و الكوهن الأكبر هو كبير موظفي الهيكل . وقد كانت هذه الوظيفة في الأصل مقصورة على أسرة صادوق من ذرية هارون عليه السلام . ومع أن وظيفة كبير الكهنة كانت دينية ، فقد كانت لها أبعاد دنيوية ن فالكاهن الأكبر كان يُعد من رجالات المملكة العبرانية وجزءاً من الاستقراطية الحاكمة . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٤ / ١٥٣ـــ١٥٤.

(٣) المرجع السابق ١/٣٠٠-٣٠١.

(٤) تثنية ٢٧: ٥-٨.

(٥) قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول ص ٣٦٦. مصر والشرق الأدنى القديم ٣ /٢١٠.

(٦) المرجعان السابقان ، الأول الصفحة نفسها. الثاني ٣/٢٠٣.

(٧) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٣٠ د. موريس بوكاي.

(٨) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٣ ، سهيل ديب.

رواية إلى اختيار وتنقيح وحذف ثم تدوين ، ولم يبق من النسخة المنقولة على ألسنة هؤلاء الكهنة إلا ما علق بالأذهان مما لا يعتمد عليه ، حتى ظهرت التوراة المتداولة الآن ، وأن الأسفار الخمسة أخذت صورها التي نعرفها خلال سبي اليهود في بابل على الأرجح بين عامي ٥٨٦-٥٣٨ق.م ثم تناولها التنقيح منذ هذه المرحلة حتى قيام دولة الإسكندر (على مدى قرنين من الزمان)[١] وأن في هذه الأسفار عبارات كثيرة تسوغ القول بجزم أنها لم تكتب من قبل موسى ولا بإملائه ولا في حياته ، وإنما كتبت بعده وبأقلام كتاب عديدين وفي أزمنة مختلفة ، وقد تكون كتبت بعده بمدة طويلة ، أو أعيدت كتابتها بعد سبي بني إسرائيل من أورشليم -القدس- وعودتهم من السبي في القرن السادس قبل الميلاد[٢].

٨- وبعد أن تبين أن هذه الأسفار لم يكن مصدرها الوحي الإلهي المنزل من عند الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام ، إنما هي من فعل كتبة كتبوها عن أقوال موروثة وقصص وروايات مختلفة كانت مشهورة عند اليهود[٣].

وقد انتهت البحوث اللاحقة في القرن التاسع عشر (١٨٥٤م) إلى نتيجة هي أن الأسفار الخمسة هي محصلة مجموعة من الروايات الشفهية ، أكثر قدما، تكدس بعضها فوق بعض ، وتداخل بعضها في بعض ، وأنها ترتد إلى أربعة مصادر أو ينابيع مختلفة ، اثنان منها جوهريان قديمان والثالث منفصل عنها في زمانه ومضمونه ، وأما الرابع والأخير فإنه ينبثق في مواضع معينة بصورة تكميلية وتوضيحية فقط وهو أحدث هذه الينابيع تاريخا[٤].

أ- المصدر اليهووي :

وهذا المصدر يحمل اسم (يهوه) علما على الرب ، ويرمز له بالحرف (J) ، وهو الحرف الأول من اسم (يهوه) باللاتينية (Jahwist) ويرجع تأليفه إلى القرن التاسع ق.م ، حوالي عام ٨٥٠ ق.م ، وقد حرر في مملكة الجنوب (يهوذا)[٥] وقيل إن لغة هذا المصدر فجة واقعية غير منمقة

(١) مصر والشرق الأدنى القديم ٣/٢٠٣،٢٠٢، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٣٤٩.

(٢) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٧.

(٣) الكتب السماوية وشروط صحتها ص ٢٣٠ عبد الوهاب طويلة.

(٤) فلسطين أرض الرسالات الألهية ص١٢٩ ، ودراسة الكتب المقدسة ص٣٨ ، والفكر الديني اليهودي ص٢٦.

(٥) قصة الحضارة الجزء الثاني ١/ ٣٦٧ ، ودراسة الكتب المقدسة ص ٣٢ ، والحضارات السامية القديمة ص١٥٧ ، وهوامشه ص ٣٣٦ ، والفكر الديني اليهودي ص٢٦ ، والتوراة بين الوثنية والتوحيد ص١٣.

تسمي الأشياء بأسمائها ولا ترتبك أو تستعمل اللف والدوران عند وصف بعض الأعمال أو الوقائع التي أضفت على التوراة صفة الوصف الجنسي الفج[1].

والفكرة الدينية والسياسية السائدة أو المحركة لدى هذا المصدر هي تثبيت كون إسرائيل شعب الله المختار في أرض كنعان ، والوعد بتكثير هذا الشعب والوعد بأرض كنعان أن تكون له ملكا أبديا وبإنشاء مملكة داود[2].

ب- المصدر الألوهيمي :

نسبة إلى اسم العلم (الوهيم) ويطلق على الرب أيضا عندهم، ويرمز له بالحرف (E) ، وهو الحرف الأول من اسمه (Elahist) وهو أقرب تاريخا بقليل، إذ يرجع تاريخه إلى القرن الثامن ق.م، وقد حدده موسكاتي بحوالي عام ٧٧٠ ق.م ، وقد حرر في مملكة إسرائيل الشمالية[3].

وقيل إن لغة هذا المصدر أكثر تنميقا وتهذيبا من لغة المصدر اليهووي ، وأكثر عمقا ، وتعتمد على التشابيه والتورية لتوجيه رسالتها[4].

وهذان المصدران (اليهووي والألوهيمي) يتفقان في الخطوط العريضة للموضوع الذي يتناولانه ، كما يتفقان في طابع القصص وأسلوبه. وربما كان قد حدث مزج بين الروايتين اليهووية والألوهيمية على ألسنة الناس في القرون التالية للقرنين التاسع والثامن قبل الميلاد[5].

ويرى العلماء أن هذين المصدرين القديمين قد تم دمجهما في مجموعة واحدة ، وأن القصص الخاصة بهما قد امتزجت في قصة واحدة ، ويذكر ديورانت أن ذلك تم بعد سقوط السامرة عام ٧٢٢ ق.م. بينما يرى موسكاتي أن ذلك تم في عام ٦٥٠ ق.م ، وعلى أي حال فإنهما قد امتزجا قبل أن تنبثق بقية المصادر الأربعة[6].

---

(١) ومن أمثلتها : تكوين ٣٨: ١٥-١٦ : ((.. فرآها يهوذا فحسبها بغيا ... فمال إليها إلى الطريق وقال هلم أدخل عليك لأنه لا يعلم أنها كنته ... فقالت ماذا تعطيني حتى تدخل علي..)) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص١٣-١٤ سهيل ديب. الكتب السماوية وشروط صحتها ص ٢٣٠ عبدالوهاب طويلة.

(٢) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص١٤ ، وفلسطين أرض الرسالات ص١٣٠. الكتب السماويه وشروط صحتها ص٢٣٠.

(٣) قصة الحضارة الجزء الثاني ٣٦٧/١. دراسة الكتب المقدسة ص ٣٢. الحضارات السامية القديمة ص١٥٧ وهوامشه ص ٣٣٦. الفكر الديني اليهودي ص ٢٦-٢٧، والتوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٣.

(٤) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص١٤، ديب ، والكتب السماوية وشروط صحتها ص٢٣٠، طويلة.

(٥) الفكر الديني اليهودي ص ٢٧ د. حسن ظاظا.

(٦) قصة الحضارة الجزء الثاني المجلد الأول ص٣٦٧ ، والحضارات السامية القديمة ص ١٥٧، والفكر الديني اليهودي ص ٢٧، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٣٤٠.

=

ج- المصدر التثنوي :

ويرمز لهذا المصدر بالحرف (D) نسبة إلى عبارة (Deuteronomy) أي التثنية وقد ألف وأعلن العثور عليه في عهد الملك يوشيا (ملك يهوذا) في القرن السابع ق.م أي حوالي ٦٢٠ ق.م، وقيل إنه ينتمي إلى القرن الثامن قبل الميلاد[١] ، ويمتاز بلهجته الخطابية التي يدعو فيها اليهود إلى اتباع الشريعة وتطبيق العهد[٢].

يقول د. ظاظا: ((وهو في جوهره تشريعي بحت، صادر عن وسط مثقف لا يلقى بالا إلى القصص الشعبي، بقدر ما يهدف إلى التوجيه والتعليم والتطوير عن طريق سن القوانين))[٣].

د- المصدر الكهنوتي :

ويرمز له بالحرف (P) وهو الحرف الأول من (priestly) (الكهنوتي) وهو عبارة عن حواش أو فصول أضافها الكهنة إلى نص التوراة ، وهذا المصدر ينتمي إلى عصر النفي أو ما بعد النفي أي القرن السادس قبل الميلاد.

وقيل إنه يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد وإلى النصف الأخير منه على التحقيق. والرأي الغالب أن هذا المصدر كوّن الجزء الأكبر من((سفر الشريعة)) الذي أذاعه عزرا[٤].

ويمتاز هذا المصدر بإعطاء التعليمات عن الطقوس الدينية وكيفية تطبيق تعاليم الدين. ولغته جافة ، ولعل ذلك عائد إلى المواضيع التي يتطرق إليها مثل تحديد الأصول والأنساب ونحو ذلك. وهو يستعمل عبارة (إيلوهيم) للإشارة إلى الرب وليس ((يهوه))[٥].

= وتقول كاترين هنري : ((يعتقد كثيرون من العلماء أن مجموعات ووثائق هذين المصدرين كانت أول الأمر أحاديث سماعية متواترة ثم نسجت نسيجا واحدا في قصة واحدة كما تنسج الخيوط المختلفة في قطعة واحدة من القماش)) تأثر اليهودية ص ٣٤٠.

(١) الحضارات السامية القديمة ص ١٥٧ وهوامشه ص ٣٣٦ ، ودراسة الكتب المقدسة ص ٣٢ ، والفكر الديني اليهودي ص ٢٧ ، والتوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٥.

(٢) الكتب السماوية وشروط صحتها ص ٢٣١ ، والتوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٥ ، وفلسطين أرض الرسالات الإلهية ص ١٣٢.

يقول د. البار : ويتميز نص التثنية بالإنشاء الخطابي : ((اسمع يا إسرائيل)) ((وأرض تدر لبنا وعسلا)) ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ص ١٣٥.

(٣) الفكر الديني اليهودي ص ٢٧ د. حسن ظاظا.

(٤) قصة الحضارة الجزء الثاني ، المجلد الأول ص ٣٦٧-٣٦٨ ، والحضارات السامية القديمة ص ١٥٧ وهوامشه ص ٣٣٦ ، ودراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص٣٢ ، والفكر الديني اليهودي ص ٢٧-٢٨.

(٥) الكتب السماوية وشروط صحتها ص ٢٣١ ، والتوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٤-١٥.

ومن خلال التواريخ المذكورة للمصادر الأربعة يتضح لنا أن تحرير نص الأسفار الخمسة يمتد على ثلاثة قرون بأقل تقدير(١).

وبهذا يتضح تكون كتاب أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة مختلفة ، جمعها بشكل يقل أو يزيد حذفا ، محررون ، وضعوا تارة ما جمعوا جنبا إلى جنب ، وطورا غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة ، تاركين للعين أمورا غير معقولة ، وأخرى متنافرة ، كان من شأنها أن قادت المحدثين إلى البحث الموضوعي عن المصادر(٢).

ويعطى كتاب أسفار موسى الخمسة ، على مستوى نقد النصوص ، أكثر الأمثلة وضوحا على التعديلات التي قام بها بشر في فترات مختلفة من تاريخ الشعب اليهودي ، كما يعطي أمثلة جلية على تعديلات التراث الشفوي والنصوص التي تلقتها الأجيال السابقة(٣).

٩) لذلك انصرف بعض العلماء لنقد التوراة ، وبيان أنها ليست توراة موسى عليه السلام ، من خلال النظر إلى النصوص ذاتها ، من حيث كذبها وتناقضها وإفتراءاتها على أنبياء الله ، بل وصف الله بأوصاف لا تليق به سبحانه وتعالى(٤).

ولهذا يقول الإمام ابن القيم : ((وهذا يدل على أن الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم رجل جاهل بصفات الرب تعالى ، وما ينبغي له ، وما لا يجوز عليه ، فلذلك نسب إلى الرب تعالى ما يتقدس ويتتره عنه.

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٣٢ د. موريس بوكاي.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ومن ذلك نفي هذه النصوص القدرة الإلهية ، تكوين ٢ : ٢ ، وخروج ٣١: ١٧ ، ونفي صفة العلم الإلهي ، تكوين ٣ : ١-١١ ، ونسبة البنوة إلى الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، تكوين ٦ : ١-٢، إلى غير ذلك ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ومن تجني نصوص هذه التوراة على الأنبياء رميهم بالعصيان بل وبالكفر ، انظر عن موسى وهارون عليهما السلام : عدد ٢٠ : ١٢ ، وعدد ٢٧: ١٢-١٤ ، نسبتهم الزنا إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تكوين ١٩: ٣-٣٨. وغيرها ، انظر في ذلك الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٠١/١ فصل في مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسميه اليهود التوراة ، للإمام ابن حزم تحقيق د. محمد نصر ، ود.عبد الرحمن عميرة ، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٤١٦-٤٢٢ للإمام ابن القيم تحقيق د. محمد احمد الحاج ، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء الباب الثاني من ص ٢٤٢ إلى نهايته ، والباب الثالث من ص ٤٠٨ إلى نهايته د. عبد الشكور بن محمد أمان العروسي ، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى قسم العقيدة-بالآلة الكاتبة.

وبالجملة فنحن وكل عاقل يقطع ببراءة التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى عليه السلام من هذه الأكاذيب والمستحيلات والترهات))[1].

١٠) وقد نقد نصوص التوراة الحالية كثير من بحاثة اليهود أنفسهم ، وللزيادة في توضيح هذه المسألة ، نختار منهم اثنين.

١ - ابن عزرا[2] :

فقد برهن أن موسى عليه السلام ، ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة ، بل إن مؤلفها شخص آخر، عاش بعده بزمن طويل ، وإن موسى عليه السلام كتب سفرا مختلفا ، وذلك لأمور :

أ) أن موسى عليه السلام لم يكتب مقدمة التثنية ، لأنه لم يعبر نهر الأردن.

ب) نقش سفر موسى عليه السلام كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد ، يتكون من اثني عشر لوحا ، وينتج عن ذلك أن سفر موسى عليه السلام كان في حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة.

ج) ورد في التثنية : ((وكتب موسى هذه التوراة)) ، ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك، بل لابد أن يكون قائلها كاتبا آخر يروي أقوال موسى وأعماله.

د) ورد في التكوين : ((والكنعانيون حينئذ في الأرض)) عندما كان يقص الراوي رحلة إبراهيم عليه السلام في بلاد الكنعانيين. وهذا يدل بوضوح على أن الأمر لم يعد كذلك عندما كان يكتب. فلابد أن هذه الكلمات قد كتبت بعد موت موسى عليه السلام ، وبعد أن طُرد الكنعانيون و لم يعودوا يشغلون هذه المناطق. لأن الكنعانيين في زمان موسى عليه السلام كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض.

هـ) جاء في التكوين أن جبل موريا سمي جبل الله ، و لم يحمل هذا الاسم إلا بعد الشروع في بناء المعبد ، وهذا كان متأخراً عن موسى عليه السلام في الزمان ، وغير ذلك من الملاحظات[3].

---

(١) هداية الحيارى ص ٤٢١-٤٢٢ للإمام ابن القيم ، تحقيق د. محمد أحمد الحاج.

(٢) ابن عزرا : ابراهام بن عزرا (١٠٨٩-١١٦٤م) من فحول شعراء العبرية صاحب فلسفة أفلوطينية تنتشر في تفسيراته للتوراة، ويحمل ابن عزرا بشدة على الأخطاء التاريخية في أسفار التوراة الخمسة ، وكان سبينوزا من المتأثرين بنقده. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٣٣-٣٤ د. عبدالمنعم الحفني.

(٣) رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٦٦-٢٦٨ سبينوزا ، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي.

٢- سبينوزا[١] :

فقد ألف كتابا أسماه ((البحث اللاهوتي السياسي)) أو ((رسالة في اللاهوت والسياسة)) ووضع فيه نقدا شـــاملاً للعهد القديم على أنه كتاب أدبي قـــومي ، ونقده نقدا تاريخياً وفلسفياً ، فعرض للغته ونصه وزمن تأليفه ومستوى مؤلفيه[٢].

وكان من نقده لأسفار موسى الخمسة ما يلي :

أ) لا يتحدث الكتاب عن موسى عليه السلام بضمير الغائب فحسب ، وإنما يعطي عنه شهادات عديدة مثل : تحدث الله مع موسى ، كان الله مع موسى وجها لوجه ، وكان موسى رجلا حليما جدا أكثر من جميع الناس ، فسخط موسى على وكلاء الجيش ، موسى رجل الله ، لقد مات موسى خادم الله ، ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كموسى ، كل ذلك ، يعني طريقة الكلام والشواهد ومجموع نصوص القصة كلها يدعو إلى الاعتقاد بأن موسى (عليه السلام) لم يكتب هذه الأسفار بل كتبها شخص آخر.

ب) أن هذه الرواية لا تقص فقط موت موسى ودفنه ، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين ، بل تروي أيضا أنه فاق جميع الأنبياء إذا قورن بالأنبياء الذين عاشوا بعده ((ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجها لوجه)) وهذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلي بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة ، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة ، لا سيما أن المؤرخ قد استعمل صيغة الفعل الماضي ((ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل)) ويقول عن القبر ((ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا)).

ج) يجب أن نذكر أيضا أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء التي عرفت بها في زمن موسى عليه السلام ، بل أطلقت عليها أسماء عرفت بعده بوقت طويل. إذ يقال : إن إبراهيم تابع أعداءه حتى دان. وهو اسم لم تأخذه المدينة التي تحمله إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة.

د) تمتد الروايات في بعض الأحيان إلى ما بعد موت موسى عليه السلام ، فيروي في الخروج: أن بني إسرائيل أكلوا المن أربعين يوما حتى وصلوا إلى أرض مسكونة على حدود بلاد كنعان أي

---

(١) سبينوزا : (١٦٣٢-١٦٧٧م) ، أعظم من تصدى لقومه بالنقد في أشهر كتبه ((البحث اللاهوتي السياسي)) سنة (١٦٧٠م) وهو كتاب : رسالة في اللاهوت والسياسة. مبينا تهافت أسطورة الشعب المختار ، وحمل سبينوزا على التوراة ، محللا أسفارها، ومبينا نصيب كل منها من الصحة التاريخية ، ومؤكدا أن الذي كتبها إنسان آخر عاش بعد موسى بمدة طويلة. وكان سبينوزا مطلعاً على ديانته ، عارفاً بوجوه التقصير فيها ، والواقع أنه نشأ في بيت ديني ، فأبواه رغم جنسيتهما الهولندية، من يهود المارانو البرتغاليين. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١١٩-١٢٥.

(٢) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٣٣٣ د. فتحي بن محمد الزغبي.

حتى اللحظة التي يتحدث عنها سفر يشوع، وكذلك جاء في سفر التكوين : وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في ارض أدوم قبل أن يملك ملك في بني إسرائيل ، ولا شك أن المؤرخ يتحدث عن الملوك الذين كانوا يحكمون الأدوميين قبل أن يخضعهم داود لحكمه.

ثم قال : من هذه الملاحظات كلها يبدو واضحا وضوح النهار أن موسى عليه السلام ، لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص عاش بعده بقرون عديدة[1].

وأنه لما كانت توجد نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى عليه السلام كاتبها فإن أحدا لا يستطيع أن يؤكد ، عن حق ، أن موسى عليه السلام هو مؤلف الأسفار الخمسة ، بل على العكس ، يكذب العقل هذه النسبة[2].

وإذا كان هذا هو حال التوراة المنسوبة لأهم أنبياء بني إسرائيل ، فكيف يكون حال بقية كتب العهد القديم ، لا شك أن حالها أسوأ ، وافتراءاتها أكثر ، وتجديفها بالله أكبر ، وخرافتها أشنع من التوراة[3].

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٦٩-٢٧١ سبينوزا ، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٣.

(٣) التوراة ص ٣٣ د. بدران محمد بدران.

المبحث الثاني
إثبات وقوع التبديل والتحريف في باقي أسفار العهد القديم

بعد أن درست حال القسم الأول والأهم من أقسام العهد القديم ، وهو((توراة موسى الخمسة)) ، وتبين ما فيها من التحريف والتبديل ، حتى انتفت عنها القدسية ــ عند الباحثين ــ بذلك . وتبين بطلان نسبتها إلى موسى عليه السلام. سأتكلم الآن -إن شاء الله- عن بقية أسفار العهد القديم.

وما قيل عن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، يصح أن يقال عن الأسفار الباقية من العهد القديم ، من حيث الجهل بتاريخها وهوية كتّابها ، وأنها كتبت بعد الأحداث التي ذكرت فيها بمدد ما ، وأنها كتبت بأقلام عديدة في أوقات مختلفة ، وأن فيها تناقضا وتغايرا وتطابقا أيضا. وإن كتّابها استقوا من مصادر مختلفة بينها بعض التطابق والتخالف معاً[1].

ومع أن الدراسة التفصيلية لبقية أسفار العهد القديم كل سفر على حدة ، ذو أهمية ، فإنها تحتاج إلى أوراق عديدة وإمكانات متنوعة لا أحتاج إليها في موضوع بحثي. ولذلك رأيت من الفائدة لهذا البحث واغتناماً للجهد والوقت أن أسلط الضوء على نقد الأسفار التي تضمنت نصوص الوعد ، مع ذكر بعض الأسفار التي لها علاقة مع الأسفار الماضية.

((وإن ما يتضح لنا من استخلاص آراء الباحثين في تاريخ هذه الأسفار يغنينا عن البحث التفصيلي))[2].

سفر يشوع :

يتصل سفر يشوع اتصالاً وثيقاً بالتوراة ، ويكّون معها وحدة مؤتلفة ، مما جعل كثيراً من العلماء يعدّون أسفار التوراة ستة ((هكساتيوس)) لا خمسة ((بنتاتيوس)) . وفيه نجد سائر المصادر المختلفة -التي أشرت إليها من قبل- وقد مزجت جميعها في هذا السفر مزجاً يجعل من العسير على الدارس تحليله إلى عناصره الأولية[3].

---

(1) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٢١-٢٢ محمد عزة دروزة ، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء ١/ ٧٦ ، د.عبد الشكور محمد أمان العروسي.

(2) بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء ٧٦/١ ، د. عبد الشكور محمد أمان العروسي.

(3) التوراة الهيروغليفية ، د. فؤاد حسنين علي ، ص٦٣.

يقول حسن حنفي : ((وتظهر الدراسات الحديثة لسفر يشوع انه ليس نصاً واحداً بل مجموعة من الكتابات المتعددة حررت على فترات متباعدة وقد سادت نظرية المصادر الأربعة ((P D J E)) على سفر يشوع كما سادت على =

وهذا السفر لم يكتبه يشوع عليه السلام ، بل من وضع شخص آخر اختلف في تحديده ، فقيل فنحاس وقيل اليعازار وقيل صموئيل وقيل إرميا(١).

يقول الشيخ رحمت الله : ((ووقوع هذا الاختلاف الفاحش دليل كامل على عدم إسناد هذا الكتاب عندهم ، وعلى أن كل قائل منهم يقول بمجرد الظنّ -رجماً بالغيب بملاحظة بعض القرائن التي ظهرت له- إنّ مصنفه فلان ، وهذا الظن هو السند عندهم))(٢).

واختلف أيضاً في الزمن الذي كُتب فيه : فقيل إنه كتب بعد السبي البابلي وقيل في القرن الخامس ق.م ، على الرغم من وجود بعض القطع القديمة والتي ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وقيل إنه كتب قبل السنة السابعة من جلوس داود عليه السلام على العرش(٣).

سفر القضاة :

فيه اختلاف عظيم ، لم يعلم مصنفه ولازمان تصنيفه ، فتعددت الأقوال في كاتب هذا السفر حتى تعذر القطع بكاتبه ، فقيل إن كاتبه صموئيل وقيل فنحاس وقيل حزقيا وقيل إرميا وقيل حزقيال وقيل بل إنه مدون بالإلهام ، وقيل بل عزرا هو الذي جمعه مما كتب القضاة في كل زمان ولايته(٤).

يقول سبينوزا : ((أما سفر القضاة فلا أظن أن شخصاً سليم العقل يعتقد أن القضاة أنفسهم قد كتبوه ، لأن نهاية القصة تبين بوضوح أن مؤرخاً واحداً هو الذي كتبه كله))(٥).

يقول رحمت الله : ((ولو كان عندهم سند لما وقعوا في هذا الاختلاف الفاحش))(٦).

واُختلف في زمان تصنيفه ، فقيل أواخر القرن السابع ق.م ، وقيل عام ٥٥٠ ق.م ، وقيل أنه كتب خلال الأيام الأولى في نظام الحكم الملكي، أيام شاول أو بداية حكم داود -عليه السلام- ، واختصر بعضهم الخلاف بقوله تم جمعه ما بين سنة ٦٠٠-٤٠٠ ق.م(٧).

= الأسفار الخمسة)). مقدمة كتاب سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص٢٥. وانظر : من ص ٢٩٢ من هذا البحث عن هذه المصادر الأربعة.

(١) إظهار الحق ، رحمت الله الهندي ١/١٢٩.

(٢) المرجع السابق ١/١٣٠.

(٣) المرجع السابق ١/١٣٠ ، والتوراة الهيروغليفية ص٦٤ ، وتأثر اليهودية ص٣٥٨.

(٤) إظهار الحق ١/١٣٤ ، والكتاب المقدس في الميزان عبد السلام محمد ص ٩٥ ، والتوراة د. بدران محمد بدران ص٣٧.

(٥) رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٧٥.

(٦) إظهار الحق ١/١٣٤.

(٧) المدخل إلى العهد القديم ، صموئيل يوسف ص ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، وتأثر اليهودية ، د. فتحي الزغبي ص ٣٥٩ ، مصر والشرق الأدنى القديم د. نجيب ميخائيل إبراهيم ٣ / ٣٢٨.

((وفيه كثير من الخيال والمبالغة والتناقض))[1].

سفر راعوث:

يخلو هذا السفر من أي إشارة إلى أي نبي ، فكاتبه غير معروف ، وقيل إنه من وضع صموئيل ، وقيل حزقيا ، وقيل عزرا. والراجح أنه عبارة عن ((قصة بيت)) أي قصة غير معتبرة[2].

سفرا صموئيل:

((وإطلاق اسم صموئيل على السفرين لا يعني أنه مؤلفهما كما يذكر التلمود ، بل إشارة إلى اهتمام السفرين بشخصيته. وذلك بدليل ذكر خبر وفاة صموئيل في الأول منهما[3]. هذا إلى جانب أن السفرين يرجعان إلى مصادر كثيرة متعددة متفاوتة الموضوع والزمن ، ولا وحدة تجمع بين محتوياهما حتى يستطيع الباحث أن يقرر أهما لمؤلف بعينه. ويرجح أنه تم وضعهما مابين القرنيين الثامن والسادس ق.م))[4]. وكاتبهما مجهول ، ويعتقد أهما كتبا بعد موت صموئيل بعدة قرون[5].

واسمهما في الكاثوليكية سفرا الملوك الأول والثاني.

سفرا الملوك:

قيل إن كاتبهما أرميا. ولكن هذا زعم لا يستند إلى دليل ، وخاصة أن السفر الثاني((الرابع في الكاثوليكية)) تمتد حوادثه إلى ما بعد عصر إرميا فلا يعقل أن يكون هو كاتبه[6]. ((وكاتبهما مجهول حسب إقرار محرري طبعة ١٩٧١م من كتاهم المقدس))[7].

وقيل إهما عبارة عن مجموعة من المدونات التاريخية جمعت ونسقت معاً ، وإن كاتبهما استقى موادهما من الدواوين الملكية ومن خزائن الهيكل ومن سير الأنبياء ، واعتمد على كثير من الروايات الشفوية والحكايات الشعبية[8].

---

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، محمد عزة دروزة ص١٢٢.

(٢) التحريف في التوراة د. محمد الخولي ص ١٠٥ ، وإظهار الحق ١/١٣٥ ، والكتاب المقدس في الميزان ص٩٥.

(٣) صموئيل الأول ٢٥: ١.

(٤) التوراة الهيروغليفية ص ٦٨ ، ٧٨.

(٥) التحريف في التوراة ص١٠٧ ، والكتاب المقدس في الميزان ص٩٥ ، ورسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٧٥.

(٦) الكتاب المقدس ، عايد هنري ص٤٩ ، وتأثر اليهودية ص٣٥٩ ، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية ١/٧٦.

(٧) التحريف في التوراة ، د. محمد علي الخولي ص ١٢٥ ، ١٣٣.

(٨) تاريخ شعب العهد القديم الأب ديلي ص٢٠٦ ، وتأثر اليهودية د. الزغبي ص ٣٦٠.

ولهما صيغتان مختلفتان ، وضعت الأولى في أواخر القرن السابع ، قيل ما بين عامي ((٦٢٢-٦٠٩)) ق.م. أما الصيغة الثانية وهي الحاضرة فقيل إنها ما بين عامي ((٥٦١-٥٣٨)) ق.م ، أو حوالي عام ٥٥٠ ق.م[١].

يقول موريس بوكاي : ((أما كتاب صمويل وكتب الملوك فهي أساساً مجموعات من السير قيمتها التاريخية مشكوك فيها، تحوي أخطاء متعددة، بحيث تختلط الخطوط التاريخية بالأساطير))[٢].

والدمج الذي حصل بين سفري صموئيل وسفري الملوك حتى أصبح سفرا الملوك في الكاثوليكية أربعة أسفار ، ولا يوجد فيها ذكر سفري صموئيل ، لأنه ((في الأصل كان سفرا صموئيل سفراً واحداً كتب باليونانية على ورقتين مختلفتين ، ثم فرضت هذه القسمة نفسها على التوراة العبرية في القرن الخامس عشر. وقد أضيف السفران في الطبعة اليونانية إلى سفر الملوك الذي انقسم بدوره إلى مجموعتين ، وأصبح اسم الأسفار الأربعة سفر الملوك ، وقد اتبعت الفولجاتا ((الترجمة اللاتينية)) هذه التسمية ، واعتبرت سفري صموئيل : سفري الملوك الأول والثاني ، وسفري الملوك : سفري الملوك الثالث والرابع))[٣].

ويذكر سبينوزا أنه : ((إذا نظرنا إلى تسلسل هذه الأسفار كلها -أسفار موسى الخمسة مع أسفار يشوع والقضاة وراعوث وسفري صموئيل وسفري الملوك- وإلى محتواها ، رأينا أن الذي كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروي تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة))[٤].

سفرا أخبار الأيام :

((كما هو الحال مع صموئيل والملوك كذلك الأمر مع أخبار الأيام أو حوادث الأيام فقد كانت في الأصل سفرا واحداً))[٥].

و((كاتبهما مجهول حسب إقرار محرري طبعة ١٩٧١م من كتابهم المقدس))[٦].

---

(١) التوراة الهيروغليفية ص ٨١ ، وتاريخ شعب العهد القديم ص٢٠٦، وتأثر اليهودية ص٣٦١،٣٦٠.

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص٣٧.

(٣) مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة د. حسن حنفي ص٢٦.

(٤) رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة د. حسن حنفي ص ٢٧٦.

(٥) التوراة الهيروغليفية ص ١٨٩.

(٦) التحريف في التوراة ١٤١.

وقيل إنه عزرا[1]. لكن سبينوزا يؤكد أنهما قد كتبا بعد عزرا بمدة طويلة ، وربما بعد إعادة بناء المعبد في عصر المكابيين بمدة طويلة. وأنه لا يعلم شيئاً يقينياً عن مؤلفيهما الحقيقيين وعن السلطة التي يجب الاعتراف بها لهما ، وعن فائدتها ، والعقيدة التي يعرضانها ، ويعجب كيف دخلت هذه الأسفار في عداد الكتب المقدسة[2].

((وقد استقى كاتب أو كتّاب سفر الأخبار معلوماته من مصادر ووثائق قديمة ، ومن بعض المأثورات الشفوية ولكنه لم ينقل منها مجرد نقل، بل كان يغير ويبدل ويعدل ويضيف ، ليصل إلى هدف معين كمؤرخ كهنوتي ، يخدم وجهة نظر الكهنة))[3].

وزمن تأليفهما قيل إنه في القرن الرابع قبل الميلاد ، وقيل حوالي سنة٣٢٥ ق.م[4].

سفرا عزرا ونحميا

يكّون السفران سفراً واحداً كملحق لسفر أخبار الأيام[5].

((ليس لدينا ما يدلنا على كاتب هذين السفرين ، ولكن من المسلّم به عادة أن كاتبا واحدا أنشأ وألف سفري الأخبار وأتبعهما بسفري عزرا ونحميا))[6].

ويرجح سبينوزا أن كاتب سفر عزرا ونحميا وأستير ودانيال مؤرخ واحد ، وأنه استمد معلوماته من سجلات الأحبار ووثائق القضاة والأمراء الذين كانوا يحتفظون فيها بأخبارهم كما يفعل الملوك ((أما من يكون هذا المؤرخ فإني لا أستطيع حتى مجرد التخمين به))[7].

((إلا أن الحقيقة أن جميع المصادر التي اعتمد عليها المؤلف لا تخلو من الأخطاء))[8].

أما تأريخ تحرير السفرين ، فتحديده من الأمور العسيرة[9]. إلا أنه قد يكون وضعهما في صورتهما الأخيرة تم في منتصف القرن الرابع ق.م أو بعد ذلك[10].

---

(١) المدخل إلى العهد القديم ص ٢٥٧ ، والتوراة الهيروغليفيةص ١٨٩ ، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء ١/ ٨٨.

(٢) رسالة في اللاهوت والسياسة ترجمة ، د. حسن حنفي ص٣٠٧ ، ٣٠٩.

(٣) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية د. الزغبي ص٣٧١.

(٤) التوراة الهيروغليفية ص١٩١ ، وتأثر اليهودية ص٣٧٢.

(٥) رسالة في اللاهوت والسياسة ترجمة د. حسن حنفي ص٣٤.

(٦) الكتاب المقدس في الميزان ص ١٠٠.

(٧) رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة د. حسن حنفي ص٣١٦-٣١٩.

(٨) التوراة الهيروغليفية ص١٨٧.

(٩) الكتاب المقدس في الميزان ص ١٠٠.

(١٠) التوراة الهيروغليفية ص١٨٧.

ويقول علماء الكتاب المقدس إن السفر لم يكمل إلا بعد زمن الإسكندر الأكبر (توفي سنة ٣٢٣ ق.م)[١] ، ولذلك يكاد يكون مؤكداً أن السفر انتهى إلينا في وضعه الحالي حوالي سنة ٣٠٠ق.م[٢].

سفر أستير :

((وهي قصة من قصص العهد القديم تتجلى فيها عبقرية المؤلف في استخدام العبارات القوية والمحسنات اللفظية إلى حرصه على الاستيلاء على حواس القارئ ومشاعره فلا تفلت منه عبارة ولا تغيب عنه فكرة))[٣].

اختلفت الأقوال في تحديد من هو مؤلف هذا السفر ، فقيل إنه عزرا وقيل إنه كاهن يدعى يهوياقين وقيل إنه موردخاي. والذي عليه أكثر الباحثين أن مؤلفه مجهول[٤]. وكما مر ذكره فإن سبينوزا يؤكد أن أسفار استير وعزرا ونحميا ودانيال مؤلفهم واحد.

أما فيما يتعلق بتاريخ كتابته فليس هناك جزم بتاريخ معين ، ولكن الراجح وعلى ضوء لغته وأسلوبه يظهر أنه كتب بعد زمن الأحداث الذي يسوقها بزمن طويل جداً[٥].

قيل إنه كتب في العصر الإغريقي حوالي عام ٣٠٠ ق.م ، و قيل إنه لم يتم تأليفه قبل القرن الثالث ق.م ، وقيل إنه كتب في أوائل القرن الثاني ق.م ، ويحدده البعض بحوالي عام ١٣٠ ق.م إبان شدائد اليهود في العصر المكابي ، لأن قصة هذا السفر تعكس وجهة نظر المكابيين[٦].

سفر المزامير :

يجب أن نفرق دائماً بين المزامير المذكورة في أسفار العهد القديم ، والزبور الذي هو الكتاب السماوي الذي آتاه الله لداود ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾[٧].

---

(١) عن الإسكندر الأكبر ، انظر ص ٧٨ من هذا البحث.

(٢) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية د. فتحي محمد الزغبي ص ٣٧١.

(٣) التوراة الهيروغليفية ص١٧٠.

(٤) الكتاب المقدس في الميزان ص ١٠١ ، وإظهار الحق ١٤٧/١ ، وتأثر اليهودية ص ٦٢٥ ، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء ٨٨/١ ، والتوراة الهيروغليفية ص١٧٠ ، وتحريف التوراة ص ١٥٩. ومقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣٥.

(٥) تأثر اليهودية ص ٦٢٦.

(٦) التوراة الهيروغليفية ص١٧٤ ، وتاريخ شعب العهد القديم ص ٣٩٢ ، ومقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣٥ ، وتأثر اليهودية ص ٦٢٦.

(٧) سورة النساء آية ١٦٣.

يقول د. الزغبي : ((كثير منها غير منسوبة إلى داود عليه السلام ، بل إن العلماء يقررون أن ثلثي المزامير وعددها (مائة مزمور) تنسب إلى مؤلفين مختلفين ، وأن الثلث الباقي وعدده (خمسون مزموراً) كتّابه مجهولون))[١].

يقول د. فؤاد حسنين : ((أما نسبة هذه المزامير لأفراد بعينهم فيجب أن لا نقبله دون بحث أو تحقيق، فالترجمة السبعينية مثلاً تذهب إلى نسبة أربعة ترانيم إلى النبيين حجي وزكريا، كما أضافت إلى داود أكثر من اثني عشر مزموراً من بينها ما يتصل بالأسر ، ومنها ما يتصل بإعادة بناء المعبد. والنتيجة أن هذه المزامير يجب أن لا نحكم عليها أو ننسبها إلى ما جاءنا فيها ، وذلك أن هذه النسبة ثبت بطلانها))[٢]. وأن كثيراً منها يرجع إلى أصول بابلية وآشورية ومصرية وغيرها ، فهي صورة صادقة للآثار البعيدة التي اقتبسها العبريون مستقرين أو مسبيين من مصر أولاً ، وبابل وأشور ثانياً[٣].

سفر إشعياء :

إن هذا السفر الذي يحمل اسم إشعياء وينسب إليه ليس كله من كتابة إشعياء ، بل هناك مجهولون أضافوا إليه ما شاءوا ، وأكثر الباحثين على أن عــدد هــؤلاء الكتّاب ثلاثة. أطلق عليهم ، اشعياء الأول ((من الإصحاح ١-٣٩)) ، واشعياء الثاني ((من الإصحاح ٤٠-٥٥)) ، واشعياء الثالث ((من الإصحاح ٥٦-٦٦)) ، وأنه تعرض لكثير من التحوير على مر العصور ، وأنه جمع من مصادر متعددة ووثائق متباينة[٤].

ولذلك فمن الصعب أن يُجزم بقول فاصل عن تاريخ كتابة هذا السفر ، وإن هناك من يرجح أنه كتب بعد السبي وقبل مجيء عزرا إلى أورشليم أي ما بين ٥٠٠ - ٤٠٠ ق.م[٥].

---

(١) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص٤٤٣. وأيضاً : بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء ٨٧/١ ، والفكر الديني اليهودي ص٤٩.

(٢) التوراة الهيروغليفية ص١٣٤.

(٣) المرجع السابق ص ١٣٩ ، وقد بحث الدكتور فتحي الزغبي مسألة مظاهر تأثير الأديان الوثنية على بعض أسفار العهد القديم ، ومنها سفر المزامير ، في كتابه تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص٤٤١.

(٤) تحريف التوراة ص ١٧٥ ، وتأثر اليهودية ص ٣٦١، والفكر الديني اليهودي ص ٤٤، والتوراة الهيروغليفية ص٨٧-٩٤، وتاريخ شعب العهد القديم ص ٢٦٠ ، وإظهار الحق ١ /١٥٠ ، ومقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص٣٠ ، وبنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية ٨٤/١.

(٥) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، د. فتحي الزغبي ص ٣٦٢.

وقيل إن إشعياء الأول تاريخ كتابته حوالي سنة ٧٤٠ ق.م ، وإشعياء الثاني تاريخه حوالي ٥٤٠ ق.م ، وإشعياء الثالث يرجع إلى القرن الخامس ق.م[١].

سفر إرمياء :

هذا السفر ليس من وضع إرميا،ولا من تأليفه، بل جمعه وكتبه تلميذه باروخ بن نيريا[٢].

وهو عبارة عن مجموعة من الأخبار المختلفة امتزجت مع بعضها من دون ترتيب أو مراعاة للتواريخ[٣].

وإن بعض إصحاحات هذا السفر مستمدة من سفر باروخ. وذلك يدل على أنه لم يكن هناك فصل حاد بين أسفار الأنبياء ، كما يدل على وجود مصادر أخرى تشمل روايات توضع في هذا السفر أو ذاك ، وهو ما يفسر تكرار النصوص في الأسفار المختلفة.

وأكبر الظن أن باروخ هذا أو مؤلفاً غيره فيما بعد ، هو الذي أضاف الفصول التاريخية عن حياة إرمياء وعن الحوادث السياسية التي جرت في ذلك العصر[٤].

سفر باروخ :

لقد مر الكلام عن أسفار الأبوكريفا[٥] ، وأنها أسفار غير قانونية ويعتبرها البروتستانت منحولة. وأن بعض هذه الأسفار غير مقدس وغير معتبر في نظر أحبار اليهود. ومن أسفار الأبوكريفا هذا السفر ((باروخ أو باروك)) وقد اعتمدته الكنيسة الكاثوليكية دون البروتستانتية.

ويعتبر سفر باروخ ملحقاً بسفر إرمياء. ويذهب كثير من النقاد ، أنه سفر منتحل ، خاصة أن كثيراً من الأسفار المقدسة كانت تنسب إلى باروخ باسم مستعار[٦].

سفر يشوع بن سيراخ :

وهذا السفر أيضاً من أسفار الأبوكريفا ، وهو قانوني لدى الكاثوليك. جرى تأليفه حوالي عام ١٨٠ ق.م. وهو مرفوض من اليهود[٧].

---

(١) الفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص ٤٤.

(٢) التوراة الهيروغليفية ص٩٩ ، وتأثر اليهودية ص٣٦٢.

(٣) رسالة في اللاهوت والسياسة ص٣١١.

(٤) تأثر اليهودية ص٣٦٢، ٣٦٣ ، ورسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣١ ، ٣١١.

(٥) انظر ص ١٣٠ من هذا البحث.

(٦) مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣١ ، والتوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ص ١١٤.

(٧) التوراة بين الوثنية والتوحيد ، ص ١١٤.

سفر حزقيال:

اختلف المؤرخون في شخصية مؤلف هذا السفر ، فقيل إن حزقيال ألف سدسه فقط ، وقيل بل أكثر من شخص اشترك في وضعه على الصيغة الحالية ، وهذا واضح من أساليب الكتابة المختلفة فيه ، ويجمع النقاد الآن على أن السفر قد دون في مكانين مختلفين وعلى فترتين مختلفتين ، وأنه كتب على ثلاث مراحل متفاوتة : فترة المقطوعات المنفصلة ، ثم فترة المجموعات المتصلة ، ثم فترة السفر[١].

أما تاريخ تدوينه فيصح القول إنه وضع ما بين سنة ٥٩٣ و ٥٧٢ ق.م[٢].

سفر عاموس:

أما هذا السفر فتظهر فيه يد الترتيب والتقسيم ، وقد دخله شيء كثير من القديم والحديث ، ومن المرجح أنه لم يصلنا في لغة المؤلف وأسلوبه بل في لغة أخرى وأسلوب آخر[٣].

وقيل إن هذا السفر كتب بعد السبي البابلي أي في القرن السادس ق. م[٤].

سفر عوبديا:

وهذا الاسم يعني ((عبد يهوه)) ولا يعرف عن شخصيته شيء. ولا عن تاريخ كتابته لهذا السفر. وهذا السفر فقير في محتوياته ، كما أنه من العسير إدراك ظهوره ، وإن كان هناك من يخمن أنه كتب في القرنين السادس أو الخامس ق.م ، وقيل بعد سنة ٥٧٨ ق. م[٥].

سفر زكريا:

ومعنى اسم زكريا ((تذكر يهوه)) وكان معاصراً لحجي وهو أحد الكهنة.

ينسب هذا السفر إليه ، ولكن النقاد يرون أن طريقة كتابة إعلاناته وأسلوبه يدلان على أنه ليس من عمله ، ولهذا يُرجح أنه لم يأخذ شكله الحالي إلا بعد الإسكندر الأكبر ((٣٢٣ق.م))[٦].

---

(١) مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣٢ ، وتأثر اليهودية ص٣٦٣.

(٢) التوراة الهيروغليفية ص١٠٣ ، و تأثر اليهودية ص٣٦٣.

(٣) التوراة الهيروغليفية ١١٢.

(٤) تأثر اليهودية ص ٣٦٤.

(٥) التوراة الهيروغليفية ص١١٣ ، وتأثر اليهودية ص٣٦٥.

(٦) المرجعان السابقان ، الأول ص ١٢٥-١٢٩ ، والثاني ص ٣٦٧.

أسفار المكابيين:

تعتبر هذه الأسفار من أسفار الأبوكريفا ((غير القانونية)).

في المخطوط الإسكندري أن عددها أربعة. ويوجد في الفاتيكاني واحد فقط. ولا تحتوي المخطوطات اللاتينية إلا على الكتابين الأولين[1]. ولا يعتقد بقدسيتها عند اليهود ، ولكنها تمثل بالنسبة لهم كتب تاريخية مهمة جداً فهو استمرار لتاريخهم اليهودي ، ولذلك فقد اعتبرت مقدسة في بعض فترات التاريخ ، وهي تفيض بالحب للشعب اليهودي ، وتشيد ببطولة الأسرة المكابية خاصة[2].

وعلى أهميتها التاريخية عندهم فإنها لم تسلم من التغيير والتبديل ، فقد أقحمت عليها في عصور مختلفة بعض المواضيع المتأخرة مما يدل على أنها أعيدت كتابتها مرات عديدة[3].

وكما اختلف في لغتها الأصلية ، هل هي العبرية أو الآرامية أو اليونانية ، اختلف كذلك في تأريخ تدوينها ، فقيل أنها وضعت قبل غزو روما لفلسطين يعني عام٦٣ ق.م ، وقد يكون قبيل نهاية القرن الثاني أو أوائل القرن الأول ، وقيل قد يكون في عام ١٣٤ ق.م ، بل إن السفر الثاني منها لا يعلم تاريخ كتابته حتى بالتخمين[4].

وبعد هذا العرض السريع يتبين كما يقول د. الزغبي : أن ((نسبة الأسفار إلى أصحابها نسبة خاطئة وغير صحيحة ، وأن دعوى هذه النسبة قائمة على الظن والزعم بلا دليل صحيح ، فهؤلاء الذين نسبت إليهم تلك الأسفار لم يكتبوها ، وإذا ما كتبوا جزءاً منها فإنه قد حُرف أو زيد عليه أو تم تبديله ، فليس هناك أدنى ثقة في تلك النسبة المزعومة بل إننا وجدنا العلماء والمؤرخين يجهلون تماماً مؤلفي أغلب هذه الأسفار ، بل لا يعرفون زمن تأليفها))[5].

يقول سبينوزا : ((والواقع أننا نجهل تماماً مؤلفي كثير من هذه الأسفار ، أو نجهل الأشخاص الذين كتبوها (إذا كنا نفضل هذا التعبير) أو نشك فيهم ، ومن ناحية أخرى لا ندري في أي مناسبة وفي أي زمن كتبت هذه الأسفار التي نجهل مؤلفيها الحقيقيين ولا نعلم في أيدي من

---

(١) مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣٥.

(٢) التوراة الهيروغليفية ص ١٩٤ ، والفكر الديني اليهودي ص ٦٠-٦١.

(٣) التوراة الهيروغليفية ص ١٩٦.

(٤) التوراة الهيروغليفية ص ١٩٤-١٩٦ ، والفكر الديني اليهودي ص ٥٨.

(٥) تأثر اليهودية ص ٣٧٢.

وقعت، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التي وجد لها عدد من النسخ المتباينة ، ولا نعلم أخيراً إن كانت هناك نسخ كثيرة أخرى في مخطوطات من مصدر آخر))[1].

ونقل العقيد أحمد بن عبد الوهاب عن دائرة المعارف الأمريكية قولها : ((لقد كتبت أسفار العهد القديم على طول الفترة من القرن الحادي عشر ق. م إلى القرن الأول ق. م. وأخذ صورته النهائية في القرن الأول الميلادي ، ولم تصلنا أي نسخة بخط المؤلف الأصلي. أما النصوص التي بين أيدينا فقد نقلتها إلينا أجيالاً عديدة من الكتبة والنساخ. فهي بهذا قد نسخت مراراً وأعيدت كتابتها باليد، ولقد حدثت أخطاء في عملية النسخ سببها عدم القدرة على قراءة أحد النصوص قراءة صحيحة ، أو العجز عن سماع نطقه نطقاً صحيحاً حين كان يملى على الكاتب ، أو من تعب الكاتب نفسه أو عجزه عن فهم ما كان يكتبه ، أو حتى بسبب إهماله. ولقد كان يحدث أحياناً أن بعض المواد التي كتبت على هامش النص تضاف إليه))[2].

((ولقد نشأت بين اليهود طائفة خصصت نفسها لرعاية هذه الوثائق ، عرفت بالكتبة ((السوفريم أو الأسفاريين)) ولم يكن عملهم مقصوراً على النسخ ، بل كانوا حفاظاً على الوثائق ومترجمين لها، بل مؤلفين بكل معنى الكلمة. وكان من نتيجة عملهم أن أخذ النص صورته القانونية ليترجم بعد ذلك إلى اللغات الأخرى))[3].

ويقول د. فؤاد حسنين : ((والعهد القديم كما جاءنا لم يتم جمعه بين عشية وضحاها كما يدعي بعض علماء اليهود وعلى رأسهم ((الياس لفيتا)) المتوفى عام ١٥٤٩م. وكما أن وضع العهد القديم تطلب زمناً امتد نحو ألف عام كذلك جمعه استدعى قروناً عديدة. والنتيجة المحتومة لامتداد زمن التأليف وطول عصر الجمع خضوعه لمؤثرات كثيرة عملت فيه زيادة وحذفا))[4].

وفي النهاية نصل إلى أن كتاب اليهود المقدس ((أسفار العهد القديم)) ، لا يعتمد عليه ، وقد انتفت عنه القدسية ، وزالت عنه الصبغة السماوية ، فلا يعد من كتب الوحي المقدس ، حيث إنه لم يصل إلينا لا عن طريق التواتر ولا عن طريق الآحاد ، وإنما هو منقطع السند ، من كتابة أشخاص مختلف فيهم بل مجهولين أصحاب اتجاهات مختلفة في عصور مختلفة.

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٥٥.

(٢) فلسطين بين الحقائق والأباطيل ، ص ٢٩.

(٣) المرجع السابق ص ٢٤.

(٤) التوراة الهيروغليفية ص ١٥.

الفصل الثاني : إثبات بطلان هذا الوعد.

المبحث الأول : إثبات بطلان هذا الوعد من خلال أسفارهم [الحجة الدينية]

تحرص الحركة الصهيونية على تقديم حجج دينية وتاريخية وغيرها -مع أنها في الوضع الراهن لا تحتاج إلى هذه الحجج- وتلجأ إليها في معرض حديثها عن أطماعها ، والتوكيد على صحة ما تدعيه من الحقوق في فلسطين وما حولها.

فلسطين تلك الأرض التي يعتقد اليهود أن من حقهم إقامة دولة عليها استنادا إلى حججهم الدينية والتاريخية وغيرها.

الحجة الدينية :

تستند الحركة الصهيونية ومن والاها من النصارى ((الصهيونية المسيحية)) إلى ذريعة أن هناك نصوصاً في كتابهم المقدس -مر معنا ذكر مواقعها منه[1]- تدعي أن اليهود هم الورثة الحقيقيون بل الوحيدون للوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم -عليه السلام- أن يمتلك أرض فلسطين وما حولها.

يقول هرتزل : ((... وإن هدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد في الكتاب المقدس بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين))[2].

ويقول بن غوريون : ((قد لا تكون فلسطين لنا من طريق الحق السياسي أو القانوني ، ولكنها حق لنا على أساس ديني ، فهي الأرض التي وعدنا الله ، وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل))[3].

يقول ييجال آلون -نائب رئيسة مجلس الوزراء الإسرائيلي- : ((جاء اليهود إلى البلاد لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون أنها كانت أرض آبائهم ، الأرض التي وعدها الله لهم ولذراريهم في العهد القديم المبرم قبل آلاف السنين بين الله وإبراهيم))[4].

---

(١) انظر من ص ١٥٦ من هذا البحث.

(٢) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، أبكار السقاف ص٢١.

(٣) عقيدة اليهود في تملك فلسطين ، عابد توفيق الهاشمي ص٢٩ ، والمرجع السابق ص٢١.

(٤) إسرائيل في الكتاب المقدس ، بقلم مجموعة من أساتذة اللاهوت ، ترجمة : حسني خشبة ، ص ٩.

وتقول جولدا مائير : ((وُجد هذا البلد تنفيذا لوعد الرب ذاته ، ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحا عن شرعية ذلك الوجود))[1].

ويقول بيغن[2] : ((لقد وعدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها))[3].

ويقول موشي دايان[4] : ((إذا كنّا نملك الكتاب ، وإذا كنّا نعتبر أنفسنا شعب التوراة ، فينبغي أن نمتلك أيضاً بـــلاد التوراة ، بـــلاد القضـــاة، أرض أورشـــليم وحـــبرون وأريـــحا ،

(١) جريدة لوموند الفرنسية ١٥/أكتوبر ١٩٧١م. نقلاً عن ملف إسرائيل رجاء جارودي ص ٨٢.

(٢) مناحيم بيغن ((١٩١٣-١٩٩٣م)) : زعيم إرهابي صهيوني ، ورئيس وزراء إسرائيل السابق ، ولد في برسك في بولندا عام ١٩١٣م وتخرج من مدرسة الحقوق في جامعة وارسو. انضم عام ١٩٢٩م إلى حركة بيتار اليهودية المحافظة. وصل إلى فلسطين عام ١٩٤٢م كجندي ، ثم انضم إلى المنظمة العسكرية القومية اليهودية ((أرغون زيفاي ليؤمي)) اختصر إسمها ((أرغون)) ، ثم أصبح بيغن عام ١٩٤٣م زعيماً لهذه المنظمة. ومنذ ذلك العام ((١٩٤٣م)) مارس بيغن الإرهاب بأنواعه كافة ضد المسلمين من أهل فلسطين ((الجلد بالسياط وتفجير الأماكن العامة والإعدامات الجماعية ... الخ)) ومن أكبر أعماله الإرهابية مذبحة دير ياسين الرهيبة التي ذهب ضحيتها الأطفال والنساء والشيوخ ، ونسف فندق الملك داوود. ويعتبر بيغن من أشهر ((الصقور)) في إسرائيل ومن مؤيدي ((إسرائيل الكبرى)) ، وهو لا يعترف بوجود الشعب الفلسطيني ، ويرى أن في ذلك نسفاً لحق إسرائيل في البقاء. ويعتبر أن إقامة دولة فلسطينية عبارة عن عمل إنتحاري للشعب اليهودي.

انضم بيغن إلى الحكومة اليهودية لأول مرة في أيار / مايو ١٩٦٧م عشية حرب حزيران / يونيو. وفي عام ١٩٧٣م أنشىء تكتل ليكود وأصبح زعيماً له. وتمكن الليكود من فوز في انتخابات عام ١٩٧٧م ، وأصبح بيغن رئيساً للوزراء واستمر في ذلك المنصب حتى تشرين الأول / أكتوبر عام ١٩٨٣م.

من أبرز إنجازات بيغن بالنسبة إلى دولته اليهودية ((إسرائيل)) توقيع إتفاقية كامب ديفيد مع مصر عام ١٩٧٨م ، التي حاز على أساسها جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الرئيس المصري ((السادات)) عام ١٩٧٩م. انظر : شخصيات إسرائيلية ص ٨٨-٩٠، محمد شريدة ، وموسوعة السياسة ٦٥٠/١-٦٥٢ ، د.عبدالوهاب الكيالي. مقدمة كتاب يوميات قادة العدو ((مناحيم بيغن ، الإرهاب)) ، ترجمة وتقديم معين احمد محمود.

(٣) قال كلمته هذه في اجتماعات أوسلو ونشرته ((دافار)) عدد١٤ ديسمبر ١٩٧٨م ، المرجع السابق ، جارودي.

(٤) موشي دايان ((١٩١٥-١٩٨١م)) : عسكري وسياسي صهيوني بارز. ولد عام ١٩١٥م في مستوطنة ديجانيا كفوتزة في فلسطين. هاجر والده إلى فلسطين في أوائل القرن ، وكان من البارزين في حزب الماباي. انضم موشي إلى المجموعة الإرهابية ((الهاغاناة)) ثم تعلم في مدرسة كبار الضباط في بريطانيا. وعمل مع وحدة الضابط البريطاني اورد وينغيت في مقاومة ثورة ((فلسطين الكبرى)) ١٩٣٦- ١٩٣٩م ، وتدرب على العمليات الانتقامية الخاطفة والهجمات الليلية. في خلال حرب عام ١٩٤٨م قاد الكتيبة الإسرائيلية التي احتلت اللد والرملة ، ومنذ ذلك الحين ، بدأ نجمه يسطع. في عام ١٩٥٠م عيّن قائداً للقطاع الجنوبي ثم قائداً للقطاع الشمالي بعد سنة ، وتولى بعد ذلك رئاسة المخابرات العسكرية. ثم قائداً لعمليات الجيش ورئيساً للأركان مابين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٨م. وكانت حملة إسرائيل على سيناء من أبرز نجاحاته العسكرية. عين وزيراً للخارجية في حكومة مناحيم بيغن في عام ١٩٧٧م ، وكان أحد أبرز صنّاع معاهدة الصلح مع مصر. إستقال من الحكومة عام ١٩٧٩م. يعتبر دايان من أبرز جيل الـــ ((سابرا)) (اليهود الذين ولدوا في فلسطين =

وأماكن أخرى))[1].

وغير ذلك من الأقوال الكثيرة ، إذ يغرق هؤلاء الصهاينة في الحديث عن الرباط الإلهي المقدس -على زعمهم- الذي يشدّ اليهود إلى فلسطين بقوة. فهاهو ذا الحاخام ميمون أول وزير إسرائيلي للشئون الدينية ، يعلن في كتاب له سنة ١٩٣٧م ما يلي : ((أن الرباط بين إسرائيل وأرضها ليس كالرباط الذي يشد جميع الأمم إلى بلادها وأوطانها ، فهو لدى تلك الأمم وفي أجلى مظاهره رباط سياسي علماني ، ورباط خارجي وعرضي مؤقت. بينما الرباط القائم بين الشعب اليهودي وبلاده كناية عن سر خفي من القداسة فالشعب والأرض قد أنعم عليهما بتاج القداسة حتى في زمن خرابهما ، والرباط الذي يشدهما رباط سماوي أبدي وأزلي))[2].

وقد جاء إعلان قيام دولة إسرائيل الصادر عشية الخامس عشر من أيار ١٩٤٨م مؤكدا أن : ((أرض إسرائيل مهد الشعب اليهودي. هنا تكونت هويته الروحية والدينية والسياسية ، وهنا أقام دولته أول مرة وخلق قيماً حضارية ذات مغزى قومي وإنساني جامع ، وفيها أعطى العالم كتاب الكتب الخالد. وبعد أن نفى من بلاده عنوة حافظ الشعب على إيمانه بها طوال مدة شتاته و لم يكف عن الصلاة أو يفقد الأمل بعودته إليها واستعادة حريته السياسية فيها))[3].

((وهكذا تتردد دائما على ألسنة الزعماء الصهيونيين الإسرائيليين العبارات نفسها، سواء أكانوا من اليمين أم من اليسار، أعضاء في حزب العمل أو الليكود ، ناطقين باسم الجيش أم باسم الحاخامية، وتتردد على ألسنتهم جميعا أدلة أو ذرائع من التوراة يقيمون على أساسها أية مطالبة بالأرض ، أي يستندون إلى ((حق إلهي)) في ملكيتهم لفلسطين))[4].

وقد أوردتُ هذه النصوص -التي هي سند اليهود الديني في مطالبتهم بفلسطين وما حولها- نظرتُ إليها من ثلاث زوايا. ومن خلالها ، سأبين -إن شاء الله- بطلان هذه الوعود التي يدعي اليهود أنها موجودة في تلك النصوص المقدسة عندهم.

= ووصلوا إلى مناصب عليا في الدولة الإسرائيلية). انظر : شخصيات إسرائيلية ص ١٠٢-١٠٣ ، محمد شريدة ، وموسوعة السياسة ٦٥٦/٢ ــ ٦٥٧ ، د. عبدالوهاب الكيالي.

(١) جيروزا لم بوست في ١٠ أغسطس ، المرجع السابق ، جارودي.

(٢) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت) ص١٦٥.

(٣) المرجع السابق وجاء فيه : انظر النص الكامل لإعلان قيام إسرائيل والمنشور في :
Joseph Babied , Funda Mental Lawes Of The State Of Ispoel Newyork : Twayne Publihen
١٩٦١. والنص بالعربية في كتاب ، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ، د. حسن صبري الخولي ٢ / ٤٥٤ ــ ٤٥٧.

(٤) ملف إسرائيل ، دراسة للصهيونية السياسية ، رجاء جارودي ص ٨٢.

١- لمن أعطيت هذه الوعود ؟

٢- ما هي حدود الأرض الموعودة ؟

٣- هل كانت هذه الوعود مطلقة بلا قيد أو شرط ، أوكانت بقيود وشروط ؟

وبذلك يكون العرض الذي قمت به لهذه النصوص في الباب السابق موافقاً -إن شاء الله- للنقد الذي سأقوم به هنا.

١- لمن أعطيت هذه الوعود ؟.

مر في العرض السابق للنصوص المقدسة عند اليهود بيان أن أول نص صريح عندهم أعطاهم أرض فلسطين وما حولها كان لإبراهيم -عليه السلام- ولنسله من بعده. ((فأقام أبرام في أرض كنعان.. وقال الرب لأبرام : ارفع طرفك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا إنّ جميع الأرض التي تراها لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد ... قم فامش في الأرض طولها وعرضها فإني لك أعطيها))[1].

ومن خلال هذا النص وغيره من النصوص الواردة في أسفار اليهود يظهر أن الرب أعطى هذه الوعود لإبراهيم عليه السلام ، ولنسله من بعده.

فالزعم الذي يتشدّق به اليهود أنهم وحدهم الورثة لهذه الوعود المقطوعة لنسل إبراهيم عليه السلام لا يتفق مع مدلول النصوص ، بل هو التحريف والتضييق المتعمد. إذ أن نسل إبراهيم عليه السلام يشمل بالضرورة جميع المنحدرين من نسله عليه السلام. فكما أن إبراهيم عليه السلام أب لإسحاق عليه السلام فهو أب لإسماعيل عليه السلام الذي هو ابنه الأكبر، فهو يكبر أخاه إسحاق بأربع عشرة سنة.

جاء في الرواية اليهودية : ((وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة حين ولدت هاجر إسماعيل لأبرام))[2]. ((وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين وُلِد له إسحاق ابنه))[3].

فإبراهيم عليه السلام هو الجد الأعلى للعرب الذين هم ذرية إسماعيل عليه السلام ، كما أنه الجد الأعلى لبني إسرائيل الذين هم ذرية يعقوب ابن إسحاق عليهما السلام.

وطبقاً لأسفار اليهود فإن تجديد الوعد من قِبل الرب لإبراهيم حصل بعد ولادة إسماعيل عليه السلام ، وقبل ولادة إسحاق عليه السلام. وجعل الختان علامة لذلك الوعد.

---

(١) تكوين ١٣: ١٢-١٤-١٥-١٧.

(٢) تكوين ١٦: ١٦ ، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير ١٧٩/١.

(٣) تكوين ٢١: ٥ ، والمرجع السابق للحافظ ابن كثير.

((ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة تجلى له الرب وقال له أنا الله القدير اسلك أمامي وكن كاملا فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثّرك جداً جداً... وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكا مُؤبّداً وأكون لهم إلها ... هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبين نسلك من بعدك يختن كل ذكر منكم... فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع مواليد بيته وسائر المُشتَرين بفضَّته كُلَّ ذكر من أهل مترله فختن القُلفة من أبدانهم في ذلك اليوم عينه بحسب ما أمره الله به. وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة عند ختنه لحم قلفته. وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن القُلْفَة من بدنه))[1].

فهذا عهد الختان حصل لإسماعيل عليه السلام، ولم يكن إسحاق قد ولد بعد.

فكيف يرتبط الوعد بمن كان حاله في الغيب لا يعلم عنه أبوه شيئا، ولا يرتبط الوعد بمن كان حاضرا وطبق بعض أموره كالختان!.

((إن الذي تم ختنه بعد هذا العهد مباشرة هو إسماعيل، لأن إسحاق لم يولد بعد في ذلك الوقت. فلماذا يقصر الوعد على ولد سبقه الميثاق دون ولد سبق الميثاق))[2].

تحول الوعد واختص به إسحاق عليه السلام وذلك قبيل مولده، ولم تذكر الروايات اليهودية أسباب هذا التحول.

((فقال إبراهيم لله لو أن إسماعيل يحيا بين يديك، فقال الله بل سارة امرأتك ستلد لك ابنا وتسميه إسحاق وأقيم عهدي معه عهدا مؤبدا لنسله من بعده، وأمّا إسماعيل فقد سمعت قولك فيه وهاأنذا أُباركه وأُنميه وأُكثره جدا جدا ويلد اثني عشر رئيسا وأجعله أمّة عظيمة، غير أن عهدي أُقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة))[3].

يعني تحول الوعد من نسل إبراهيم عليه السلام إلى نسل سارة زوجته ((غير أن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده سارة)) كأنّه ولهذا السبب -والله أعلم- اعتبر اليهود أن أمومة الطفل، وليست أبوّته هي العامل الأساسي في تحديد انتمائه إلى اليهود.

المهم في المسألة أن الوعد تحول من أن يكون إلى كل نسل إسحاق واختص به يعقوب عليه السلام دون أخيه عيسو، علما بأنه طبقاً للروايات اليهودية فإن الابن الأكبر لإسحاق عليه السلام

---

(١) تكوين ١٧: ١-٢-٨-١٠-٢٣-٢٤-٢٥.

(٢) رؤية دينية للدولة الإسرائيلية، حسن محمد مي، ص ٥١.

(٣) تكوين ١٧ : ١٨-٢١.

هو عيسو والابن الثاني هو يعقوب عليه السلام[١] وأيضا لم تذكر الروايات اليهودية أسبابا لهذا التحول وهذا الاختيار الذي خص به يعقوب عليه السلام.

((فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه فقال له... والله القدير يباركك وينمّيك... ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك من بعدك ، لترث أرض غربتك التي وهبها الله لإبراهيم))[٢].

أما إن كانت حجة اليهود بأن الرب حول الوعد من إسماعيل إلى إسحاق لأن إسماعيل ابن جارية ((هاجر مولاة سارة)) ((ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح : فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق))[٣].

فلماذا انصرف الوعد من عيسو وانحصر في يعقوب علما بأنهما من أم واحدة لا فرق بينهما من تلك الناحية ، وأن هناك نصوصاً من كتابهم المقدس تدل على رضا الرب على إسماعيل وعيسو وأنه لم يكن غاضبا عليهما ، ((وأمّا إسماعيل فقد سمعت قولك فيه وهاأنذا أباركه وأنميه وأكثره جدا جدا))[٤]. ((فقال عيسو لأبيه... باركني أنا أيضا يا أبت... فأجابه إسحاق أبوه)) [٥].

((ولكن ، عبثا نقلب صفحات هذا ((السفر)) بحثا عن نصوص فيه تعلن عن وفاء ((الوعد)) لإسحاق عليه السلام.

كلا ! لا شيء هناك إلا من نصوص تترى تكشف الحقيقة من أمر هذا ((الوعد)) الذي لم يكن في واقعه إلا وعداً سياسيا تابعا لمآرب السياسة وألعوبة سياسية في يد هذا المؤلف اليهودي تتوارى خلف ستار من قول ((ظهر الرب)) و((قال الرب)) و ((أقسم الرب)) فإنّ هذا المؤلف اليهودي منذ اللحظة التي شرع فيها قلمه وبدأ يكتب ((سفر التكوين)) لم يستهدف من وراء هذه ((الوعود)) إلا التمهيد لعودة ((مملكة داود)) ومن ثم كان حتماً لهذا الوعد أن يتحول في يده من شخص إلى آخر حتى يصل به إلى ((ذرية داود)) ، وأما وأنه قد بدأ به بإبراهيم فلم يكن ذلك إلا حسبما أملته المصالح السياسية لكي يكسب قضيته صبغة شرعية. فهو لا يجعل هذا ((الوعد)) يأتي لإبراهيم ، بادئ ذي بدء ، إلا ليحوله إلى إسحاق ليخرج منه إسماعيل وأبناء إسماعيل وإلا ليتخذ من إسحاق وسيلة إلى تحويل هذا ((الوعد)) إلى يعقوب ، ليحصره في سلالة إسرائيل ، حتى يمكنه

---

(١) انظر ص ٣٩ من هذا البحث.

(٢) تكوين ٢٨ : ١-٣-٤.

(٣) تكوين ١٧ : ٢٠.

(٤) تكوين ٢٧ : ٣٨-٣٩.

(٥) تكوين ٢١ : ٩-١٠.

بعد ذلك من تحويله إلى ذرية داود ، لينحصر في مملكة الجنوب دون الشمال ، وتعود ((مملكة يهوذا)) أو ((المملكة اليهودية)) إلى الوجود))[1].

٢- ما هي حدود الأرض الموعودة ؟

مما مر في مسألة عرض نصوص العهد القديم المتعلقة بشأن حدود الأرض الموعودة[2] ، يتضح لنا أن هذه النصوص فيها من الاختلاف وعدم الموضوعية والإبهام ما يجعل القارئ لها يستبعد أن تكون نصوصاً سماوية من عند الله، لم يلحقها ما لحق باقي فقرات ونصوص توراتهم الحالية، وباقي أسفارهم المقدسة عندهم، من التحريف والتزييف والزيادة والنقصان[3].

((تعمدت هذه النصوص أن تترك أسماء التخوم مبهمة معقدة كما تعمدت أن تختار الأسماء المشتركة إمعانا في اللبس ، ولكي تمنح اليهود فرصا ممدودة لتأويل تلك النصوص على حسب ما يقتضيه الحال))[4].

لذلك جعل اليهود أرض الميعاد تشمل مناطق أكثر اتساعا من أرض فلسطين ، فضموا إليها شرقي الأردن وشبه جزيرة سيناء ، بل جعلوها من ((نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات))[5].

ولعل أشد ما دونته تلك النصوص تحريضا لليهود على التوسع العدواني الظالم : ((كلُّ مكان تطؤهُ أخامِصُ أرجُلِكم لكم أعطيتُهُ))[6].

فهم مرتبطون عقائدياً بكل أرض سكنوا فيها ، ويحاولون احتلالها أو ما يسمونه ((العودة إليها)) مثل كل فلسطين وسورية والعراق ومصر والحجاز.

((ولما كان تحديد الأرض التي يشملها الوعد لم يرد بصورة محددة قاطعة فقد أدى إلى مطالبة الحركة الصهيونية بحدود مختلفة للأرض التي يشملها الوعد))[7].

---

(١) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، أبكار السقاف ص١٢٦.

(٢) انظر من ص ١٦٩ من هذا البحث.

(٣) انظر من ص ٢٨٢ من هذا البحث.

(٤) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ؟ ، محمود نعناعة ٣٠٩/١.

(٥) تكوين ١٥ : ١٨.

(٦) يشوع ١ : ٣.

(٧) القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي ، د. غازي ربابعة ، ص١٧.

يقول بن غوريون : ((إننا لم نحقق بعد هدفنا وهو النصر النهائي. فنحن حتى الآن لم نحرر من بلادنا سوى قسم واحد فقط. وسنجعل الحرب حرفة يهودية حتى يتم تحرير بلادنا كلها ، بلاد الآباء والأجداد ، وسنحقق رؤيا أنبياء إسرائيل)) [(١)].

ولقد أعلن موشى دايان يوم ٦ حزيران ((يونيو)) ١٩٦٧ م وهو يوم احتلال القدس : ((لقد استولينا على (أورشليم) ونحن في طريقنا إلى (يثرب) وإلى (بابل)))[(٢)].

ففلسطين ليست هي كل الأرض الموعودة -عندهم- وإنما هي جزء منها. أي أنها تُعتبر عندهم ((إسرائيل الصغرى)).

وعن هذا الجزء يتحدث مناحيم بيغن : ((إن إسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل إلا خُمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء ! ومن ثم يجب العمل على تحريرالأربعة الأخماس الباقية))[(٣)].

ويصرح (لاوورمان تويج) أحد اليهود الإنكليز : ((لا يشترط أن تكون حدود فلسطين المقبلة محاطة بحدودها التاريخية القديمة ، حيث إن اليهود سيستولون على كافة البلاد الموعودة لهم في التوراة ، وإن الله قد أعطى جميع البلاد الكائنة من البحر المتوسط إلى الفرات ، ومن لبنان إلى نهر النيل وتركية ، إلى شعبه المختار -اليهود-)) [(٤)].

وكتب دافيد تريتش -أحد أصدقاء هرتزل- بتاريخ ٢٩ أكتوبر١٨٩٩م إلى هرتزل - بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي : ((أود أن أقترح عليكم أن تُعدّلوا من وقت إلى آخر برنامج ((فلسطين الكبرى ، إسرائيل الكبرى)) قبل فوات الأوان. كان ينبغي أن يتضمن برنامج (بال) الكلمات ((فلسطين الكبرى أو فلسطين والأراضي المجاورة)) لأنه من غير ذلك يصبح البرنامج بلا معنى))[(٥)].

وعندما أُعلن عن قيام الدولة اليهودية -إسرائيل- على أرض فلسطين المسلمة -المحتلة- وأيضاً عندما قُيدت عضواً في هيئة الأمم المتحدة ،لم يحدد مداها ، بل تركت بدون حدود تقيدها[(٦)]، مما يدل دلالة واضحة على تطبيقهم لنصوص أسفارهم المقدسة التي تحث على التوسع

---

(١) في مايو سنة ١٩٤٩م. إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، أبكار السقاف ، ص.٢٣.

(٢) أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية ، اللواء الركن محمود شيت خطاب ، ص ٢٥.

(٣) في سنة ١٩٥٣م. إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ، ص ٢٤.

(٤) عقيدة اليهود في تملك فلسطين ، عابد توفيق الهاشمي ، ص ٣٣.

(٥) ملف إسرائيل -دراسة للصهيونية السياسية- رجاء جارودي ص ١٤٧.

(٦) انظر : إعلان قيام دولة إسرائيل إلى كتاب سياسة الاستعمار والصهيونية ، د. الخولي ٢ / ٤٥٤-٤٥٧.

الاستعماري والامتداد العدواني. والأمة الإسلامية حامية عرين هذا الكوكب الأرضي في غيّها سادرة.

قال إسحاق شامير[1] في١٦حزيران (يونيو) ١٩٨٢م على شاشة التلفزيون الفرنسي إثر الاجتياح الصهيوني للبنان : ((نحن لم نضم أراضيٍ عربية محتلة. كيف نضم ما هو ثابت تاريخياً لنا ولأجدادنا، ولا أرى داعياً لتحديد حدود إسرائيل ، إنها محددة في التوراة))[2].

يقول بن غوريون : ((أمامكم الإعلان الأمريكي للاستقلال. ليس به أي ذكر لحدود أرضية. ولسنا ملزمين بتعيين حدود الدولة))[3].

وفي هذا إشارة لها دلالة كبيرة ، فهو يريد أن يجد في تلك السابقة الأمريكية ما يغري باتخاذها مثلا يُحتذى. فقد ظلت حدود أمريكا غير ثابتة لمدة قرن من الزمان ، وكانت تتحرك كلما تقدم الأمريكيون في قتل الهنود الحمر والاستيلاء على أرضهم ، إلى أن توقفوا عند المحيط الهادي[4].

ويقول بن غوريون بكل صراحة ووضوح : ((ليست المسألة مسألة احتفاظ بالوضع الراهن ، فعلينا أن نقيم دولة غير متجمدة ، دولة ديناميكية تتجه إلى التوسع))[5].

وتقول غريس هالسل : ((شغل موضوع ((حدود إسرائيل)) الأمم المتحدة أكثر من أي موضوع آخر. لقد كانت الأمم المتحدة هي التي أوصت بإقامة إسرائيل كفلسطين يهودية إلى

---

(١) إسحاق شامير : من مواليد بولندا عام ١٩١٥م. كان منذ بدايات شبابه فاعلاً في الحركة اليهودية ((بيتار)). هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٥م. وفي عام ١٩٤٠ انضم إلى منظمة ((إيتزيل إسرائيل)) ، تغير إسمها إلى ((ليهي)) (المقاتلون من أجل حرية إسرائيل) ، في عام ١٩٤٢م أصبح أحد أعضاء القيادة الثلاثية لتلك المنظمة والمسؤول عن النشاطات التنظيمة والعملية. في عام ١٩٤٨م صدرت مذكرة بريطانية باعتقاله كإرهابي ، بسبب قيامه بعمليات قتل واغتيالات في وسط الفلسطينيين وبعض المسؤلين في هيئة الأمم المتحدة. انضم إلى ((الموساد)) منذ بداية تأسيس دولة إسرائيل ، ومكث متنقلاً في المناصب داخلها حتى عام ١٩٦٥م. في عام ١٩٧٤م انتخب عضواً في الكنسيت. وفي عام ١٩٧٧م وبعد فوز تكتل الليكود ، انتخب رئيساً للكنيست. وفي عام ١٩٧٨م امتنع عن التصويت على تأييد اتفاقية كامب ديفيد. عيّن وزيراً للخارجية عام ١٩٨٠م. وفي عام ١٩٨٣م تولى رئاسة الوزراء الإسرائيلي وزعيماً لتكتل ليكود. وبعد انتخابات ١٩٨٤م، توصل إلى مداورة السلطة مع زعيم حزب العمل آنذاك شمعون بيريز. ومنذ عام ١٩٨٦م أصبح رئيساً للوزراء والمسؤول الأول في الدولة اليهودية حتى عام ١٩٩٢م ، عندما قرر اعتزال العمل السياسي. انظر : شخصيات إسرائيلية ص ١٣٧-١٣٨ ، محمد شريدة. مذكرات إسحاق شامير ، تعريب : سامية الشامي وطلعت غنيم حسن.

(٢) الحروب الصليبية هل انتهت ؟ عبدالوهاب زيتون ، ص ١٠.

(٣) ملف إسرائيل ، دراسة للصهيونية السياسية ، جارودي ، ص ١٤٩.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

جانب فلسطين عربية ، وحددت حدود إسرائيل في عام ١٩٤٨م ، ومنذ ذلك الوقت ، غيّرت إسرائيل باستمرار هذه الحدود ، كانت تطبع خرائطها الخاصة وتضمنها الأراضي التي كان بعض قادتها مثل مناحيم بيغن يقول : إن الله أعطاها إلى اليهود))[١].

لذلك يقول الأستاذ محمود نعناعة : ((من حق أسفار العهد القديم على زعماء اليهود أن يقدسوها ويعضوا عليها بالنواجذ ، وأن يضفوا على مدوّنيها كل صفات القداسة والتكريم فقد فتحت تلك الأسفار لهم كل الأبواب الموصدة ، ليتربعوا ، متى ما واتتهم الظروف والقدرة ، حيث يحلو لهم في هذا العالم))[٢].

وأعود إلى مسألة اختلاف النصوص في أسفار اليهود بالنسبة لتحديد الأرض الموعودة. حاول بعض الحاخامات أن يزيل ذلك التعارض والتناقض فقد فقال : ((إن النصوص التي حددت ملك إسرائيل بفلسطين فقط تعد منحة مخفضة من الله لبني إسرائيل ، لكن هذا لا يعني أن هذه الأراضي فقط هي حق إسرائيل. فحقهم في الأرض هو أوسع من ذلك بكثير ، فالله قد وعد اليهود وعدا مشروطا ووعود الله المشروطة لا تلغى أبدا ، بل يحتفظ بها لكي تتحقق في المستقبل))[٣].

٣- هل كانت الوعود مطلقة بلا قيد أو شرط أو كانت بقيود وشروط ؟

يبين العرض الذي سبق ذكره[٤] لنصوص أسفار اليهود المقدسة أن الوعود بالأرض جاءت في أغلبها مقيدة بقيود وشروط.

وهي أنّ على بني إسرائيل الالتزام بأوامر الرب ونواهيه التزاما لا يحتمل التأويل أو التساهل.

مثل : ((فقال الرب... إن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي صنعتُها في مصر وفي البرية وجرّبوني عشر مرّات ولم يسمعوا لقولي ، لن يروا الأرض التي أقسمتُ عليها لآبائهم وكلُّ من استهان بي لن يراها))[٥].

ومثل : ((فاحفظوا جميع الوصايا التي أنا آمُركُم بها اليوم لكي تتشدّدوا وتدخُلُوا وتملكوا الأرض التي أنتم عابرون إليها لتمتلكوها ، ولكي تطول أيامُكم على الأرض التي أقسمَ الربُّ

---

(١) النبوءة والسياسة ، غريس هالسل ، ترجمة محمد السماك ، ص١٥٣.

(٢) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ، محمود نعناعة ، ٣١١/١.

(٣) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ، د. سعد الدين السيد صالح ، ص٣٧٠.

(٤) انظر من ص ١٧٠ من هذا البحث.

(٥) عدد ١٤ : ٢٠ ، ٢٢-٢٣.

لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم أرضا تدرُّ لبنا وعسلا... إحذروا أن تَغوي قُلُوبكم فتضلُّوا وتعبدوا آلهة غريبة وتسجدوا لها ، فيشتدّ غضبُ الرب عليكم فيحبسُ السماء فلا يكون مطر والأرض لا تخرج أُكُلها فتبيدون بسرعة عن الأرض الصالحة التي يعطيكمُ الرَّبُّ))[1].

ومثل : ((وإن حِدتم زائغين عن اقتفائي أنتم وبنوكم و لم تحفظوا وصاياي ورسومي التي جعلتها أمامكم وذهبتم وعبدتم آلهة غريبة وسجدتم لها فإنّي أقرضُ إسرائيلَ عن وجهِ الأرض التي أعطيتها لهم والبيت الذي قدّسته لاسمي أنفيه من حضرتي فيكون إسرائيل مثلا وأحدوثة بين الشعوب بأسرها))[2].

هذه النصوص ، وغيرها ، تدل دلالة واضحة على أن ذلك الوعد الذي يدعيه اليهود بأرض فلسطين وما حولها ، يشترط على بني إسرائيل الالتزام بشريعة الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

فالوعد بالأرض المذكور في نصوص اليهود المقدسة -على تحريف أسفارهم وتبديلها- هو وعد من الرب لهم -على زعمهم- في ذلك الوقت -وقت شرعيّة الرسالة الموسوعية للعمل في هذه الأرض ودعوة بنـــي إسرائيل إلى عبادة الله لا شريك له- ليس لأجل أن بني إسرائيل هم شعب الله المختار -على ما يدعون- أو لأجل الخيرية المطلقة فيهم -على ما يفترون- ولكن هو وعد يتحقق إذا هم أطاعوا الرب واستقاموا على شريعته ، فهم بذلك يكونون ((أفضل من غيرهم من الأمم في ذلك الوقت التي كانت تعبد الأوثان من دون الله تعالى ، وإن عصوا وزاغوا عن الشريعة حلّت عليهم اللعنة ونُزعت منهم البركة وأصبحوا كبقية شعوب الأرض))[3].

((وفيما يتعلق بميثاق الأرض ، فقد وعد الله بوطن لبني إسرائيل يبقى قائما ما بقي بنو إسرائيل يطيعون شريعة موسى ، على العكس من ذلك فقد وعد الله أيضا أنهم سوف يخسرون الميثاق ، الذي تضمن الوعد بالأرض ، إذا عصوا الله و لم يلتزموا بشريعته كما نقلها موسى إليهم))[4].

ومن المعلوم تاريخيا وعلى حسب ما جاء في أسفارهم المقدسة أن بني إسرائيل لم يلتزموا بشريعة الله و لم يحفظوا وصاياه.

---

(١) تثنية الاشتراع ١١ : ٨-٩ ، ١٦-١٧.

(٢) ملوك ثالث ٩: ٦-٧.

(٣) بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء ، د. عبد الشكور بن محمد أمان العروسي ، ٢٣٢/١.

(٤) سرقة أمة ، وليم و. بيكر ص ١٠٩.

((فقال يشوع للشعب أنتم شهود على أنفسكم أنّكم قد اخترتم لأنفُسكُم الرب لتعبدوه. فقالوا نحن شهود. فالآن انزعوا الآلهة الغريبة التي فيما بينكم ووجِهُوا قلوبكم إلى الرب إله إسرائيل))[1].

((كانوا ليُمتحن بهم إسرائيل هل يسمعون لوصايا الربِّ التي أوصى بها آباءهم على لسان موسى. فأقام بنو إسرائيل بين الكنعانيين والحثيين والأموريين ... واتخذوا الشر في عيني الرب ونسُوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والعشتاروت فاشتدّ غضب الرب على إسرائيل))[2].

((وعاد بنو إسرائيل فصنعوا الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة أرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه))[3].

((وكان بنو إسرائيل قد خطِئُوا إلى الربِّ إلههم الذي أخرجهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر واتقوا آلهة أخرى. وجروا على سُننِ الأممِ التي طردها الربُّ من وجه بني إسرائيل وعلى ما سنّته ملوكُ إسرائيل. وعَمِلَ بنو إسرائيل في الخفاء أمورا غير مستقيمة في حق الرب إلههم وابتنوا لهم مشارف في جميع مدنهم ... وأقاموا لهم أنصاباً وغابات على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء ... وفعلوا أفعالاً سيئةً لإسخاط الرب ورذلوا فرائضه وتركوا جميع وصايا الرب ... فرذل الرب جميع ذرية إسرائيل وأذلهم))[4].

((هذا فيما يتعلق بجملة الالتزامات التي تعهد بنو إسرائيل بتنفيذها على ضوء العهد المقطوع بينهم وبين الرب ، وقد رأينا في النصوص المقتبسة أن بني إسرائيل تجاهلوا كل الوصايا وارتكبوا أعظم الذنوب ، وأي ذنب أعظم من الشرك وعبادة الأصنام))[5].

((هل حافظ اليهود على شريعة الله وأوامره ؟ الجواب جاء لكل الأجيال القادمة ضمن السياق التاريخي نفسه الذي يتحدث عن الوعود الحارة والثواب الذي ينتظر الشعب الطائع ،

---

(١) يشوع ٢٤ : ٢٢،٢٣.

(٢) القضاة ٣ : ٤-٨.

(٣) القضاة ١٠ : ٦.

(٤) ملوك رابع ١٧ : ٧-٢٠.

(٥) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ؟ ، محمود نعناعة ٣٠٢/١ .

وهب أن المقصود أحكام التوراة المنسوخة فأين هم منها ؟ .

إن دولة إسرائيل هي من أكبر مباءات الفواحش والإلحاد والإجرام في العالم ، إنما تنافس أمريكا في القمار والشذوذ والربا وارتكاب كل الموبقات ، والمؤسسون لها زعماء عصابات إجرامية وإرهابية . وكل الوصايا العشر الموسوية منكورة ، والشيء الوحيد الذي يحفظه اليهود من التوراة هو أنهم شعب الله المختار ونسل إبراهيم عليه السلام . انظر : يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب ؟! ، ص ٩٧ ، د. سفر الحوالي .

وتبين التوراة بوضوح ارتداد هؤلاء ، وعبادتهم لآلهة زائفة ، ثم (الضلال) المطلق لأمة إسرائيل بكاملها ، قد ذكرت أسماء الأفراد والقبائل كما ذكرت أسماء المدن والأماكن التي فسقوا فيها ، ومع ذلك يبدو أن كثيرين من الذين يؤيدون مسألة النبوءة في احتلال إسرائيل لفلسطين لم يقرأوا ذلك ! لقد أبطل اليهود مرة بعد أخرى الجزء المتعلق بهم من الميثاق المتفق عليه))[١].

فإذا أبقى الله على كلمته ووعوده ، يصبح لزاما علينا حينئذ أن نعود لنسأل ما سجله التوراة والتاريخ العلماني لنتوصل ونقرر ما إذا كانت قد تحققت وعود الله بالهلاك والدمار ضد اليهود نتيجة تخلفهم عن تنفيذ تعهداتهم في الميثاق ، عد بذاكرتك إلى بحثنا لموضوع تشتت اليهود الذي يعتبر حقيقة مـــن حقائق التاريخ المكتوب[٢] ، حيث نعلم منه ليس فقط مخالفة اليهود للجانب المتعلق بهم في الميثاق ، بل يضاف إلى ذلك الفواجع والنكبات التي وعد بها الله قد وقعت فعلاً ، أن الله حافظ لوعوده ، سواء منها الإيجابي أو السلبي[٣] !.

اسمع قوله : ((ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصى الأرض إلى أقصاها ، وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر. وفي تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرار لعدمك بل يعطيك الرب هناك قلبا مرتجفا وكلال العينين وذبول النفس ، وتكون حياتك معلقة قدامك وترتعب ليلا ونهارا ولا تأمن على حياتك))[٤].

((وهكذا نكص اليهود عن أداء رسالة الله ، وكفروا به ونقضوا ميثاق الله وكذّبوا أنبياءه وقتلوهم، فافتقدوا الأهلية للوعد))[٥].

وهناك نصوص من أسفارهم المقدسة تدل على أن الرب قد فسخ وعده المزعوم لبني إسرائيل، بسبب معاصيهم وفسقهم بل كفرهم. ((لذلك هاأنذا أنساكم نسيانا وأنبذكم أنتم والمدينة التي أعطيتها لكم ولآبائكم عن وجهي. وأجعل عليكم عارا أبديا وخزيا أبديا لن ينسى))[٦].

((فأخذت عصاي نعمة وقصفتها لأنقض عهدي الذي قطعته مع كل الأسباط))[٧].

---

(١) سرقة أمة ، وليم و. بيكر ، ترجمة د. سهيل زكار والأستاذ عدنان برنيه ص١١٠.

(٢) انظر إلى شتات اليهود في الباب التمهيدي من الرسالة من ص ٧١.

(٣) سرقة أمة ، وليم و. بيكر ص١١١.

(٤) تثنية ٢٨ / ٦٤-٦٦.

(٥) رؤية دينية للدولة الإسرائيلية ، حسن محمد مي ، ص٥٤.

(٦) نبوءة أرميا ٢٣ : ٣٩-٤٠.

(٧) زكريا ١١ : ١٠.

هذا الذي مر معنا من تفصيل يصح أن نقوله عندما كانت شريعة التوراة هي الشريعة الواجب اتباعها على بني إسرائيل في ذلك الوقت ، أما وقد أرسل الله عز وجل خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ ، فلا يصح مما تقدم شيء ، لأنه واجب على بني إسرائيل ، بل الناس كافة ، أن يتبعوا الشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرسَلنَاكَ إلاَ كَافَّةً للنَّاسِ بَشيرًا وَنَذيرًا﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيكُم جَميعًا﴾ (٢).

وقال ﷺ : ((والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار))(٣).

وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُم وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾ (٤).

بهذا انتهيت من نقض ذلك الوعد بالأرض من خلال أسفارهم المقدسة عندهم من خلال الزوايا الثلاث التي ذكرتها في موضوع عرض عقيدتهم في الوعد من أسفارهم ، حتى يتوافق -إن شاء الله- العرض مع النقد.

ثم أزيد في مسألة نقد هذا الوعد المزعوم من خلال أمور وهي :

٤- هناك نصوص في أسفارهم المقدسة جاء في ثناياها الوعد مصاحبا بكلمة ((إلى الأبد)) أو ((أبديا)).

مثل ((وقال يعقوب ليوسف إن الله القدير ... قال لي هاأنا أثميك وأكثرك وأجعلك جمهور شعوب وأعطي نسلك هذه الأرض من بعدك ملكا أبديا))(٥)، ((ويسكنون في الأرض التي أعطيتها لعبدي يعقوب التي سكن فيها آباؤكم فيسكنون فيها هم وبنوهم وبنو بنيهم إلى الأبد))(٦).

---

(١) سورة سبأ آية ٢٨.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٨.

(٣) صحيح الإمام مسلم ، كتاب الإيمان ، باب (٧٠) وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.ح (٢٤٠) ص ١٣٤. باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) سورة الأحزاب آية ٤٠.

(٥) تكوين ٤٨ : ٤.

(٦) نبوءة حزقيال ٣٧ : ٢٥.

فعبارتي ((إلى الأبد For Ever)) و((أبدي Ever Lasting)) هي عبارة عن ترجمة عربية وإنجليزية لكلمة ((عولام Olam)) العبرية. ولكن هذه الترجمة غير صحيحة. وإنما الترجمة الصحيحة لتلك الكلمة بالإنجليزية هي ((Ling Time, an tiguity)) ومعناها بالعربية ((زمناً طويلا ، الأزمنة الغابرة))(١).

فهذه النصوص إذا لا تدل على أن بني إسرائيل سيسكنون أرض فلسطين وما حولها سكنا أبديا ودائما ، وإنما سيحلون في هذه الأرض مدة من الزمن وحيناً من الدهر. وهذا ما حصل على ما جاء في أسفار العهد القديم ، فها هو عصر يوشع عليه السلام وعصر القضاة والملوك وقمة ملك بني إسرائيل على أرض فلسطين كان في عهدي النبي داود عليه السلام والنبي سليمان عليه السلام، وكذلك عصر حركة المكابيين. وفي كل هذه الأوقات ملك بنو إسرائيل جزءاً من أرض الميعاد (يصغر ويكبر تبعاً للحالات السياسية والحروب مع جيرانهم). فحصل الاستيطان والتملك فترة من الزمن وحيناً من الدهر.

٥- وأيضا هناك نصوص من أسفارهم تدل على أن الوعد قد تم تحقيقه.

((وأعطى الربُّ إسرائيل جميع الأرض التي حلف أنّهُ يعطيها لآبائهم فتملكوها وأقاموها))(٢).

((لم تسقط كلمة واحدة من جميع كلام الخير الذي كلم الرب به آل إسرائيل بل تمّ كُلُّهُ))(٣).

واستنادا إلى هذه النصوص فإن الوعد قد تحقق لبني إسرائيل : فهاهم يدخلون أرض فلسطين بقيادة يوشع ((يشوع)) عليه السلام ، ويعودون إلى أرض فلسطين بعد السبي البابلي.

وهكذا يتبين أن تنبؤات أسفارهم المقدسة قد تحققت في مسألة العودة ((علما بأن نصوص العهد القديم لا تتضمن أبدا أية نبوءة بصدد عودة ثانية))(٤) بعد دخولهم مع يوشع عليه السلام وبعد عودتهم من السبي البابلي.

---

(١) إسرائيل في الكتاب المقدس ، ترجمة حسني خشبة ص٣١ ، والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ص ١٩٦ ، وإسرائيل في التوراة والإنجيل ، د. مراد كامل ص٢٩.

(٢) يشوع ٢١: ٤١.

(٣) يشوع ٢١ : ٤٣.

(٤) القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ص ١٦٩.

٦- تدعي الحركة الصهيونية أن مطالبتها بأرض فلسطين مبنية على أسس دينية ، وأن اليهود عملوا جاهدين للعودة إلى أرض الميعاد ، حتى تسنت لهم الفرصة بمعاونة الصليبية العالمية لاحتلال أرض فلسطين في القرن العشرين.

لنسأل سؤالا : هل اليهود تعلقوا بهذه الأرض الموعودة لهم كما في أسفارهم؟.

الذي يظهر من النظر في أسفار العهد القديم أن بني إسرائيل لم يتعلقوا بالأرض الموعودة لهم التعلق الذي يؤدي بهم إلى العودة إليها بحب وشوق أو التمسك بها بكل ما أعطوا من قوة.

مكث بنو إسرائيل في أرض مصر أربعة أجيال ((وكان مقام بني إسرائيل الذي أقاموه بمصر أربع مائة وثلاثين سنة))[1]. كل هذه المدة الطويلة لم تكن أرض فلسطين محط اهتمام بالنسبة إلى بني إسرائيل و لم يذكروها لا من قريب ولا من بعيد ، بل قد نسوها تماما ، حتى إلههم نسي وعده لهم بالأرض كما جاء في أسفارهم ((وأيضا قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين استعبدهم المصريون فذكرت عهدي))[2].

فهل هذا يدل على تعلقهم بأرض فلسطين ؟!.

وفي الطريق إلى أرض كنعان كان اليهود يُعبّرون عن سخطهم وتذمّرهم على موسى وهارون لإخراجهم من مصر كلما شعروا بشيء من الضيق -والمواقف التذمُّرية كثيرة من اليهود على موسى عليه السلام في أثناء هذه الرحلة- مما يدل على بعدهم كل البعد عن مسألة تحقيق وعد الله لهم بأرض فلسطين وأنهم غير مهتمين بذلك.

((فتذمّر كُلُّ جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البريّة. وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا مُتنا بيد الربِّ في أرض مصر حيثُ كنّا نجلسُ عند قدور اللحم ونأكلُ من الطعام شبعنا فلِمَ أخرجتُمانا إلى هذه البريّة لتقتلا هذا الجمهور كله بالجوع))[3].

ثم تذمّروا مرة أخرى في رحلتهم تلك : ((وتذمروا على موسى وقالوا لِمَ أصعدتنا من مصر لتقتُلنا وبنينا ومواشينا بالعطش))[4].

وبعد عودة الجواسيس اليهود من استطلاعاتهم لأخبار الكنعانيين ، وما أشاعوه من خوف في نفوس قومهم من اليهود[1] ((فرفع كلُّ الجماعة أصواتَهُم وصرخوا وبكى الشعب في تلك الليلة.

---

(١) خروج ١٢ : ٤٠.

(٢) خروج ٦ : ٥.

(٣) خروج ١٦ : ٢-٣.

(٤) خروج ١٧ : ٤.

وتذمّر على موسى وهارون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة يا ليتنا مُتنا في أرض مصر با ليتنا متنا في هذه البريّة. لماذا أتى الربُّ بنا إلى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة أليس خيرا لنا أن نرجع إلى مصر وقال بعضهم لبعض لِنُقِم رئيسا ونرجع إلى مصر))[٢].

((ومن الأدلة الصريحة على أن تخصيص أرض كنعان بالعهد لم يكن واردا ولا محمولا على محمل الجد عند الإسرائيليين إعلان سبط رأوبين وسبط جاد ونصف سبط منسي رغبتهم في الاستيطان في شرقي الأردن ، لما رأوا أنّ الأرض هناك صالحة لتربية المواشي ، وموافقة موسى على هذه الرغبة وإقرارها فأذن لهم أن يستقروا هناك واشترط عليهم أن يعبروا الأردن منهم أولئك القادرون على القتال ليعاونوا بقية إسرائيل على احتلال أرض كنعان ثم يعودوا إلى شرقي الأردن وتم الاتفاق على هذا))[٣].

((فأعطى لهم موسى لبني جاد وبني رأوبين ونصف سبط منسي بن يوسف مملكة سيحون ملك الأموريين ومملكة عُوج ملك باشان الأرض بمدنها وحدودها مدن الأرض من كل جهة))[٤].

وعندما سمحت الدولة الفارسية ليهود السبي البابلي بالعودة إلى فلسطين ، كثير من اليهود لم يعودوا وطاب لهم المقام في بابل[٥].

بل جاء في أسفارهم المقدسة الحث على السكنى في بابل والاستقرار فيها. ((هكذا قال ربُّ الجنود إله إسرائيل لكلِّ الجلاء الذين أجليتهم من أورشليم إلى بابل. ابنوا بيوتا واسكنوا واغرسوا جناتٍ وكلوا من ثمرها. اتخذوا نساءً ولدوا بنين وبنات واتخذوا لبنيكم نساء واجعلوا بناتكم لرجالٍ وليلدن بنين وبنات واكثروا هناك ولا تقلُّوا. واطلبوا سلام المدينة التي أجليتكم إليها وصلّوا من أجلِها فإنّهُ بسلامها يكون لكم سلام))[٦].

فهذا الحدث يدل بوضوح على أن اليهود لم يكونوا متعلقين بأرض فلسطين.

وعندما حصل لليهود الخروج المر من أرض فلسطين في عام ١٣٥م على أيدي الدولة الرومانية. لم يعمل اليهود ذلك العمل الجاد الذي يدل من خلاله على تعلقهم بأرض فلسطين منذ

---

(١) سفر العدد ، الفصل الثالث عشر.

(٢) عدد ١٤ : ١-٤.

(٣) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ؟ ، محمود نعناعة ٣٠٨/١ ، وعدد ٣٢ : ١٩-٢٢.

(٤) عدد ٣٢: ٣٣.

(٥) انظر ص ٧٥ في الباب التمهيدي.

(٦) نبوءة إرميا ٢٩ : ٤-٧.

القرن الثاني الميلادي إلى القرن التاسع عشر الميلادي ، حتى استطاعوا في بدايات القرن العشرين احتلال أرض فلسطين بواسطة الصليبية العالمية ولضعف الأمة الإسلامية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المبحث الثاني:
إثبات بطلان هذا الوعد من الناحية التاريخية (الحجة التاريخية)

ذكرت في صفحات مضت من هذا الفصل أن اليهود يستندون إلى حجج ذات طابع معين، دينية وتاريخية ، يلجئون إليها في معرض حديثهم عن أطماعهم في فلسطين وما حولها.

وهنا أتعرض لحجة اليهود التاريخية والرد عليها.

الحجة التاريخية :

إن فكرة ((الحق التاريخي)) تعد من أهم الدعائم التي تبرر بها الحركة الصهيونية احتلال أرض فلسطين.

((فتصور الصهيونيةُ اليهودَ على أنهم شعب فلسطين الأصيل ، وترى أن الدولة اليهودية القديمة صبغت البلاد بالطابع اليهودي في العقيدة الدينية والتاريخ واللغة والحضارة))[(١)].

قدمت المنظمة الصهيونية العالمية مذكرة إلى مؤتمر السلام الذي عقد بجنيف عقب الحرب العالمية الأولى وجاء فيها : ((هذه الأرض هي الموطن التاريخي ليهود))[(٢)].

وجاء في إعلان إنشاء دولة إسرائيل يوم ١٤ مايو ١٩٤٨م : ((بموجب الحق الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي)) تقوم على أرض فلسطين دولة لليهود[(٣)].

يقول هرتزل : ((إن فلسطين التي نريد هي فلسطين داود وسليمان))[(٤)].

ويقول أيضاً : ((فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ينسى ، وهذا الاسم وحده سوف يكون صرخة التجمع القوية لشعبنا))[(٥)].

يقول بن غوريون : ((لا معنى لإسرائيل من غير القدس ، ولا معنى للقدس من غير الهيكل))[(٦)].

---

(١) الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وليم فهمي ، ص٩.

(٢) ملف إسرائيل ، دراسة للصهيونية ، رجاء جارودي ، ص٣٣.

(٣) المرجع السابق ، وسياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ، د. حسن الخولي ، ٢ / ٤٥٤.

(٤) يوميات هرتزل ص ٧٢ ، وإسرائيل والتلمود ، إبراهيم خليل أحمد ، ص١١٦.

(٥) فلسطين أرض الرسالات الإلهية ص ٢٨٦ رجاء جارودي.

(٦) أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية ص٣١ اللواء الركن محمود شيت خطاب ، وقبل أن يهدم الأقصى ص٩٧ عبدالعزيز مصطفى.

وفي كلمات مناحيم بيغن في خطابه الجوابي في الكنيست الإسرائيلي في ١٩٧٧/١١/٢٠م في الرد على أنور السادات : ((نحن لا نأخذ أرضا عربية ، بل عدنا إلى أرضنا ، والصلة بيننا وبين هذه الأرض صلة أبدية ، وهي ثابتة في جذور التاريخ الإنساني))[١].

ومن كلمات إسحاق شامير في ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٨٢م على شاشة التلفزيون الفرنسي إثر الاجتياح الصهيوني للبنان : ((نحن لم نضم أراضي عربية محتلة ، كيف نضم ما هو ثابت تاريخيا لنا، ولأجدادنا ، ولا أرى داعيا لتحديد حدود إسرائيل ، إنها محددة في التوراة))[٢].

ولم يرد أي ذكر ((لفلسطين)) في إعلان قيام إسرائيل ؛ وإنما استبدل بها ((أرض إسرائيل))[٣].

وتربط الدعاية الصهيونية دائما بين فكرة ((الحقوق التاريخية)) وفكرة ((أرض الميعاد)) التي يبدو كأنها تعطي الإسرائيليين ((حقا إلهيا)) لتملك فلسطين والسيطرة عليها[٤].

لذلك فقد كانت هذه الحجة التاريخية إحدى الأسس التي استندت إليها الحكومة البريطانية في إصدار وعد بلفور ، وإحدى الذرائع التي ركنت إليها في النص على هذا الوعد في صك انتدابها على فلسطين. كما كانت الأساس الذي أقيم عليه تشريع قانون العودة بعد قيام دولة اليهود ((إسرائيل)) الذي كفل لكل يهودي العودة إلى فلسطين ليسهم مع يهود العالم في بناء دولتهم فيها[٥].

هذه هي الحجة التاريخية التي يدعيها اليهود المعاصرون.

وأريد من خلال هذه الأسطر أن أنبه إلى مسألة مهمة جداً ، وهي : أنه وللأسف أن بعض المؤرخين المسلمين عندما أرادوا أن يردوا على تلك الحجة التاريخية اليهودية نهجوا -شعروا أم لم يشعروا- النهج العلماني للقومية العربية ؛ فأغرقوا أنفسهم في الانشغال بالمكتشفات الأثرية والخوض في دراسة الشعوب القديمة التي سكنت أرض فلسطين ، أو حكمتها ، أو مرت عليها ، وكم من الوقت استمرت هذه الشعوب في أرض فلسطين ، وذلك ليصلوا إلى أن بني إسرائيل ما سكنوا أرض فلسطين إلا بعد أن سكن العرب فيها -أي أن العرب استوطنوا أرض فلسطين قبل بني إسرائيل- ، وأن بني إسرائيل تملكوا مساحة صغيرة من أرض فلسطين واستوطنوها لفترة قصيرة مقارنة بالعرب. وكأن هذا النهج القومي لبعض المؤرخين المسلمين هو ردة فعل للرد على تلك

---

(١) الحروب الصليبية هل انتهت ؟ عبدالوهاب زيتون ، ص١٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وليم فهمي ، ص٩.

(٤) ملف إسرائيل ، دراسة للصهيونية السياسية ، رجاء جارودي ، ص ٣٣.

(٥) قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي ، د. حسن الجلبي ، ص ٣٩.

الإدعاءات لليهود الذين نظروا إلى هذه القضية بنظرة قومية عنصرية يهودية كافرة ، ولا نستغرب من اليهود أن ينتهجوا هذا النهج ؛ لأهم كفروا بالله ورسله ، فلا معيار صحيح عندهم للحق والباطل. أما وأن ينتهج بعض المؤرخين المسلمين هذا النهج العلماني القومي فإنه ولا شك يؤدي إلى نتائج خطيرة جداً ، من أخطرها :

١- الطعن والقدح في سيرة بعض أنبياء بني إسرائيل ((كما في سيرة يشوع ((يوشع)) عليه السلام وغيره من أنبياء بني إسرائيل))[١] ، الذين هم من المصطفين عند الله عز وجل لحمل الرسالة والتبليغ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصطَفِي مِن المَلائكَةِ رُسُلاً وَمِن النَّاسِ﴾ [٢] ﴿أُولَئكَ الَّذينَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِم مِن النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّن حَمَلنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إبرَاهِيمَ وَإِسرَائِيلَ وَمِمَّن هَدَينَا وَاجتَبَينَا﴾ [٣] ، والذي الإيمان بهم -في عقيدتنا الإسلامية- ركن من أركان الأيمان الذي لا يتم إيمان المرء إلا به ، قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَبِّهِ وَالمُؤمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ ﴾[٤] ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَينَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ وَيَعقُوبَ وَالأَسبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِنهُم وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ ﴾[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَينَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤمِنُ بِبَعضٍ وَنَكفُرُ بِبَعضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَينَ ذَلِكَ سَبِيلاً ۞ أُولَئكَ هُم الكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعتَدنَا لِلكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَم يُفَرِّقُوا بَينَ أَحَدٍ مِنهُم أُولَئكَ سَوفَ يُؤتِيهِم أُجُورَهُم وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٦].

فكيف بهؤلاء الباحثين المسلمين يتركون هذه المسلمات في عقيدتنا الإسلامية وينساقون في الرد على الإدعاءات اليهودية بالقدح في التاريخ اليهودي العام ، وفيه السير العطرة لأنبياء الله ، بدون تمييز بين ما يصلح للطعن وما يجب أن يقدر ويُحترم منه. وكما هو معلوم أن هذا ليس هو منهج الله في آياته عندما يذكر بني إسرائيل ، فلا يتحدث عنهم باعتبارهم قوماً ، مرفوضيين أو

---

(١) وإن من أهم الأسباب التي أدت إلى هذه النتيجة هو كلام أسفار اليهود المحرفة عن أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام ، انظر ص ٥٢ من هذا البحث.

(٢) سورة الحج الآية ٧٥.

(٣) سورة مريم الآية ٥٨.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٥.

(٥) سورة البقرة الآية ١٣٦.

(٦) سورة النساء الآيات ١٥٠-١٥٢.

مقبولين، بل يتحدث عنهم باعتبار أفرادهم ؛ مؤمنين أو كافرين. وهذا هو النهج الصحيح الذي يجب أن نتهجه في كلامنا عن الأمم والشعوب وليس بني إسرائيل فقط ، فالذي يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً هو المعزز المكرم المقبول ، والكافر هو المهان المبعد المرفوض ، مهما كان أصله أو جنسه أو وطنه أو لونه.

٢- يجعلنا ونحن أهل الإسلام والإيمان ، الذي يجب علينا أن نوالي ونعادي في الله تعالى ، نوالي ونقف -شعرنا أو لم نشعر- في صف الوثنيين الكفرة من العرب كجالوت وغيره من أهل فلسطين الذين حاربوا أنبياء الله في بني إسرائيل ، ونعادي ونتبرء -أدركنا أم لم ندرك- من أنبياء الله الصالحين كيوشع وداود وسليمان وغيرهم عليهم السلام.

ونحن نعلم ما مترلة الولاء والبراء في دين الله ، فهما من لوازم (لا إله إلا الله). فأعمال القلوب والجوارح ناتجه عنهما كالنصرة والأنس والجهاد والهجرة ، ونحو ذلك. فلا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد ، ومعاداة أهل الكفر والضلال وبغضهم والبراءة منهم حتى ولو كانوا أقرب قريب ، قال تعالى : **﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾**[(١)] **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** [(٢)] **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾** [(٣)] **﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[(٤)].

وروى الإمام أحمد بسنده عن جرير بن عبدالله البجلي أن رسول الله ﷺ بايعه على ((أن تنصح المسلم وتبرأ من المشرك))[(٥)] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : ((أوثق

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٨.

(٢) سورة المائدة الآية ٥١.

(٣) سورة التوبة الآية ٢٣.

(٤) سورة المجادلة الآية ٢٢.

(٥) المسند ٣٦٤/٤ ، وقال الألباني : ((إسناده صحيح ، أخرجه النسائي ١٨٣/٢ ، والبيهقي ١٣/٩)) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٣٠/٢ رقم ٦٣٦.

عرى الإيمان الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله))[1].

وقد تحصل تلك الهفوة من بعض المؤرخين المسلمين في خضم ردهم على الإدعاءات اليهودية الماكرة. يقول د. محمد هلال : ((وإذا كان البعض يحاول أن يخفف من حدة هذه النتيجة المنطقية بقوله : ((مع فارق الإيمان بين القائدين واتفاق الغزو والاحتلال بين المعتدين)) فإنه بهذا يزيد الأمر سوءاً لأنه يجعل موسى وداود عليهما السلام من المحتلين المعتدين))[2].

٣- أن نغفل الجهاد في سبيل الله بل نتركه بل نعاديه ونُنَفر منه -على ذلك المنهج العلماني القومي- فلا نستطيع أن نطبق مفهوم الجهاد في سبيل الله ، وهو تعبيد الناس إلى الله الواحد الأحد لا شريك له وإخضاع جميع الأرض إلى شريعة الله وحكمه. قال تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾[3] ، قال الحافظ ابن كثير : ((ويكون الدين لله أي يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان))[4] وقال رسول الله ﷺ : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))[5]. وكانت هذه الغاية العظيمة للجهاد في سبيل الله في نفوس الصحابة الكرام أثناء معاركهم ضد أعداء الله تعالى ، ومثال ذلك ما حصل في قصة ربعي بن عامر رضي الله عنه لما بعثه سعد بن أبي وقاص إلى رستم ، وفيها ((... فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير ، وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة ، والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة. وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه. فقالوا له : ضع سلاحك. فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئتكم حين دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم : ائذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له : ما جاء

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وقال : ((أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس)) ١ / ٤٢٥ رقم ٢٧٧٨ ، قال الألباني : صحيح ، انظر : صحيح الجامع الصغير ١ / ٤٩٧ .

انظر في موضوع الموالاة والمعاداة إلى كتابي : الولاء والبراء في الإسلام د. محمد بن سعيد القحطاني ، والموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية للشيخ محماس بن عبدالله الجلعود.

(٢) الإسراء وإسرائيل ص ١٦٢ د. محمد هلال.

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٤١.

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب (١٧) ﴿ **فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم** ﴾ ح رقم (٢٥) ١/٢٤.

بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي ...))[1].

يقول د. علي بن نفيع العلياني : ((وهذا الهدف السامي -المتضمن لإعلاء كلمة الله وهي الإسلام وإقامة سلطان الله في الأرض وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وإخلاء العالم من الفساد الأكبر وهو الشرك وما ينتج عنه وإزالة الطواغيت الذين يحولون بين الناس ويعبدونهم لغير الله- موضع اتفاق بين علماء الإسلام))[2].

هذا كله يسقطه المنهج العلماني للقوميين الذي يذهب أن لكل أرض تاريخها وحضارتها المستقلة الذي لا دخل للإسلام فيها ، عبدوا ما عبدوا وتركوا ما تركوا ، فنحن الآن في عصر التعايش السلمي لا شيء اسمه فتوحات إسلامية ولا شيء اسمه جزية كل الدول -كافرة أو غيرها- هي دول صديقة وشقيقة نتعايش معها تعايشاً سلمياً لرفع مستوى الاقتصاد العالمي، ورفاهية الشعوب والأفراد ، ولا دخل للإسلام في ما يعبدون وثناً أو حجراً أو شريكاً لله تعالى. فالإسلام في منهجهم له دوله الخاصة به لا يتعدها إلى غيرها. لذلك تجد أن القوميين العرب لا ينادون بأسبانيا والبرتغال ((بلاد الأندلس)) ، فهي عندهم أراضي نصرانية أوربية اغتصبها العرب المسلمون وهي الآن رجعت إلى أهلها النصارى السابقين فلا يحق للمسلمين أن يطالبوا بها ، ولا تجدهم يطالبون بالفلبين التي كانت ذات يوم أرضا إسلامية فأصبحت الآن أرضاً نصرانية ، ولا بالهند التي حكمها المسلمون أكثر من ثمانية قرون ، بل لا يجب على المسلمين أن يدعوا أو يجاهدوا غير المسلمين نصارى أو غيرهم من أبناء لغتهم ووطنهم فلا يجوز بينهم العداء فهذا يؤدي إلى الطائفية الممقوتة التي تُذهب بالوحدة القومية التي هي الأساس والأصل في المجتمعات. وكذلك فإن القوميين يوجبون تغيير أحكام الشريعة الإسلامية في بلدانهم ليحلوا بدلاً عنها ((شريعة القومية المشتركة)) ، ((فالعروبة مشتركة بين يهود ونصارى ووثنيين وغيرهم ، تقتضي شرعاً مشتركاً يرضي هؤلاء جميعاً))[3].

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير المجلد الرابع ، الجزء السابع ص ٤٠.

(٢) ثم ذكر فضيلته أقوال جمع من العلماء حول هذه المسألة. انظر : أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة ص ١٦٢ د. علي بن نفيع العلياني. وفي موضوع الجهاد وأهميته والرد على القوميين وباقي المناهج المنحرف فيه راجع المرجع السابق للدكتور العلياني.

(٣) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، ص ٢٦٢ ، د. صالح بن عبدالله العبود.

وهذا يؤدي إلى نتيجتين كما يقول فضيلة الشيخ محمد قطب : ((إزالة استعلاء المسلم الحق بإيمانه الناشئ من إحساسه بالتميز عن الجاهلية المحيطة به في كل الأرض ، وإزالة روح الجهاد من قلبه ليطمئن الأعداء ويستريحوا))(١).

وبعد ذكر هذه المسائل المترتبة على سلوك المنهج العلماني للقوميين العرب في الرد على المزاعم اليهودية في أرض فلسطين ، يجب على المؤرخين المسلمين أن ينتهجوا النهج الإسلامي الصحيح في ذلك والمتمثل في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾(٢).

إن المسألة ليست متعلقة بقوم أو جنسٍ أو نسلٍ إنما هي متعلقة باتباع دين الله الحق في كل زمان ومكان. فإبراهيم عليه السلام أعطاه الله وراثة الأرض ، وأن يكون إماماً للناس ، وخصها الله للمؤمنين من ذريته ، قال تعالى : ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ (٣).

قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ : ((يخبره أنه كائن في ذريته ظالم لا ينال عهده ولا ينبغي أن يوليه شيئاً من أمره وإن كان من ذريته؛ ومحسن ستنفذ فيه دعوته وتبلغ له فيما أراد من مسألته... والظالم لا يصلح أن يكون خليفة ولا حاكماً ولا مفتياً ولا شاهداً ولا راوياً))(٤).

قال الأستاذ سيد قطب : ((قال : ومن ذريتي ؟. وجاءه الرد من ربه الذي ابتلاه واصطفاه ، يقرر إن الإمامة لمن يستحقونها بالعمل والشعور ، وبالصلاح والإيمان ، وليست وراثة أصلاب وأنساب. فالقربى ليست وشيجة لحم ودم ، إنما هي وشيجة دين وعقيدة. ودعوى القرابة والدم والجنس والقوم إن هي إلا دعوى الجاهلية ، التي تصطدم اصطداماً أساسياً بالتصور الإيماني الصحيح. ((قال : لا ينال عهدي الظالمين)). والظلم أنواع وألوان : ظلم النفس بالشرك ، وظلم الناس بالبغي.. والإمامة الممنوعة على الظالمين تشمل كل معاني الإمامة : إمامة الرسالة ، وإمامة الخلافة ، وإمامة الصلاة.. وكل معنى من معاني الإمامة والقيادة. فالعدل بكل معانيه في أية صورة

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة ، ص ٥٩٣ ، فضيلة الشيخ محمد قطب.

(٢) الأنبياء الآية ١٠٥.

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١ / ٢٤٩ ، ٢٥٠.

من صورها. ومن ظلم -أي لون من الظلم- فقد جرد نفسه من حق الإمامة وأسقط حقه فيها ؛ بكل معنى من معانيها))[1].

((إن الإسلام -بمعنى إسلام الوجه لله وحده- كان هو الرسالة الأولى ، وكان هو الرسالة الأخيرة.. هكذا اعتقد إبراهيم ، وهكذا اعتقد من بعده إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، حتى أسلموا هذه العقيدة ذاتها إلى موسى وعيسى.. ثم آلت أخيراً إلى ورثة إبراهيم من المسلمين.. فمن استقام على هذه العقيدة الواحدة فهو وريثها ، ووريث عهودها وبشاراتها. ومن فسق عنها ، ورغب بنفسه عن ملة إبراهيم ، فقد فسق عن عهد الله ، وقد فقد وراثته لهذا العهد وبشارته.

عندئذ تسقط كل دعاوى اليهود والنصارى في اصطفائهم واجتبائهم ، لمجرد أنهم أبناء إبراهيم وحفدته ، وهم ورثته وخلفاؤه ! لقد سقطت عنهم الوراثة منذ ما انحرفوا عن هذه العقيدة))[2].

عندما رأى الرسول ﷺ يهود المدينة يصومون يوم عاشوراء ، قال : أنا أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه[3].

فرصيد الأنبياء هو رصيد الأمة الإسلامية ، التي آمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، وتاريخهم هو تاريخها ، والشرعية التي أعطاها الله للأنبياء وأتباعهم في حكم الأرض المباركة المقدسة هي دلالة على شرعية الأمة الإسلامية وأحقيتها في هذه الأرض وحكمها[4].

((لا إشكال ـــ وفق مفاهيمنا الإسلامية ـــ في أن يكون الصالحون من بني إسرائيل محلاً لهذا الوعد أيام كانوا مفضلين على العالمين . أما الإشكال الكبير ، فهو أن تُحرف تلك النصوص لتظل مربوطة باليهود ارتباطاً أبدياً سواء استقاموا أم اعوجوا ، فكيف تسند الإمامة في الدين إلى قوم قد أُخرجوا من الاصطفاء والاختيار إلى اللعنة والغضب))[5] .

فليس لليهود والحركة الصهيونية أن تدّعي أن مطالبتها بفلسطين وما جاورها هي امتداد تاريخي لمملكتي داود وسليمان عليهما السلام وجميع أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام ، فإن هؤلاء

---

(١) في ظلال القرآن ١ / ١١٢.

(٢) المرجع السابق ١ / ١١١.

(٣) انظر تخريج الحديث في ص ٤٤ من هذا البحث.

(٤) الطريق إلى القدس ، ص ١٤ ، د. محسن محمد صالح.

(٥) حُمّى سنة ٢٠٠٠ ، ص ٢٧ ـــ ٢٨ ، الشيخ عبد العزيز مصطفى كامل .

الأنبياء الكرام قد تبرءوا من كل كافر حتى ولو كان من بني إسرائيل ، قال تعـالى : ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ [(١)]. والحركة الصهيونية ويهود العالم أجمع اليوم من الكفار ، لأنهم لم يؤمنوا بالله رباً واحداً متفرداً بالربوبية والألوهية ، و لم يؤمنوا بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً. وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني و لم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار))[(٢)].

فحكم أنبياء بني إسرائيل كان حكماً إسلامياً وليس يهودياً ، وحروبهم إسلامية لنشر الإسلام ، وليست حروباً يهودية عنصرية لسيادة الجنس اليهودي ، ولقد قربوا الناس ووالوهم على أساس إسلامهم وإيمانهم ، وليس على أساس جنسهم ويهوديتهم[(٣)].

وبالنسبة لمطالبة اليهود بإعادة بناء هيكل سليمان وبهدم المسجد الأقصى ، لأنه مبني على أنقاض الهيكل ، فهذه مطالبة باطلة ومزورة.

هيكل سليمان :

جاء ذكر الهيكل بأدق تفاصيل بنائه في أسفار اليهود ، وبعض أقوال المؤرخين ، نقلا عن أسفار اليهود.

فذُكر أن محراب الهيكل طوله عشرون ذراعا ، وعرضه عشرون ذراعا، وسمكه عشرون ذراعا ، مغشى بالذهب. والمذبح القائم أمام المحراب مغشى بالذهب. وداخل الهيكل مغشى بالذهب. والسلاسل الممتدة أمام المحراب من الذهب. وجميع الهيكل من أجنحة ومنائر وسرج وأزهار ومقاريض وجامات وصحون ومجامر ومصراعات ومفاصيلها من ذهب خالص. وجدرانه من حجارة ضخمة بعضها عشر أذرع وبعضها ثماني أذرع وعدد غرفه خمس وأربعون ، وكان طول رواق العمد خمسين ذراعا ، وعرضه ثلاثين. وكان رواق القضاء مصفحا بالأرز اللبناني من الأرض إلى السقف وغير ذلك من الأوصاف[(٤)].

وجاء في أسفار اليهود أن اسمه ((بيت الرب))[(٥)].

---

(١) سورة المائدة الآية ٧٨.

(٢) انظر : تخريجه ص ٣٢٦ من هذا البحث.

(٣) حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية ، ص ٧٤ ، د. صلاح الخالدي.

(٤) سفر الملوك الثالث ، الفصل الخامس والسادس والسابع.

(٥) ملوك ثالث ٥ :٣ ، ٥ . ٨ : ٢٠ . ٩: ٣.

وكان الهدف من بنائه عبادة الله عز وجل وذلك بشهادة أسفار اليهود.

((فيأتي ويصلي في هذا البيت))[1].

((وأصبح الهيكل منذ ذلك الحين المكان الوحيد الذي تقدم عنده القرابين))[2].

فإن كان هذا الهيكل صحيحا كما زعم اليهود ، فلم يبنه سليمان عليه السلام ((لليهود باعتبارهم يهودا ، ولم يبنه عليه السلام لهدف عنصري أو طائفي أو قومي ، لم يبنه ليخلد مجد اليهود ، لأنهم شعب الله المختار ، كما يزعمون.

لقد بنى سليمان عليه السلام هيكله لعبادة الله عز وجل ، بناه ليسلم فيه الناس لله رب العالمين ، فهو بيت للإيمان والإسلام ، ولعبادة الله وطاعته وتقواه))[3].

ولكن هذا الهيكل الذي يدعيه اليهود لم يرد ذكره في القرآن الكريم جزما ، ولم يرد ذكره في السنة المطهرة والله أعلم.

والذي ورد في السنة النبوية أن سلميان عليه السلام بنى بيت المقدس وهو نفسه((المسجد الأقصى)) أي أنه قام بتجديده[4].

روى النسائي وابن ماجه وغيرهما بالسند إلى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : ((لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس ، سأل الله ثلاثا : حكما يصادف حكمه ، وملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)). فقال النبي ﷺ : ((أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أُعطي الثالثة))[5].

وقد روى الإمام البخاري بسنده إلى أبي ذر قال : ((قلت : يا رسول أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال المسجد الحرام. قال قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى. قلت : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة. ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصل فإن الفضل فيه))[6].

---

(١) ملوك ثالث ٨ : ٤٢ ، راجع الفصل الثامن من هذا السفر ففيه توضيح أن سليمان بنى هذا البيت لعبادة الله عز وجل وحده لا شريك له.

(٢) اليهودية ، د. أحمد شلبي ، ص٢١٢.

(٣) حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية ، د. صلاح الخالدي ص٧٦.

(٤) البداية والنهاية ، الحافظ ابن كثير ، المجلد الأول القسم الثاني منه ص٢٤.

(٥) انظر تخريجه ص ٦٥ من هذا البحث.

(٦) البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء (١٠) باب حديث أبي ذر أي مسجد وضع في الأرض (٣٣٦٩) ٤/٤٦٦.

قال تعالى : ﴿وَإِذ يَرفَعُ إبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِن البَيتِ وَإسمَاعِيلُ﴾ (١).

قيل إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بني البيت الحرام ابتداء ، وقيل إن إبراهيم بنى البيت على قواعد من سبقه. وبين إبراهيم عليه السلام وسليمان عليه السلام أكثر من ألف سنة ، مما يدل على أن سليمان جدد بناء المسجد الأقصى و لم يبنه ابتداء.

قال الحافظ ابن حجر : ((قال ابن الجوزي : فيه إشكال ، لأن إبراهيم بنى الكعبة وسليمان بنى بيت المقدس وبينهما أكثر من ألف سنة. ومستنده في أن سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى ما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا بإسناد صحيح ((أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا)) الحديث، وفي الطبراني من حديث رافع بن عميرة ((أن داود عليه السلام ابتدأ ببناء بيت المقدس ، أوحى الله إليه : إني لأقضي بناءه على يد سليمان)). قال : وجوابه أن الإشارة إلى أول البناء ووضع أساس المسجد ، وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس ، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الأرض ، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن ، وكذا قال القرطبي : إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما ، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما))(٢).

وهذا يدل على أن سليمان عليه السلام لم يبن هيكلا كما زعمت يهود ، ولكنه بنى مسجدا يتعبد فيه المسلمون لله عز وجل(٣).

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٧.

(٢) فتح الباري ، كتاب أحاديث الأنبياء (١٠) باب حديث أبي ذر أي مسجد وضع في الأرض ٤٧٠/٦.

(٣) وفيه أيضا دحض لافتراءات النصارى بقولهم إن المسجد الأقصى كان كنيسة قد أقامها الإمبراطور جستنيان تبجيلا للعذراء في الأصل، وحولها العرب إلى مسجد بأمر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ.

جوستان لوبون ، حضارة العرب ص١٦٢. انظر : الطريق إلى بيت المقدس ٤١/١ د. جمال مسعود.

وقد ذهب بعض الكتاب المسلمين مذهبا غريبا في اعتبار أن الهيكل المزعوم بني قبل المسجد الأقصى ، على اعتبار أن أول من بنى المسجد الأقصى هو عبد الملك بن مروان عام (٧٤هـ/٦٩٣م) وأتمه ابنه الوليد من بعده. وهذا غلط ظاهر جدا.

انظر الصهيونية العالمية وأرض الميعاد ، عطية ، ص٣٢، والصهيونية بين الدين والسياسة ، سالم الهرواي ، ص٢٢٠.

وذهاب بعض الكتاب إلى اعتبار أن الجدار الغربي للمسجد الأقصى الذي يعتقد أن النبي ﷺ ربط البراق في رحلة الإسراء والمعراج فيه ، لذلك يسميه المسلمون ((حائط البراق)) أنه جزء من باقي الهيكل واليهود تسميه ((حائط المبكى)) لكثرة ما ينوحون عنده ويبكون. فهذا زعم باطل لا يستند إلى دليل موثوق به. إلا أنّ هذا يخدم أهداف الحركة الصهيونية في زعمهم ضرورة هدم المسجد الأقصى لأنه مبني على أنقاض هيكلهم المزعوم. انظر : العنصرية اليهودية د. أحمد الزغيبي ٣/ ١٨٠ ، وتاريخ القدس ، عارف باشا العارف ص٢٣٣ ، والصهيونية بين الدين والسياسة للهراوي ص٢٢١، ومن اليهودية إلى الصهيونية ، د. أسعد السحمراني ص٤٩.

فإن كان هناك هيكل بناه سليمان عليه السلام فالمقصود به والله أعلم هو تجديده لبيت المقدس.

ويزعم اليهود أن المسجد الأقصى مبني على أنقاض الهيكل[1]. وما هذا الزعم إلا من الألاعيب اليهودية لطمس كل ماله صلة في فلسطين بالإسلام والمسلمين ، وتحويلها إلى أرض يهودية كافرة.

وخلاصة القول أن أصحاب الحق التاريخي لوراثة الأرض المباركة، أرض فلسطين وما حولها، هم أتباع الأمة الإسلامية ؛ الذين آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً صلى الله عليه وسلم ، فهؤلاء هم الذين ساروا على منهج كل الأنبياء ، أنبياء بني إسرائيل أو قبلهم من الأنبياء ، المنهج الخاضع لتوحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة ، مهما كان جنس هؤلاء المسلمين وأصلهم ولوهم ، عرباً أو غير عرب ، فمثلاً لو أسلم يهودي ؛ فآمن بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو أسلم هندوسي ووثني من الأعاجم لأصبحوا بإيماهم بالرسالة الإسلامية أولى بفلسطين وما حولها من العربي القومي ؛ الذي قدم الإيمان بالعروبة والموالاة والمعاداة فيها عن الإسلام ، كالعربي البعثي الاشتراكي الذي قال قائلهم :

هبوني عيداً يجعل العرب أمة — وسيروا بجثماني على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننا — وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم[2]

وأولى من العربي النصراني الكافر ؛ الذي عمل جاهداً في الدول العربية الإسلامية على إزالة الإسلام منها وربطها بالقومية العربية حتى يتسنى له أن يتحكم فيها ويسيطر عليها ، حيث أنهم جميعاً متساوون في العروبة والقومية فلا فرق بينهم في الحقوق والامتيازات ، على أن النصارى العرب يتفوقون على المسلمين العرب بقوة دولهم النصرانية (أمريكا وأوروبا) على الدول الإسلامية مجتمعة[3].

وليس ليهود العالم اليوم أي حق في المطالبة بأرض فلسطين وما حولها على أساس امتداد الحق التاريخي لبني إسرائيل الأقدمين. فيهود اليوم فجرة كفرة ، كفروا بالله رباً وعصوا رسله ورفضوا اتباع الرسالة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ والذي بشّر بها أنبياء بني إسرائيل ، قال

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢٠٥/١ ، والصهيونية بين الدين والسياسة ص٢٢١، والصهيونية وربيبتها إسرائيل ص١١، والصهيونية العالمية وأرض الميعاد ص٣٢ ، والعنصرية اليهودية ١٨٢/٣.

(٢) فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، ص ٢٦٣ ، د. صالح العبود.

(٣) انظر في دور النصارى في نشوء الفكرة القومية العربية وأهدافهم إلى المرجع السابق للدكتور العبود ص ١٤٢.

تعالى : ﴿**الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُم فِي التَّوراةِ وَالإِنجِيلِ**﴾ [1] ، وأما أنبياء بني إسرائيل وصالحيهم فقد آمنوا بالله ووحدوه وأخلصوا له العبادة ، ولا توارث بين ملتين (بين أهل الإيمان وأهل الكفر).

والله تعلى أعلى وأعلم ،،،

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧.

الباب الثالث : موقف الإسلام من هذا الوعد.

وفيه فصلان :

الفصل الأول : موقف القرآن والسنة من أسفار اليهود :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : موقف القرآن من أسفار اليهود.

المبحث الثاني : موقف السنة من أسفار اليهود.

الفصل الثاني : نصوص هذا الوعد في ضوء الكتاب والسنة :

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : وقفات مع بعض آيات كتاب الله عز وجل.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : وقفة مع بعض آيات سورة المائدة.

المطلب الثاني : وقفة مع بعض آيات سورة الإسراء.

المبحث الثاني : النظر إلى هذا الوعد من خلال الأحاديث الصحيحة.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفتح الإسلامي لبيت المقدس.

المطلب الثاني : مستقبل الصراع الإسلامي ـ اليهودي.

الفصل الأول:

موقف القرآن والسنة من أسفار اليهود

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف القرآن من أسفار اليهود.

المبحث الثاني: موقف السنة من أسفار اليهود.

المبحث الأول: موقف القرآن الكريم من أسفار اليهود

لقد أخبرنا القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أنزل على موسى عليه السلام كتاب التوراة ليُبلّغه إلى قومه من اليهود ويكون لهم ضياء وهدى.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَد آتَينَا مُوسَى وَهَارُونَ الفُرقَانَ وَضِيَاءً وَذِكرًا لِلمُتَّقِينَ﴾ [1].

قال تعالى : ﴿ قُــل مَن أَنزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِـــهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ...﴾ إلى أن قال : ﴿ قُلِ اللَّهُ﴾ [2].

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَينَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحسَنَ وَتَفصِيلاً لِكُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً لَعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِم يُؤمِنُونَ﴾ [3].

وقال تعالى : ﴿ وَمِن قَبلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحمَةً﴾ [4].

وقال تعالى : ﴿ وَآتَينَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسرَائِيلَ﴾ [5].

وقال تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَينَ يَدَيهِ وَأَنزَلَ التَّورَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝ مِن قَبلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [6].

فنحن المسلمون نؤمن إيمانا جازما بأن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى عليه السلام هدى ونورا ولا نشك في هذا أبدا ونُكفّر من أنكر ذلك.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبلُ وَمَن يَكفُر بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَقَد ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[7].

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٨.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩١.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٥٤.

(٤) سورة هود الآية ١٧.

(٥) سورة الإسراء الآية ٢.

(٦) سورة آل عمران الآيتان ٣ ، ٤.

(٧) سورة النساء الآية ١٣٦.

وعندما سأل جبريل عليه السلام ، رسولنا ﷺ ، عن الإيمان قال : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره))[1].

يقول الامام ابن أبي العز -شارح الطحاوية- : ((وأما الإيمان بالكتب المترلة على المرسلين فنؤمن بما سمّى الله تعالى منها في كتابه ، من التوراة ، والإنجيل والزبور ، ونؤمن بأن لله -تعالى- سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى))[2].

وأن هذا الإيمان منصب على التوراة التي أنزلت على النبي موسى عليه السلام ، وليس على توراة اليهود اليوم المسماة ((بأسفار موسى الخمسة)).

حيث إننا أهل الإسلام نؤمن إيمانا جازما بأن توراة اليهود اليوم محرفة بالزيادة والنقصان ومبدلة.

فالقرآن الكريم دل على أن التحريف والتبديل والإهمال والكتمان والتضييع حصل من اليهود للتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام :

قال تعالى : **﴿ يَا أَهلَ الكِتَابِ قَد جَاءَكُم رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُم كَثِيرًا مِمَّا كُنتُم تُخفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعفُو عَن كَثِيرٍ ﴾**[3].

وقال تعالى : **﴿ قُل مَن أَنزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبدُونَهَا وَتُخفُونَ كَثِيرًا ﴾**[4].

وقال تعالى : **﴿يَا أَهلَ الكِتَابِ لِمَ تَلبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكتُمُونَ الحَقَّ وَأَنتُم تَعلَمُونَ﴾**[5].

فهذه الآيات تبين أن اليهود بكل تعمد وإصرار أخفوا وكتموا كثيراً من التوراة المترلة على موسى عليه السلام من عند الله تعالى ، وخلطوا الحق بالباطل وهم على علمٍ تام بصنيعهم هذا ، ولكن أهواءهم ومطامعهم الدنيوية وأغراضهم الشهوانية وحبهم لحياة -أياًّ كانت- عندهم فوق كل شيء ولو كان الدين.

---

(١) صحيح الإمام البخاري، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، ح ((٥٠)) ١/٣٣.
صحيح الإمام مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ح ((٨)) ١/٣٦-٣٧.

(٢) شرح الطحاوية ، ص ٣١٢ ، تحقيق المحدث العلامة : محمد ناصر الدين الألباني.

(٣) سورة المائدة آية ١٥.

(٤) سورة الأنعام آية ٩١.

(٥) سورة آل عمران آية ٧١.

ذكر الإمام ابن جرير الطبري أن الحق هو : التوراة التي أنزل الله على موسى ، والباطل : الذي كتبوه بأيديهم ، واللبس هو الخلط ؛ أي لم تخلطون الحق بالباطل[1].

يقول سيد قطب : ((وهذا خبر عن اليهود بما كان واقعا منهم من جعل التوراة في صحائف يتلاعبون بها ، فيبدون منها للناس ما يتفق مع خطتهم في التضليل والخداع والتلاعب بالأحكام والفرائض ، ويخفون ما لا يتفق مع هذه الخطة من صحائف التوراة))[2].

وقال تعالى : ﴿ **وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** ﴾ [3].

وزيادةً على ذلك الكتمان فإنهم لم يعملوا بها وأهملوها ولم يبالوا بها فأدى بهم ذلك إلى أن نسوا أجزاء منها.

يقول الإمام ابن جرير الطبري : ((ونسوا حظاً أي وتركوا نصيباً ، وهو كقوله تعالى : ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُم**﴾ أي تركوا أمر الله فتركهم))[4].

ويقول الحافظ ابن كثير : ((ونسوا حظاً مما ذكروا به أي وتركوا العمل به رغبة عنه ، وقال الحسن : تركوا عُرى دينهم ووظائف الله تعالى التي لا يقبل العمل إلا بها)) [5].

يقول سيد قطب : ((وطابعهم الأصيل هو تحريف الكلم عن مواضعه ، ونسيان وإهمال لأوامر دينهم وشريعتهم ، وعدم تنفيذها في حياتهم ومجتمعهم ، لأن تنفيذها يكلفهم الاستقامة على منهج الله الطاهر النظيف القويم))[6].

وقال تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّورَاةَ ثُمَّ لَم يَحمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحمِلُ أَسفَارًا بِئسَ مَثَلُ القَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهدِي القَومَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [7].

يقول ابن كثير : ((يقول الله تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدري ما

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٣/٣١٠.

(٢) في ظلال القرآن ج٢ ص ١١٤٦.

(٣) سورة المائدة الآية ١٣.

(٤) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن) ١/١٥٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٣٥.

(٦) في ظلال القرآن ج٢ ص ٨٥٩.

(٧) سورة الجمعة الآية ٥.

فيها فهو يحملها حملاً حسياً و لا يدري ما عليه ، وكذلك في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً و لم يتفهموه و لا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه))[1].

يقول سيد قطب : ((فبنو إسرائيل حملوا التوراة، وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة ((ثم لم يحملوها))، فحملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه ، وينتهي بالعمل لتحقيق مدلولها في عالم الضمير والواقع ، ولكن سيرة بني إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم -وكما هي في حقيقتها- لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة ، و لا أنهم فقهوا حقيقتها ، ولا أنهم عملوا بها. ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام ، وليس له منها إلا ثقلها. فهو ليس صاحبها وليس شريكا في الغاية منها))[2].

قال تعالى : ﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ** ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُم لَعَنَّاهُم وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُم قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ** ﴾ [4].

وقال تعالى : ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** ﴾ [5].

قال ابن جرير الطبري : ((يقول الله جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ : يا محمد ، لا تعجبنّ من هؤلاء اليهود الذين هموا أن يبسطوا أيديهم إليك وإلى أصحابك ، ونكثوا العهد الذي بينك وبينهم ، غدراً منهم بك وبأصحابك ، فإن ذلك من عاداتهم ، وعادات سلفهم ، ومن ذلك أني أخذت ميثاق سلفهم على عهد موسى ﷺ على طاعتي ، وبعثت منهم اثني عشر نقيباً ، قد تُخيروا من جميعهم ليتجسسوا أخبار الجبابرة ، ووعدتهم النصر عليهم ، وأن أورثتهم أرضهم وديارهم وأموالهم ، بعد ما أريتهم من العبر والآيات بإهلاك فرعون وقومه في البحر ، وفلق البحر لهم ، وسائر العبر ، فنقضوا ميثاقهم الذي واثقوني ونكثوا عهدي ، فلعنتهم بنقضهم ميثاقهم ؛ فإذا كان ذلك من فعل خيارهم مع أيادي عندهم ، فلا تستنكروا مثله من فعل أراذلهم ... وجعلنا قلوبهم قاسية غليظة يابسة عن الإيمان بي ، والتوفيق لطاعتي ، منزوعة منها الرأفة والرحمة ... فهم لنزع الله عز وجلّ التوفيق من قلوبهم والإيمان ، يحرّفون كلام ربهم الذي أنزله على نبيهم موسى ﷺ ،

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٨٩.

(٢) في ظلال القرآن ج٦ ص ٣٥٦٧.

(٣) سورة النساء الآية ٤٦.

(٤) سورة المائدة الآية ١٣.

(٥) سورة المائدة الآية ٤١.

وهو التوراة ، فيبدلونه ويكتبون بأيديهم غير الذي أنزله الله جلّ وعز على نبيهم ويقولون لجهال الناس : هذا هو كلام الله الذي أنزله على نبيه موسى ﷺ ، والتوراة التي أوحاها إليه))[1].

يقول سيد قطب : ((فهذه سمات يهود التي لا تفارقهم ، لعنة تبدو على سيماهم ، إذ تنضح بهم جبلتهم الملعونة المطرودة من الهداية. وقسوة تبدو في ملامحهم الناضبة من بشاشة الرحمة ، وفي تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية ، ومهما حاولوا –مكرا- إبداء اللين في القول عند الخوف، وعند المصلحة ، والنعومة في الملمس عند الكيد والوقيعة ، فإن جفاف الملامح والسمات ينضح ويشي بجفاف القلوب والأفئدة ، وطابعهم الأصيل هو تحريف الكلم عن مواضعه. تحريف كتابهم أولا عن صورته التي أنزلها الله على موسى –عليه السلام- إما بإضافة الكثير إليه مما يتضمن أهدافهم الملتوية ويبررها بنصوص من الكتاب مزورة على الله ! وإما بتفسير النصوص الأصلية الباقية وفق الهوى والمصلحة والهدف الخبيث))[2].

وبين الله عز وجل في كتابه الكريم أن هذا التحريف الذي حصل في التوراة المترلة قد قام به فريق من اليهود وهم الأحبار والرهبان الذين استحفظوا فيها فضيعوا هذه الأمانة ، فقال عز من قائل : **﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾**[3].

ولكنهم للأسف ، وكما قال الله عز وجل : **﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** [4].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [5].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[6].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٦ / ١٥٣ – ١٥٥.

(٢) في ظلال القرآن ج ٢ ص ٨٥٩.

(٣) سورة المائدة الآية ٤٤.

(٤) سورة البقرة الآية ٧٥.

(٥) سورة البقرة الآية ٧٩.

(٦) سورة آل عمران الآية ٧٨.

يقول ابن جرير الطبري : ((يعني بذلك جلّ ثناؤه : وإن من أهل الكتاب ، وهم اليهود ، (لفريقاً) يعني : جماعة (يلوون) يعني : يحرفون (ألسنتهم بالكتاب لتحسبُوهُ مِن الكتاب) يعني : لتظنوا أن الذي يحرّفونه لكلامهم من كتاب الله وتنزيله ، يقول الله عز وجل : وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم ، فحرّفوه وأحدثوه من كتاب الله ، ويزعمون أن ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فألحقوه في كتاب الله من عند الله ، يقول : مما أنزله الله على أنبيائه ، وما هو من عند الله ، يقول : وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم ، فأحدثوه مما أنزله الله على أحد أنبيائه ، ولكن مما أحدثوه من قِبَل أنفسهم ، افتراءً على الله ، يقول عز وجل **﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُم يَعلَمُونَ﴾** يعني بذلك : أنهم يتعمدون قيل الكذب على الله ، والشهادة عليه بالباطل ، والإلحاق بكتاب الله ما ليس منه طلباً للرياسة والخسيس من حطام الدنيا))[1].

ويقول ابن كثير : ((وهؤلاء صنف آخر من اليهود وهم الدعاة إلى الضلال بالزور والكذب على الله وأكل أموال الناس بالباطل ، والويل : الهلاك والدمار. فويل لهم مما كتبوا بأيديهم من الكذب والبهتان والافتراء وويل لهم مما أكلوا به من السحت))[2].

ويقول سيد قطب : ((والفريق المشار إليه هنا هو أعلم اليهود وأعرفهم بالحقيقة المنزلة عليهم في كتابهم ، هم الأحبار والربانيون ، الذين يسمعون كلام الله المنزل على نبيهم موسى في التوراة ثم يحرفونه عن مواضعه ، ويؤولونه التأويلات البعيدة التي تخرج به عن دائرته. لا عن جهل بحقيقة مواضعه ، ولكن عن تعمد للتحريف وعلم بهذا التحريف. يدفعهم الهوى ، وتقودهم المصلحة ، ويحدوهم الغرض المريض))[3].

((ثم يستطرد فيقص على المسلمين من أحوال بني إسرائيل : إنهم فريقان فريق أمي جاهل ، لا يدري شيئا من كتابهم الذي نزل عليهم ، ولا يعرف منه إلا أوهاما وظنونا ، وإلا أماني في النجاة من العذاب ، بما أنهم شعب الله المختار، المغفور له كل ما يعمل وما يرتكب من آثام ! وفريق يستغل هذا الجهل وهذه الأمية فيزوّر على كتاب الله، ويحرّف الكلم عن مواضعه بالتأويلات المغرضة ، ويكتم منه ما يشاء ، ويبدي منه ما يشاء ، ويكتب كلاما من عند نفسه يذيعه في الناس باسم أنه من كتاب الله ، كل هذا ليربح ويكسب، ويحتفظ بالرياسة والقيادة)) [4].

---

(١) تفسير الطبري ٣ / ٣٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير ج١ ص ١٢١-١٢٢.

(٣) في ظلال القرآن ١ / ٨٤.

(٤) المرجع السابق ج١ ص ٨٥.

((ثم يمضي في عرض نماذج من أهل الكتاب ، فيعرض نموذج المضللين ، الذي يتخذون من كتاب الله مادة للتضليل ، يلوون ألسنتهم به عن مواضعه ، ويؤولون نصوصه لتوافق أهواء معينة ، ويشترون بهذا كله ثمنا قليلا ، عرضا من أعراض هذه الحياة الدنيا))[1].

وبهذا يتبين أن القرآن الكريم أوضح أن التحريف وقع في توراة موسى عليه السلام بطرق شتى وهي :

أ- إلباس الحق بالباطل والباطل بالحق، وهو خلطهما بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر.

قال تعالى : **﴿يَا أَهلَ الكِتَابِ لِمَ تَلبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ﴾** [2].

وقال تعالى : **﴿وَلاَ تَلبِسُوا الحَقَّ بِالبَاطِلِ﴾** [3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((إن أهل الكتاب لبسوا الحق بالباطل بسبب الحق اليسير الذي معهم ، يضلون خلقا كثيرا من الحق الذي يجب الإيمان به ، ويدعونه إلى الباطل الكثير الذي هم عليه))[4].

ب- كتمان الحق وإخفاؤه.

كما سبق توضيح ذلك. قال تعالى : **﴿وَتَكتُمُوا الحَقَّ وَأَنتُم تَعلَمُونَ﴾** [5].

وقال تعالى : **﴿ الَّذِينَ آتَينَاهُم الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُم وَإِنَّ فَرِيقًا مِنهُم لَيَكتُمُونَ الحَقَّ وَهُم يَعلَمُونَ﴾** [6].

---

(١) ثم استطرد -رحمه الله تعالى- قائلا : ((وآفة رجال الدين حين يفسدون ، أن يصبحوا أداة لتزييف الحقائق باسم أنهم رجال الدين، وهذه الحال التي يذكرها القرآن عن هذا الفريق من أهل الكتاب، نعرفها نحن جيدا في زماننا هذا ، فهم كانوا يؤولون نصوص كتابهم ويلوونها ليا ، ليصلوا منها إلى مقررات معينة ، يزعمون أنها مدلول هذه النصوص وأنها تمثل ما أراده الله منها، بينما هذه المقررات تصادم حقيقة دين الله في أساسها ، معتمدين على أن كثرة السامعين لا تستطيع التفرقة بين حقيقة الدين ومدلولات هذه النصوص الحقيقية ، وبين تلك المقررات المفتعلة المكذوبة التي يلجئون إليها النصوص إلجاء)) المرجع السابق ٤١٨/١/٤١٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ٧١.

(٣) سورة البقرة الآية ٤٢.

(٤) ثم استطرد رحمه الله قائلا : ((وكثيرا ما يعارضهم من أهل الإسلام من لا يحسن التمييز بين الحق والباطل ، ولا يقيم الحجة التي تدحض باطلهم ولا يبين حجة الله التي أقامها برسله فيحصل بسبب ذلك فتنة)) مجموع الفتاوي ١٩٠/٣٥.

(٥) سورة البقرة آية ٤٢.

(٦) سورة البقرة آية ١٤٦.

وقال تعالى : ﴿ **قُل مَن أَنزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبدُونَهَا وَتُخفُونَ كَثِيرًا** ﴾ (١).

جـ- لـي اللسان :

وقد ذكر الله عز وجل عليهم هذا التحريف بقوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ مِنهُم لَفَرِيقًا يَلوُونَ أَلسِنَتَهُم بِالكِتَابِ لِتَحسَبُوهُ مِنَ الكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِن عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِن عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُم يَعلَمُونَ** ﴾(٢).

د- تحريف الكلم عن مواضعه :

وقد مر ذكره بأدلته، ومنها قوله تعالى: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ**﴾(٣).

هذا بالنسبة لتوراة موسى عليه السلام المنـــزلة التي تسمى عند اليهود ((بأسفار موسى الخمسة)) فذكر الله تعالى ما وقع فيها من التحريف والتبديل والكتمان ولبس الحق بالباطل.

أما بالنسبة لباقي أسفار اليهود ((أسفار العهد القديم)) من غير توراة موسى عليه السلام ، فلم يذكر القرآن الكريم عنها شيئا أصلاً.

وبالنسبة لمزامير داود عليه السلام التي ورد ذكرها في أسفار العهد القديم ، فالقرآن الكريم ذكر أن الله أنزل على داود كتابا اسمه الزبور ﴿ **وَآتَينَا دَاوُدَ زَبُورًا** ﴾(٤) ، ولم يذكر أن اسمه مزامير

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩١.

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٨.

يلوون : لوى : اللام والواو والياء أصل صحيح ، يدل على إمالة الشيء. واللَّيُّ : فتل الحبل ، يقال : لويته ألويه ليّاً. قال تعالى : ﴿**لَوَّوا رُءُوسَهُم**﴾ سورة المنافقون الآية ٥ : أي أمالوها. ولوى لسانه بكذا : كناية عن الكذب وتخرّص الحديث. قال تعالى : ﴿ **يَلوُونَ أَلسِنَتَهُم بِالكِتَابِ** ﴾ سورة آل عمران الآية ٧٨. معجم مقاييس اللغة ٥ / ٢١٨ لابن فارس ت : عبدالسلام هارون ، ومفردات ألفاظ القرآن الكريم ، للراغب الأصفهاني ص ٧٥٢ ت : صفوان داوودي ، والقاموس المحيط ص ١٧١، للفيروز آبادي. أي أن بني إسرائيل كانوا حين يقرأون كلام الله يميلون بألسنتهم عما أنزل الله إلى اللفظ المحرف لتضليل الناس وغوايتهم.

(٣) سورة النساء آية ٤٦.

ويقول ابن قيم الجوزية : ((وتحريف الكلم عن مواضعه نوعان : تحريف لفظه وتحريف معناه)) هداية الحيارى ص ٣١٢ ت د.محمد أحمد الحاج.

ويقول الشيخ رحمت الله الهندي : ((وتحريف اللفظ ينقسم إلى ثلاثة أقسام : تبديل الألفاظ والزيادة فيها ونقصانها)) إظهار الحق ٤٢٧/٢ ت د. محمد احمد ملكاوي.

(٤) سورة النساء الآية ١٦٣.

بل زبور ، ثم إن كتاب داود عليه السلام لم يأت ذكره في القرآن بالتفصيل ، إلا كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَد كَتَبنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعدِ الذِّكرِ أَنَّ الأَرضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾[1].

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

المبحث الثاني: موقف السنة المطهرة من أسفار اليهود

لقد أشار رسول الله ﷺ إلى أن التوراة المترلة على النبي موسى عليه السلام قد وقع فيها التحريف والتبديل.

فقال عليه الصلاة والسلام: ((إن بني إسرائيل كتبوا كتابا فاتبعوه، وتركوا التوراة))[1].

وورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحزُنكَ الَّذينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفرِ مِن الَّذينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفوَاهِهِم وَلَم تُؤمِن قُلُوبُهُم وَمِن الَّذينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَومٍ آخَرِينَ لَم يَأتُوكَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِن بَعدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِن أُوتِيتُم هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَم تُؤتَوهُ فَاحذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتنَتَهُ فَلَن تَملِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيئًا أُولَئِكَ الَّذينَ لَم يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُم لَهُم فِي الدُّنيَا خِزيٌ وَلَهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ سَمَّاعُونَ لِلكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحكُم بَينَهُم أَو أَعرِض عَنهُم وَإِن تُعرِض عَنهُم فَلَن يَضُرُّوكَ شَيئًا وَإِن حَكَمتَ فَاحكُم بَينَهُم بِالقِسطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ ۞ وَكَيفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّورَاةُ فِيهَا حُكمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّونَ مِن بَعدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالمُؤمِنِينَ**﴾[2].

روى الإمام مسلم في الصحيح بسنده إلى نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن رسول الله ﷺ أتي بيهودي ويهودية قد زنيا. فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود فقال: ((ما تجدون في التوراة على من زنى)) قالوا نسود وجههما ونحمّلهما[3] ونخالف بين وجههما ويطاف بهما، قال: ((فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين)) فجاءوا بها فقرءوها حتى إذ مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها. فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله ﷺ: مُره فليرفع يده. فرفعها فإذا تحتها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما.

---

(١) حديث حسن رواه الطبراني عن أبي موسى الأشعري. انظر في ذلك صحيح الجامع الصغير وزيادته لفضيلة العلامة محمد ناصر الدين الألباني حديث رقم ٢٠٤٤ ص ٤٠٩ المجلد الأول، ومجمع الزوائد ١٧٢/١، واليهود في السنة المطهرة للشقاري ٢٤٥/٢.

(٢) سورة المائدة الآيات ٤١ و٤٢ و٤٣.

(٣) ونحملهما: هكذا هو في أكثر النسخ: نحملهما، وفي بعضها نجملهما، وفي بعضها نحمّمهما، وكله متقارب. فمعنى الأول نحملهما على جمل، ومعنى الثاني نجملهما جميعا على الجمل، ومعنى الثالث نسود وجههما بالحمم وهو الفحم، وهذا الثالث ضعيف لأنه قال قبله نسود وجوههما. شرح النووي لصحيح الإمام مسلم ١٧٥/١١.

قال عبد الله بن عمر : كنت فيمن رجمهما ، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه[1].

وروى أيضا الإمام مسلم في الصحيح بسنده إلى البراء بن عازب قال : مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمّما مجلودا فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال : ((هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟)) قالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم فقال : أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قال : لا. ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك. نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد. قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التّحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله ﷺ : ((اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه)). فأمر به فرجم. فأنزل الله عز وجل **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفرِ﴾** ، إلى قوله : **﴿ إِن أُوتِيتُم هَذَا فَخُذُوهُ﴾**[2]. يقول ائتوا محمدا ﷺ . فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه ، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا. فأنزل الله تعالى **﴿ وَمَن لَم يَحكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُم الكَافِرُونَ﴾** [3] ، **﴿ وَمَن لَم يَحكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ﴾** [4]. **﴿ وَمَن لَم يَحكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُم الفَاسِقُونَ﴾** [5] في الكفار كلها[6].

ومن خلال هذه الحادثة يتبين أمور :

١- أن التحريف والتبديل وقع في التوراة المترلة بفعل علمائهم وحصل من باقي اليهود التواطؤ على هذه المسألة بل تنفيذ الأحكام المحرفة والمبدلة وترك الأحكام المترلة من عند الله بموافقة علمائهم.

٢- يعلم اليهود أن هذا العمل الذي قاموا به وهو التحريف والتبديل في كتابهم المترل سوف يعرضهم لسخط الله وعذابه فبحثوا عن مخرج وحجة لهم في ذلك تمنع عذاب الله عنهم ، وذلك

---

(١) صحيح الإمام مسلم ، كتاب الحدود باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ١٣٢٦/٣ حديث رقم ١٦٩٩.

ونص الرجم في التوراة الحالية : ((وإن وجد رجل مضاجعا امرأة ذات بعل فليقتلا جميعا الرجل المضاجع لها والمرأة واقلع الشر من إسرائيل وإذا كانت فتاة بكر مخطوبة لرجل فصادفها رجل في المدينة فضاجعها فأخرجهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا أما الفتاة فلأنها لم تصرخ وهي في المدينة وأما الرجل فلأنه أذل زوجة قريبه فاقلع الشر من بينكم)) تثنية ٢٢ : ٢٢-٢٤.

(٢) المائدة الآية ٤١.

(٣) المائدة الآية ٤٤.

(٤) المائدة الآية ٤٧.

(٥) المائدة الآية ٤٥.

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ، ١٣٢٧/١ حديث رقم ١٧٠٠.

بعرض هذه الأحكام المحرفة والمبدلة على رسول الله ﷺ ، فإن وافقهم عليها جعلوا هذه الموافقة حجة فيما بينهم وبين الله عز وجل.

يقول الحافظ ابن كثير : ((فلما وقعت تلك الكائنة -وهي جريمة الزنى من محصن- بعد الهجرة ، قالوا فيما بينهم تعالوا حتى نتحاكم إليه -أي إلى الرسول محمد ﷺ- فإن حكم بالجلد والتحميم فخذوا عنه واجعلوه حجة بينكم وبين الله ويكون نبي من أنبياء الله قد حكم بينكم بذلك ، وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك))[1].

يقول الأستاذ سيد قطب : ((فلما وقعت منهم هذه الجرائم في عهد رسول الله ﷺ تآمروا على أن يستفتوه فيها، فإذا أفتى لهم بالعقوبات التعزيرية المخففة عملوا بها ، وكانت هذه حجة لهم عند الله ، فقد أفتاهم بها رسول! وإن حكم فيها بمثل ما عندهم في التوراة لم يأخذوا بحكمه. فدسوا بعضهم يستفتيه ، ومن هنا حكاية قولهم : ((إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تؤتوه فاحذروا)). وهكذا بلغ بهم العبث، وبلغ منهم الاستهتار ، وبلغ منهم الالتواء أيضا في التعامل مع الله والتعامل مع رسول الله ﷺ هذا المبلغ))[2].

ويقول الحافظ ابن كثير : ((فهذه الأحاديث دالة على أن رسول الله ﷺ حكم بموافقة حكم التوراة، وليس هذا من باب الإكرام لهم. بما يعتقدون صحته لأنهم مأمورون باتباع الشرع المحمدي لا محالة ولكن هذا بوحي خاص من الله عز وجل إليه بذلك وسؤاله إياهم عن ذلك ليقررهم على ما بأيديهم مما تواطئوا على كتمانه وجحده وعدم العمل به تلك الدهور الطويلة فلما اعترفوا به مع عملهم على خلافه بان زيفهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم ، وعدولهم إلى تحكيم الرسول ﷺ إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به ولـهذا قالوا ﴿ **إِنْ أُوتِيتُمْ** ﴾ أي الجلد والتحميم ﴿ **فَخُذُوهُ** ﴾ أي اقبلوها ﴿ **وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا** ﴾ أي من قبوله واتّباعه))[3].

ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق وما رواه ابن جرير بالسند إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رسول الله ﷺ رافع بن حارثة وسلام بن مسكين[4] ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة ، فقالوا : يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حق ؟ فقال رسول الله ﷺ : بلى

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ٦٠/٢.

(٢) في ظلال القرآن ، الأستاذ : سيد قطب ٨٩٢/٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ٦٢/٢.

(٤) في التفسير عند ابن جرير (مسكين). وفي السيرة عند ابن هشام (مشكم).

ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق ، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس ، وأنا بريء من إحداثكم ، قالوا فإنا نأخذ بما في أيدينا ، فإنا على الحق والهدى ولا نؤمن بك ولا نتبعك. فأنزل الله تعالى **﴿قُل يَاأَهلَ الكِتَابِ لَستُم عَلَى شَيءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّورَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيكُم مِن رَبِّكُم وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنهُم مَا أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ طُغيَانًا وَكُفرًا فَلاَ تَأسَ عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ﴾**[1].

ومن ذلك أيضا ما رواه ابن سعد في الطبقات بالسند إلى جعفر بن عبد الله بن الحكم قال : كان الزبير بن باطا -وكان أعلم اليهود- يقول : ((إني وجدت سفرا كان أبي يكتمه عليّ ، فيه ذكر أحمد ، نبي يخرج بأرض القرظ[2] ، صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير بعد أبيه ، والنبي ﷺ لم يبعث، فما هو إلا أن سمع بالنبي ﷺ قد خرج بمكة ، حتى عمد إلى السفر فمحاه ، وكتم شأن النبي ﷺ وقال : ليس به))[3].

وروى الإمام البخاري بالسند، أن مروان قال لبوابه : اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون. فقال ابن عباس : مالكم ولهذه ؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء ، فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ، ثم قرأ ابن عباس **﴿ وَإِذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾** [4] ، كذلك ، حتى قوله تعالى : **﴿ يَفرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحمَدُوا بِمَا لَم يَفعَلُوا﴾** [5] [6].

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٨. رواه ابن هشام في السيرة النبوية عن ابن إسحاق من غير إسناد ٢٠٩/٢ باعتناء عمر عبد السلام تدمري. ورواه الإمام ابن جرير في التفسير في تأويل قوله تعالى **﴿ قُل يَا أَهلَ الكِتَابِ لَستُم عَلَى شَيءٍ ﴾** ٣١٠/٦ عن ابن عباس بهذا اللفظ. ويقول فضيلة د.عبد الله بن ناصر الشقاري : ورجال إسناده موثقون.اليهود في السنة المطهرة ٥١٨/٢.

(٢) القرظ : بالفتح ، ورق السَّلَمَ أو ثمر السنط ، يدبغ به. ومنه أديم مقروظ أي دُبغ وصُبغ به. قال أبوحنيفة : القرظ أجود ما تدبغُ به الأُهُب في أرض العرب. وهي تدبغ بورقه وثمره. لسان العرب ٧ / ٤٥٤ لابن منظور. القاموس المحيط ص ٩٠١ للفيروز آبادي.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات ١٥٩/١ وهذا خبر مرسل ، وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي ، يقول ابن حجر عنه : متروك مع سعة علمه ، تقريب التهذيب ص ٤٩٨ (٦١٧٥) باعتناء محمد عوامة. ويقول فضيلة د. عبد الله الشقاري : وبقية رجال إسناده ثقات ، اليهود في السنة المطهرة ٥١٨/٢.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٧.

(٥) سورة آل عمران الآية ١٨٨.

(٦) رواه البخاري في الجامع الصحيح بهذا اللفظ في كتاب التفسير ٢١٣/٣ (٤٥٦٨) باعتناء محب الدين الخطيب وجماعة ، المكتبة السلفية. ورواه مسلم في الصحيح في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٣٤/٤ رقم ١٧٧٨/٨ باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

الفصل الثاني

نصوص هذا الوعد في ضوء الكتاب والسنة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وقفات مع بعض آيات كتاب الله عز وجل.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وقفة مع بعض آيات سورة المائدة.

المطلب الثاني: وقفة مع بعض آيات سورة الإسراء.

المبحث الثاني: النظر إلى هذا الوعد من خلال الأحاديث الصحيحة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الفتح الإسلامي لبيت المقدس.

المطلب الثاني: مستقبل الصراع الإسلامي - اليهودي.

المبحث الأول: وقفات مع بعض آيات كتاب الله عز وجل

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وقفة مع بعض آيات سورة المائدة.

المطلب الثاني: وقفة مع بعض آيات سورة الإسراء.

المطلب الأول : وقفة مع بعض آيات سورة المائدة :

قال تعالى : ﴿ وَإذ قَالَ مُوسَى لِقَومِهِ يَاقَومِ اذكُرُوا نِعمَةَ اللَّهِ عَلَيكُم إذ جَعَلَ فِيكُم أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُلُوكًا وَآتَاكُم مَا لَم يُؤتِ أَحَدًا مِن العَالَمِينَ ۞ يَاقَومِ ادخُلُوا الأَرضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُم وَلاَ تَرتَدُّوا عَلَى أَدبَارِكُم فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ قَالُوا يَامُوسَى إنَّ فِيهَا قَومًا جَبَّارِينَ وَإنَّا لَن نَدخُلَهَا حَتَّى يَخرُجُوا مِنهَا فَإن يَخرُجُوا مِنهَا فَإنَّا دَاخِلُونَ ۞ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادخُلُوا عَلَيهِم البَابَ فَإذَا دَخَلتُمُوهُ فَإنَّكُم غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إن كُنتُم مُؤمِنِينَ ۞ قَالُوا يَامُوسَى إنَّا لَن نَدخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذهَب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إنِّي لاَ أَملِكُ إلاَ نَفسِي وَأَخِي فَافرُق بَينَنَا وَبَينَ القَومِ الفَاسِقِينَ ۞ قَالَ فَإنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيهِم أَربَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرضِ فَلاَ تَأسَ عَلَى القَومِ الفَاسِقِينَ ﴾[1].

ويتضح من هذه الآيات :

١- أن نعم الله وآلاءه على بني إسرائيل ظاهرة تماما ، ومنها كثرة إرساله عز وجل إليهم بأنبياء كرام يبينون لهم الحق.

يقول الحافظ ابن كثير : ((أي كلما هلك نبي قام فيكم نبي من لدن أبيكم إبراهيم إلى من بعده ، وكذلك كانوا لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلى الله ويحذرون نقمته حتى ختموا بعيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم أوحى الله إلى خاتم الأنبياء والرسل على الإطلاق محمد بن عبد الله المنسوب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وهو أشرف من كل من تقدمه منهم صلى الله عليه وسلم))[2].

ومن نعم الله على بني إسرائيل ﴿ وَجَعَلَكُم مُلُوكًا ﴾.

يقول الألوسي : ((وجعلكم ملوكا ، عطف على ((جعل فيكم)) وغيّر الأسلوب فيه لأنه لكثرة الملوك فيهم أو منهم صاروا كلهم كأنهم ملوك لسلوكهم مسلكهم في السعة والترف ، فلذا تجوز في إسناد الملك إلى الجميع بخلاف النبوة فإنها وإن كثرت لا يسلك أحد مسلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنها أمر إلهي يخص الله تعالى به من يشاء ، فلذا لم يتجوّز في إسنادها ، وقيل : لا

---

(١) سورة المائدة الآيات من ٢٠ إلى ٢٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٣٨/٢.

مجاز في الإسناد ، وإنما هو في لفظ الملوك فإن القوم كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله تعالى ، فسمي ذلك الإنقاذ ملكا ، وقيل : لا مجاز أصلا بل جعلوا كلهم ملوكا على الحقيقة))[1].

حيث روى عن ابن عباس قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار يسمى ملكاً[2].

وقال ابن الجوزي : بكونهم أحرارا يملك الإنسان منهم نفسه وماله وأهله[3].

﴿ وَآتَاكُم مَا لَم يُؤتِ أَحَدًا مِن العَالَمِينَ ﴾.

يقول الإمام ابن جرير : ((خطاب من موسى عليه السلام لقومه يومئذ ، وعنى بذلك عالمي زمانه، لا عالمي كل زمان ، ولم يكن أوتي في ذلك الزمان من نعم الله وكرامته ، ما أوتي قومه عليه السلام ، أحد من العالمين))[4].

يقول سيد قطب : ((وإيتاءه لهم بهذا وذلك ما لم يؤت أحدا من العالمين حتى ذلك التاريخ))[5].

٢- ﴿ يَاقَومِ ادخُلُوا الأَرضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُم وَلاَ تَرتَدُّوا عَلَى أَدبَارِكُم فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾.

الأرض المقدسة هي الأرض المطهرة المباركة.

وفي المراد بهذه الأرض المقدسة أقوال خمسة وهي : الطور وما حوله ، وقيل الشام كلها ، وقيل : دمشق وفلسطين وبعض الأردن ، وقيل أريحا ، وقيل إيلياء بيت المقدس[6].

ويرجح الإمام ابن جرير الطبري أن الأرض المقدسة هي التي ما بين الفرات وعريش مصر. فقد قال : ((وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، أن يقال الأرض المقدسة ، كما قال نبي الله موسى ﷺ ، لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض ، لا تدرك حقيقة صحته إلا بالخبر ، ولا

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل محمود الألوسي ١٥٥/٤.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في التفسير ١٦٩/٦ ، وذكره ابن كثير في التفسير ٣٨/٢.

(٣) زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ١٩٠/٢

(٤) جامع البيان عن تأويل القرآن ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ١٧١/٦.

(٥) في ظلال القرآن ، للأستاذ سيد قطب ٨٦٩/٢.

(٦) معالم التنزيل ، للبغوي ٣٥/٣ ، وزاد المسير لابن الجوزي ١٩١/٢ ، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان ٤٦٩/٣ ، وجامع البيان عن تأويل القرآن للطبري ٦/ ١٧١ ــ ١٧٢.

خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به ، غير أنها لن تخرج عن أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر))[1].

وقد ذكر الحافظ السيوطي في التفسير : أن معاذ بن جبل قال : الأرض ما بين العريش إلى الفرات[2].

﴿ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُم ﴾ :

أي التي أمركم الله بدخولها وفتحها ، فهي وراثة لمن آمن منكم على لسان نبيكم دون الذين فيها ممن لم يتخذوا الله إلهاً واحدا لا شريك له[3].

ولكن هل معنى الآية أن لليهود حقا مستمرا في امتلاك هذه الأرض المباركة في أي وقت أرادوا من الزمان إلى قيام الساعة ؟

الجواب لا شك أنه بالنفي.

ويتضح ذلك من خلال مايلي :

أ)– أن الأرض لله تعالى يورثها من يشاء من عباده ، وليس للعباد في ذلك من يد.

وقد بين موسى عليه السلام هذا الأمر لبني إسرائيل وهم مازالوا في مصر يعانون من الذلة والمهانة. قال تعالى : **﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[4].

يقول الأستاذ سيد قطب : ((إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد وهو الملاذ الحصين الأمين ، وإلا ولي واحد وهو الولي القوي المتين ، وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي بالنصرة في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه وألا يعجلوا ، فهم لا يطلعون الغيب ، ولا يعلمون الخير.

وإن الأرض لله ، وما فرعون وقومه إلا نزلاء فيها ، والله يورثها من يشاء من عباده –وفق سنته وحكمته– فلا ينظر الداعون إلى رب العالمين ، إلى شيء من ظواهر الأمور التي تخيل للناظرين أن الطاغوت مكين في الأرض غير مزحزح عنها ، فصاحب الأرض ومالكها هو الذي يقر متى

---

(١) المرجع السابق ، تفسير ابن جرير الطبري ٦ / ١٧٢.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٤٧٨/٢.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١٧٢/٦ ، ومعالم التنزيل للبغوي ٦٣/٣ ، وتفسير ابن كثير ٣٩/٢ ، والدر المنثور للسيوطي ٤٧٨/٢.

(٤) سورة الأعراف آية ١٢٨.

يطردهم منها ! وإن العاقبة للمتقين ، طال الزمن أم قصر ، فلا يخالج قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير. ولا يخايل لهم تقلب الذين كفروا في البلاد ، فيحسبونهم باقين))[1].

فهذه الآية تبين أن الأرض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده ، ويجب على المؤمنين أن يتسلحوا بسلاح الاستعانة بالله عز وجل ، وبالصبر حتى يجعل العاقبة لهم.

ب)- وراثة الأرض من الله للقوم الصالحين. قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۞ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاَغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ** ﴾[2].

وفي هذا بيان سنة الله المقررة في وراثة الأرض : ﴿ **أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ لقد وضع الله للبشر منهجا كاملا للعمل على وفقه في هذه الأرض ، منهجا يقوم على الإيمان والعمل الصالح.

وفي الرسالة الأخيرة -الإسلام- للبشر فصّل هذا المنهج ، وشرع له القوانين التي تقيمه وتحرسه ، وتكفل التناسق والتوازن بين خطواته وهو عمارة الأرض واستغلال ثرواتها والانتفاع بطاقتها مع العناية بضمير الإنسان بإيمانه بالله عز وجل وتقواه ، ليبلغ الإنسان كماله المقدر له في هذه الحياة.

وفي الطريق لبلوغ ذلك التوازن والتناسق تميل كفة وترجح كفة ، وقد يغلب على الأرض جبارون وظلمة وطغاة ، وقد يغلب عليها همج ومتبربرون وغزاة ، وقد يغلب عليهاكفار فجار يحسنون استغلال قوى الأرض وطاقاتها استغلالاً مادياً.

ولكن هذه ليست سوى تجارب الطريق. والوراثة الأخيرة هي للعباد الصالحين ، الذي يجمعون بين الإيمان والعمل الصالح. فلا يفترق في كيانهم هذان العنصران ولا في حياتهم.

﴿ **إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاَغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ** ﴾ إن في هذا القرآن وما يكشفه من سنن في الكون والحياة ، ومن مصائر الناس في الدنيا والآخرة ومن قواعد العمل والجزاء ، إن في هذا لبلاغا وكفاية للمستعدين لاستقبال هدى الله. ويسميهم ((عابدين)) لأن العابد خاشع القلب طائع متهيئ للتلقي والتدبر والانتفاع[3].

---

(١) في ظلال القرآن ، للأستاذ سيد قطب ١٣٥٥/٣.

(٢) سورة الأنبياء الآيتان ١٠٥ ، ١٠٦.

(٣) في ظلال القرآن ، للأستاذ سيد قطب ٢٤٠٠/٤-٢٤٠١ ((بقليل من التصرف)).

((إن الحقيقة التي ندين الله بها : أن الحق في وراثة الأرض المقدسة ، بل في الأرض كلها يرجع إلى الثبات على دين الله ، والدخول في ركب المؤمنين . لذلك فإن بني إسرائيل لما سكنوا تلك الأرض ــ قبل اللعنة والطرد ــ كانوا أحق بها من الوثنيين العرب ، ثم لما تجرد اليهود عن وصف الصلاح ، ودخل العرب في الدين الحق ، ورّثهم الله أرض المقدسات ليحموها ويعبدوا الله فيها)) [1] .

فشرط الوراثة أن تكون الأمة مستقيمة في خلقها ، في سيرها في الحياة وصلتها بالله تعالى ، مع تملك الأسباب المادية الكافية ، مع تكاتف هذه الأمة فيما بينها، وأن تستمر في مجاهدة قوى الكفر والطغيان ، فالنصر لا يأتي بدون تضحيات بالأموال والأنفس[1].

و((ما معنى أن يقرر الله هذه السنة الربانية في الزبور الذي أنزله الله على داود لبني إسرائيل ؟ إنه من أجل أن يصحح لهم نظراتهم للأرض ووراثتها ، ويوضح شروط كونها لهم ، ويفند مزاعمهم حولها ، إن الأرض يرثها عباد الله الصالحون ، فهل يهود ما زالوا عبادا لله أو أصبحوا عبيدا للشيطان ؟ وهل استمر هؤلاء في صلاحهم وإيمانهم، أو تحولوا إلى ضلال وفجور وكفر ؟ إن الآية تقرر أن يهود لاحق لهم في فلسطين –وإن سكنوا بعضها فترة من الزمان– وأنهم لا يرثونها لأنهم لا يملكون مؤهلات الوراثة))[2].

٣- ويؤيد ذلك في هذه الآيات، قصة حادثة معينة لفترة قصيرة من الزمان لا تتعدى الجيلين، ولكن تبرز فيها هذه السنة الربانية بوراثة الأرض بوضوح وقوة.

وهي : أن بني إسرائيل امتنعوا وأحجموا واجبنوا من دخول الأرض المقدسة التي أمرهم موسى عليه السلام بدخولها وذلك لما علموا بأن أهلها أقوياء جبارون ، فرفضوا الامتثال وقالوا له عليه السلام إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها إلا إذا خرجوا منها ﴿ **فَاذهَب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ فكتب الله عليهم التيه في الصحراء أربعين سنة. حتى نشأ ذلك الجيل الجديد الذي تربى على قسوة الصحراء وجفافها ، فأصبح قادرا على تحمل المشاق ، والثبات في أوقات الشدائد، مع تعبئة إيمانية قوية صالحة فاكتملت بهذا شروط الوراثة من الإيمان والصلاح واتخاذ الأسباب المادية من القوة والشجاعة والرجولة ، استطاع حينئذ نبي الله يوشع بن نون أن يدخل بهم فلسطين ويفتحها بتأييد الله ونصره.

---

(١) حُمّى سنة ٢٠٠٠ ، ص ٢٨ ، عبد العزيز مصطفى كامل .

(١) حقيقة معركتنا مع إسرائيل ، عبد الغفور العقرب ص ٤٧،٤٩.

(٢) الشخصية اليهودية ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ١٥٣. وانظر كذلك ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ من هذا البحث .

يقول الأستاذ سيد قطب : ((وهكذا أسلمهم الله -وهم على أبواب الأرض المقدسة- للتيه ، وحرم عليهم الأرض التي كتبها لهم ، والأرجح أنه حرمها على هذا الجيل منهم حتى تنبت نابتة جديدة ، وحتى ينشأ جيل غير هذا الجيل ، جيل يعتبر بالدرس ، وينشأ في خشونة الصحراء وحريتها صلب العود ، جيل غير هذا الجيل الذي أفسده الذل والاستعباد والطغيان في مصر ، فلم يعد يصلح لهذا الأمر الجليل ! والذل والاستعباد والطغيان يفسد فطرة الأفراد كما يفسد فطرة الشعوب.

ولقد وعى المسلمون هذا الدرس -مما قصه الله عليهم من القصص- فحين واجهوا الشدة وهم قلة أمام نفير قريش في غزوة بدر ، قالوا لنبيهم ﷺ : إذن لا نقول لك يا رسول الله ما قاله بنو إسرائيل لنبيهم ((فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون)) لكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إننا معكما مقاتلون))[1].

---

(١) في ظلال القرآن ، للأستاذ سيد قطب ٢/٨٧١.

وقد قال هذه المقالة لرسول الله ﷺ ، في غزوة بدر ، المقداد بن عمرو ، وذلك عندما استشار الرسول ﷺ من معه من المهاجرين والأنصار قبل بدء معركة بدر.

السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٥٧ - ٢٥٨ اعتناء عمر عبد السلام تدمري ، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، د.مهدي رزق الله أحمد ص ٣٤١.

المطلب الثاني: وقفة مع بعض آيات سورة الإسراء:

قال تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسرائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفسِدُنَّ فِي الأَرضِ مَرَّتَينِ وَلَتَعلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعدُ أُولاَهُمَا بَعَثنَا عَلَيكُم عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأسٍ شَدِيد فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعدًا مَفعُولاً ۝ ثُمَّ رَدَدنَا لَكُم الكَرَّةَ عَلَيهِم وَأَمدَدنَاكُم بِأَموَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلنَاكُم أَكثَرَ نَفِيرًا ۝ إِن أَحسَنتُم أَحسَنتُم لأَنفُسِكُم وَإِن أَسَأتُم فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُم وَلِيَدخُلُوا المَسجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوا تَتبِيرًا ۝ عَسَى رَبُّكُم أَن يَرحَمَكُم وَإِن عُدتُم عُدنَا وَجَعَلنَا جَهَنَّمَ لِلكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾[1].

بينت هذه الآيات الكريمات أن بني إسرائيل سيقومون بالإفساد في الأرض مرتين ، ويلازمهم العلو والتكبر والغطرسة.

يقول الإمام ابن جرير الطبري -في تفسيره لهذه الآيات- : ((فتأويل الكلام في هذا الموضع : وفرغ ربك إلى بني إسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه بإعلامه إياهم ، وإخباره لهم :

﴿ لَتُفسِدُنَّ فِي الأَرضِ مَرَّتَينِ ﴾ يقول : لتعصن الله يا معشر بني إسرائيل ولتخالفن أمره في بلاده مرتين.

﴿ وَلَتَعلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ يقول : ولتستكبرن على الله باجترائكم عليه استكبارا شديدا.

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعدُ أُولاَهُمَا ﴾ يعني : فإذا جاء وعد أولى المرتين اللتين يفسدون بهما في الأرض وجّهنا إليكم وأرسلنا عليكم ﴿ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأسٍ شَدِيدٍ ﴾ ذوي بطش في الحروب شديد.

﴿ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾ فترددوا بين الدور والمساكن ، وذهبوا وجاءوا. وجائز أن يكون معناه : فقتلوهم ذاهبين وجائين.

﴿ وَكَانَ وَعدًا مَفعُولاً ﴾ وكان جوس القوم الذي نبعث عليهم خلال ديارهم وعدا من الله لهم مفعولا ذلك لا محالة لأنه لا يخلف الميعاد.

﴿ ثُمَّ رَدَدنَا لَكُم الكَرَّةَ عَلَيهِم ﴾ ثم أدلناكم يا بني إسرائيل على هؤلاء القوم ، وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين وصيرناكم أكثر عدد منهم.

---

(١) سورة الإسراء ، الآيات ٤-٨.

﴿ إن أَحسَنتُم أَحسَنتُم لأنفُسِكُم وَإِن أَسَأتُم فَلَهَا ﴾ يقول الله تعالى ذكره : إن أحسنتم يا بني إسرائيل فأطعتم الله وأصلحتم أمركم ولزمتم أمره ونهيه. أحسنتم لأنفسكم ، لأنكم إنما تنفعون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة.

﴿ وَإِن أَسَأتُم فَلَهَا ﴾ وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم الله عنه حينئذ فإلى أنفسكم تسيئون.

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعدُ الآخِرَةِ ﴾ فإذا جاء وعد الآخرة من مرتي إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض.

﴿ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُم ﴾ ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم.

﴿ وَلِيَدخُلُوا المَسجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوا تَتبِيرًا ﴾ دخلوه فتبروه وخربوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيض والجيف والقذر.

﴿ عَسَى رَبُّكُم أَن يَرحَمَكُم وَإِن عُدتُم عُدنَا وَجَعَلنَا جَهَنَّمَ لِلكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ لعل ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة فيستنقذكم من أيديهم وينتشلكم من الذل الذي يحله بكم، ويرفعكم من الخمولة التي تصيرون إليها فيعزكم بعد ذلك وإن عدتم يا معشر بني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري وقتل رسلي ، عدنا عليكم بالقتل والسباء وإحلال الذل والصغار بكم ، فعادوا فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم وجعلنا جهنم للكافرين سجنا يسجنون فيها وقيل فراشا ومهادا))[1].

فبنو إسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً.

وقد ذكر المفسرون في هذين الإفسادين أقوالا :

ففي الإفساد الأول :

روى الإمام ابن جرير الطبري عن ابن عباس : أن أول الفسادين لبني إسرائيل قتلهم زكريا نبي الله[2]. وروى ابن إسحاق : أن ذلك كان قتلهم أشعياء ابن أمصيا نبي الله[3]. وقيل : إن ذلك كان حبسهم أرميا نبي الله[1]. وقيل بل ذلك كان تغييرهم للتوراة وعدم العمل بها[2].

---

(١) تفسير الامام ابن جرير الطبري ج ١٥ ، الصفحات ٢٠، ٢٧، ٢٨، ٣٠ ،٣١ ، ٤٤ ، ٤٥.

(٢) المرجع السابق ٢١/١٥، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٤١/١٠، وتفسير البحر المحيط ، لأبي حيان ٨/٦، والدر المنثور، للسيوطي ٢٩٦/٤، وروح المعاني، للألوسي ٢٤/٩، وزاد المسير، لابن الجوزي ٦/٥.

(٣) ابن جرير الطبري ٢٢،٢٣/١٥ ، وتفسير البغوي ٩٦/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤١/١٠ ، وتفسير البحر المحيط ٦/ ٨ ، وروح المعاني للألوسي ٢٤/٩ ، وزاد المسير ٦/٥.

وفي الإفساد الثاني :

قال الإمام ابن جرير الطبري : ((وأما إفسادهم في الأرض المرة الآخرة فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام))[3].

وقد سلط الله على بني إسرائيل في الفسادين من يسوء وجوههم ويذلهم شر ذلة.

يقول الحافظ ابن كثير : ((وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم من هم ؟))[4].

قال الإمام الطبري : ((قال ابن زيد : كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين : قتل زكريا ويحيى بن زكريا ، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكا من ملوك فارس ، من قتل زكريا. وسلط عليهم بختنصر من قتل يحيى)) [5].

وقال ابن كثير : ((فعن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزري وجنوده سلط عليهم أولا ، وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل سنحاريب وجنوده ، وعنه أيضا وعن غيره أنه بختنصر ملك بابل))[6].

وقال البغوي : ((فكانت الوقعة الأولى بختنصر وجنوده ، والأخرى خردوش -ملك من ملوك بابل-وجنوده))[7].

وقال القرطبي : ((وكان عليهم بختنصر في المرة الأولى ، قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة : أرسل عليهم جالوت فقتلهم ، وقال سعيد بن جبير: سنحاريب من أهل نينوى بالموصل ملك بابل، وقال الحسن : إنهم العمالقة)) [8].

وقال محمد بن إسحاق : ((لما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى -بعض الناس يقول : لما قتلوا زكريا- بعث الله إليهم ملكا من ملوك بابل يقال له : خردوس))[9].

---

(١) تفسير البغوي ٥/٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٤١ ، والبحر المحيط ٦/٨ ، وروح المعاني ٩/٢٤.

(٢) روح المعاني لأبي الفضل الآلوسي ٩/٢٤.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١٥/٢٧، وتفسير البغوي ٥/٧٥، وروح المعاني ٩/٢٤ ، وزاد المسير ٥/٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ٣ / ٢٧.

(٥) تفسير الإمام ابن جرير الطبري ١٥ / ٢٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير ٣ / ٢٧.

(٧) تفسير البغوي ((معالم التنزيل)) ٥ / ٧٦.

(٨) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١٤١-١٤٢.

(٩) المرجع نفسه ١٠ / ١٤٥ .

وقال أبو حيان : ((قال ابن عباس وقتادة : غزاهم جالوت من أهل الجزيرة ، وقال ابن جبير وابن إسحاق : غزاهم سنحاريب وجنوده ملك بابل ، وقيل بختنصر))[1].

((فإذا جاء وعد الآخرة أي المرة الآخرة ، وإفسادهم في ذلك بقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام ، بعث الله عليهم بختنصر ، وقيل المبعوث عليهم الإسكندر ، وروي عن عبد الله بن الزبير أن الذي غزاهم آخراً ملك اسمه خردوس))[2].

وقال السيوطي : ((وأخرج ابن أبي حاتم ، عن عطية العوفي : ﴿لَتُفسِدُنَّ فِي الأَرضِ مَرَّتَينِ﴾ قال : أفسدوا المرة الأولى فبعث الله عليهم جالوت فقتلهم، وأفسدوا المرة الثانية، فقتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام ، فبعث الله عليهم بختنصر))[3].

لذلك قال ابن الجوزي : ((قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعدُ أُولاَهُمَا ﴾ أي : عقوبة أولى المرتين. ﴿ بَعَثنَا ﴾ أي : أرسلنا. ﴿ عَلَيكُم عِبَادًا لَنَا ﴾ وفيهم خمسة أقوال :

أحدها : انهم جالوت وجنوده ، قاله ابن عباس و قتادة. والثاني : بختنصر ، قاله سعيد بن المسيب، واختاره الفراء والزجاج. والثالث : العمالقة ، وكانوا كفارا ، قاله الحسن. والرابع سنحاريب ، قاله سعيد بن جبير. والخامس : قوم من أهل فارس ، قاله مجاهد. وقال ابن زيد : سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف من ملوك فارس.

وفيمن بعث عليهم في المرة الثانية قولان :

أحدهما : بختنصر، قاله مجاهد ، وقتادة. وكثير من الرواة يأبى هذا القول ، ويقولون : كان بين تخريب ((بختنصر)) بيت المقدس ، وبين مولد يحيى بن زكريا زمان طويل. والثاني : أنطاخيوس الرومي ، قاله مقاتل))[4].

هذه الأقوال هي التي ذهب إليها علماء التفسير من الصحابة والتابعين وغيرهم. والمهم عندنا في هذه المسألة كما يقول سيد قطب : ((ولقد صدقت النبوءة ووقع الوعد ، فسلط الله على بني إسرائيل من قهرهم أول مرة ، ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض ، ودمر مملكتهم فيها تدميرا.

ولا ينص القرآن على جنسية هؤلاء الذين سلط على بني إسرائيل ، لأن النص عليها لا يزيد في العبرة شيئا. والعبرة هي المطلوبة هنا. وبيان سنة الله في الخلق هو المقصود))[5].

---

(١) تفسير البحر المحيط ٦ / ٩٠.

(٢) المرجع نفسه ١٠ / ١٤٥.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤/٢٩٦.

(٤) زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ٥/٩،٧.

(٥) في ظلال القرآن سيد قطب ٤/٢٢١٤.

ولذلك كان ردّ بعض الباحثين المحدثين ، على أئمة التفسير الأقدمين كالإمام ابن جرير الطبري والحافظ ابن كثير في تفسير الفسادين ، أمراً غير لائق وغير صحيح البتة.

ويمكن الجمع بين ما ذهب إليه المفسرون الأقدمون ، وما ذهب إليه المعاصرون[1] ، وذلك كامن في قوله تعالى ﴿ **وَإِن عُدتُّم عُدنَا** ﴾ وإن عدتم يا معشر يهود لمعصيتي وخلاف أمري والفساد في الأرض عدنا عليكم بالقتل وإحلال الذلة والصغار والتشريد بكم.

ولا شك أن اختيار المعاصرين للفسادين داخل في هذا.

فاختيارهم : أن الفساد الأول لليهود كان في المدينة المنورة قبل وبعد هجرة رسول الله ﷺ. ((يوم أن استوطنت قبائل اليهود من بني قينقاع، وبني النضير ، وبني قريظة ، وأهل خيبر ، الجزيرة العربية، حيث اختاروا أجود المناطق من حيث الزراعة ، والموقع الاستراتيجي المهم للسيطرة على مقدرات القبائل العربية التي كانت تسكن الجزيرة ، والتي فتنت بما عند اليهود من ثقافة وعلم ومعرفة ، فاستطاع اليهود السيطرة على الجزيرة العربية اقتصاديا ، وفكريا وسياسيا ، بما أشاعوه من فساد أخلاقي واجتماعي وسياسي ، قبل بعثة النبي ﷺ))[2].

فمن فسادهم الاعتقادي أنهم كانوا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأنهم كانوا يستفتحون على العرب ، ويبشرونهم بقرب مبعث نبي خاتم وأن هذا النبي سيكون يهوديا وسيبيح لهم دماء العرب وأموالهم.

ومن فسادهم الاقتصادي أن أسواق الاقتصاد والسلع والبضائع بيد اليهود ووسط المناطق اليهودية عند بني قينقاع والنضير وقريظة ، وكبار التجار وأصحاب الأموال من اليهود يتعاملون مع القبائل العربية على أساس الربا.

والأراضي الزراعية الجيدة بيد اليهود ، والحدائق والبساتين وكروم النخل وآبار الماء معظمها يملكها اليهود. ويشغلون فيها العرب أجراء وعمالا.

ومن فسادهم العلمي والثقافي ، أنهم فرضوا وصاية يهودية على القبائل العربية ، فكانوا يتهمون العرب بالجهل والجهالة والأمية ، ويظهرون أنهم أهل الكتاب وحملة العلم ، فنشروا أفكارهم وعلومهم وثقافتهم وخرافاتهم وأساطيرهم وإسرائيلياتهم.

---

(١) انظر : الشخصية اليهودية ، وحقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، والأرض المقدسة ، لإبراهيم العلي ، وصراعنا مع اليهود ، لأحمد الجدع ، ورؤية دينية للدولة الإسرائيلية ، لحسن مي ، والإسراء وإسرائيل ، د.محمد هلال.

(٢) الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل ، إبراهيم العلي ص ١٥٥.

وكانوا حريصين على استمرار إضعاف القبائل العربية ، ولذلك كانوا يعملون دائما على استمرار الحروب بين الأوس والخزرج في المدينة. ولما بعث الرسول ﷺ وحاربته قريش كانوا يستعينون باليهود في حربه ونشر الشبهات ضده[1].

وبعد هذا الفساد سلط الله عليهم رسوله محمداً ﷺ وأصحابه الكرام فأزالوا فسادهم وقضوا على علوهم وتجبرهم.

أما الفساد الثاني لليهود ، فهو متمثل في الكيان الإسرائيلي القائم الآن في فلسطين ، وفي تحكمهم وسلطانهم وعلوهم وتجبرهم الذي يبدو أوضح ما يكون في هذه الأيام.

((اليهود في هذا الزمان يقومون بالإفساد الثاني ، وقد أصبحت الكرة لهم الآن علينا ، وقد تم إمدادهم بالمال والبنين ، وزادت الحبال الممتدة إليهم بالمساعدات ، وصاروا أكثر نفيرا ، وهاهم الآن يتجمعون من مختلف الدول ويقيمون في كيانهم في فلسطين))[2].

((وتزداد شراسة إفساد دولة اليهود اليوم بعد أن خضعت الحكومات والأنظمة في العالم العربي والإسلامي ، بعد توقيع اتفاقيات ما يسمى بالسلام المزعوم مع دولة اليهود ، ليصبح العالم الإسلامي مسرحا لإفسادهم ، من خلال ما يسمى بتطبيع العلاقات مع العدو اليهودي))[3].

ولنعلم أن هذا إفساد سينتهي -لأن ذلك من سنن الله الكونية ﴿ **وَإِنْ عُدتُّم عُدنَا** ﴾- وأن يوم النصر آت بإذن الله على اليهود لإزالة فسادهم ، ولكن عن طريق الجنود المسلمين الرافعين راية الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيل الله عز وجل ، وليس عن طريق المفاوضات على الطاولات المستديرة ، أو بحروب ترفع فيها راية العروبة والقومية.

وبهذا يتضح إن شاء الله تعالى أنه لا تناقض بين أقوال المفسرين الأقدمين والمعاصرين في تحديد ماهية الإفسادين لليهود في الآية الكريمة.

يقول الأستاذ سيد قطب : ((فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد في الأرض فالجزاء حاضر والسنة ماضية : (وإن عدتم عدنا).

ولقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها. ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عباداً آخرين ، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم ((هتلر)) ، ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة ((إسرائيل)) التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات.

---

(١) الشخصية اليهودية ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ص ٣٣٤-٣٣٥.

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٥.

(٣) الأرض المقدسة ، إبراهيم العلي ، ص ١٦١.

وليسلطن عليهم من يسومهم سوء العذاب ، تصديقا لوعد الله القاطع ، ووفاقا لسنته التي لا تتخلف ، وإن غدا لناظره قريب !))[1].

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ٤/٢٢١٤.

المبحث الثاني : النظر إلى هذا الوعد من خلال الأحاديث الصحيحة.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الفتح الإسلامي لبيت المقدس.

المطلب الثاني : مستقبل الصراع الإسلامي ـ اليهودي.

المطلب الأول : الفتح الإسلامي لبيت المقدس :

روى البخاري بسنده إلى عوف بن مالك قال : أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قُبّة من أدم[1] -فقال : اعدد ستا بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس[2].

وعن شداد بن أوس : أنه كان عند رسول الله ﷺ ، فقال إن الشام سيفتح ، بيت المقدس سيفتح[3].

معركة اليرموك وأهميتها في فتح بيت المقدس :

كانت معركة اليرموك بابا فتح الطريق إلى بلاد الشام ، واستهلت سنة ثلاث عشرة هجرية والخليفة أبو بكر الصديق عازم على جمع الجنود ليبعثهم إلى الشام ، وذلك بعد مرجعه من الحج[4].

شرع الصديق ﷺ في تولية الأمراء وعقد الألوية والرايات ، فأول لواءٍ عقده لفتح الشام لخالد بن سعيد بن العاص ، فتقهقر في مرج الصفراء[5] وانهزم أمام جيش الروم فوصل في هزيمته إلى ذي المروة قرب المدينة ، فأمره أبو بكر بالمقام بها.

وكان الصديق قد أمد جيش خالد بن سعيد بعكرمة بن أبي جهل والوليد بن عتبة وجماعة ، فلما رأى عكرمة وضع جيش خالد بن سعيد ، ثبت ومن معه ردءاً للمسلمين يمنع من يطلبهم[6].

ثم ندب أعظم قواده للذهاب إلى بلاد الشام. فعقد لواء بقيادة يزيد بن أبي سفيان ومعه جمهور الناس ، ومعه سهيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكة ، ووجهه إلى دمشق ، وألحقه بجيش

---

(١) أدم : باطن الجلد الذي يلي اللحم والبشرة ظاهره ، وقيل ظاهره الذي عليه الشعر وباطنه البشرة. لسان العرب ١٢/ ١٠ لابن منظور ، والقاموس المحيط ص ١٣٨٩ الفيروز آبادي.

(٢) رواه البخاري ، كتاب الجزية والموادعة باب (١٥) ما يحذر من الغدر رقم (٣١٧٦) ٢/ ٤١٣.

وتكملة الستة هي : ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً.

(٣) ذكره ابن حجر في الإصابة ٣/ ٢٥٩ ترجمة شداد بن أوس. وقال : هذا الحديث أخرجه الطبراني من طريق محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن شداد سمعت أبي يحدث عن أبيه عن جده شداد بن أوس..وذكره.

(٤) البداية والنهاية مجلد ٤ ج ٧ ص ٣ للحافظ ابن كثير ، والكامل في التاريخ ٢/ ٢٥٢ ابن الأثير.

(٥) مرج الصفراء أو مرج الصفر ، مكان إلى الجنوب من دمشق بحوالي ٣٨ كم. انظر الطريق إلى القدس ص ٧٠ د.محسن محمد صالح.

(٦) البداية والنهاية مجلد ٤ ج ٧ ص ٣ للحافظ ابن كثير ، والكامل في التاريخ ٢/ ٢٥٢ ابن الأثير.

آخر بقيادة أخيه معاوية ، ومعهم من بقي من جيش خالد بن سعيد بذي المروة. وعقد لواء بقيادة شرحبيل بن حسنة ووجهه إلى بصرى. ولواء بقيادة أبي عبيده عامر بن الجراح ووجهه إلى حمص. ولواء بقيادة عمرو بن العاص ووجهه إلى فلسطين(١).

ومن وصية الصديق وهو يودع عمرو بن العاص : ((... وإذا سرت بجيشك فلا تسر في الطريق الذي سار فيها يزيد وشرحبيل ، بل اسلك طريق إيليا حتى تنتهي إلى أرض فلسطين ، وابعث عيونك يأتوك بأخبار أبي عبيدة فإن كان ظافراً بعدوه فكن أنت لقتال من في فلسطين وإن كان يريد عسكراً فانفذ إليه جيشاً في أثر جيش))(٢).

((وسبب تعدد الجيوش والألوية ، هو تعدد الطرق التي كانت الجيوش تسلكها وهي متجهة إلى الشام))(٣).

فنـــزل عمرو بن العاص العروبة من أرض الشام ، ونزل يزيد البلقاء(٤) ، ونزل شرحبيل بالأردن ، ونزل أبو عبيده بالجابية(٥) ، وكان عكرمة بن أبي جهل واقفاً في أطراف الشام بمن معه من المقاتلين.

علمت الروم بتوجه هذه الجيوش إلى الشام ، فأمر هرقل بخروج الجيوش الرومية بصحبة الأمراء ، في مقابلة كل أمير من المسلمين أمير من الروم بجيش كثيف. فوصل عدد جيوش الرومان أربعون ومائتا ألف ، وعـــدد جيوش المسلمين واحد وعشرون ألفاً ، سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل في طرف الشام في ستة آلاف مقاتل.

فكتب الأمراء إلى أبي بكر الصديق ﷺ يعلمونه بما وقع من الأمر العظيم ، فكتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً. ثم قال ﷺ : ((والله لأشغـــلن النصارى عن وســـاوس الشيطان بخالد بن الوليد)). فكتب الصديق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق ، وأن يقفل بمن معه إلى الشام ، فإذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم.

---

(١) البداية والنهاية المجلد الرابع ، الجزء السابع ص٤ للحافظ بن كثير ، والكامل في التاريخ ٢ / ٢٥٣ - ٢٥٥ لابن الأثير ، وجولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ص ٥٨ د. محمد السيد الوكيل.

(٢) فتوح الشام للواقدي ١/ ٨ ، وبهامشه تحفة التاظرين لعبد الله الشرقاوي ، دار إحياء التراث العربي بيروت .

(٣) بيت المقدس والمسجد الأقصى ص ٧٨ محمد بن محمد حسن شراب.

(٤) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان ، وفيها قرى ومزارع واسعة . الكامل في التاريخ ٢ / ٢٥٥ لابن الأثير حاشية (٢) من تحقيق عبد الله القاضي.

(٥) الجابية : قرية من أعمال دمشق في الجنوب الغربي منها ، ناحية الجولان ، قرب مرج الصفر وهي أقرب إليها منها إلى القدس. انظر : المرجع السابق ، وجولة تاريخية ص ١٩٨ د. محمد السيد الوكيل.

فاستناب خالد ﷺ المثنى بن حارثة على العراق ، وسار مسرعاً في تسعة آلاف وخمسمائة ، ودليله رافع بن عميرة الطائي. فوصل خالد ومن معه من المجاهدين في خمسة أيام إلى قناة بصرى ، فوجد جيوش الصحابة مجتمعة إلا جيش عمرو بن العاص حاصره الروم في أرض عربة.

صالح خالد بن الوليد أهل بصرى على الجزية ، فكانت أول مدينة فتحت بالشام في خلافة أبي بكر الصديق ، ثم سار خالد وأبو عبيدة ويزيد وشرحبيل ومن معهم وقد قصدوا عمرو بن العاص في أرض عربة ، كما قصدهم أيضا عكرمة بمن معه من الجيش ، فتكامل جيش الصحابة ستة وثلاثين ألفا إلى الأربعين ألفا فقاتلوا مع جيوش الروم بقيادة القيقلان في موقعة أجنادين[1] ، وكانت في ليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، الموافق ٣٠ تموز/ يوليو سنة٦٣٦م، وقتل بها بشر كثير من الصحابة ، وهزمت الروم ، وقتل أميرهم القيقلان[2].

وفي أول جمادى الآخرة اجتمع الجيش على خالد بن الوليد ، فقام وخطب فيهم فحمد الله وأثنى عليه وذكرهم بإخلاص الجهاد لله تعالى ، ثم نظم الجيش وقسمه حسب رؤيته لمثل هذه المعارك الكبيرة القوية ، فخرج الجيش في ستة وثلاثين كردوسا (فرقة) إلى الأربعين ، كل كردوس ألف رجل عليهم أمير.

وجاءت الروم في خيلائها وفخرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء عددهم مائتان وأربعون ألف مقاتل ، يصيحون بأصوات مرتفعة ورهبانهم يتلون الإنجيل ويحثونهم على القتال، فنزلوا في واد فسيح تحيطه من الجهات الثلاث جبال مرتفعة شاهقة الارتفاع، ويقع في الجهة اليسرى من نهر اليرموك.

---

(١) البداية والنهاية، المجلد الرابع الجزء السابع (٤-٨) الحافظ ابن كثير، والكامل في التاريخ٢/٢٥٥-٢٥٨، ٢٦٥- ٢٦٦ ، وجولة تاريخية ص ٥٨-٦٢ د. محمد الوكيل ، والطريق إلى القدس ص ٦١-٧٠ د. محسن محمد صالح.

وأجنادين : بعد الجيم نون ودال مهملة مفتوحة ومنهم من يكسرها ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وآخره نون. وتقع في جوار قرية عجّور من أعمال الخليل. فيها خربتان : خربة جنّابة الغربية وخربة جنّابة الشرقية. وأجنادين تحريف لتثنية الخربتين المذكورتين أي جنّابتين. وتحتوي الغربية منها على جدران متهدمة وبقايا معاصرة وصهاريج. والشرقية تحتوي على مغاور وأحواض. الكامل في التاريخ ٢/٢٦٦ لابن الأثير ، وفلسطين ((القضية الشعب الحضارة)) ص ٨٦ بيان نويهض الحوت.

(٢) وهناك من يرى أن موقعة أجنادين غير هذه الموقعة ، فهي التي وقعت بين جيش عمرو بن العاص وبين الروم بقيادة أرطبون ، وكان ذلك بعد موقعة اليرموك ، فاقتتلوا بأجنادين قتالا شديدا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم وأنهزم أرطبون إلى إيليا (المقدس) فحاصره عمرو بن العاص هناك واستمر الحصار حتى جاء عمر بن الخطاب من المدينة وفتح بيت المقدس ، وكان ذلك سنة ١٥هـ والله أعلم ، انظر الكامل ٢/٣٤٦-٣٤٧ لابن الأثير. وانظر أيضا البداية والنهاية المجلد الرابع الجزء السابع ص ٥٥-٥٦ ، وحاشية رقم (٣) في ص ٣٧٩ من هذا البحث .

فلما رآهم عمرو بن العاص قال : ((أبشروا أيها الناس ، فقد حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير)).

وأما المسلمون فقد عبروا النهر إلى الجهة اليمنى ، وضربوا معسكرهم هناك، في واد منبطح يقع على الطريق المفتوح لجيش الروم ، وبذلك اغلقوا الطريق أمام الجيش المزهو بعدده وعدده ، فلم يعد للروم طريق يسلكون منه أو يفرون إذا اضطروا للفرار ، لأن جيش المسلمين قد أخذ عليهم مسلكهم الوحيد(١).

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان ، وعظ أبوعبيدة المسلمين ، ثم خرج معاذ بن جبل فجعل يذكرهم ، وكذلك فعل عمرو بن العاص وأبو سفيان وأبو هريرة ، خاصة عندما سمعوا أصوات القسيسين والرهبان.

وثبت كل قوم على رايتهم ، حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا. فلم تر يوم اليرموك إلا مخا ساقطا ومعصما نادرا وكفا طائرة من ذلك الموطن.

وبينما هم في جولة الحرب وحومة الوغى ، والأبطال يتصاولون من كل جانب ، إذ قدم البريد من نحو الحجاز فدفع إلى خالد بن الوليد ، فإذا به : أن الصديق ﷺ قد توفى ، واستخلف عمر بن الخطاب ﷺ ، وأنه استناب على الجيوش أبا عبيدة بن الجراح ، فأسرّها خالد ﷺ ولم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن في تلك الحال.

تقهقر الروم أمام هجوم المسلمين ، خاصة أن خالداً وفئة معه عمدوا إلى رحل الروم وهم الرجالة فاقتحموا خندقهم ، وظلوا يقاتلون حتى أصبحوا ، وفرّ المنهزمون من اليرموك حتى بلغوا دمشق ، فتبعهم المسلمون ، فخرج إليهم أهل دمشق فصالحوهم ، ثم تبعوهم إلى حمص ، فخرج إليهم أهلها فصالحوهم كما صالحهم أهل دمشق ، فلما بلغ هرقل وهو بحمص قدوم المسلمين ارتحل منها وجعلها بينه وبين المسلمين ترساً.

غنم المسلمون كل ما كان في معسكر الروم ، وكان شيئا عظيما ، حتى خص الفارس من النفل ألف وخمسمائة درهم أو ألف وخمسة دراهم ، وكانت هذه الموقعة الفاصلة عند اليرموك في شهر جمادى الآخرة من السنة الثالثة عشرة من الهجرة سنة ٦٣٤م ، بعد أن مكث المسلمون قرابة أربعة أشهر لا ينالون من الروم ولا ينال منهم. ولما انتهت المعركة ، أظهر خالد بن الوليد الكتاب

---

(١) يقول د. محمد السيد الوكيل : وقد يعجب الإنسان كثيرا وهو ينظر إلى الخارطة ، ويرى نفسه مضطرا لأن يسأل كيف رضي قواد الروم لجيوشهم هذا الموقع ؟ وكيف وافق الجنود على الترول فيه وهم يرون ألا سبيل للخروج منه إلا عن طريق هذه الوادي الذي احتله المسلمون ؟ جولة تاريخية ص ٥٧.

الذي جاء به البريد ، فإذا هو نعي للخليفة الصديق ﷺ ، وعزل لخالد بن الوليد ﷺ من الإمارة، وتولية لأبي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ إمارة الناس ، فكان أبو عبيدة أول من سمى أمير الأمراء[1].

وبانتهاء معركة اليرموك -التي تعتبر إحدى المعارك الحاسمة في التاريخ- انكسرت شوكة الروم في الشام ، وأصبح فتحها أكثر سهولة ويسرا على المسلمين.

فسقطت المدن ، المدينة تلو الأخرى ، بالصلح وغيره ، ابتداء من دمشق ثم فحل بيسان، وحمص ومدن فلسطين كنابلس ورفح وغيرها ، ولم يبق من مدنها إلا قيسارية وبيت المقدس[2].

فتح بيت المقدس :

بعد أن استتب الأمر للمسلمين في الشام عامة ، ولم يبق من فلسطين إلا بيت المقدس وقيسارية ، كتب أبو عبيدة -أمير الجيوش- إلى الخليفة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يستشيره في التوجه إلى قيسارية أو إلى بيت المقدس. ولما قرأ أمير المؤمنين الكتاب استشار الصحابة الكرام ، فقال له علي بن أبي طالب : ((يا أمير المؤمنين مر صاحبك أن يصير إلى بيت المقدس ، فيحدقوا بها ويقاتلوا أهلها فهو خير الرأي وأكبره وإذا فتحت بيت المقدس ، فاصرف جيشه إلى قيسارية فإنها تفتح بعد إن شاء الله)).

أرسل أبو عبيدة ﷺ كتبا إلى أهل بيت المقدس يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، أو يبذلون الجزية أو يؤذنوا بحرب. فأبو أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه ، فركب إليهم مع أمراء جيوشه وحاصر بيت المقدس ، وضيق عليهم الحصار حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من المدينة. فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك[3].

---

(١) انظر : البداية والنهاية المجلد الرابع الجزء السابع (٨-١٦) للحافظ ابن كثير ، والكامل في التاريخ ٢ /٢٥٨-٢٦٢ لابن الأثير، وجولة تاريخية ص ٦٣-٧٠ د. محمد السيد الوكيل.

(٢) راجع في فتح تلك المدن : البداية والنهاية مجلد ٤ ج ٧ص ١٩-٢٦ ، ٥٣-٥٥ ، والكامل في التاريخ ٢/٢٧٨-٢٨١، ٣٣٨-٣٤٦ ، وجولة تاريخية ص ١٧٣-١٨٦.

(٣) وجاء في روايات أخرى : أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيلياء -بيت المقدس- وفي طريقه إليها وجد طائفة من الروم على رأسهم أرطبون في أجنادين -وتقع في القلب والوسط من فلسطين- فكان لا بد لعمرو أن ينازل هؤلاء لمروره إلى بيت المقدس ، خاصة أن أرطبون له مكانه عالية عند الروم بعد منزلة هرقل ، حيث قال عنه ابن جرير الطبري : كان الأرطبون أدهى الروم وأبعدها غورا وأنكاها فعلا. وأن بيت المقدس منزلته عالية في جميع الأديان ومنها النصرانية ففيها مقدساتهم من مثل كنيسة القيامة وعلى أرضها مشي عيسى عليه السلام وأصبحت عندهم مزارا يحجون إليه ويتبركون به ويلتمسون عنده الغذاء الروحي.

قابل أرطبون عمرو بن العاص في أجنادين مقابلة عنيفة ، ودارت رحى الحرب بين الفريقين قاسية بعد أحداث مثيرة بين عمرو بن العاص وأرطبون ، حتى قال فيها عمر بن الخطاب : قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فانظروا =

جاء أمير المؤمنين عمر إلى الشام ، وأرسل إلى قواد جيشه أن يوافوه في اليوم الفلاني إلى الجابية ، فتوافوا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية سوى عمرو بن العاص وشرحبيل فإنهما مواقفان الروم في بيت المقدس ، وهناك في الجابية تم الصلح مع المقدسيين وكتب لهم كتاب أمان ومصالحة، وضرب عليهم الجزية واشترط عليهم شروطا ذكرها العلامة ابن جرير الطبري ، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وهو كاتب الكتاب ، رضي الله عنهم أجمعين وكان ذلك في السنة الخامسة عشرة من الهجرة النبوية(١).

وهناك في الجابية جاء إلى عمر رجل من اليهود وقال له : ((يا أمير المؤمنين لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء)) . وسأل عمر رضي الله عنه ذلك اليهودي عن الدجال فقال له وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين فأنتم والله يامعشر العرب تقتلونه على بضع عشر ذراعاً من باب لُد))(٢).

ومما جاء في العهد الذي أعطاه عمر لأهل بيت المقدس(٣) :

= عما تنفرج. وسقط في هذه المعركة -معركة أجنادين- قتلى كثيرون مما أعاد إلى الأذهان يوم اليرموك ، فانهزم أرطبون وجيشه وأجبر أن يتجه نحو بيت المقدس ذات الحصون المنيعة لعله يجد فيها قوة تحميه ويستطيع بها مواجهة المسلمين. وكان عمرو بن العاص قد أرسل إلى بيت المقدس جيشاً بقيادة علقمة بن حكيم ومعه مسروق العكي ليشغلا أهلها ويقطع الإمدادات عن أجنادين ، وهذا ما حصل لما رأى الجيش المسلم المحاصر لبيت المقدس أن أرطبون فر منهزما ومن معه إلى بيت المقدس ، أفسحوا لهم الطريق حتى إذا دخلوها احكموا عليهم الحصار ، وصل عمرو بن العاص ومن معه من الجيش إلى بيت المقدس واجتمع مع الجيش الذي هناك من قبل ، وأصر عمرو على مواصلة الحصار وألا يبرحها مهما كان الثمن حتى يفتحها ، خاصة أن كل قائد من قواد المسلمين يتطلع لفتحها لينال شرف ذلك في الدنيا والآخرة ، لما لبيت المقدس من مكانة عالية عند الله وعند الناس. ولمس أرطبون هذا الإصرار من عمرو بن العاص فقال : والله لا يفتح عمرو شيئا من فلسطين بعد أجنادين. حيث إن صاحبها رجل صفته كذا وكذا ، وذكر صفة عمر بن الخطاب خليفة المسلمين. وصل هذا الخبر إلى عمرو بن العاص ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يقول فيه : إني أعالج عدوا شديدا وبلادا قد ادخرت لك فرأيك)) فعلم عمر أن عمروا لم يقل ذلك إلا لأمـــر علمه ، فعزم عمر بن الخطاب على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس، وحصل هذا على ما سأذكره إن شاء الله تعالى. انظر : تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣ / ١٥٧ ، البداية والنهاية المجلد الرابع الجزء السابع ص ٥٥ ، ٥٦ ، والكامل في التاريخ ٢/٣٤٥-٣٤٧ ، وجولة تاريخية ص ١٩٠-١٩٤ ، وفلسطين تاريخا ونضالا ص ٤٥ نجيب الأحمد، وتاريخ فلسطين القديم ص ١٣٧ ظفر الإسلام خان.

(١) تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٥٩/٣، البداية والنهاية م٤ ج ٧ ص ٥٨ ، والكامل في التاريخ ٣٤٨/٢ لأبن الأثير.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣ / ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٣) يقول محمد شراب : ((ونص العهد العمري ، ترويه أكثر المصادر العربية ، وتختلف في نصه. وهو في تاريخ الطبري بسنده إلى سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة عن خالد وعبادة. ولم أره في كتاب من كتب الحديث.. ولكن مما يطمئن الإنسان إلى صحته ، أو صحة مضمونه ، أنه ليس فيه ما نقضه أهل الفقه ، فهو يوافق الأحكام الإسلامية)) بيت المقدس والمسجد الأقصى ص٨٤.

((بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء[1] من الأمان، أعطاهم : أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها. أنه لا تُسكن كنائسهُم ولا تُهدَم ولا يُنتقص منها ولا من حيِّزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم. ولا يَسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود...))[2].

وبهذا الفتح الإسلامي العظيم لفلسطين وما حولها أخذت هذه الأرض تكتسب من جديد هويتها وتاريخها الإسلامي الذي ارتبط بدعوة الأنبياء والأديان السماوية الصحيحة ، استطاع المسلمون أن يحووا تلك الأرض الواسعة المقدسة (مكة والمدينة وبيت المقدس وما حوله) في شرعيتهم الحاكمة.

((فالصالحون من عباد الله من الأنبياء وأتباع الأنبياء في كل الأزمان ، ما كان لهم أن يرضوا أن تحول المساجد الكبرى في الديانات الصحيحة إلى أماكن تمارس فيها الوثنية ، وتقام فيها الشعائر الشركية والكفرية ، ولهذا فقد كانوا يبذلون أرواحهم ودماءهم ليحولوا دون تلويثها بعد أن طهرها الأنبياء عن أمر الله لهم ، وهم لا يرضون أيضاً أن تحوّل البلاد التي تحوي تلك المساجد إلى أوطان للمشركين ، أو ديار للكافرين ، فإن ذلك -فوق أن يدنس الأراضي المقدسة- فهو يهدد المساجد المطهرة)) [3].

---

(١) إيلياء كابيتولينا هو اسم لبيت المقدس ، أطلقه عليها الرومان في عهد الإمبراطور ايليوس هادريان ، فإيليا اسم الامبراطور، وكابيتولينا تعني معبد جوبيتير الكبير.

وعرفت مدينة القدس عبر التاريخ بأسماء عديدة ، منذ عهد اليبوسيين -بُناتها الأوائل- منها (يبوس) ، ثم (أورشليم) ، وهذه التسمية قد عرفت من قبل العبرانيين ، فهي في لوحات العمارنة التي تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وتسمى (أورو سالم). أما في النقوش الآشورية ، التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد فتسمى (أورو سليو) ، وفي النقوش اليونانية في عهد الإسكندر ، أي في القرن الرابع قبل الميلاد تسمى (هيروسوليما) أو (سوليما) ، أما التسمية العبرية (يروشولايام) ومن ثم (أورشليم) ، فأصل المعنى بالسامية (مدينة السلام). وبعد تسميتها أورشليم تحول إلى (قديتس) ثم (إيليا كابيتولينا) ثم بيت المقدس أو القدس. انظر : فلسطين ص ٩٠ بيان نويهض الحوت.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣ / ١٥٩.

وقد قال القائد عبد الله التل : ((وحينما كنت قائداً لمعركة القدس سنة ١٩٤٨م ، اطلعت على كتاب يوناني مخطوط في دير المصلبة يذكر حادثة مجيء الخليفة عمر بن الخطاب ، لتسلم بيت المقدس من الروم المنهزمين. وقد ترجم الأستاذ علي رشدي نص الكلام اليوناني ، فبدا مطابقاً في كثير من الوجوه لنصوص التاريخ الأخرى التي أشارت إلى حادثة تسليم بيت المقدس. وقال أيضاً : وأعطى الخليفة عمر بن الخطاب الروم وثيقة أمان عرفت بالعهدة العمرية ، وهي لم تزل محفوظة في بطريركية الروم الأرثوذكس في القدس الشريف. انظر : خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص١٢٧، ١٣٠.

(٣) حُمّى سنة ٢٠٠٠ ، ص ١٧ ، عبدالعزيز مصطفى كامل.

ولهذا فإن ((أحد معالم الحل الإسلامي المنشود لتحرير الأرض المباركة ، هو توسيع دائرة الصراع لتشمل كافة المسلمين المؤمنين بحقهم فيها ، وعدم التفريط بأي جزء منها باعتبارها أرضاً إسلامية مقدسة ، وباعتبارها جزءاً من عقيدة المسلمين ووجدانهم. وإن استشعار المسلمين بواجبهم تجاه تحرير أرض الإسراء وقيامهم بخطوات عملية في هذا الإطار هو ضمانة حقيقية للسير بخطوات جادة لتحقيق آمال المسلمين باستعادة أرضهم ومقدساتهم))[1].

(١) الطريق إلى القدس ، ص ٥٧ ، د. محسن محمد صالح.

المطلب الثاني : مستقبل الصراع الإسلامي - اليهودي :

ليعلم اليهود ومن والاهم من النصارى وغيرهم ، وليعلم المسلمون الذين ينظرون في مستقبل الصراع ((الإسلامي- اليهودي)) على ضوء هذا الواقع المرير البائس ، أن الجولة القادمة للمسلمين الصادقين في إيمانهم بالله ، وجهادهم في سبيل الله تعالى ، وأن ذلك الوعد المبثوث في كتب اليهود المقدسة -عندهم- ما هو إلا وعد مفترى على الله عز وجل ، لتضييعهم دينهم في زمانهم ، وعدم إيمانهم بدين الله الخاتم المترل على خاتم النبيين والمرسلين محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وأن هذا الواقع الأليم اليوم ما هو إلا سحابة صيف غشيت الأمة الإسلامية ، عما قريبٍ ستنقشع وستزول ، إذا أذن الله بذلك وعادت الأمة إلى ربها ودينها.

وعندنا بشارات من كلام الله عز وجل ، ومن كلام رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى : **﴿ وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبعَثَنَّ عَلَيهِم إِلَى يَومِ القِيَامَةِ مَن يَسُومُهُم سُوءَ العَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [١].

هذا وعد الله لن يخلفه أبدا. والذين يوافقون على ما جاء في مدريد وما بعدها كـــ((أسلو و وآي ريفر)) وغيرها يقفون ضد ما جاء في هذه الآية ، فوعد الله تبارك وتعالى ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب : هتلر جزء من هذا الوعد ! منظمات التحرير جزء منه ! الجهاد القائم الآن في الأرض المحتلة جزء منه ! وسوف تنتهي هذه كلها بتدمير اليهود ، كما قال تعالى : **﴿ ضُرِبَت عَلَيهِمِ الذِّلَّةُ أَينَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَت عَلَيهِمُ المَسكَنَةُ﴾** [٢].

إن الذلة والمسكنة مضروبة عليهم إلا في حالات عارضة بحبل من الله وحبل من الناس ، حالات استثنائية يعطون فيها ، فإذا أعطوا وتمكنوا ترجع سنة الله[٣].

قال تعالى : **﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُم وَلِيَدخُلُوا المَسجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوا تَتبِيرًا ۞ عَسَى رَبُّكُم أَن يَرحَمَكُم وَإِن عُدتُم عُدنَا﴾** [٤].

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٦٧.

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٢.

(٣) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى د. سفر الحوالي ص ٧١.

(٤) سورة الإسراء الآيتان ٧ ، ٨.

وإن عدتم عدنا : في أي مرحلة يعودون سيعود عقاب الله تعالى عليهم.

وقال ﷺ : ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله))[1].

وقبل أن أتكلم عن الصراع الذي سيقع بين المسلمين بقيادة عيسى بن مريم عليه السلام واليهود بقيادة المسيح الدجال عليه لعنة الله ، والتي سينتصر فيها المسلمون ولن تقوم لليهود قائمة إلى أن تقوم الساعة ، والذي هو من أشراط الساعة الكبرى.

أحب أن أوضح مسألـــة مهمة وهي أن تلك المبشرات من قول الله تعـــالى ومن قول الرسول ﷺ المأذون فيها بنهاية اليهود بالكلية لا تؤدي إلى الخمول والجبن والخور والانتظار حتى تأتي هذه المبشرات ويتم الفتح الذي وُعدنا به.

بل يجب على المسلمين أن يعدّوا العدة ويجاهدوا الكفار ومنهم اليهود ، حتى يقع النصر المنشود على أعداء الله ،أي يجب عليهم أن يبذلوا مقدمات ويقدموا جهوداً تتحقق من خلالها تلك المبشرات ، فيتطابق أمر الشرع وأمر القدر ، بفضل من الله تعالى.

ولا وجه لتقييد هذا النصر للمسلمين على اليهود بكونه في زمان قتال اليهود مع الدجال للمسلمين ، ومعهم عيسى بعد نزوله عليه السلام ، إذ لا مانع من وقوع ذلك النصر مرتين ، فينصرون عليهم قبل نزول عيسى عليه السلام ، ويستمر ذلك النصر عليهم إلى نزول عيسى عليه السلام ، ((حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم ! هذا يهودي ورائي فاقتله))[2].

((فلا يحسبن أحد أن على الناس أن يناموا ويركنوا إلى الظالمين ، حتى تأتي هذه الجولة التي يعرضها الحديث الشريف. لا ! فالملحمة ماضية لا تتوقف أبدا ، والطائفة الظاهرة ماضية مع الدهر بأمر الله كذلك ، والأمانة ممتدة في الحياة لا تنقطع ، والمسئولية تقع على كل الأجيال والعصور ، وكل جيل يحاسب عند الله على عمله ونفسه ، ومن يتول فإنما يسيء إلى نفسه ، والنصر من عند الله قريب في كل وقت للمؤمنين الصادقين ، ولا يحسبن أحد أن قيام دولة لليهود يعني أنها باقية حتى تأتي هذه الجولة ، فهذه مغالطة واسعة كبيرة. فالباطل يمكن هزيمته كل وقت بإذن الله ، ولا يحل الانتظار والاسترخاء والاستسلام. ملحمة فلسطين ماضية لا تتوقف ، والجهاد في سبيل الله

(١) رواه الإمام البخاري بسنده إلى أبي هريرة ﷺ في كتاب الجهاد والسير ، باب (٩٤) قتال اليهود ٣٣٩/٢ حديث (٢٩٢٦) ، ورواه الإمام مسلم بسنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في كتاب الفتن و أشراط الساعة ، ٢٢٣٩/٤ حديث (٢٩٢١).

(٢) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ٢٤٤/٥ ، للشنقيطي (بتصرف).

ماض لا يتوقف ، والأمانة ماضية لا تتوقف ، وكل جيل يحاسب عن نفسه وعمله ، والنصر قريب بإذن الله))[1].

وسوف أدرس المعركة الأخيرة بين المسلمين واليهود التي تدل على بطلان الوعد الذي تزعمه اليهود من خلال نقاط : المهدي ، المسيح عيسى عليه السلام ، المسيح الدجال ، نهاية الواقعة الأخيرة.

((المهدي)) :

هذا الرجل الصالح اسمه كاسم رسول الله ﷺ . واسم أبيه كاسم أبي الرسول ﷺ ، وهو من ذرية فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

يقول ابن كثير: ((وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني ﷺ))[2].

يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ، تنعم الأمة الإسلامية في عهده بنعم عظيمة فتخرج الأرض خيراتها ، وتمطر السماء ، ويعطى المال حثاً بغير عدد.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((لا تذهب ، أولا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي))[3]. وفي رواية ((يواطىء اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا))[4].

---

(١) ملحمة فلسطين ، د. عدنان علي رضا النحوي ، ص ٤٣ ، ٤٤.

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله ذلك أنه ((الحسني)) استناداً إلى الحديث الذي رواه أبو داود بسنده إلى علي بن أبي طالب أنه نظر إلى ابنه الحسن فقال : إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق ثم ذكر قصة : يملأ الأرض عدلاً.

سنن أبي داود ، كتاب المهدي ٤٧٧/٤ (٤٢٩٠). وهذا الحديث منقطع لأن أبا إسحاق السبيعي لم تثبت له رواية عن علي بن أبي طالب ، انظر : سنن أبي داود ، تعليق عزت الدعاس وعادل السيد ٤٧٧/٤ ، وعون المعبود١١/٢٧٥.

وذكر هذا الحديث العلامة الألباني في كتابه عن ((ضعيف سنن أبي داود)) ص ٤٢٥ رقم ((٩٢٤)). ولكنه سكت عن بيان درجته. يقول زهير الشاويش : وهو مما لا يمكن -لو صح- أن يقوله علي بن أبي طالب ﷺ من عند نفسه، ولو كان موقوفاً.

(٣) سنن أبي داود ، كتاب المهدي ، ٤٧٣/٤ رقم ٤٢٨٢ باعتناء عزت الدعاس وعادل السيد. وأخرجه الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في المهدي ٤٣٨/٤ رقم ٢٢٣٠ وقال : حديث حسن صحيح.

(٤) المرجعان السابقان ، سنن أبي داود ٣٧٣/٤ (٤٢٨٢) ، والترمذي ٤٣٨/٤ (٢٢٣١) وقال حديث حسن صحيح. قال الألباني : صحيح ، صحيح الجامع الصغير ٩٣٨/٢ (٥٣٠٤) و (٥٣٠٥).

وهاتان الروايتان مدارهما على عاصم بن أبي النجود ، قال الإمام الذهبي : وُثِّق. وقال الدار قطني : في حفظه شيء ((الكاشف ٥١٨/١ باعتناء محمد عوامة)). وقال الحافظ بن حجر : صدوق له أوهام حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين مقرون ((تقريب التهذيب ص ٢٨٥ باعتناء محمد عوامة)). =

وروى أبو داود بسنده إلى أم سلمة أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((المهدي من عترتي[1] من ولد فاطمة))[2].

وروى الإمام أحمد بسنده إلى أبي سعيد الخدري قال : خشينا أن يكون بعد نبينا حدث ، فسألنا رسول الله ﷺ فقال : يخرج المهدي في أمتي خمساً أو سبعاً أو تسعاً ، قلت : أي شيء ؟ قال : سنين ، ثم قال : يرسل السماء عليهم مدرارا ، ولا تدخر الأرض من نباتها شيئا ، ويكون المال كدوسا. قال يجيء الرجل إليه فيقول : يا مهدي أعطني ؟ قال : فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل[3].

والمهدي ﷺ له علاقة قوية جدا بالمعارك والملاحم التي تدور بين المسلمين وأعدائهم من النصارى واليهود ، فهو يقود المسلمين في نصرهم على الروم ((النصارى)) وينـــزل عيسى بن مريم عليه السلام في زمانه فيأتم عليه السلام به ثم يكون المهدي من جنوده في أثناء قتاله عليه السلام ضد الدجال ومن معه من اليهود وانتصاره عليهم.

= يقول الشيخ محمد العظيم آبادي : وقال الحاكم : رواه الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم. قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة إذ عاصم إمام من أئمة المسلمين.

والحاصل أن عاصم بن أبي النجود ((واسم أبي النجود بهدلة)) ثقة على رأي احمد وأبي زرعة ، وحسن الحديث صالح الاحتجاج على رأي غيرهما ولم يكن فيه إلا سوء الحفظ ، فرد الحديث بعاصم ليس من دأب المنصفين. على أن الحديث قد جاء من غير طريق عاصم أيضاً ، فارتفعت عن عاصم مظنة الوهم ، والله أعلم. عون المعبود ١١/٢٥٠-٢٥١.

(١) عترتي : العترة ولد الرجل لصلبه ، وقد يكون العترة الأقرباء وبني العمومة ، ومن قول أبي بكر رضي الله عنه يوم السقيفة نحن عترة رسول الله ﷺ . معالم السنن للخطابي ٤/٣١٧.

(٢) سنن أبي داود ، كتاب المهدي ٤/٤٧٤ رقم ٤٢٨٤. وأخرجه ابن ماجه بلفظ ((المهدي من ولد فاطمة)) كتاب الفتن ٢/١٣٦٨ (٤٠٨٦) قال الألباني : صحيح ، صحيح الجامع الصغير ٢/١١٤٠(٦٧٣٤) وقال أيضا : وهذا سند جيد رجاله كلهم ثقات ، وله شواهد كثيرة. سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/١٨١(٨٠).

(٣) مسند الإمام احمد ٤/٤٤ (١١١٦٣) باعتناء عبد الله الدرويش ، دار الفكر. وفي ٣/٢٢الذي بهامشه كتر العمال. ورواه الترمذي ، كتاب الفتن ٤/٤٣٩(٢٢٣٢) وقال : هذا حديث حسن وقد روى من غير وجه عن أبي سعيد. ورواه ابن ماجه في كتاب الفتن ٢/١٣٦٧(٤٠٨٣). ورواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن ١/٣٦٠. ورواه الحاكم في المستدرك كتاب الفتن والملاحم ٤/٥٥٨ ص ٦٠١ رقم (٨٦٧٥). ورواه أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرىء الداني ٥/١٠٣٦ (٥٥٠) في السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشرطها.

ومدار هذه الروايات على زيد العَمِّي وهو ضعيف ، الكاشف ١/٤١٦ (١٧٣٢) ، والتقريب ص ٢٢٣ (٢١٣١). يقول د.رضاء الله المباركفوري : ولكن له شاهد من حديث أبي هريرة عند الطبراني في الأوسط والدارقطني في الأفراد ، ووصف الهيثمي رجال الطبراني بأنهم ثقات. مجمع الزوائد (٣١٧/٧). وهو إذا ضم إليه هذا الطريق يصلح للاستشهاد به. السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشرا طها ٥/١٠٣٦ و ٥/١٠٦٤ ، تحقيق د. رضاء الله بن محمد المباركفوري.

يقول السفاريني : ((والصواب الذي عليه الحق أن المهدي غير عيسى عليه السلام وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام ، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداهم))(١).

و((قد تواترت الأحاديث واستفاضت بكثرة رواهًا عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته ﷺ وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلا وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى عليه السلام يصلي خلفه ، يعني صلاة واحدة وهي الفجر))(٢).

يقول الحافظ ابن كثير : ((حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراء كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان ، فإن هذا نوع من الهذيان وقسط كبير من الخذلان ، وهوس شديد من الشيطان ، إذ لا دليل عليه ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة ولا من معقول صحيح ولا استحسان))(٣).

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، للعلامة محمد السفاريني ٨٤/٢.

(٢) المرجع السابق ٨٦/٢.

قال صلاة الصبح كما جاء في الحديث عند الإمام أحمد في المسند عن جابر بن عبدالله ﷺ ، ١٥٦/٥ برقم (١٤٩٥٩) باعتناء عبدالله محمد الدرويش. قال الهيثمي : رواه احمد بإسنادين رجال أحدهما صحيح. مجمع الزوائد ٣٤٤/٧.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم ، للحافظ بن كثير ص ٢٦ ، اعتناء احمد عبد الشافي.

وذكر الحافظ ابن كثير أن المهدي يخرج من بلاد المشرق ، استناداً إلى الحديث الذي رواه ثوبان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((يقتتل عند كنزكم ثلاثة ، كلهم ابن خليفة ، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم. ثم ذكر شيئا لا أحفظه، فقال : فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي)) سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب خروج المهدي (١٣٦٧/٢)رقم (٤٠٨٤) باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي وقال : ((في الزوائد هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات)). ورواه الحاكم في المستدرك ، كتاب الفتن والملاحم ٤٦٤/٤ ص ٥١٠ باعتناء مصطفى عبد القادر عطا. قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وقال الحافظ ابن كثير وهذا إسناد قوي صحيح. المرجع السابق ص ٢٦.

وقال الألباني : الحديث صحيح المعنى دون قوله : ((فإن فيها خليفة الله المهدي)) فقد أخرجه ابن ماجه من طريق علقمة عن ابن مسعود مرفوعا نحو زيادة عثمان الثانية وإسناده حسن ، وليس فيه : ((خليفة الله)). وهذه الزيادة : ((خليفة الله)) ليس لها طريق ثابت ، ولا يصلح أن يكون شاهدا لها ، فهي منكرة ، ونكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال : خليفة الله. لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١ / ١٩٥ رقم ٨٥.

روى البخاري بسنده إلى عوف بن مالك أنه قال : ((أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك -وهو في قبة من أدم[1]- فقال : اعدد ستا بين يدي الساعة (فذكر منها) ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية[2] تحت كل غاية اثنا عشر ألفا))[3].

وروى أبو داود بسنده إلى ذي مخبر أنه قال : ((سمعت رسول الله ﷺ يقول : ستصالحون الروم صلحا آمنا فتغزون أنتم وهم عدوا من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون حتى تترلوا بمرج ذي تلول[4] فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول : غلب الصليب ، فيغضب رجل من المسلمين فيدقُّه ، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة))[5].

وروى مسلم بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((لا تقوم الساعة حتى يترل الروم بالأعماق[6] أو بدابق[7] فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ. فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون : لا والله لا نُخلِّي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم. فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا. ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند

---

(١) انظر ص ٣٧٥ من هذا البحث.

(٢) غاية : أي راية. قال ابن حجر : وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف. ووقع في حديث ذي مخبر عند أبي داود في نحو هذا الحديث بلفظ ((راية)) بدل غاية. أ.هـ. والحديث قد رواه أبو داود في كتاب الجهاد باب في صلح العدو ٣/ ٢١٠ ((٢٧٦٧)) وفي أول كتاب الملاحم كما سيمر معنا في الحديث الآتي. ولكني لم أجد في نسخة تحقيق عزة الدعاس وعادل السيد لفظ ((راية)) والله أعلم. ثم قال الحافظ رحمه الله وفي رواية ((الغابة)) بدل ((الغاية)) فتح الباري ٣٢١/٦ باعتناء محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية. وهذه الرواية ذكرها الإمام الخطابي في شرحه للبخاري ((أعلام الحديث)). وقال : الغابة أصلها الغيضة وهي الشجر الملتف. فاستعيرت للرايات تُرفع لرؤساء الجيوش. وشبه ما يشرع من الرماح بالغابة. أعلام الحديث ٢ / ١٤٦٩ ت : د. محمد بن سعد آل سعود.

(٣) رواه البخاري في الصحيح كتاب الجزية و الموادعة ، باب ما يُحذَر من الغدر ، ٤١٣/٢ (٣١٧٦).

(٤) بمرج ذي تلول : مرج : الميم والراء والجيم أصل صحيح يدل على مجيء وذهاب واضطراب. والمرْج أصله أرض ذات نبات تمرجُ فيها الدواب. معجم مقاييس اللغة ٥ / ٣١٥. مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٦٤. القاموس المحيط ص ٢٦٢. تلول : وأتلال وتِّلال مفردها تل. وأصل التل المكان المرتفع. والتل من التراب والكومة من الرمل. والتل الرابية من التراب. والتل من صغار الآكام. وحجارة التل غاصٌّ بعضها ببعض. لسان العرب ١١ / ٧٨ ، والقاموس المحيط ص ١٢٥٤ ، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١٦٧.

(٥) سنن أبي داود ، أول كتاب الملاحم باب ما يذكر في ملاحم الروم ٤٨١/٤(٤٢٩٢). وأخرجه أيضا في كتاب الجهاد حديث (٢٧٦٧). وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب الملاحم ١٣٦٩/٢(٤٠٨٩) باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي ، وقال : في الزوائد إسناده حسن.

(٦) الأعماق : هي كورة قرب دابق بين حلب وأنطاكية وهما في الشام. معجم البلدان ٢٢٢/١.

(٧) دابق : بكسر الباء وروي بفتحها وآخره قاف. قرية قرب حلب من أعمال عزاز. بينها وبين حلب أربعة فراسخ. المرجع السابق ٢ / ٤١٦.

الله. ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا. فيفتتحون قسطنطينية. فينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون. وذلك باطل. فإذا جاءوا الشام. خرج فبينما هم يُعدّون للقتال ، يسوون الصفوف ، إذ أقيمت الصلاة ، فيترل عيسى بن مريم عليه السلام فأمّهم. فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء. فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده فيُريهم دَمَه في حربته))[1].

وفي رواية : ((فجاءهم الصريخ إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم. فيرفضون ما في أيديهم. ويُقبلون. فيبعثون عشرة فوارس طليعةً. قال رسول الله ﷺ : ((إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ. أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ))[2].

وروى أيضاً بسنده إلى جابر بن عبد الله أنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : ((لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال فيترل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم : تعال صلِّ لنا فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمَة الله هذه الأمة))[3].

وروى البخاري ومسلم بسنديهما إلى أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : ((كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم))[4].

وعن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((يترل عيسى بن مريم ، فيقول أميرهم المهدي : تعال صل بنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم أمير بعض ، تكرمة الله هذه الأمة))[5].

(١) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم ٢٢٢١/٤(٢٨٩٧) اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب إقبال الروم في كثرة القتال عند خروج الدجال ٢٢٢٤/٤(٢٨٩٩) اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

(٣) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ ١٣٧/١(٢٤٧).

(٤) رواه البخاري في الصحيح ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ٤٩١/٢٠ (٣٤٤٩).
ورواه مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ ١٣٦/١ (٢٤٤).

(٥) يقول د. عبدالعليم البستوي : أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده ، وأبو نعيم في أخبار المهدي. وقال ابن القيم في كتابه المنار المنيف : وإسناده جيد. فالحديث إسناده متصل ورجاله رجال الصحيح. انظر : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة ١/ ١٨٢.

فهذه الأحاديث تدل على أمور :

منها : يترل عيسى عليه السلام من السماء وأمير المسلمين منهم ، ويترل عليه السلام في وقت يستعد المسلمون فيه للصلاة ، فيطلب أمير المسلمين من عيسى أن يصلي بهم ، فيأبى عيسى عليه السلام ويقول : إمامكم منكم.

وهذا يدل على أن هذا الأمير على صلاح وهدى. ولم يصرح من يكون هذا الرجل في روايات الصحيحين ، ولكن ((جاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث في الصحيحين ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى : محمد بن عبد الله، ويقال له : المهدي، والسنة يفسر بعضها بعضا))[١].

وذكر الشيخ محمد صديق حسن في كتابه ((الإذاعة)) بعض أحاديث عن المهدي جعل آخرها حديث جابر المذكور عند مسلم ثم قال : ((وليس فيه أيضا ذكر المهدي ، ولكن لا محمل له ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر، لما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة والآثار الكثيرة))[٢].

((وأحاديث مسلم لم يقع فيها اسم المهدي إلا أنه صرح بلفظ المهدي في أحاديث أخرى صحيحة لأصحاب السنن وغيرهم))[٣].

ومنها : أن الملحمة التي تقع بين المسلمين واليهود تكون بعد الملحمة التي بين المسلمين والروم ((النصارى)).

حيث أنه يسبق حروبنا ضد الروم ((النصارى)) تحالف عالمي معهم لدرجة أننا وهم نقاتل مجتمعين عدوا من ورائنا في المشرق ، فإذا انتصرنا على هذا العدو المشترك ، ينسب النصارى هذا النصر إلى أنفسهم -كما هي عادهم- فيرفع أحدهم الصليب ابتهاجا بالنصر ، فيثير حفيظة المسلمين ، فيقوم رجل من المسلمين فيقتل رافع الصليب ويكسر الصليب فعند ذلك يغدر بنا النصارى ويجتمعون لمواجهتنا تحت ثمانين راية ، تحت كل راية اثنا عشر ألفا.

يكون تجمع المسلمين بالغوطة في دمشق[٤] ، وتجمع النصارى بالأعماق أو دابق وهي قريبة من حلب ، أي أن القتال بيننا وبين النصارى يكون في الشام وفي سورية خاصة في آخر الزمان

---

(١) المرجع السابق د. الوابل ، ص ٢٥٨.

(٢) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة ، للشيخ محمد صديق ص ١١٨. قدم له: إبراهيم أحمد.

(٣) عن: محمد بن جعفر الكتاني ، نقلا عن الرسالة في الفتن والملاحم ، لأبي عبيدة ماهر آل مبارك.

(٤) ورد في الحديث الذي أخرجه أبو داود بسنده عن أبي الدرداء أنه عليه السلام قال : ((إن فُسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغُوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام)) سنن أبي داود ٤ / ٤٨٤ ((٤٢٩٨)). =

وقبل خروج الدجال ، فتحصل الملحمة بين الجيش الإسلامي المتمركز في الشام ، والجيوش النصرانية. فلا ينتصر المسلمون حتى يلحق بهم جيش من المدينة المنورة -هم من خيار أهل الأرض يومئذ- فينقسم الجيش الإسلامي في هذه المعركة إلى ثلاثة أقسام: قسم يهزم فلا يتوب الله عليهم، وقسم يستشهد فهم أفضل الشهداء عند الله ، وقسم ثالث ينتصر على النصارى ، يعملون فيهم مقتلة عظيمة يفتح الله على أيديهم لا يفتنون أبدا ، ويكون انتصار المسلمين على الروم تهيئة لفتح القسطنطينية[1].

وفي هذه الأثناء ، وفي نشوة انتصار المسلمين على النصارى وفتحهم للقسطنطينية وبدئهم بتقسيم الغنائم وسيوفهم معلقة على شجر الزيتون يصيح فيهم الشيطان : إن الدجال قد خلفكم في أهليكم -وهذا كذب- إذ أنه يخرج بعد عودتهم إلى الشام.

ومنها : أن عيسى عليه السلام يترل من السماء إلى بيت المقدس والمسلمون ينظمون صفوفهم بقيادة المهدي ، وذلك بعد انتصارهم على النصارى وفتحهم للقسطنطينية ، استعدادا لملاقاة المسيح الدجال وجيشه من اليهود ، فيتولى المسيح عيسى عليه السلام زمام المعركة ضد المسيح الدجال واليهود ، ويكون المهدي مع عيسى عليه السلام ، جندياً من جنوده.

((عيسى عليه السلام)) :

هذا النبي الرسول الكريم -من أولي العزم من الرسل- الذي ادعى اليهود بأنهم قتلوه وصلبوه، ونشروا هذه الدعوى بين البشر ، كذبا وافتراء. يرد عليهم هو بنفسه عليه السلام بعد رد الله تعالى عليهم بقوله عز وجل **﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾**[2] وهذا الرد من

= الغوطة : بضم الغين ثم واو ساكنة وطاء مهملة ، من الغائط ، وهو المطمئن من الأرض ، وهي موضع بالشام تحيط بها جبال عالية وبها أنهار وأشجار متصلة ، وفيها تقع مدينة دمشق. معجم البلدان ٤ / ٢١٩.

(١) قسطنطينية : سميت باسم قسطنطين الأول الذي أنشأها بموضع بيزنطة القديمة. وجعلها العاصمة الجديدة للإمبراطورية الرومانية ٣٣٠م.

فتحت في عهد الدولة العثمانية على يد السلطان محمد الثاني ((الفاتح)) العثماني رحمه الله تعالى سنة ٨٥٧هـ (١٤٥٣م) فأصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة الخلافة العثمانية واصبح اسمها ((إسلامبول)) أي تخت الإسلام أو مدينة الإسلام ، حرفت إلى ((إسطانبول)) أو ((الآستانة)). انظر : موسوعة السياسة د. عبدالوهاب الكيالي ٧٨٢/٤ ، تاريخ الدولة العلية العثمانية للأستاذ محمد فريد بك المحامي ، تحقيق د. إحسان حقي ص ١٦٤.

(٢) سورة النساء الآيتان ١٥٧ و ١٥٨.

عيسى عليه السلام لليهود ردا عمليا في آخر الزمان ، وذلك بأنه مع جيشه الإسلامي يثبت أن الوعد بالأرض المقدسة فلسطين وما حولها لليهود المبثوث في ثنايا كتابهم المقدس هو وعد مفترى مزعوم مكذوب من فعل أنفسهم الخبيثة وتعاليهم الكذاب وشرهم المتأصل. فيقوم عليه السلام ومن معه من الجيش الإسلامي بقتل زعيمهم ومسيحهم المنتظر وهو المسيح الدجال ومن معه من الجيش اليهودي ، فلا تقوم لليهود بعدها قائمة ، فتنتهي شوكتهم.

أرادوا بمكرهم وخبثهم نهايته عليه السلام وتصفيته من الوجود فمنّ الله عليه بأن يسر له أن ينهيهم هو ويصفيهم من هذا الوجود.

يقول ابن حجر : ((قال العلماء : الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه ، فبين الله تعالى كذبهم وأنه هو الذي يقتلهم ، ونزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض ، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها))[١].

وسأذكر بعض الأحاديث النبوية التي تبين -إن شاء الله تعالى- أين ينـــزل عيسى عليه السلام ؟ وكيف ؟ وماذا يفعل عليه السلام بعد نزوله إلى الأرض مع اليهود وغيرهم ؟

ففي حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام قال ﷺ : ((... إذ بعث الله المسيح بن مريم فيترل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق. بين مهرودتين[٢] واضعا كفيه على أجنحة ملكين. إذا طأطأ رأسه قطر. وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ[٣] فلا يحل[٤] لكافر يجد ريح نفسه إلا مات. ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه. فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه. فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة))[٥].

---

(١) فتح الباري ٦ / ٥٦٨ ، باعتناء محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية.

(٢) مهرودتان روى بالدال المهملة والذال المعجمة. والمهملة أكثر. والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم. وأكثر ما يقع في النسخ المهملة ، كما هو المشهور. ومعناه لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغين بورْس ثم بزعفران. وقيل : هما شقتان ، والشقة نصف الملاءة. شرح النووي على صحيح مسلم ٥٤/١٨ ، ولسان العرب ٤٣٥/٣-٤٣٦ لابن منظور.

(٣) (تحدّر منه جمان كاللؤلؤ) : الجمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار. والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته. فسمى الماء جمانا لشبهه به في الصفاء. شرح النووي ، المرجع السابق.

(٤) (فلا يحل) معنى لا يحل ، لا يمكن ولا يقع. وقال القاضي: معناه عندي حق وواجب. المرجع السابق.

(٥) رواه الإمام مسلم في الصحيح ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب : ذكر الدجال وصفته وما معه ٢٢٥٣/٤ (٢١٣٧) باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

وروى الترمذي بسنده إلى مجمع بن جارية الأنصاري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يقتل ابن مريم الدجال بباب لد[1].

وروى أبو داود بسنده إلى النواس بن سمعان: أن الرسول ﷺ قال : ((... ثم ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله))[2].

وروى البخاري ومسلم بسنديهما إلى أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم **﴿ وَإِن مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾**[3]))[4].

وفي رواية عند مسلم : ((والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية ولتتركن القلاص[5] فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد. ولَيَدْعُونَّ ((ولَيُدْعَوُنَّ)) إلى المال فلا يقبله أحد))[6].

وروى الإمام أحمد في المسند بسنده إلى أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : ((الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد[7] ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، باب : ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال وقال : هذا حديث حسن صحيح ٤٤٧/٤ (٢٢٤٤) ، وقال الألباني : صحيح. الجامع الصحيح وزيادته ١٣٥٠/٢(٨١٢٦).

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب : خروج الدجال ٤٩٧/٤(٤٣٢١).

(٣) سورة النساء آية ١٥٩.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ٤٩٠/٢ (٣٤٤٨) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى عليه السلام حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ١٣٥/١(٢٤٢) اعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) القلاص : بكسر القاف جمع قلوص بفتح القاف ، وهي من الإبل كالفتاة من النساء والحدث من الرجال ، فهي الناقة الشابة. شرح النووي لصحيح مسلم ٢ / ١٦٥ ، والنهاية في غريب الحديث ٤ / ١٠٠.

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى بن مريم ١٣٦/١ (٢٤٣).

(٧) إخوة لعلات : علات : بفتح العين المهملة ، وتشديد اللام. وأولاد العلات : الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد ؛ أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة. يقول الحافظ ابن كثير : ((ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان بإعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد)) . النهاية في غريب الحديث ٢٩١/٣ ، وتفسير الحافظ ابن كثير ٢ / ٦٩.

نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجلا مربوعا إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران[1] ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، وتقع الأمنة على الأرض ، حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون))[2].

وفي رواية لمسلم بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين ((لا أدري : أربعين يوما ، أو أربعين شهرا ، أو أربعين عاما)) فيبعث الله عيسى بن مريم ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته))[3].

وفي الأحاديث التي ذكرها ، من أحاديث عن المهدي ، أن عيسى عليه السلام يتزل من السماء فيقول أمير المسلمين ، وفي رواية أفصحت عن اسمه ، وهو ((المهدي)) تعال صلِّ لنا. فيقول عليه السلام : لا. إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة.

فهذه الأحاديث المطهرة تدل على أمور :

منها : قال ابن كثير -في مسألة نزوله عليه السلام- : ((هذا هو الأشهر في موضوع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، وقد رأيت في بعض الكتب أنه يتزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق فلعل هذا هو المحفوظ. وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى شرق الجامع الأموي ، وهذا هو الأنسب والأليق ، لأنه يتزل وقد أقيمت الصلاة فيقول له : يا إمام المسلمين يا روح الله تقدم ، فيقول : تقدم أنت فإنها أقيمت لك ، وفي رواية بعضكم على بعض أمراء ، يكرم الله هذه الأمة.

وقد جدد بناء المنارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيضاء ، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها ، ولعل هذا يكون من دلائل

---

(١) ممصران : معناه والمهرودتان واحد ، وهي المصبوغة بالصفرة من زعفران أو غيره. والممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة. لسان العرب ٣/٤٣٥-٤٣٦.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢/٤٠٦) بهامشه منتخب كتر العمال. ورواه أبو داود في السنن كتاب الملاحم باب خروج الدجال ٤/ ٤٩٩ (٤٣٢٤).

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه ... ٤/٢٢٥٨ (٢٩٤٠) باعتناء محمد فؤاد عبد الباقي.

النبوة الظاهرة حيث قيض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى حتى يترل عيسى بن مريم عليها فيقتل الخترير ، ويكسر الصليب ، ولا يقبل منهم جزية ، ولكن من أسلم قبل منه إسلامه وإلاّ قتل ، وكذلك حكم سائر كفار الأرض يومئذ ، وهذا من باب الإخبار عن المسيح بذلك ، والتشريع له بذلك ، فإنه إنما يحكم بمقتضى هذه الشريعة المطهرة))(1).

((أي أن عيسى عليه السلام يحكم بالكتاب والسنة ، وفي هذا رد على النصارى الذين يقولون : إنه سيحكم بالإنجيل))(2).

ومنها : أنه عليه السلام وبعد نزوله وصلاته مع المسلمين خلف إمامهم ((المهدي)) يتولى عليه السلام زمام الأمر والقيادة ، ويقود الجيش الإسلامي إلى نصر مبين على المسيح الدجال ومن معه من اليهود وغيرهم من أعضاء جيشه ، فيقتل الدجال في باب لد حتى تتلطخ حربته عليه السلام بدم الدجال ، فينتهي اليهود -كما سيمر معنا إن شاء الله تعالى- ويقوم عليه السلام بكسر الصليب ، ليبين للنصارى أنهم كانوا على ضلالة في عبادتهم تلك ، وعدم اتباعهم شريعة الإسلام. ويلغي الجزية فلا يقبل من كافر إلا الإسلام أو القتل ، ويقتل الخترير ، ويعم الأرض الرخاء والسلام والنعمة والأمان حتى إن المال يفيض في أيدي الناس ، فيعرض عليه السلام المال على الناس فلا يقبله أحد. وحتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنّمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم. ويسلطه الله على كل الأديان فيهلكها ويقضي عليها كلها ويبقى الإسلام رافعا شامخا.

ومنها : ((يحكم عيسى عليه السلام بالشريعة المحمدية ، ويكون من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يترل بشرع جديد ، لأن دين الإسلام خاتم الأديان وباق إلى قيام الساعة لا ينسخ، فيكون عيسى عليه السلام حاكما من حكام هذه الأمة ومجددا لأمر الإسلام ، إذ لا نبي بعد محمد ﷺ))(3).

قال القرطبي : ((ذهب قوم إلى أنه بترول عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولا إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم ، وهذا أمر مردود بالأخبار التي ذكرناها من حديث أبي هريرة وبقوله تعالى ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (4) ، وقوله عليه الصلاة والسلام :

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ، للحافظ ابن كثير ص ٩٨ ، اعتناء : أحمد عبد الشافي.

(٢) فقد جاء أشراطها ، محمود عطية محمد علي ص ٩٧.

(٣) أشراط الساعة ، د. يوسف الوابل ، ص ٣٥٨.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

((لا نبي بعدي)) وقوله ((أنا العاقب))[1] يريد آخر الأنبياء وخاتمهم ، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى يترل نبيا بشريعة متجددة وغير شريعة محمد نبينا صلى الله عليه وسلم ، بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ ، حيث قال لعمر : ((لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي))[2] فيترل وقد عُلّم بأمر الله تعالى له في السماء قبل أن يترل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم به بين الناس والعمل به في نفسه ، فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه ويحكمونه على أنفسهم إذ لا أحد يصلح لذلك غيره ، ولأن تعطيل الحكم غير جائز. وأيضا فإن بقاء الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض الله ، الله))[3].

لذلك يرى الإمام ابن الجوزي في مسألة رفض عيسى عليه السلام أن يتقدم للإمامة عندما نزل من السماء إلى الأرض حتى يبين للمسلمين أنه نزل ليعمل بهذه الشريعة الإسلامية ، فقال : ((لو تقدم عيسى -عليه السلام- إماما لوقع في النفس إشكال ، ولقيل : أتراه تقدم نائبا أو مبتدئا شرعا ، فصلى مأموما لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله ((لا نبي بعدي))[4].

وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال : أن الأرض لاتخلو عن قائم لله بحجته))[5].

ومنها : أن عيسى عليه السلام بعد أن يقضي على الدجال ومن معه من اليهود في الملحمة الكبرى التي ينطق فيها حتى الشجر والحجر -كما سيأتي إن شاء الله تعالى- تكون مدته في الأرض، كما جاء في بعض الروايات سبع سنين ، وفي بعضها أربعين سنة.

يقول ابن كثير : ((فهذا مع هذا مشكل ، اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله، وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء ، وكان عمره إذ ذاك ثلاثا وثلاثين سنة على المشهور والله أعلم))[6].

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ﷺ ١٨٢٨/٤(٢٣٥٤).

(٢) مسند الإمام أحمد ٣٨٧/٣ ، بهامشه منتخب كتر العمال.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، ص ٧٦٣.

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٧٠/٦) المكتبة السلفية.

(٥) المرجع السابق.

(٦) النهاية في الفتن والملاحم ، للحافظ ابن كثير ص ٩٩ ، اعتناء أحمد عبد الشافي.

وقد اختار السيوطي رواية ((أربعين سنة)) مرجحا ذلك بأنها زيادة ثقة و((لأن زيادة الثقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل لما معها من زيادة العلم ، ولأنه مثبت والمثبت مقدم))[1].

المسيح الدجال ((قائد اليهود إلى نهايتهم)) :

سبق أن ذكرت[2] عقيدة المسيح المنتظر عند اليهود ، إنها من أهم العقائد اليهودية وأن الانتظار لمجيء هذا المسيح اليهودي هو حجر الزاوية في الإيمان اليهودي. حيث إنه -عندهم- يأتي في نهاية التاريخ ، فيفدي شعب إسرائيل وذلك بإنقاذه من (المنفى) ، والعودة به إلى الأرض المقدسة ، حيث يحطم أعداء إسرائيل ويعيد بناء هيكلهم (المزعوم). فعند اليهود أن ((مسيحهم)) لم يأت ، وهم ينتظرون مجيئه الذي لن يتم إلا فوق أرض فلسطين وتحت سقف هيكل سليمان.

وأنه عندما يجيء سيصبح في العالم دين واحد ، وهو دين يهوه ، وسيكون الرب واحداً وهو ((يهوه إله إسرائيل)) ، وسيسود السلام ويصبح أبديا ، وحتى الوحوش الكاسرة لن تؤذي أحدا. وسيكون الخلاص مصحوبا بانبعاث الموتى وسوف يلتئم شمل إسرائيل. وذلك كله بعد معركة ((هرمجدون)) التي سيكون النصر فيها لليهود -على زعمهم-.

يقول د. سفر الحوالي : ((المسيح الدجال هو الذي يؤمن به اليهود ويسمونه ((ملك السلام)) والذي يهيئون لخروجه ولكنهم لا يسمونه الدجال ، ولهذا يدأب الإعلام الصليبي واليهودي على تسمية المرحلة المقبلة من تاريخ المنطقة ((مرحلة السلام)) وهذا هو ملكها عند الصهاينة))[3].

ولكن الحق ، أن اليهود قد ((اختلط عليهم الأمر وهم يبحثون عن الدفء. فأخذوا اسم ((المسيح)) الذي يستقيم مع أفعالهم ويتناسب مع أهوائهم. فالمسيح الدجال آخر الزمان فتنة. يقود الجيش. ويسفك الدماء. فوضعوا نبوءة الدجال في جراب ((التبشير)) عند إجرائهم لعمليات الفرز بدلا من وضعها في جراب ((التحذير)) [4].

---

(١) لوامع الأنوار البهية ، العلامة محمد السفاريني ، ٢/٩٩.

(٢) انظر ص ١٩٥ من هذا البحث.

(٣) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى ، د. سفر الحوالي ، ص ٢٥.

(٤) المسيح الدجال -قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى- ، سعيد أيوب ، ص ٣٢.

((وهم -أي اليهود- ينتظرون ((مسياهم)) ملكا رب الجنود ، وقائد عصابات ، وسافك دماء. لينقذ شعبه الخاص ويبني هيكل أورشليم ، ويعيد مملكة إسرائيل من النيل إلى الفرات بناء لحق ميثولوجي مزعوم ، وخرافة عرقية دينية))[1].

وحقيقة هذا المسيح الدجال تتضح -إن شاء الله- بعد عرض بعض أقوال الرسول الكريم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. عنه وعن فتنته ، وجنوده ، ومكثه في الأرض ، وقتله على يد المسيح عيسى بن مريم.

روى الإمام أحمد بسنده إلى هشام بن عامر ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : ((ما بين خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أكبر من فتنة الدجال))[2].

وروى الشيخان بسندهما إلى عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال : ((إنّ الله تعالى ليس بأعور. ألا وإنّ المسيح الدجال أعور العين اليمنى. كأن عينه عنبة طافية))[3].

وروى مسلم بسنده إلى حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : ((لأنا اعلم بما مع الدجال منه. معه نهران يجريان. أحدهما ، رأي العين ، ماء أبيض ، والآخر ، رأي العين ، نار تأجج فإمَّا أدركَنَّ أحد فليأت النهر الذي يراه نارا وليُغَمِّض. ثم ليطأطىء رأسه فيشرب منه. فإنه ماء بارد. وإن الدجال ممسوح العين. عليها ظفرة[4] غليظة. مكتوب بين عينيه كافر. يقرؤه كل مؤمن ، كاتب وغير كاتب))[5].

وفي رواية ((مكتوب بين عينيه كافر)) ثم تهجاها ، ك ف ر. ((يقرؤُهُ كُلُّ مسلمٍ))[6].

وفي رواية الترمذي بسنده إلى أبي بكر الصديق قال : حدثنا رسول الله ﷺ قال : الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خُراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة))[7].

---

(١) خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والإسلام ، الأب طاينوس منعم ، ص ٤٦.

(٢) مسند الإمام احمد ٥/٤٨٨ (١٦٢٦٥) باعتناء عبد الله محمد الدرويش.

(٣) رواه البخاري ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ٤/٣٢٥(٧١٢٣) ، ورواه مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال ٤/٢٢٤٧ (١٦٩).

(٤) ظفرة : بفتح الظاء المعجمة والفاء ، لحمة تنبت عند المآقي ، وقد تمتد إلى السواد فتُغشّيه. النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٥٨. والمآقي : هو مقدمة العين. المرجع السابق ٤/٢٨٩.

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال ٤/٢٢٤٩ (٢٩٣٣).

(٦) المرجع السابق ((صحيح مسلم)) ٤/٢٢٤٨ (٢٩٣٣).

(٧) جامع الترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء من أين يخرج الدجال ٤/٤٤١ (٢٢٣٧) وقال : هذا حديث حسن غريب، ورواه وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم ... ٢/١٣٥٣(٤٠٧٢)اعتناء محمد فؤاد =

وروى الإمام أحمد بسنده إلى أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ((يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفا من اليهود عليهم التيجان))[1].

وروى مسلم بسنده إلى أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : ((يتبع الدجال ، من يهود أصبهان، سبعون ألفا. عليهم الطيالسة))[2].

وروى مسلم وغيره بسندهم إلى النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة. فخفّض فيه ورفّع. حتى ظنّنّاه في طائفة النخل ، ثم قال : فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف. إنه خارج خَلَّةً بين الشام والعراق. فعاث يميناً وعاث شمالاً. يا عباد الله فاثبتوا. قلنا يا رسول الله وما لبثه فـي الأرض ؟ قال ((أربعون يوماً. يوم كسنة. ويوم كشهر. ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيّامكم)) قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال ((لا. اقدروا له قدره)) قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال ((كالغيث استدبرته الريح. فيأتي على القوم فيدعوهم ، فيُؤمنون به ويستجيبون له. فيأمر السماء فتمطر. والأرض فتُنبت. فتروح عليهم سارحتهم ، أطول ما كانت ذُراً ، وأسبغه ضُروعاً ، وأمده خواصر. ثم يأتي القوم. فيدعوهم فيردون عليه قوله. فينصرف عنهم. فيصبحون مُمحِلين ليس

= عبد الباقي ، والحاكم في المستدرك ، كتاب الفتن والملاحم ٥٢٧/٤ ص٥٧٣ اعتناء مصطفى عبد القادر عطا ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح ، ووافقه الذهبي ، وقال الألباني : وهو كمال قالا ، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير المغيرة بن سبع، وهو ثقة. وعمرو بن حريث صحابي صغير. سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢٢/٤(١٥٩١).

والمجان المطرقة : المجان بفتح الميم وتشديد النون جمع مجنّ وهو الترس ، وذلك لأنه يواري حامله أي يستره. شرح النووي لمسلم ٣٠/١٨ ، ولسان العرب ٩٤/١٣ ، ٤٠٠ ، والقاموس المحيط ص ١٥٣٢ ، والمطرقة : الطاء والراء والقاف أربعة أصول منها ، خصف الشيء على الشيء. يقال نعل مطارق أي مخصوفة وترس مطرق إذا طورق بجلد على قدره. فهو الشيء الذي يتركب بعضه على بعض. والمجان المطرقة التي يطرق بعضها على بعض ، أي يكون بين جلدين أحدهما فوق الأخر. وفي هذا الحديث شبه وجوههم بالتِّراس الذي ألبست العَقب شيئاً فوق شيء ؛ أراد أنهم عراض الوجوه غلاظها ، ورواه بعضهم بتشديد الراء للتكثير ، والأفصح والأشهر بتخفيفها. لسان العرب ١٠ / ٢٢٠ ، والقاموس المحيط ص ١١٦٦ ، ومعجم مقاييس اللغة ٣ / ٤٥٢ ، وشرح النووي لمسلم ٣٠/١٨.

(١) مسند الإمام أحمد ٤٤٧/٤(١٣٣٤٣) باعتناء عبد الله محمد الدرويش.

التيجان : جمع تاج ، وهو مايصاغ للملوك من الذهب والجوهر. ويقال للفضة : تاج. والإكليل والقُصّة والعِمامة : تاج على التشبيه. لسان العرب ٢ / ٢١٩ ، والقاموس المحيط ص ٢٣٣.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة. باب في بقية من أحاديث الدجال ٢٢٦٦/٤ (٢٩٤٤).

الطيالسة : مفردها طيلس وطيلسان ، دخلت فيها الهاء في الجمع للعجمة لأنه فارسي معرّب. وهو ضرب من الأكسية ، أسود أو مائل إلى السواد. لسان العرب ٦ / ١٢٥ ، والقاموس المحيط ص ٧١٤.

وجاء أن : الطيلسان يُطلق عليه بالعبرية (طاليت) ، وهو رداء الصلاة عند اليهود ، وهو أشبه في رسمه وألوانه بالعلم الإسرائيلي . انظر : حُمّى سنة ٢٠٠٠ ، ص ٢٣٧ .

بأيدهم شيءٌ من أموالهم. ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كُنُوزك. فتتبعه كُنُوزها كيعاسيب النحل[1]. ثم يدعو رجُلاً مُمتلئاً شباباً. فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض[2]. ثم يدعوه فيُقبل ويتهلّل وجهه يضحك. فبينما هم كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم. فيترل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق...))[3] الحديث.

وفي خبر ((الجساسة)) -الطويل- أن الدجال أخبر عن نفسه بقوله : إنّي أنا المسيح. وإنّي أُوشك أن يُؤذنَ لي في الخروج. فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلاّ هبطتها في أربعين ليلةً. غير مكةَ وطيبةَ. فهما أيضاً مُحرَّمتانِ عَلَيَّ كِلْتاهُما. كلما أردت أن أدخل واحدة ، أو واحداً منهما ، استقبلني مَلَكٌ بيده السيف صلتاً. يصدني عنها. وإنّ على كل نقب منها ملائكةً يحرسونها. وهنا قـــال رسول لله ﷺ : ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن. لا بل من قبل المشرق. وأومأ بيده إلى المشرق))[4].

وروى مسلم بسنده إلى أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : ((ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها فيترل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق))[5].

وثبت أيضا أن الدجال لا يدخل أربعة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد النبوي ، ومسجد الطور ، والمسجد الأقصى.

روى الإمام احمد بسنده إلى جنادة بن أبي أمية الأزدي ، قال : ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدجال ...

---

(١) يعاسيب النحل : ذكور النحل ، وقال القاضي عياض : المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها لأنه متى طار تبعته جماعته. شرح النووي لصحيح مسلم ٥٣/١٨.

(٢) جزلتين رمية الغرض : بفتح الجيم على المشهور ، وحكي كسرها. أي قطعتين. ومعنى رمية الغرض أنه يجعله بين الجزلتين مقدار رميته. وهذا هو الظاهر والمشهور. المرجع السابق شرح النووي ١٨/ ٥٤.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، ٢٢٥٠/٤(٢١٣٧). وابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم ... ١٣٥٦/٢(٤٠٧٥) ، والترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في فتنة الدجال ٤٤٢/٤(٢٢٤٠) ، وأبو داود ، كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ٤٩٦/٤ (٤٣٢١).

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب قصة الجساسة ، ٤ /٢٢٦١(٢٩٤٢) ، والترمذي ، كتاب الفتن ، باب (٦٦) ٤/ ٤٥٢ (٢٢٥٣) ، وأبو داود ، كتاب الملاحم ، باب في خبر الجساسة ٥٠٠/٤ (٤٣٢٦) ، وابن ماجه كتاب الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم ١٣٥٤/٢٠٠٠(٤٠٧٤).

الجساسة : بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى. قيل سميت بالجساسة لتجسسها الأخبار عن الدجال. وقيل هي دابة الأرض المذكورة في القرآن ، وشرح النووي لصحيح الإمام مسلم ١٨ / ٦٣.

(٥) المرجع السابق ، صحيح مسلم ، ٤ / ٢٢٦٥ (٢٩٤٣).

(فذكر الحديث) : ((وأنه يمكث في الأرض أربعين صباحا ، يبلغ فيها كُلاً منها ولا يقرب أربعة مساجد ، مسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، ومسجد الطور، ومسجد الأقصى))[1].

والأحاديث النبوية الواردة في الدجال وفتنته كثيرة جدا ، وهي منتشرة في كتب الحديث من الصحاح والسنن والمسانيد والجوامع وغيرها ، ومواضيعها متشعبة ، لم يترك علماء أهل السنة منها شيئاً إلا درسوه وبينوه وأوضحوه ، حتى يكون أهل الإسلام على بصيرة من هذه الفتنة القادمة ، نسأل الله السلامة.

وقد ذكرت بعض هذه الأحاديث في هذا الموضوع -وهي ولا شك قليلة جدا- ولكن كان قصدي منها أن أصل إلى بعض الأمور.

منها : أن المسلمين قادمون على فتنة ليست ككل الفتن ، بل هي أعظم فتنة على هذه الأرض ، لدرجة أن الرسول ﷺ أمر بالتعوذ منها ضمن أربعة أمور دبر كل صلاة.

روى مسلم بسنده إلى أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((إذا تشهد أحدكم ، فليستعذ بالله من أربع ، يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال))[2].

وروى البخاري بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت : ((سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال))[3].

كيف لا وفتنته من أعظم الفتن -بل أعظمها- التي تمر على البشرية منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة-فيدعي هذا الدجال الألوهية ، ويدعو الناس إلى عبادته ، ويقدره الله تعالى على كثير من الخوارق ، يستميل بها إليه ضعاف الإيمان من المسلمين فضلا عن المشركين واتباعه اليهود. يخرج في وقت مجاعة وجدب ، ويكون معه جبل خبز ونهر ماء ويهبط الأرض كلها إلا أربعة مساجد ، المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ومسجد الطور بسيناء ، يجتاز كل الأرض في أربعين ليلة يسير مسرعا كالغيث استدبرته الريح.

يقول القاضي عياض : ((هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤٣٥/٥ بهامشه منتخب كنز العمال ، وقال الحافظ في الفتح : رجاله ثقات ، ١٣ / ١٠٥ ، وأخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة ، وقد قال محقق الكتاب د. محمد سعيد القحطاني : رجاله ثقات غير أن الأعمش يدلس ٥٣٢/٢،٤٥٢ ، قال الهيثمي : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، مجمع الزوائد ٣٤٣/٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ٤١٢/١ (٥٨٨) و(٥٩٠).

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ٣٢٦/٤ (٧١٢٩).

مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته. ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ﷺ ويثبت الله الذين آمنوا ، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الذي يدعي مخارف وخيالات لا حقائق لها ، وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنما يدعي الإلهية وهو في دعواه نفسها مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه[1] وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه .

ولهذه الدلائل وغيرها ، لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة ، رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفا من أذاه لأن فتنته عظيمة جداً تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأرض فلا يمكن بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص فيصدقه من صدقه في هذه الحالة، ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله ، ولهذا يقول له الذي يقتله ، ثم يحييه ما ازددت فيك إلا بصيرة))[2].

---

(١) وهناك روايتان في مسألة العور الذي في عين الدجال. رواية : أنه أعور العين اليمنى ، أخرجها الشيخان ، البخاري في الصحيح ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ٣٢٥/٤(٧١٢٣) ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٢٢٤٧/٤(١٦٩). أما رواية : أنه أعور العين اليسرى. فأخرجها مسلم فقط دون البخاري ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٢٢٤٨/٤(٢٩٣٤). فكل الروايات صحيحة. وقد رجح الحافظ ابن حجر رواية ((أعور العين اليمنى)) وهي في الصحيحين ، على رواية ((أعور العين اليسرى)) لأن المتفق عليه أقوى من غيره. وجمع بين هذه الروايات القاضي عياض : ((وتصحح الروايات جميعا بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ((ليست غائرة)) ولا ناتئة ((ليست بارزة)) هي العوراء الطافئة بالهمز وهي العين اليمنى ، وتكون الجاحظة والتي كأنها كوكب وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز وهي العين اليسرى فكل واحدة منهما عوراء ، فإن الأعور من كل شيء المعيب لا سيما ما يختص بالعين ، وكلا عيني الدجال معيبة عوراء إحداهما بذهابها، والأخرى بعيبها)). قال النووي في هذا الجمع : ((وهو في نهاية من الحسن)). فتح الباري ١٠٤/١٣، وشرح النووي لمسلم ٢٠٣/٢ .

(٢) شرح الإمام النووي لصحيح الإمام مسلم ٤٦/١٨-٤٧.

ومنها : أن الدجال لم يقتصر على أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه ، فمن لم يستمع له تركه وشأنه ولكن كان همه الأكبر -بعد هذا- أن يقضي على الأمة الإسلامية في وقته ، وينهي على كل شخص يعبد الإله الحق سبحانه وتعالى. وكانت أطماعه وتعاليمه هي سبب هلاكه والقضاء عليه وعلى أتباعه وعلى رأسهم اليهود قومه وجماعته ، حيث جاء في الروايات السابقة أنه يتبعه سبعون ألفا من اليهود وهو يخرج من يهودية أصبهان ((يظهر من أصبهان من حارة منها يقال لها اليهودية))(١).

حتى إن الدجال الذي ظهر في المدينة في وقت رسول الله ﷺ وهو ابن صياد(٢)، أوضح للمسلمين -خوفا منهم- أنه ليس هو الدجال الذي أخبر عنه الرسول ﷺ ، مستدلا بذلك -كما

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ، للحافظ ابن كثير ، ص٨٨ ، باعتناء أحمد عبد الشافي.

وبالنسبة لمسألة تعيين المحل الذي يخرج منه الدجال فأكثر الروايات على أنه من المشرق -مطلقاً- وفي بعضها تعيين أصبهان من المشرق ، وفي بعضها بأدق من ذلك ، وهو تعيين محلة (حارة) في مدينة أصبهان تسمى يهودية اصبهان يقول ابن حجر : ((وأما من أين يخرج ؟ فمن قبل المشرق جزما. ثم جاء في رواية أنه يخرج من خراسان ، وفي أخرى أنه يخرج من أصبهان)). الفتح١٣/٩٧.

ويقول الحافظ ابن كثير : ((فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارة منها يقال لها اليهودية وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي عليهم الأسلحة والتيجان وهي الطيالسة الخضراء)) النهاية ص٨٨.

يقول الدكتور رضاء الله بن محمد المباركفوري : ((ويبدو من النظر في هذه الأحاديث أن ابتداء خروجه يكون من الجزيرة التي هو مربوط فيها منفرداً ، ثم يأتي مروراً بخراسان إلى أصبهان ، ومنها يخرج مع أتباعه ، ثم يكون طريقه في خروجه على أرض العرب من جهة كوثى، والله أعلم)) . في تحقيقه لكتاب السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها ج ٥/ ٦ ص ١١٥٧.

خراسان : بلاد واسعة في جهة المشرق وتشتمل على عدة بلدان ، منها : نيسابور وهراة ، ومروة وبلخ ، وما يتخلل ذلك من المدن دون نهر جيحون. معجم البلدان ٢/٣٥٠.

أصبهان هي : مدينة بالموضع المعروف بـ(جي) وهو الآن يعرف بـ(شهرستان) وبـ(المدينة) ، فلما سار بختنصر وأخذ بيت المقدس وسبى أهلها ، حمل معه يهودها ، وأنزلهم أصبهان ، فبنوا لهم في طرف مدينة جي محلة ونزلوها وسميت اليهودية. فمدينة أصبهان هي اليهودية . معجم البلدان ١/٨.

(٢) يقول ابن كثير : ((قد كان ابن صياد من يهود المدينة ولقبه عبد الله ، ويقال صاف ، وقد جاء هذا وهذا. والصحيح أن الدجال غير ابن صياد. وأن ابن صياد كان دجالاً من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسريرته ، وكان ابنه عُمارة من سادات التابعين ، روى عنه الإمام مالك وغيره)). النهاية في الفتن والملاحم ص ٨٨.

يقول الذهبي في كتابه ((تجريد أسماء الصحابة)) : ((هو ابن صائد ، كان أبوه يهودياً ، فولد عبد الله أعور مختوناً ، وهو الذي قيل : إنه الدجال ، ثم أسلم ، فهو تابعي ، له رؤية)) نقلاً عن الوابل ص ٢٨٤.

لذلك يقول ابن حجر : ((وفي الجملة لا معنى لذكر ابن صياد في الصحابة ؛ لأنه إن كان الدّجّال ؛ فليس بصحابي قطعاً؛ لأنه يموت كافراً ، وإن كان غيره ، فهو حال لُقيِّهُ النبي ﷺ لم يكن مسلماً)). الإصابة في تمييز الصحابة ، القسم الرابع ، ممن اسمه (عبد الله) ٣/١٣٣ رقم ٦٦٠٩. =

عند الإمام مسلم في الصحيح- أن ذلك يهودي وأنه أسلم ، وأن ذلك لا يولد له وأنه ولد له ، وأن ذلك لا يدخل مكة ولا المدينة وأنه ولد في المدينة وأنه حج إلى مكة[1].

وأن عمر بن الخطاب سأل يهوديا عن الدجال فقال : ((ولد يهوديا ليقتله ابن مريم بباب لد))[2].

فيجمع الدجال ومن معه -وعلى رأسهم اليهود- أمرهم لمقاتلة الجيش الإسلامي بقيادة عيسى بن مريم عليه السلام المتمركز في القدس ، فيلتقي الجيشان ، الجيش الإسلامي بقيادة عيسى بن مريم عليه السلام ، والجيش اليهودي ومن فيه من الكفار بقيادة الدجال ، فأول ما يلتقيان يواجه عيسى بن مريم عليه السلام الدجال لعنه الله فيذوب الدجال كما يذوب الملح في الماء ويفر هاربا فيلحقه المسيح عيسى عليه السلام في إحدى قرى بيت المقدس وهي باب لد[3] من أرض فلسطين ويقتله هناك وتتلطخ حربته عليه السلام بدم الدجال.

= ((كان ابن صيّاد دجَّالاً ، وكان يتكهَّنُ أحياناً فيصدق ويكذب ، فانتشر خبره بين الناس ، وشاع أنه الدّجّال ، فأراد النبي ﷺ أن يطّلع على أمره ، ويتبين حاله ، فكان يذهب إليه مختفياً حتى لا يشعر به ابن صياد رجاء أن يسمع منه شيئاً ، وكان يوجّه إليه بعض الأسئلة التي تكشف عن حقيقته)). أشراط الساعة د. يوسف الوابل ص ٢٨٥.

ففي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن عمر انطلق مع النبي ﷺ في رهط قِبَل ابن صياد ، حتى وجدوه يلعب بين الصبيان عند أُطُم -أي بناء مرتفع- ابن مَغَالة -بطن من الأنصار- ، وقد قارب ابن صياد الحلم ، فلم يشعر حتى ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده ، ثم قال لابن صياد : ((أتشهد أني رسول الله ؟)). فنظر إليه ابن صياد ، فقال : أشهد أنك رسول الأميّين. فقال ابن صياد للنبي ﷺ : أتشهد أني رسول الله ؟ فرفضه ، وقال : ((آمنت بالله وبرسله)). فقال له : ((ما ترى ؟)). قال ابن صياد : يأتيني صادق وكاذب. فقال النبي ﷺ : ((خلط عليك الأمر)). ثم قال له النبي ﷺ : ((إني خبأت لك خبيئاً ؟)). فقال ابن صياد : هو الدُّخ. فقال : ((اخسأ فلن تعدو قدرك)). فقال عمر رضي الله عنه : دعني يا رسول الله أضرب عنقه. فقال النبي ﷺ : ((إن يكُنهُ ؛ فلن تُسلَّط عليه ، وإن لم يَكُنهُ ؛ فلا خير لك في قتله)). صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات... ٤١٥/١ ح ((١٣٥٤)) ، وصحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد (١٩) ٤/٢٢٤٠.

قال ابن كثير : ((وابن صياد كاشف على طريق الكهان ، بلسان الجان ، وهم يقرظون -أي : يقطعون- العبارة ، ولهذا قال : هو الدُّخ ؛ يعني الدخان ، فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وأنها شيطانية ، فقال له : اخسأ فلن تعدو قدرك)) تفسير ابن كثير ص ٤ / ١٥٠ .

أما وفاته فقد روى أبو داود في السنن بسنده عن جابر ﷺ قال : ((فقدنا ابن صياد يوم الحرّة)) ٥٠٦/٤ ((٤٣٣٢)). وقد صحح ابن حجر هذه الرواية ، وضعف قول من ذهب إلى أنه مات في المدينة ، وأنهم كشفوا على وجهه ، وصلوا عليه. فتح الباري ١٣ / ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر ابن صياد ٢٢٤١/٤-٢٢٤٣ (٢٩٢٧).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم ، للحافظ ابن كثير ص ٨٩.

(٣) معجم البلدان ٥ / ١٥.

يقول الحافظ ابن كثير : ((ويكون نزول عيسى بن مريم مسيح الهدى في أيام المسيح الدجال مسيح الضلالة ، على المنارة الشرقية بدمشق فيجتمع عليه المؤمنون ويلتف به عباد الله المتقون ، فيسير بهم المسيح عيسى بن مريم قاصدا نحو الدجال ، وقد توجه نحو بيت المقدس فيدركه فينهزم منه الدجال فيلحقه عند مدينة باب لد ، فيقتله بحربته وهو داخل إليها ويقول إن لي فيك ضربة لن تفوتني ، وإذا واجهه الدجال يذوب كما يذوب الملح في الماء فيتداركه فيقتله بالحربة بباب لد. فتكون وفاته هناك لعنه الله كما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح من غير وجه كما تقدم))[1].

وهناك ينهزم الجيش اليهودي بمقتل مسيحهم المنتظر الذي عقدوا عليه آمال تكوين دولتهم من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات ((إسرائيل الكبرى)).

نهاية الملحمة الكبرى بين المسلمين واليهود :

وبدأت هذه النهاية في هذه المعركة التاريخية والأخيرة بين القوى الداعية إلى الخير ((الجيش الإسلامي)) بقيادة المسيح المنتظر الحق عيسى بن مريم عليه السلام مسيح الهداية الداعي إلى الشريعة الإسلامية الخاتمة على رسولها أفضل الصلاة وأتم التسليم. وبين القوى الداعية إلى الشر ((الجيش اليهودي)) بقيادة مسيحهم المنتظر المزعوم المسيح الدجال مسيح الضلالة ، بمقتل ذاك القائد الضال ((المسيح الدجال)) الذي جاء بفتنة على البشرية لم يأت بها أحد قبله ((دعا إلى عبادة نفسه من دون الله)) وسخر الله له من الخوارق ما لم يسخر لمخلوق مثله ، نسأل الله أن ينجينا منها جميعا.

وهنا في هذه الأسطر أعرض نهاية جيشه اليهودي بعد مقتله بعرض بعض أقوال الرسول ﷺ في هذا الموضوع.

روى الإمام أحمد بسنده إلى ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : ((ينزل الدجال في هذه السَّبَخة ، بِمَرِّ قَنَاةَ ، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء حتى إن الرجل ليرجع إلى حَمِيمه ، وإلى أمه، وابنته، وأخته ، وعمته فيوثقها رِباطاً ، مخافة أن تخرج إليه ، ثمّ يسلط المسلمون عليه ، فيقتلونه ويقتلون شيعَتَه ، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة والحجرة ، فيقول الحجر أوالشجر للمسلم : هذا يهودي تحتي ، فاقتله))[2].

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم ، للحافظ ابن كثير ص ٨٨.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٤٧ برقم (٥٣٥٣) باعتناء عبدالله محمد الدرويش. وقال أحمد البنّا الساعاتي : إسناده صحيح.
الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام احمد ٢٤ / ٧٣.
هذه السبخة بمر قناة : أي خارج المدينة ، انظر : فتح الباري ٦ / ٧٠٦.

روى الشيخان بسنديهما إلى أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود))[1].

وروى ابن ماجه بسنده إلى أبي إمامة الباهلي ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه ((فذكر خروجه ، وفتنته ونزول عيسى عليه السلام في معسكر المسلمين)) ثم : ((قال عيسى عليه السلام : افتحوا الباب ، فيفتح ، ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا ، ويقول عيسى عليه السلام : إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود. فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة (إلا الغرقدة ، فإنها من شجرهم ، لا تنطق) إلا قال : يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله))[2].

وروى الإمام أحمد بسنده إلى سمرة بن جندب أنه ذكر حديثا طويلا عن النبي ﷺ في شأن كسوف الشمس ، وأنها والقمر آيات من آيات الله تبارك وتعالى يعتبر بها عباده ، ثم ذكر الدجال فقال : ((وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس فيزلزلون زلزالا شديدا ثم يهلكه الله تبارك وتعالى وجنوده حتى أن جذم الحائط أو قال أصل الحائط وأصل الشجرة لينادي أو قال : يا مؤمن أو قال : يا مسلم هذا يهودي أو قال : هذا كافر تعال فاقتله))[3].

ويتبين من هذه الأحاديث أمور :

منها : أن الرسول ﷺ وصف نهاية اليهود الحتمية التي لن تقوم لليهود بعدها قائمة حتى قيام الساعة ، وأن هذه النهاية هم الذين جنوا بها على أنفسهم لطمعهم واستكبارهم في الأرض

---

(١) البخاري في الصحيح ، كتاب الجهاد والسير ، باب قتال اليهود ٣٣٩/٢ (٢٩٢٥) و(٢٩٢٦) ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ٤/ ٢٢٣٩(٢٩٢٢) و(٢٩٢١) واللفظ له.

والغرقد : نوع من شجر الشوك ، معروف ببلاد المقدس. النووي شرح مسلم ١٨ / ٤٥.

(٢) رواه ابن ماجه في السنن ١٣٥٩/٢(٤٠٧٧).

قال ابن حجر : ((أخرجه ابن ماجه مطولا وأصله عند أبي داود ونحوه في حديث سمرة عند أحمد بإسناد حسن ، وأخرجه ابن منده في كتاب الإيمان من حديث حذيفة بإسناد صحيح)) الفتح ٧٠٦/٦.

(٣) مسند الإمام احمد ١٦/٥ بهامشه منتخب كنز العمال ، وذكره ابن حجر في الفتح ٧٠٦/٦.

وتعاليهم على البشر ، فقد انتظروا مسيحهم المنتظر ((المسيح الدجال)) لكي يعيثوا في الأرض فسادا بقيادته. فدعا هذه الدجال إلى عبادة نفسه.

ومنها : وبعد أن ذكرت في الصفحات الماضية كيفية نهاية المسيح الدجال ، وقتله بيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

انفرط عقد الجيش اليهودي بعد مقتل زعيمهم ، ودبت الهزيمة في نفوسهم والخوف في قلوبهم من الجيش الإسلامي ، ففروا هاربين طمعاً في الاختباء أو النجاة.

لم تساعدهم عقولهم على تصور هذه المعركة الرهيبة ، و لم يحسبوا لها حسابها الصحيح. و لم يكن يجول في خاطرهم أن النهاية الحتمية لهم في هذا الوجود قد قربت ، فلن تقوم لهم قائمة بعدها أبدا. وإلا لما خاضوا هذه المعركة.

فالمخبأ لم يعد مخبأً بالنسبة لليهود ، كل من في هذا الكون من جمادات كان في صف الجيش الإسلامي ، لتصفية اليهود ومكرهم وخبثهم من هذه الأرض -التي ما برحت أن عانت منه-.

يقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبدالله يا الذي جعلت نيتك ووجدانك ونفسك وما تملك لله وفي عبادة الله عز وجل هذا يهودي خبيث كافر مختبئ خلفي فتعال فاقتله ،كل هذه الجمادات في الصف الإسلامي إلا ما كان يهوديا ، لأنه قد يحمل صفة اليهود ، ((إلا الغرقد من شجر اليهود)).

يقول الحافظ ابن حجر : ((وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجرة وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة))[١].

ووضح الشيخ التويجري على أن نطق الحجر والشجر حقيقة وهو المتعين ، ولا ينبغي فيه احتمال المجاز[٢] لا سيما وقد صرحت الأحاديث بألفاظ تنفي احتمال المجاز ، فالجمادات والدواب

---

(١) فتح الباري ٧٠٦/٦.

(٢) المجـــاز : هو اللفظ المستعمل في غير موضعه الأصلي لقرينة أو على وجه يصح ، فهو اللفظ المستعمل في ما وضع له ثانياً ، كاســـتعمال لفظ ((أسد)) في الرجل الشجاع . فهو بهذا يتطلب علاقة مابين المعنى الأصلي الذي وضعت له الكلمة ، والمعنى الآخر الذي استعملت له الكلمة . ويسمى المجاز الذي علاقته المشابهة استعارة ، والذي علاقته غير المشابهة مجازاً مرسلاً .

وللعـــلماء ثلاثة أقوال في مسألة حصول المجاز في اللغة وفي الوحيين : ١) طائفة ذهبت إلى القول بوقوع المجاز في اللغة وفي الوحيـــين ، وبالغوا في ذلك وقالوا أن أغلب اللغة مجاز ومنهم من قال أن كل اللغة مجاز . وهم أول من استخدم المجاز (بالمعنى الإصـــطلاحي المتأخر) وهم المعتزلة وعلى رأسهم أبو علي الجبائي وابنه أبوهشام ووسعه وتكلم فيه عثمان ابن جني المعتزلي ولذلـــك لخدمة مذهبهم في نفي الصفات . ٢) وطائفة أنكرت المجاز بالكلية لا في اللغة ولا في الوحيين . وحكي ذلك عن أبي عـــلي الفارسي وأبي إسحاق افسفرائيني ، فعندهم أن كل مل يسميه المجازيون مجازاً يُسمى عند الآخرين أسلوب من أساليب العـــربية ، فمثلاً إطلاق لفظ ((الأسد)) على الحيوان المفترس بغير قرينة ، واطلاق لفظ الأسد على الرجل الشجاع بقرينة،=

تنطق بالدلالة على اليهود ، والجمادات تنادي المسلمين وتدلهم على اليهود ، ((فحمل كلام الجمادات وندائها على المجاز ينفي وجود المعجزة في قتال اليهود في آخر الزمان ، ويقتضي التسوية بينـــهم وبين غيرهم من أصناف الكفار الذين قاتلهم المسلمون وظهروا عليهم ، إذ لابد أن يختبيء المختبئ منهم بالأشجار والأحجار ، ومع هذا لم يرد في أحد منهم مثل ما ورد في اليهود ، فعلم اختصاص قتال اليهود بهذه الآية ، وأن الجمادات تنطق حقيقة بنداء المسلمين ودلالتهم على اليهود))(1).

يقول د. الوابل : ((فالحديث فيه التصريح بنطق الجمادات. وأيضا فإن استثناء شجر الغرقد من الجمادات بكونها لا تخبر عن اليهود ، لأنها من شجرهم، يدل على أنه نطق حقيقي ، ولو كان المراد بنطق الجمادات المجاز ، لما كان لهذا الاستثناء معنى))(2).

=وهو في كلٍ حقيقة . ٣) وطائفة ثالثة قالت بالمجاز في اللغة دون الوحي مثل ابن خويز من المالكية وداود بن علي الأصبهاني مؤســس الظاهرية وابنه أبوبكر وأبو الحسن الخرزي البغدادي الحنبلي وغيرهم . وقد انتصر لهذا المذهب ابن تيمية ولكنه أيضاً رجــح القول الثاني بأنه ليس في اللغة مجازاً وقال بذلك ابن القيم الجوزية ورد قول كل من قال ان في اللغة مجازاً في الصواعق المرســلة . وذهب صاحب أضواء البيان محمد الأمين الشنقيطي إلى القول بأن في اللغة مجازاً دون القرآن الكريم في كتابه (منع جــواز المجاز فيما أُنزل للتعبد والإعجاز) . ومن أدلة القول بمنع المجاز في الوحي المنزل : ١) إجماع القائلين بالمجاز على أن كل مجــاز يجــوز نفيه ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر ... . ٢) ليس كل ما جاز في اللغة جاز في القرآن ، ولذلك قد ورد في الاســتعمالات البلاغية ما يجوز استخدامه في اللغة ولا يجوز استخدامه في القرآن مثل المحسنات البديعية ... . ٣) وهذا الدليل من باب التسليم الجدلي ، لو سلمنا أن في القرآن مجاز فمن أجل أن نصرف أمراً من الأمور عن حقيقته إلى المجازلا بد أن تتوفر خمســة شــروط ، وهي : أ) أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي في لغة العرب ، لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللســان العربي ولا يجوز أن يُراد شيٌ منه خلاف اللسان العربي . وإلا فإنه يمكن لأي مبطل أن يُفسر أي لفظ بأي معنى سنح له وإن لم يكن له أصل في اللغة . ب) أن يكون معه دليل يُوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى المجاز ، وإلا إذغ كان يُستعمل في معنى بطريق الحقيقة وفي معنى بطريق المجاز لم يجز حمله على المجاز بغير دليل يوجب صرفه بإجماع العقلاء لأن الأصل الحقيقة فلا يمكن أن يُنقل من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة . ج) أنه لا بد أن يَسلم ذلك الدليل الصارف عن المعارض وإلا فإنه إذا قام دليل قرآني أة إيماني يُبين أن الحقيقة مراده امتنع تركها ثم إذا كان النص قاطعاً لم يُلتفت إلى نقيضه من دليل أما إذا كان ظاهراً فــلا بد من ترجيحه . د) احتمال ذلك المعنى المجازي في هذا السياق بعينه فليس كل ما احتمله اللفظ من حيث الجمله يحتمله الســياق الخــاص . هــ) أن الرسول إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وضد الحقيقة فلا بد أن يُبين كلامه أنه لم يرد حقيقتــه وإنمــا أراد مجازه ، سواء عينه أو لم يعينه ، لا سيا في الخطاب العلمي الذي أريد منه في الاعتقاد والعلم ... . والله أعلم . أنظر : مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥ / ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٦ / ٣٦٠) ، ومختصر الصواعق المرسلة للإمام بــن القيم الجوزية ، اختصره الشيخ الفاضل محمد الموصلي من ص ٢٤١ .. (فصل في كسر الطاغوت الثالث ، وهو طاغوت المجــاز) ، كــتاب : منع جواز المجاز فيما أُنزل للتعبد والإعجاز للعلامة محمد الأمين الشنقيطي ، وله أيضاً المذكرة في أصول الفقه ص ٦٨ ـــ ٧٤ ، ومحاضرة في الحقيقة والمجاز لفضيلة الشيخ الدكتور : عبد الله بن عمر الدميجي .

(١) إتحاف الجماعة ، للشيخ حمود بن عبد الله التويجري ، ٤١٠/١.

(٢) أشراط الساعة ، د. يوسف الوابل ، ص ٢٢٤.

ومنها : ((أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة))[1]. و((أن الشريعة المحمدية متصلة إلى يوم القيامة، وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم))[2].

ومنها : بيان أن الوعد الذي يدعيه اليهود بأن الرب أعطاهم أرض الميعاد ((فلسطين وما حولها)) بل ((من النهر الكبير نهر الفرات إلى نهر مصر)) والذي هو مبثوث في كتابهم المقدس ، هو زعم وادعاء باطل بوعد مكذوب مفترى ، فنهايتهم الفناء ، كما مر توضيحه. والأمور ستبقى في يد الأمة الإسلامية[3].

(١) فتح الباري ٦/٧٠٦.

(٢) المرجع السابق ٦/٥٦٩.

(٣) فاليهود على ما يفهم من الأحاديث لن يكونوا محتلين للمسجد الأقصى ولا لأرض فلسطين ، حيث إنه مع ظهور المسيح الدجال ((مسيحهم المنتظر)) وقيادته لهم سيكونون خارج المسجد الأقصى ، ويكون المسلمون داخله مع عيسى عليه السلام ينظم لهم الجيش ، والدجال وجنوده اليهود محاصرون للمسجد مضيقون الحصار على الجيش الإسلامي. فبعد أن ينظم عيسى عليه السلام الجيش الإسلامي المحاصَر داخل الأقصى ، يأمر الجيش بالاستعداد لملاقاة الجيش اليهودي المحاصِر المتربص خارج المسجد الأقصى ، فتفتح الأبواب لتبدأ الملحمة.

مما يدل على أن الواقع المعاصر ((اليهود داخل فلسطين والمسلمون خارجها)) سيتغير بأن يكون المسلمون هم داخل فلسطين واليهود خارجها ، فيحاصر اليهود المسلمين وهم بداخل المسجد الأقصى. والنصر يكون حليف الأمة الإسلامية. والله أعلم .

الخـــــاتمـــــة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، على ما يسّر لي ووفقني في الكتابة في هذا الموضوع. وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي وأن يكون صالحاً مقبولاً بفضل الله.

وقد توصلت في هذا البحث إلى تقرير حقائق كثيرة ، من أهمها :

١- كانت فلسطين تكوّن مع سورية والأردن ولبنان وحدة جغرافية وإدارية واحدة تسمى ((الشام)) ، لم تنفصل عن بعضها إلا في ظل الاستعمار في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وتطبيق اتفاقية ((سايكس بيكو)) بين بريطانيا وفرنسا.

٢- لفلسطين أهمية دينية عظيمة في جميع الرسالات السماوية الثلاثة ، الإسلام والنصرانية واليهودية .

٣- أن أسفار العهد القديم ، وعلى رأسها الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، قد حصل فيها الكثير من التحريف والتبديل ، وأنها كُتبت بعد الأحداث التي ذُكرت فيها بمدد طويلة، وأنها لم تصل إلينا لا عن طريق التواتر ولا عن طريق الآحاد ، بل كُتبت بأقلام عديدة في أوقات مختلفة ، وأن فيها تغيراً وتناقضاً ، يجزم من خلاله القارئ بانتفاء قدسيتها وزوال الصبغة السماوية عنها ، فلا تُعد من كتب الوحي المقدس ، ومن ثَمَّ تبطل نسبتها إلى موسى عليه السلام وإلى باقي أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام.

٤- ومن خلال تلك الأسفار المحرّفة ، يعتقد اليهود ومن والاهم من النصارى((الصهيونية المسيحية)) ، أنهم هم الورثة الحقيقيون للوعد الذي أعطاه الرب لإبراهيم عليه السلام بامتلاك أرض فلسطين وما حولها من أرض الميعاد.

٥- أنه لا فرق بين الصهيونية واليهودية ، فهما وجهان لعملة واحدة. وأن الصهيونية نتاج العقل اليهودي ، فهي الفلسفة القومية لليهود ، وتنطوي في جوهرها على حمل اليهود على المحافظة على معتقداتهم وتقاليدهم ورفض كل اندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها ، وإلى ضرورة تكوين مجتمع يهودي محض له دولته في فلسطين ، ومناشدة اليهود في العالم إلى الهجرة من جميع بقاع الأرض إلى فلسطين التي يسمونها أرض الميعاد بحدودها التي ورد ذكرها في كتابهم المقدس.

وأن من أدّعى أن هناك من اليهود من هو ضد الصهيونية ، فهو جاهل بحقيقة اليهود ، حيث إن كل اليهود يؤمنون بفكرة رئيسية وهي العودة لأرض الميعاد لتأسيس دولتهم اليهودية. وهذه هي نقطة البداية والنهاية بالنسبة لجميع اليهود بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية أو غيرها ، والتي ينبغي أن تكون في خدمة الأمة اليهودية أولاً وأخيراً.

٦- وفي البحث عن الصهيونية اليهودية لا بد من التفريق بين مرحـــلة ما قبل عــــام ((١٨٩٧ م))، حيث لم تكن الصهيونية لتتجاوز تعلق اليهود الروحي بنصوص أسفارهم المقدسة وطقوس الأعياد والاحتفالات الدينية. وكانت دوافع رغبة قسم من اليهود في العودة إلى فلسطين دينية محضة.

ومرحلة ما بعد عام ((١٨٩٧م)) عندما اتخذت الحركة الصهيونية شكلها التنظيمي. وأصبح للفكرة الصهيونية أداة تعمل لها بشكل دائب مستمر لتحقيق غايات هذه الحركة كما رسمها المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بال السويسرية عام ١٨٩٧ م.

٧- وإن من أهم العقائد اليهودية : عقيدة المسيح المنتظر المُخلّص اليهودي. حيث إن الإيمان بهذه العقيدة يُعتبر أحد الأركان الأساسية في الديانة اليهودية ، وأحد الأسس الجوهرية فيها. فهي مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب.

وجاء ذكر المسيح المنتظر المُخلّص اليهودي في جميع مصادر الفكر اليهودي من أسفار العهد القديم والتلمود.

٨- استطاع اليهود أن يغيروا من موقف النصارى تجاههم فمن الرفض والتحقير والعدوان إلى القبول والتمجيد والمساعدة ، بل إلى أبعد من ذلك وهو اعتبار اليهود وكتابهم ((العهد القديم)) أصلا لهم يجب اتّباعه ، وكان ذلك في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، حين انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية مجموعة من النصارى -وُلِدوا تحت أعين يهودية متمسكة- سموا حركتهم بحركة الإصلاح الكنسي ((البروتستانت)). وبهذا يتبين أن العقيدة النصرانية سُخرت لتحقيق مكاسب يهودية ، خاصة في مسألة استيطانهم أرض فلسطين المسلمة.

لذلك فالمذهب المسيحي البروتستانتي ما هو إلا ((بعث عبري أو مسيحية متهودة)) ، فاسمه الحقيقي ((الصهيونية المسيحية)).

ومن اعتقادات هؤلاء النصارى ، والتي هي في صالح اليهود. أن تجميع اليهود في فلسطين وتأسيس دولة لهم هناك يُعجّل بالمجيء الثاني للمسيح. وتولدت عن هذه العقيدة عندهم عقيدة

((الألفية السعيدة)) ومفادها أن المسيح بعد نزوله سيُقيم مملكة الله في الأرض والتي ستدوم ألف عام. لهذا فالنصارى يعتقدون أن المسيح سيرجع بعد مرور ألف سنة ، وعلى رأس ألف سنة جديدة ، ويحكم العالم ألف سنة. وعلى هذه العقيدة اجتمعت آمالهم واتجهت أنظارهم سنة ((١٠٠٠)) ميلادية ، ولكنّ المسيح لم يظهر فهدأت المسألة وتلاشت في الواقع لكنها بقيت في الأحلام. ثمّ ظهرت هذه الدعـوات في بدايات عام ((٢٠٠٠)) ميلادية ((أواخر القرن العشرين)) ، وظهوره يكون في موطنه الأصلي ((فلسطين)). فلا بد من الإعداد والتهيئة لمقدمه بتجميع اليهود في فلسطين ، والتي ستكون فيها معركة ((هرمجدّون)). ومرت في هذه الأيام ، الأيام الأولى من سنة ((٢٠٠٠)) ميلادية ولم يظهر فيها المسيح. لذلك وبناءً على عقيدتهم يجب عليهم أن ينتظروا مجيئه في بدايات عام ((٣٠٠٠ م)) ، وهكذا ... !.

وعلى الرغم من أننا ندخل هذه الأيام رسمياً إلى القرن الحادي والعشرين ((القرن الجديد)) فإن هذا القرن وهذه الألفية الجديدة المنتظرة لن تبدأ هذه الأيام ، فهذه الاحتفالات من قبل النصارى ومن والاهم في حقيقتها ما هي إلا توديع للألفية الثانية ، فهذه الأيام هي بداية السنة الأخيرة من الألفية الثانية ، أما بداية الألفية الثالثة والمنتظرة والقرن الجديد فتكون مع بدء العام القادم ((٢٠٠١)) وفق التقويم الميلادي لعيسى عليه السلام[١].

وعلى هذا فإن أحلام النصارى قد تتأجل للعام القادم أو ربما للأعوام القادمة القريبة ، خاصة إذا علمنا أن بداية التأريخ لميلاد المسيح عليه السلام اختلف في تحديده[٢].

فلتعلم الأمة الإسلامية أنها الآن أمام التحدي القوي التي يجب أن تستعد له الاستعداد المناسب ((المتمثل في الدعوة إلى الله عز وجل وإلى اعتناق الإسلام)). وهذا التحدي فرصة للمسلمين ليثبتوا للنصارى أنهم على باطل واضح وأن مساعدتهم لليهود في احتلال أرض فلسطين، ومد يد العون لهم لبسط سيطرتهم الميدانية والعسكرية والفكرية والاقتصادية على دول المنطقة ، من منطلق عقدي عندهم ، هذا المنطلق مزور في دينهم ابتدعه اليهود ليجعلوا النصارى في خدمة عقيدتهم التوراتية وما يحلمون به من أحلام يهودية. والنصارى في غفلة عن هذا المكر اليهودي الخبيث.

وهذه الفرصة ستكون سانحة تماماً بعد مرور السنوات الأولى من الألفية الجديدة المنتظرة عند النصارى. فلتستعد الأمة الإسلامية لذلك.

---

(١) كتبت هذه الأسطر في بدايات عام ٢٠٠٠ م.

(٢) قصة الحضارة (١١) الجزء الثالث من المجلد الثالث ، ص ٢١٢ ، ول ديورانت.

((عندما تمر الأيام الأولى للألفية الثالثة ، فإن اليهود والنصارى ، سيكونون بين أمرين ؛ إما أن تتحقق بعض أحلامهم ، فيزدادون عند ذلك فتنة ، ويزدادون بالتالي طغياناً ، وإما أن تتبخر أحلامهم الكبار ، فيذيع الشك بينهم في أصول دينهم ، ويزدادون ارتياباً وحيرةً وضلالاً ، وعلى كلا الاحتمالين ، فمسؤولية أهل الإسلام في السنوات المقبلة عظيمة ، فهم إما أن يجدوا أنفسهم أمام مرحلة مفروضة من الصراع الديني الصريح ، أو يفاجأوا بتبعة دعوية ثقيلة ، ستنشئها موجات الارتياب وربما الارتداد الذي يمكن أن ينتشر بين الكتابيين عندما تصطدم عقائدهم الزائفة أمام صخرة الحقيقة والواقع ، فمن لهؤلاء الضالين يهديهم إلى صراط الله المستقيم إذا تطلعوا للبحث عنه ، إنها تبعة جسيمة ، لابد أن يتهيأ لها أهل الدعوة من أمة البلاغ ، خير أمة أخرجت للناس))[1].

٩- وتبين أن في مواجهة هذه الاعتقادات النصرانية يظهر مكر اليهود وخبثهم وسخريتهم من النصارى ، فهم يشجعونهم على قبول المرحلة الأولى من الاعتقاد المسيحي ، حيث هو نفسه الحلم اليهودي المنتظر وهو ((تجميع اليهود في أرض فلسطين المسلمة)) ، ثمّ يقلبون لهم ظهر المجنّ. بل يأمل اليهود أبعد من ذلك وهو تقويض المسيحية نفسها شيئاً فشيئاً ، ومن ذلك التضخيم العجيب الحاصل في الفكر المسيحي لاتّباع اليهود وكتابهم المقدس.

١٠- لذلك فمن الثابت تاريخيّاً أن النصارى لعبوا دوراً مهماً وفعّالاً في تمكين اليهود من احتلال أرض فلسطين المسلمة.

فظهرت أسماء نصرانية لها مراكز قوية وحساسة : دينية وسياسية وغيرها، ساعدت اليهود في ذلك التمكين ، كما سبق في هذا البحث تقديم أمثلة لذلك. والواقع أكبر شاهد على ذلك ، فتدلل الدولة اليهودية على الحكومات النصرانية والكنائس النصرانية ، ومساعدتهم لها ودعمها بما شاءت من مال و سلاح وغيره ، وتحدي المسلمين في ذلك ، دليل على هذا المعتقد.

١١- معركة آخر الزمان ((هرمجدّون)).

فاليهود والنصارى والمسلمون متفقون على وقوع ملاحم رهيبة ومعارك قوية في منطقة الشام عامة وفي فلسطين خاصة. ولكنهم مختلفون في نتائجها ، كل يراها لمصلحته في النهاية. والحق ما بيّنه خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث للناس كافة محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم

---

(١) حُمَّى سنة ((٢٠٠٠)) ، عبد العزيز بن مصطفى كامل ، ص ٢٥٤.

التسليم ، أن نتائج هذه الملاحم لمصلحة الإسلام وأهله ، وأن الإسلام هو الدين المهيمن على كل الأديان. كما مر تفصيله في ثنايا البحث.

١٢- بيّنت بعد ذلك العرض ، بطلان هذا الوعد الذي تدعيه اليهود ، من أنهم الورثة الحقيقيون لهذا الوعد من بعد إبراهيم عليه السلام. وذلك من خلال أسفارهم المقدسة عندهم (الحجة الدينية)، ومن الناحية التاريخية (الحجة التاريخية).

فإن هذه النصوص شرطت الوراثة بتمسك اليهود بعبادة الله وطاعته ، وبعضهم كان في سيرته بعيداً كل البعد عن طاعة الله ، وأقرب دليل على أن أغلب اليهود لم يطيعوا الله عز وجل كفرهم وعدم إيمانهم بالنبي محمد ﷺ ، خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

على أن هناك نصوصا أخرى في أسفارهم المقدسة تدل على أن الرب أعطاهم ما وعد لهم بتملك أرض الميعاد ، لأن الرب قد وعدهم وعداً وقد أتمه لهم في عهد صلاحهم وعندما كانوا في وقت هم أتباع الديانة الصحيحة قبل إرسال عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ. ولم يعدهم وعداً أخر ينتظرون تحقيقه.

ومع ذلك كله نقول لهؤلاء اليهود أين كانوا هذه المدة من السنوات الطويلة ، بل القرون العديدة ، من وقت خروجهم نهائيّاً من أرض فلسطين عام ١٣٥م على أيدي الرومان. لم يعمل اليهود ذلك العمل الجاد الذي يدل على تعلقهم بأرض فلسطين منذ القرن الثاني الميلادي إلى بدايات القرن العشرين حتى تمكنت الصهيونية اليهودية من احتلال أرض فلسطين في منتصفه ، بمعاونة الصهيونية المسيحية وضعف الأمة الإسلامية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن الناحية التاريخية ، وادعاء اليهود أن لهم صلة بأنبياء بني إسرائيل فهم الأحق بذلك في أرض فلسطين ، كما قال هرتزل ((إن فلسطين التي نريد هي فلسطين داود وسليمان)).

فنقول ليس ليهود اليوم أي صلة بأنبياء بني إسرائيل.

فأنبياء بني إسرائيل اختارهم الله عز وجل لحمل الرسالة ، فهم على أعلى درجات الطاعة والعبودية لله تعالى. أما اليهود فمشركون ، يعتقدون بإله مستقل لهم يسمى ((يهوة)) ، وقد كفرهم الله تعالى في كتابه الكريم لاعتقادهم النسب لله تعالى ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله**﴾[1]. فضلاً عن أنهم كانوا يقومون بعبادات محرّفة لم يأت بها أحد من أنبياء الله. وأن النبي

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٠.

الكريم محمد بن عبدالله ﷺ قد حكم بأنهم من أصحاب النار لو لم يُؤمنوا برسالته الخاتمة فقال عليه السلام : ((والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثمّ يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار))(١).

١٣- والأرض ملك لله تعالى يجعلها لمن يشاء من عباده. قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الأَرضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ** ﴾ (٢).

فيجب على أهل الإسلام -وهم أهل الدين الخاتم المهيمن الصحيح- أن يتسلحوا بسلاح الاستعانة بالله عز وجل وبالصبر حتى يجعل الله العاقبة لديهم.

وليعلم أهل الإسلام أن الله أورث الأرض لهم ﴿ **وَلَقَد كَتَبنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعدِ الذِّكرِ أَنَّ الأَرضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ (٣).

فشرط الوراثة أن تكون الأمة مستقيمة في خلقها وفي سيرها في الحياة وصلتها بالله تعالى مع تملك الأسباب المادية الكافية وتكاتف هذه الأمة فيما بينها وأن تستمر في مجاهدة قوى الكفر والطغيان.

ولهذا فإن اليهود ليسوا أهلاً لوراثة الأرض لأنهم كفروا بالله وبرسوله الخاتم محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وعبدوا الطاغوت وتحولوا إلى الضلال والفجور والكفر.

وبما أن وراثة الوعد للصالحين من ذرية إبراهيم عليه السلام. فالأمة الإسلامية هي الأحق بوراثة الأرض بل الدنيا كلها من كل الأمم ، لأنها على الحق والصلاح. فهم الورثة الحقيقيون، وليس اليهود ولا النصارى أهل الكفران والبعد عن صراط الله المستقيم.

١٤- احتلال اليهود لأرض فلسطين من منطلق ديني توراتي ، كما مر بيان ذلك في البحث.

فينبغي على الأمة الإسلامية أن تواجه هذا الاحتلال من منطلق ديني أيضاً ، ألا وهو الجهاد في سبيل الله. ففلسطين بلد إسلامي مقدس له مكانته العلية من الناحية الدينية عند المسلمين ، يقدسونها كما يقدسون مكة المكرمة والمدينة المنورة. فهي ليست ملكاً للفلسطينيين ولا للعرب بل هي ملك جميع المسلمين في أنحاء الأرض وواجب الدفاع عنها فرض عليهم.

---

(١) رواه الإمام مسلم في الصحيح ، انظر : ص ٣٢٦ من هذا البحث.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢٨.

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى : ((ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية أولاً وأخيراً ، ولكن أعداء الإسلام بذلوا جهوداً جبارة لإبعادها عن الخط الإسلامي وإفهام المسلمين من غير العرب ، أنها قضية عربية لا شأن لغير العرب بها ، ويبدو أنهم نجحوا إلى حد ما في ذلك ، ولذلك فإنني أرى أنه لا يمكن الوصول إلى حل لتلك القضية إلا باعتبار القضية إسلامية وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها ، وجهاد اليهود جهاداً إسلاميّاً ، حتى تعود الأرض إلى أهلها ، وحتى يعود شذاذ اليهود إلى بلادهم التي جاءوا منها ، ويبقى اليهود الأصليون في بلادهم ، تحت حكم الإسلام لا حكم الشيوعية ولا العلمانية ، وبذلك ينتصر الحق ، ويخذل الباطل ، ويعود أهل الأرض إلى أرضهم على حكم الإسلام ، لا حكم غيره، والله الموفق))[1].

فالاستراتيجية الغربية المسيحية واليهودية ركزت على طمس حقيقة أن الصراع هو صراع ديني عقائدي في نفوس المسلمين ، وألبست ذلك الصراع ثوباً من القومية و الوطنية الزائفة ، لذلك ظهرت الأحزاب العلمانية والزعامات المصطنعة التي خدمت الصالح اليهودي. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٥- استنادا لقول الله تعالى ﴿ **وَإِن عُدتُّم عُدنَا** ﴾ [2]. فإن إفساد اليهود المتمثل الآن في احتلال أرض فلسطين المسلمة وفي كيان دولتهم القائم هناك ، سينتهي ، وأن يوم النصر آتٍ بأذن الله تعالى على اليهود لإزالة إفسادهم. في وقت قدره الله لذلك ويسر أسبابه برجوع الأمة الإسلامية إلى ربها ودينها.

١٦- إن واقع الأمة الإسلامية المرير اليوم ما هو إلا سحابة صيف عما قريب ستنقشع. وإن احتلال اليهود أرض فلسطين وإقامة دولتهم فيها إنما هو من الأمور التي ستؤدي إن شاء الله إلى إيقاظ الأمة الإسلامية من غفوتها وإرجاعها إلى المنهج الحق بعد ضياعها في دروب المناهج الباطلة.

١٧- قد تكون معركتنا ضد اليهود ذات مراحل.

---

(١) فتاوى وتنبيهات ونصائح ، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ، ص ٥٧٠. تجميع وطباعة مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، رمضان ١٤٠٩هـ الموافق ابريل ١٩٨٩م.

(٢) سورة الإسراء الآية ٨.

فمرحلة منها -والله أعلم- إخراجهم من المسجد الأقصى ، قبل أن يستطيعوا هدمه ، وطردهم من فلسطين ، أذلة وهم صاغرون.

ومرحلة منها يبدأها اليهود مع ((مليكهم)) مسيحهم المنتظر ((المسيح الدجال)) لتحقيق ما يعتقدون من أحلام في أثناء مجيئه ، وانتقاماً من المسلمين -كما مر توضيحه- وهذه المرحلة -والله أعلم- هي المرحلة التي جاءت فيها الأحاديث النبوية ، التي ذكرتها في البحث ، ومنها قول الرسول ﷺ : ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله))[1]. فتتم في هذه المرحلة إبادة اليهود وإفنائهم.

المهم والخلاصة من هذا أن الأمة الإسلامية يجب أن تستعد لمواجهة اليهود في كل وقت وهي التي يجب أن تبدأ بالمواجهة. ولا تركن إلى أحاديث الملحمة التي ستكون في آخر الزمان بيننا وبين أهل الكتاب. حيث إنه لا أحد يعلم حقيقةً ما سيكون إلا الله عز وجل مقدّر الأقدار وعلاّم الغيوب سبحانه .

وهناك حقائق غير التي ذكرت ، اكتفيت بذكرها في أماكن بحث مواضيعها في هذا البحث. والله تعالى أعلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) متفق عليه. انظر تخريجه ص ٤٠٦ من هذا البحث.

الفهارس

وتشمل:

١ ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار.

٣ ـ فهرس البلدان والأماكن.

٤ ـ فهرس المعاهدات والمعارك والثورات والجمعيات.

٥ ـ فهرس الأعلام.

٦ ـ فهرس الألفاظ الغريبة.

٧ ـ فهرس المراجع.

٨ ـ فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية الواردة في متن البحث

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ سورة البقرة ﴾		
﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ﴾	٨٩	١
﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾	١٢٠	٢، ١٥
﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾	٢١٧	٣
﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾	١٣٠-١٣٣	٤٠
﴿ وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم ﴾	٥٤	٤٨
﴿ ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى ﴾	٢٤٦-٢٤٨	٥٧
﴿ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر ﴾	٢٤٩-٢٥١	٥٨
﴿ وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة ﴾	٢٥١	٥٨
﴿ أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾	٢٨٥	٣٣٣
﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾	١٣٦	٣٣٣
﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾	١٩٣	٣٣٥
﴿ وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾	١٢٤	٣٣٧
﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾	١٢٧	٣٤١
﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم ﴾	٧٥	٣٥٠
﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ﴾	٧٩	٣٥٠
﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾	٤٢	٣٥٢
﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم ﴾	١٤٦	٣٥٢
﴿تكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾	٤٢	٣٥٢
﴿ سورة آل عمران ﴾		
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا توتن إلا وأنتم مسلمون ﴾	١٠٢	١
﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما ءآتيتكم من كتاب وحكمة ﴾	٨١	١
﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ﴾	٦١	٢
﴿ ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ﴾	٦٩	٣
﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ﴾	٦٨	١٢
﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴾	٦٧	٣٣
﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه ﴾	٩٣	٣٦
﴿ ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾	١١٢	٤٠، ٣٨٣

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق ﴾	٢ ـــ ٤	٢٨٢، ٣٤٦
﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾	٢٨	٣٣٤
﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ﴾	٧١	٣٤٧، ٣٥٢
﴿ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالمتاب لتحسبوه من الكتاب ﴾	٧٨	٣٥٠، ٣٥٣
﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ﴾	١٨٧-١٨٨	٣٥٨
« سورة النساء »		
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾	١	١
﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكون سواء ﴾	٨٩	٣، ٤
﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين أحد من رسله ﴾	١٥٠-١٥٢	٣٣٣
﴿يا أيها الذين آمنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله﴾	١٣٦	٣٤٦
﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعة ﴾	٤٦	٣٤٩، ٣٥٣
﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾	١٦٣	٣٥٣
﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم ﴾	١٥٧-١٥٨	٣٩١
﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته ﴾	١٥٩	٣٩٣
« سورة المائدة »		
﴿ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴾	٢١	٤٠، ٤٩
﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ﴾	٢٠ ـــ ٢٦	٤٩، ٣٦١
﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباءه ﴾	١٨	١٨٧
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾	٥١	٣٣٤
﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴾	٧٨	٣٣٩
﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾	١٥	٣٤٧
﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾	١٣	٣٤٨، ٣٤٩
﴿ ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ﴾	٤١	٣٤٩ ، ٣٥٦ ،
﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون ﴾	٤٤	٣٥٠
﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾	٤١ ـــ ٤٣	٣٥٥، ٣٥٦
﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾	٤٤	٣٥٦
﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾	٤٥	٣٥٦
﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾	٤٧	٣٥٦

الآية	رقمها	رقم الصفحة
﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدون في الأرض مرتين ﴾	٤ ــ ٨	٣٦٧، ٣٨٣
« سورة مريم »		
﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ﴾	٥٨	٣٦، ٣٣٣
« سورة طه »		
﴿ حملنا أوزاراً من زينة القوم ﴾	٨٧	٤٧
﴿ لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾	٩١	٤٧
﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو ﴾	٩٨	٤٧
﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى ﴾	٨٣ ــ ٩٨	٤٨
« سورة الأنبياء »		
﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾	١٠٥	٢، ٣٣٧، ٣٥٤، ٣٦٤، ٤١٥
ونجيناه ولوطاً إلأى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾	٧١	٣١
وعلمناه صنعة لبوس لكم ﴾	٨٠	٦٠
وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير ﴾	٧٩	٦١
﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ﴾	٧٨ ــ ٧٩	٦٣
﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا ﴾	٤٨	٣٤٦
« سورة الحج »		
الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾	٧٥	٣٣٣
« سورة النور »		
﴿ وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ﴾	٥٥	٢، ٥٩
« سورة الشعراء »		
﴿ وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ﴾	٥٢ ــ ٦٧	٤٣
« سورة النمل »		
﴿ وورث سليمان داود ﴾	١٦	٦٤ ، ٦٧
﴿ وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد ﴾	٢٠ ــ ٤٤	٦٥
﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً ﴾	١٥	٦٦ ، ٦٧
﴿ وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس ﴾	١٧	٦٦

فهرس الأحاديث والآثار على حسب ورودها في متن البحث.

الحديث أو الأثر — **رقم الصفحة**

فهرس البلدان والأماكن التي ترجم لها أثناء البحث.

فهرس المعاهدات والمعارك والثورات
والجمعيات والطوائف التي ذكرت أثناء البحث.

المعاهدة أو المعركة أو الثورة أو الجمعية أو الطائفة **رقم الصفحة**

فهرس الأعلام الذين ترجم لهم في هامش البحث

فهرس الألفاظ الغربية التي ذكرت أثناء البحث

فهرس المراجع

((أ))

١) **أبحاث في الفكر اليهودي**، د. حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، دارة العلوم والثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢) **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة**، الشيخ حمود بن عبدالله التويجري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٣) **آثار فلسطين**، وليم ف. اولبريت، ترجمة : د. زكي اسكندر و د. محمد عبدالقادر محمد، ومراجعة د. سعاد ماهر، جمهورية مصر العربية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة الخبراء الكتاب الحادي عشر، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

٤) **أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية**، د. جميل عبد الله المصري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٥) **أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر**، د. عطا الله بخيت حمّاد المعايطة، رسالة ماجستير بالآلة الكاتبة، قسم العقيدة جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ.

٦) **أحجار على رقعة الشطرنج**، وليام غاي كار، ترجمة : سعيد جزائري، مراجعة م. بدوي، دار النفائس، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٠٧ هـ.

٧) **الأحزاب السياسية في إسرائيل**، هاني عبدالله، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، سلسلة الدراسات رقم ٥٩، الطبعة الأولى،١٩٨١م.

٨) **أخبار الأرض المباركة ((العدد الأول))**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنطقة الشرقية، المملكة العربية السعودية، بدون ذكر تاريخ الإصدار.

٩) **أخبار الدجال وابن صياد**، مصطفى العدوي، دار السنة، الخبر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

١٠) **الاختراق الصهيوني للمسيحية**، القس إكرام لمعي، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١١) **اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية**، اللواء : أحمد عبد الوهاب، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٢) **أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ((الدولة العثمانية))**، الجزء الأول، د. جمال عبدالهادي محمد مسعود و وفاء محمد رفعت جمعة، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

١٣) **أخطاء يجب أن تصحح ((ذرية إبراهيم عليه السلام))**، د. جمال عبدالهادي محمد مسعود، و وفاء محمد رفعت جمعة، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٤) **أديان وفرق**، د. أمين القضاة، محمد الخطيب، محمد عوض الهزايمة، دار عمار، مكتبة الأقصى ومكتبة الحرمين عمّان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٥) **الإذاعة لما كان وما يكون لبين يدي الساعة**، السيد محمد صديق حسن، قدم لها وكتب حواشيها إبراهيم يحيى أحمد، دار المدني للطباعة والنشر، جدة، طبعة عام ١٤٠٦هـ ـــ ١٩٨٦م.

١٦) **الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل ((دراسة حديثية تحليلية))**، إبراهيم العلي، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٧) **أزمة الفكر الصهيوني المعاصر**، د. محمد محمود ربيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

١٨) **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ومحاورات جارودي في القاهرة**، رجاء جارودي، دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٩) **الإستراتيجية الإسرائيلية للفترات ما بين الجزء الأول ((١٩٤٨ ـــ ١٩٦٧م)) و الجزء الثاني ما بين ((١٩٦٧ ـــ ١٩٨٠م))**، د. غازي إسماعيل ربابعة، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـــ ١٩٨٣م.

٢٠) **الاستعمار والصهيونية**، رفيق النتشة، الطبعة الأولى، آذار ١٩٨٤ م، دار الجليل للنشر، عمّان.

٢١) **الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين بين النظرية والتطبيق**، د. نظام محمود بركات، مطابع جامعة الملك سعود ـــ كلية العلوم الإدارية، مركز البحوث ١٤١٧هـ، الرياض.

٢٢) **استيعاب المهاجرين في إسرائيل**، محمد السيد سعيد، وأميرة سلام، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، فبراير، ١٩٧٨م.

٢٣) **الأسراء وإسرائيل**، د. محمد هلال، دار البشير عمّان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ـــ ١٩٩٧م.

٢٤) **إسرائيل حرفت الأناجيل واخترعت أسطورة السامية**، اللواء : أحمد عبد الوهاب، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.

٢٥) **إسرائيل في التوراة والإنجيل**، د. مراد كامل، الطبعة الثانية، بدون ذكر تاريخ الطبعة، دار المعرفة ١٥ شارع صبري أبو علم، القاهرة.

٢٦) **إسرائيل في الكتاب المقدس**، بقلم مجموعة من أساتذة اللاهوت، ترجمة حسني خشبة، مراجعة وتقديم د. إسحاق موسى الحسيني. قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، معهد البحوث وزالدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية ١٩٧٢م، لا يوجد مكان الطبع.

٢٧) **إسرائيل الكبرى ((دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني))**، د. أسعد رزوق الطبعة الثانية، ١٩٧٣ م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٢٨) **إسرائيل والتلمود**، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢٩) **إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة** ، أبكار السقاف، الطبعة الأولى، عام ١٩٦٧ م، الناشر عالم الكتب ٣٨ شارع عبدالخالق ثروت، القاهرة.

٣٠) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام. د. علي عبدالواحد وافي. دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة. بدون ذكر عدد الطبعة وتاريخها.

٣١) **الأسفار المقدسة قبل الإسلام ((دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية))**، د. صابر طعيمة، عالم الكتب بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

٣٢) **الإشاعة لأشراط الساعة**، محمد عبدالرسول الحسيني الشهرزوري البرزنجي، تحقيق : فوزي الجبر، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٣) **أشراط الساعة**، د. يوسف بن عبدالله يوسف الوابل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام والأحساء، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ.

٣٤) **أصول الصهيونية في الدين اليهودي**، د. إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة هبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٣٥) **أصول الصهيونية ومآلها**، عبدالحميد بن أبي زياد بن شنهو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٣٦) **الأصولية الإنجيلية، نشأتها وغايتها وطرق إقامتها**، صالح بن عبد الله الهذلول، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٧) **الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي، الجزء الأول ((الدعوة والدعاة))**، جورجي كنعان، بيسان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٣٨) **الأصولية اليهودية، العقيدة والقوة**، ديفيد لانداو، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٩) **الأصولية اليهودية في إسرائيل ((من أجل الأرض والرب))**، إيان س. لوستك، ترجمة حسني زينة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩١م.

٤٠) **أضواء على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط**، أحمد منصور، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٤١) **إظهار الحق**، الشيخ العلامة رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، دراسة وتحقيق وتعليق : د. محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، الرياض.

٤٢) **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي**، تحقيق ودراسة : د. محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

٤٣) **إفلاس النظرية الصهيونية**، نصر شمالي، منشورات فلسطين المحتلة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، طبع على مطابع الكرمل الحديثة، بيروت.

٤٤) **الأكذوبة التاريخية ((هل فعلاً قتل ستة ملايين يهودي))**، زوبير فوريسون، وماري بول ميمي، ترجمة وإعداد : ماجد حلاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع، توزيع دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة.
٤٥) **الأكذوبة الكبرى ((حرق ٦ مليون يهودي في أفران الغاز))**، أحمد التهامي سلطان، مكتبة ابن سيناء للنشر والتوزيع ٧٦ش محمد فريد، جامع الفتح مصر الجديدة، القاهرة، بدون ذكر تاريخ الطبع.
٤٦) **أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين**، د. جورجي كنعان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.
٤٧) **أمريكا وإسرائيل ((دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل))**، د. محمد معروف الدواليبي، الدار الشامية، بيروت، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٤٨) **أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية**، اللواء الركن محمود شيت خطاب، دار الإعتصام القاهرة. الطبعة الثالثة، ٣ جمادي الأولى عام ١٣٩٠هـ ـــ ٦ / ٧ / ١٩٧٠م.

((ب))

٤٩) **البحر المحيط**، تفسير لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، باعتناء : عادل احمد عبدالموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـــ ١٩٩٣م.
٥٠) **البداية والنهاية** للحافظ أبي الفداء محمد بن إسماعيل بن كثير الدمشقي، باعتناء : د. احمد أبو ملحم، و د. علي نجيب عطوى، وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٨م.
٥١) **بذل المجهود في إفحام اليهود**، للحكيم السموءل بن يحيى بن عباس المغربي، قدم له وعلق عليه : عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٥٢) **البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين**، اللواء أحمد عبدالوهاب طويلة الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي ٨شارع الجمهورية عابدين القاهرة، بدون ذكر تاريخ الطبع.
٥٣) **بروتوكولات حكماء صهيون**، عجاج نويهض، دار الاستقلال للدراسات والنشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٦م.
٥٤) **بروتوكولات حكماء صهيون ((الخطر اليهودي))**، محمد خليفة التونسي، تقديم عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة االسابعة، ١٤٠٤هـ ـــ ١٩٨٤م.
٥٥) **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني**، د. يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٥٦) **بلادنا فلسطين**، الجزء الأول، مصطفى مراد الدبّاغ، منشورات دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.
٥٧) **بن غوريون والعرب**، شبتاي تيبت، ترجمة : غازي السعدي، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٥٨) **بنو إسرائيل في القرآن الكريم**، د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٥٩) **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، د. محمد سيد طنطاوي، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٦٠) **بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم**، د. صابر طعيمة، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

٦١) **بنو إسرائيل والعبرية الحديثة**، على رؤوف سيد موسى، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦٢) **بنو إسرائيل وموقفهم من الذات الإلهية والأنبياء**، د. عبدالشكور بن محمد أمان العروسي، رسالة دكتوراه، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، بالآلة الكاتبة.

٦٣) **بيت المقدس وماحولة**، د. محمد عثمان شبير، مكتبة الفلاح الكويت، الطبعة الثانية١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٦٤) **بيت المقدس والمسجد الأقصى ((دراسة تاريخية موثقة))**، محمد بن محمد حسين شراب، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

((ت))

٦٥) **تأثر اليهودية بالأديان الوثنية**، د. فتحي محمد الزغبي، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا، مصر ٣٣ شارع عادل الزواوي، أمام كلية التربية النوعية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٦٦) **تاريخ الإسرائيليين**، شاهين بك مكاريوس، مطبعة المقتطف، مصر.

٦٧) **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**، محمد عزّة دروزة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، طبعة عام، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٦٨) **تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ((١٨٩٧ ـ ١٩١٨م))**، د. محمد عبدالرؤوف سليم، رسالة ماجستير، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، نشر مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٤م.

٦٩) **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، الأستاذ محمد فريد بك المحامي، تحقيق : د. إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، الطبعة السابغة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م.

٧٠) **التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية**، نهاد الغادري، منشورات دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.

٧١) **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، د. فيليب حتي، ترجمة : د. جورج حدّاد، و عبدالكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م.

٧٢) **تاريخ شعب العهد القديم**، الأب ديلي، عربه : الأب جرجس ماردييني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١م.

٧٣) **تاريخ الصهيونية، الجزء الأول ((التسلل الصهيوني إلى فلسطين ١٨٦٢ ــ ١٩١٧م))**، صبري جرجس، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٧م، **والجزء الثاني ((الوطن القومي اليهودي في فلسطين ١٩١٨ ــ ١٩٣٩م))**، الناشر نفسه في عام ١٩٨٦م.

٧٤) **تــاريخ فلسطين الحديث**، د. عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٨٥م.

٧٥) **تاريخ فلسطين القديم ((١٢٢٠ ق. م ــ ١٣٥٩ م)) من أول غزو يهودي إلى آخر غزو صليبي**، ظفر الإسلام خان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م.

٧٦) **تاريخ القدس**، عارف باشا العارف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، رقم الإيداع ٨٦٩٦ في ١٩٩٤م.

٧٧) **تاريخ اللغات السامية**، د. إسرائيل ويلفنسون، طبعة دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٨٠م.

٧٨) **تاريخ مصر في عصر البطالمة**، د. إبراهيم نصحي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة.

٧٩) **تاريخ اليهود**، احمد عثمان، مكتبة الشروق، ٢ شارع البورصة الجديدة، قصر النيل، القاهرة، طبعة، ١٩٩٤م.

٨٠) **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، د. إسرائيل ويلفنسون، باعتناء : د. محمد السيد الوكيل، الناشر : دار قطر الندى للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة عام ١٤١٥هــ ــ ١٩٩٥م.

٨١) **التاريخ اليهودي ((الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة))**، إسرائيل شاحاك، ترجمة : صالح علي سرداح، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٨٢) **التاريخ اليهودي العام**، صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

٨٣) **تاريخ يهوه.** جورجي كنعان، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

٨٤) **التحريف في التوراة**، د. محمد علي الخولي، الطبعة الأولى،١٤١٠هــ، طبعة النرجس التجارية، الرياض، بإذن من رئاسة إدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد.

٨٥) **التصريح بما تواتر في نزول المسيح**، محمد أنور شاه الكشميري الهندي، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هــ ١٩٩٢م.

٨٦) **التطور التاريخي لبني إسرائيل**، عماد عبدالحميد النجار، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م.

٨٧) **تطور القضية الفلسطينية**، فاطمة عبدالحميد فرحات، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨١ م.

٨٨) **التعاون النازي الصهيوني ((أخطر وثائق القرن العشرين))**، إعداد المنظمة البريطانية المناهضة للصهيونية، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، طبعة ١٩٧٩م.

٨٩) **تفسير القران العظيم**، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م.

٩٠) **تقريب التهذيب**، للحافظ شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني، باعتناء : محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، دار القلم، دمشق وبيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ — ١٩٩١م.

٩١) **تقسيم فلسطين في الأمم المتحدة**، على كاشف الغطاء، دار الشؤون الثقافية العامة، ودار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٦م.

٩٢) **تكوين الصهيونية**، خالد الشقطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٩٣) **التلمود تاريخه وتعاليمه**، ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م.

٩٤) **التلمود شريعة بني إسرائيل ((حقائق ووقائع))**، ترجمة وإعداد : محمد صبري، مؤسسة الأهرام، القاهرة، طباعة عام ١٣٩٩هـ.

٩٥) **التلمود والصهيونية**، اسعد رزوق، الناشر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ١٩٩١م، بدون ذكر بلد الطبع.

٩٦) **التوراة ((العقل.. العلم.. التاريخ))**، د. بدران محمد بدران، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٧) **التوراة بين الوثنية والتوحيد**، سهيل ديب، دار النفائس عمّان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩٨) **التوراة تاريخها وغاياتها**، ترجمة وتعليق : سهيل ديب، دار النفائس، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٩٩) **التوراة الهيروغليفية**، د. فؤاد حسنين علي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ الطباعة.

١٠٠) **((تيودور هرتزل)) مؤسس الحركة الصهيونية**، ديزموند ستيوارت، ترجمة : فوزي وفاء وإبراهيم منصور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٩ م.

((ج))

١٠١) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تفسير للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، نشر المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، بدون ذكر تاريخ الطبع.

١٠٢) **الجامع لأحكام القران**، تفسير للإمام أبي عبدالله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.

١٠٣) **جذور البلاء**، عبدالله التل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
١٠٤) **الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية**، خالد الشقطيني، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
١٠٥) **الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية**، د. إسماعيل أحمد باغي، دار المريخ للنشر، الرياض، طباعة عام، ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٣م.
١٠٦) **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن** ((رسالة ماجستير من قسم التاريخ بجامعة الأزهر))، صالح مسعود أبو يصير، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٩هـ ١٩٧٠م.
١٠٧) **جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود**، سميرة عبدالله بكر بناني، مطابع جامعة أم القرى، مكة ١٤١٨هـ.
١٠٨) **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق وتعليق : د. علي بن حسن بن ناصر ، و د. عبدالعزيز إبراهيم العسكر، و د. حمدان بن محمد الحمدان، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
١٠٩) **جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين**، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ـــ ١٩٩١م.

((ح))

١١٠) **حاخامات وجنرالات ((الدين والدولة في إسرائيل))**، أحمد بهاء الدين شعبان، نوارة للترجمة والنشر، مطابع الوادي الجديد، دار السلام، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
١١١) **الحركة الإسلامية وقضية فلسطين**، زياد أبو غنيمة، دار الفرقان، الطبعة الأولى، بدون ذكر تاريخ الطبعة.
١١٢) **الحروب الصليبية.** أرنست باركر، ترجمة : د. السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الرابعة، بدون ذكر تاريخ الطبع.
١١٣) **الحروب الصليبية هل انتهت ؟**، عبدالوهاب زيتون، دار المعرفة، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩٢م.
١١٤) **الحروب العربية الإسرائيلية ((١٩٤٨ ـــ ١٩٤٩م))، وتأسيس إسرائيل**، د. فلاح خالد علي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
١١٥) **الحصاد المر ((فلسطين بين عامي ١٩١٤ و ١٩٧٩))**، سامي هداوي، ترجمة : د. فخري حسين يغمور، من منشورات رابطة الجامعيين في محافظة الخليل، مطبعة التوفيق، الأردن، الطبعة الأولى١٩٨٢م.
١١٦) **الحضارات السامية القديمة**، سبتينو موسكاني، ترجمة وتعليق : د. السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، ١٩٨٦م.

١١٧) **حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية**، د. صلاح الخالدي، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

١١٨) **حقيقة معركتنا مع اليهود**، عبدالغفور العقرب، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع، بدون ذكر بلد الدار الطابعة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ ـــ ١٩٦٩م.

١١٩) **حقيقة المواقف الشيوعية من القضية الفلسطينية**، عابد سليمان المشوقي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـــ ١٩٨٤م.

١٢٠) **حكومة العالم الخفية**، شيريب سبيريد وفيتش، ترجمة : مأمون سعيد، تحرير وتقديم : احمد راتب عرموش، دار النفائس، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـــ ١٩٨٦م.

١٢١) **حُمّى سنة ٢٠٠٠** ، عبد العزيز مصطفى كامل ، مؤسسة دار السليم للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ ـــ ١٩٩٩م .

١٢٢) **حول اتفاق ((غزة ـــ أريحا أولاً)) وثائق ودراسات**، تقديم وإشراف : خالد الحسن، إعداد : سعيد الحسن، دار الشروق، عمّان، الإصدار الثاني، يناير١٩٩٥م.

((خ))

١٢٣) **الخداع**، بول فندلي، أشرف على الترجمة : د. محمود يوسف زايد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

١٢٤) **الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي**، ماجد الكيلاني، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ـــ ١٩٨٤م. والطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ـــ ١٩٨٩م، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، والدمام، والرياض.

١٢٥) **خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والإسلام**، الأب طانيوس منعم، مؤسسة موتاشا، بيروت، الطبعة الثانية، لا يوجد ذكر تاريخ الطبع.

١٢٦) **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**، عبدالله التل، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٦٥م.

١٢٧) **الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية ((دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥ ـــ ١٠٩٩م))**، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، د. قاسم عبده قاسم.

١٢٨) **الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي**، إسماعيل الكيلاني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٤ م.

١٢٩) **خلفية صراع أهل الأديان حول فلسطين ولبنان**، محمد عثمان صالح، مكتبة ابن القيم للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـــ ١٩٨٩م.

((د))

١٣٠) **دراسات في تاريخ الشرق القديم**، د. أحمد فخري، الطبعة الثانية، أكتوبر ١٩٦٣م ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

١٣١) **دولة الباطل في فلسطين**، القاضي محمد سويد، دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

١٣٢) **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، إسماعيل احمد ياغي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

١٣٣) **الديانة اليهودية ((ضمن موسوعة الأديان السماوية والوضعية))**، د. يوسف عيد، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

((ر))

١٣٤) **رؤية دينية للدولة الإسرائيلية**، حسن محمد ميّ، دار الفرقان، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٣٥) **الرؤية العربية لليهودية**، د. مهنا يوسف حداد، منشورات ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ـــ ١٩٨٩م.

١٣٦) **الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية**، للحبر الأعظم إسرائيل شموئيل الأورشليمي، تقديم : عبد الوهاب طويلة، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

١٣٧) **الرسالة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة**، لأبي عبيده ماهر بن صالح آل مبارك، تقريظ : أبي بكر الجزائري، مؤسسة فؤاد بعينو، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـــ ١٩٩٣م.

١٣٨) **رسالة في اللاهوت والسياسة**، سبينوزا. ترجمة وتقديم : د. حسن حنفي، مراجعة : د. فؤاد زكريا، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م.

١٣٩) **رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام**، اللواء أحمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، طبعة، ١٩٩٢م.

١٤٠) **الرسالة و بنو إسرائيل ((اليهودية))**، محمد منير الزيادي، رقم الإيداع بدار الكتب ٥٧٨١ في ١٩٩١ م، بدون ذكر جهة الطبع.

١٤١) **روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني**، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، باعتناء : محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ ـــ ١٩٩٤م.

((ز))

١٤٢) **زاد المسير في علم التفسير**، تفسير الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي، باعتناء : أحمد شمس الدين، توزيع : مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـــ ١٩٩٤م.

((س))

١٤٣) **السامريون واليهود**، سيد فرج راشد، دار المريخ للنشر، الرياض، طبعة عام، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٤٤) **سرقة أمة**، وليم و. بيكر، ترجمة : سهيل زكار، وعدنان برنية، دار حسان، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٤٥) **سقوط إسرائيل**، باري شميش، ترجمة : عمار جولاق، و محمد العابد، مراجعة : علي رمّان، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٤٦) **سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية**، مجدي عبد المجيد الصافوري، دار الصحوة للنشر، المنيل، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

١٤٧) **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، العلامة : محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. الرياض، طبعة عام، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٤٨) **سلسلة الأحاديث الضعيفة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٣م.

١٤٩) **سنن ابن ماجه**، باعتناء محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ذكر تاريخ الطبعة.

١٥٠) **سنن أبي داود**، ومعه كتاب معالم السنن للخطابي، إعداد وتعليق : عزّت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

١٥١) **سنن الترمذي ((الجامع الصحيح))**، دار الكتب العلمية، بيروت، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، باعتناء أحمد محمد شاكر، وآخرين، بدون ذكر الطبعة.

١٥٢) **السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها**، لأبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني، دراسة وتحقيق : د. رضاء الله محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م.

١٥٣) **سياسة الإستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين**، د. حسن صبري الخولي، طباعة ونشر دار المعارف، بمصر، عام ١٩٧٣م.

١٥٤) **السياسة الدولية وفلسطين**، د. محمد كمال الدسوقي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٥٥) **السيرة النبوية لابن هشام**، باعتناء عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٥٦) **السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية**، د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

((ش))

١٥٧) **شخصيات إسرائيلية**، محمد شريدة، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

١٥٨) **الشخصية اليهودية عبر التاريخ**، جودت السعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

١٥٩) **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، د. صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٦٠) **شرح النووي لصحيح مسلم**، دار الكتب العلمية، بيروت، مكتبة الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٦١) **الشيوعية الغربية وقضية فلسطين**، د. عدنان العمد، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧١م.

((ص))

١٦٢) **صحيح الإمام البخاري**، باعتناء : محب الدين الخطيب، و محمد فؤاد عبدالباقي و قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ.

١٦٣) **صحيح الإمام مسلم**، باعتناء : محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٦٤) **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمّان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٦٥) **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٦٦) **صراعنا مع اليهود بين الصلح المستحيل والمواجهة الحتمية**، العقيد الركن محمد بن مهنا العلي، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣ م.

١٦٧) **صراعنا مع اليهود بين الماضي والمستقبل**، محمد إبراهيم ماضي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٦٨) **صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية**، د. محمد عثمان شبير، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٦٩) **صراعنا مع اليهود من أين وإلى أين ؟**، احمد الجدع، دار الضياء، الأردن، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٧٠) **الصهيونية ((نشأتها، تنظيمها، أنشطتها))**، احمد العوضي، دار النفائس، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م.
١٧١) **الصهيونية أخطر أنواع العنصرية في تأريخ البشرية**، ((وثائق اللجنة العربية لمكافحة الصهيونية والعنصرية))، دمشق، ١٩٩٥م.
١٧٢) **الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار**، فتحي الرملي، نشر و توزيع وكالة الصحافة الإفريقية بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٦م.
١٧٣) **الصهيونية بداية ونهاية**، أبو مازن : محمود عباس، تقديم : أبو عمار : ياسر عرفات، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بدون ذكر تاريخ الطبع وجهة الطبع.
١٧٤) **الصهيونية بين الدين والسياسة**، عبد السميع سالم الهراوي، الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٧ م، بدون ذكر الطبعة.
١٧٥) **الصهيونية حركة عنصرية**، أبحاث ندوة طرابلس حول الصهيونية والعنصرية ٢٤ ــ ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٧٦م، ترجمة : عدنان كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
١٧٦) **الصهيونية العالمية وأرض الميعاد**، علي إمام عطية، دار ومطابع الشعب، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٣م.
١٧٧) **الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر**، د. محمود دياب، دار الشعب بالقاهرة، بدون ذكر تاريخ الطبع.
١٧٨) **الصهيونية غير اليهودية جذورها في التأريخ الغربي**، ريجينا الشريف، ترجمة : أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٥م.
١٧٩) **الصهيونية في الستينات ((الفاتيكان واليهود))**، محمود نعناعة، بدون ذكر تاريخ الطبعة ومكانها.
١٨٠) **الصهيونية المسيحية**، محمد السماك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ــ ٩٩٣م.
١٨١) **الصهيونية وإسرائيل والحقائق من هرتسل إلى رابين**، توفيق أبوبكر، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٧٧ م.
١٨٢) **الصهيونية وربيبتها إسرائيل**، محمد فوزي، وعمر رشدي، الكلية الحربية بمصر، بدون ذكر تاريخ الطبع.
١٨٣) **الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي ((١٩٤٣ ــ ١٩٤٥))**، د. عاصم الدسوقي، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.
١٨٤) **الصهيونية والنازية**، معين أحمد محمود، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.
١٨٥) **الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ**، د. عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

((ض))

١٨٦) **ضعيف سنن ابن ماجه**، العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٨م.

١٨٧) **ضعيف سنن أبي داود**، العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩١م.

١٨٨) **ضعيف سنن الترمذي**، العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـــ ١٩٩١م.

((ط))

١٨٩) **الطريق إلى بيت المقدس ((القضية الفلسطينية))**، د. جمال عبدالهادي محمد مسعود، دار الوفاء، الطبعة الخامسة، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.

١٩٠) **الطريق إلى القدس**، د. محسن محمد صالح، منشورات دار ((فلسطين المسلمة))، لندن، بدون ذكر تاريخ الطبع.

((ع))

١٩١) **العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها**، محمد عزة دروزة، دار الكلمة للنشر بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

١٩٢) **العرب واليهود في التاريخ** ، د. أحمد سوسة، العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، الطبعة السادسة، بدون ذكر لتاريخ الطباعة.

١٩٣) **عروبة فلسطين والقدس**، أحمد عبدالغفور العطار، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

١٩٤) **العصور القديمة**، جيمس هنري برستيد، ترجمة داود قربان، موسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٣م.

١٩٥) **عقيدة اليهود في تملك فلسطين**، عابد توفيق الهاشمي، مكتبة أم القرى، رقم الإيداع ٨٦٨١ / ١٩٩٠، بدون معلومات أخرى.

١٩٦) **العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية**، د. سعد الدين السيد صالح، مكتبة الصحابة، جدة، مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

١٩٧) **علامات الساعة**، سعيد اللحام، دار الفكر اللبناني، بيروت، عام ١٩٩٢م.

١٩٨) **العلمانية**، د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢م.

١٩٩) **العنصرية الصهيونية في التوراة**، أحمد السقاف، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م.

٢٠٠) **العنصرية اليهودية، وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها**، أحمد بن عبدالله إبراهيم الزغيبي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م.

٢٠١) **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، مكتبة الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م.

((ف))

٢٠٢) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** : للحافظ ابن حجر العسقلاني، باعتناء محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وقصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٢٠٣) **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مع شرحه بُلوغ الأماني**، أحمد عبدالرحمن البنّا المعروف بالساعاتي، در إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر الطبعة.

٢٠٤) **فتح القدير**، تفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني، باعتناء : سيد إبراهيم، دار زمزم، الرياض، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م.

٢٠٥) **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، الإمام ابن حزم الظاهري، تحقيق : د. محمد إبراهيم نصر، و د. عبدالرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٢٠٦) **فضح التلمود ((تعاليم الحخامات السرية))**، الأب آي. بي. براناتيس، إعداد : زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م.

٢٠٧) **فقد جاء أشراطها**، محمود عطيّة محمد علي، تقديم حسين العوايشة، رمادي للنشر، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.

٢٠٨) **الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه**، حسن ظاظا، دار القلم، دمشق ، دار العلوم والثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٢٠٩) **الفكر السياسي في فلسطين، من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني ((١٩١٨ ــ ١٩٤٨ م))**، د. علي محافظة، الطبعة الأولى، مركز الكتب الأردني، لا يوجد ذكر جهة الطبع.

٢١٠) **فلسطين أرض الرسالات الإلهية**، رجاء جارودي، ترجمة وتعليق وتقديم : د. عبدالصبور شاهين، دار التراث، القاهرة، ١٩٨٦م.

٢١١) **فلسطين أرضاً وشعباً وقضية**، د. محمود السمرة، و د. أسعد عبدالرحمن و محمود العابدي، كتاب مرجعي لطلاب المرحلة الثانوية، دائرة التربية والتعليم العالي، منظمة التحرير الفلسطينية ، تونس ، ١٩٨٣م.

٢١٢) **فلسطين إليكم الحقيقة**، ج. م. ن. جفريز، ترجمة : أحمد خليل الحاج، مراجعة : د. محمد احمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.

٢١٣) **فلسطين بين الحقائق والأباطيل**، العقيد أحمد عبدالوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م.

٢١٤) **فلسطين تاريخاً ونضالاً**، نجيب الأحمد، دار الجليل للنشر، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٢١٥) **فلسطين حقوق الإنسان وحدود المنطق الصهيوني**، حسين غباش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٢١٦) **فلسطين في ضوء الحق والعدل**، هنري كتن، ترجمة : وديع فلسطين، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.

٢١٧) **فلسطين، القضية. الشعب. الحضارة ((التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين ١٩١٧م))**، بيان نويهض الحوت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٢١٨) **فلسطين والانتداب البريطاني**، د. كامل محمود خلة، دار المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

٢١٩) **فلسطين والصهيونية ((١٨٨٢ ــ ١٩٤٨م))**، د. ممدوح الروسان، دار الشروق، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٢٢٠) **فلسطين والوعد الحق، بحوث مقدمة للندولة العالمية للشباب الإسلامي**، رئيس التحرير : د. إسحاق أحمد فرحان، شركة الزاد المحدودة، أسبانيا، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م.

٢٢١) **فهرس الكتاب المقدس** ((وهو قاموس يستدل به من ألفاظ الكتاب المقدس على مواضع آياته))، د. جورج بوست، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٩٤م.

٢٢٢) **في أصول النكبة العربية**، د. عمر حليق، الدار السعودية للنشر، لا يوجد ذكر جهة الطبع، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م.

٢٢٣) **في ظلال القران**، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م.

٢٢٤) **في قضية فلسطين الحق والباطل ((الحق الثابت))**، نبيل شبيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

((ق))

٢٢٥) **قاموس الكتاب المقدس**، إشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط، الطبعة السادسة ١٩٨١ م، مكتبة المشعل، بيروت.

٢٢٦) **القاموس السياسي**، أحمد عطية الله، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، بدون ذكر تاريخ الطبع.
٢٢٧) **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٢٨) **قبل أن تضيع القدس**، مجدي شندي، الناشر المنى للإعلام العربي، القاهرة،الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
٢٢٩) **قبل أن يُهدم الأقصى**، عبدالعزيز مصطفى، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م.
٢٣٠) **القدس**، عبدالحميد الكاتب، دار الشروق، القاهرة، وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م.
٢٣١) **القدس ((قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧م))**، جمع وتصنيف : محمود عواد، منشورات اللجنة الملكية لشؤون القدس، عمّان ، ١٩٩٥م.
٢٣٢) **القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى**، د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ربيع الأول ١٤١٤هـ.
٢٣٣) **القدس في دائرة الحدث**، د. إبراهيم حسن أبوجابر، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، ١٤١٧هـ ــ ١٩٦٩م.
٢٣٤) **القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ((دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة))**، د. موريس بوكاي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٢٣٥) **قصة الحضارة** ، ول ديورانت، ترجمة : د. زكي نجيب محمود، تقديم محيى الدين صابر، دار الجيل، بيروت، بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م.
٢٣٦) **قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي**، د. حسن الجلبي، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٩م، جامعة الدول العربية، لايوجد ذكر جهة الطبع.
٢٣٧) **القضية الفلسطينية في القانون الدولي والوضع الراهن** ، د. جابر إبراهيم الراوي، دار الجليل للنشر، عمّان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
٢٣٨) **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها**، محمد عزة دروزة، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والثقافة، بدون ذكر لتاريخ الطبع، ولا جهة الطبع.
٢٣٩) **القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني**، مجموعة من البحوث بإشراف : وزارة الدفاع الوطني ــ الجيش اللبناني، الأركان العامة ــ الشعبة الخامسة، نشر : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، سلسلة الدراسات رقم ٣٤، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
٢٤٠) **القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي**، د. غازي ربابعة، الطبعة الأولى، دار الكرمل للنشر، عمّان، الأردن، ١٩٨٧ م.
٢٤١) **القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني**، رئيس التحرير : عبدالعزيز الدوري، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، ١٩٨٩م، لايوجد ذكر جهة الطبع.
٢٤٢) **القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني**، رئيس التحرير : وليد الخالدي، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، الرياض، عام ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

٢٤٣) **القوى الخفية في السياسة العالمية ((من يحكم العالم))**، ل. فراي. مراجعة : البروفسور : دنيس فاهي، ترجمة : جهاد قدري قلعجي، دار الكاتب العربي، التوزيع دار الشوّاف للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٤٤) **القوى الدينية في إسرائيل ((بين تكفير الدولة ولعبة السياسة))**، د. رشاد عبدالله الشامي، عالم المعرفة، الكويت، ذو الحجة ١٤١٤هـ، يونيو ((حزيران)) ١٩٩٤م.

((ك))

٢٤٥) **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن احمد الذهبي، وحاشيته للإمام برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد سبط ابن العجمي الحلبي، باعتناء : محمد عوامة و احمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م.

٢٤٦) **الكامل في التاريخ**، للمؤرخ العلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف ((بابن الأثير))، تحقيق : أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.

٢٤٧) **كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم**، الجزء الأول والثاني منه، شرح عدد من اللاهوتيين، إصدار : مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، عام ١٩٧٣م.

٢٤٨) **كتاب الفتن**، للحافظ أبي عبدالله نعيم بن حمّاد المروزي، تحقيق : سمير أمين الزهيدي، مكتبة التوحيد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٢٤٩) **الكتاب المقدس ((العهد القديم والعهد الجديد))**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بيروت، ١٩٩٢م، ((الطبعة الكاثوليكية))، و ((الطبعة البروتستنتية)) من الدار نفسها، بدون ذكر تاريخ الطبعة.

٢٥٠) **الكتاب المقدس سفراً سفراً**، عايد هنري، مكتبة كنيسة الأخوة، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢٥١) **الكتاب المقدس في الميزان**، عبدالسلام محمد، دار الوفاء للنشر والتوزيع، المنصورة، و القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٥٢) **الكتب السماوية وشروط صحتها**، عبدالوهاب بن عبدالسلام طويلة، دار القبة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، عام ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م.

٢٥٣) **الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف**، د. يحيى محمد علي ربيع، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، و القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م.

٢٥٤) **الكتر المرصود في قواعد التلمود**، ترجمة : د. يوسف نصر الله، قدم له : مصطفى الزرقاء، و د. حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، دار العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

٢٥٥) **كيف تنهار دولة إسرائيل**، طلال محمد نور عطار، شركة المدينة المنورة للطباعة و النشر، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ — ١٩٩٧م.
٢٥٦) **كيف ننتصر على إسرائيل**، فهد المارك، مؤسسة المعارف، بيروت، عام ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٦م.

((ل))

٢٥٧) **لسان العرب**، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، و دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ — ١٩٩٠م.
٢٥٨) **لهذا أكره إسرائيل**، المقدم أمين سامي الغمراوي، دار النهضة العربية، القاهرة، طبعة ١٩٦٤م.
٢٥٩) **لوامع الأموار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدُّرّة المضيّة، في عقيدة الفرقة المرضيّة**، للعلامة محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، دار الخاني، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ — ١٩٩١م.

((م))

٢٦٠) **الماسونية واليهود والتوراة**، د. نعمان عبدالرزاق السامرائي، دار الحكمة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ — ١٩٩٤م.
٢٦١) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٧ م.
٢٦٢) **محاضرات في النصرانية**، الشيخ محمد أبو زهرة، طبع ونشر الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.
٢٦٣) **مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية**، د. محمد عثمان شبير، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
٢٦٤) **المخططات التلمودية اليهودية والصهيونية**، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، طبعة عام ١٩٧٧م.
٢٦٥) **المدخل إلى العهد القديم**، القس صموئيل يوسف خليل، إصدار مكتبة دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٢٦٦) **المدخل إلى القضية الفلسطينية**، تحرير : جواد الحمد، مركز دراسات الشرق الأوسط في عمّان، دار البشير، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٢٦٧) **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، د. محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ — ١٩٩٠م.
٢٦٨) **مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين ((دراسة في إطار القانون الدولي العام))**، د. محمد إسماعيل علي السيد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٦٩) **مذاهب فكرية معاصرة**، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، والقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

٢٧٠) **مذكرات إسحاق شامير**، تعريب : سامية الشامي، وطلعت حسن، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٧١) **مذكرات السلطان عبدالحميد**، د. محمد حرب، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة،١٤٢١هـ / ١٩٩١م.

٢٧٢) **مذكرات وايزمن**، د. حاييم وايزمن، ترجمة : محمد رشاد الشهابي، الكويت، مذكرة مصورة، بدون معلومات أخرى.

٢٧٣) **مراكز القوى في إسرائيل ((١٩٦٣ ــ ١٩٨٣))**، د. نظام محمود بركات، دار الجليل للنشر، عمّان، الطبعة الأول،ى ١٩٨٣ م.

٢٧٤) **المستدرك على الصحيحين**، للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، اعتناء : مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م.

٢٧٥) **مسند الإمام احمد بن حنبل**، دار الفكر للطباعة والنشر، اعتناء : عبدالله محمد الدرويش، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، توزيع المكتبة التجارية الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م.

٢٧٦) **مسند الإمام احمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمّال في سُنن الأقوال والأفعال**، دار الكتب العلمية، بيروت، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، بدون ذكر تاريخ الطباعة.

٢٧٧) **المسيح الدجال ((قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى))**، سعيد أيوب، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م.

٢٧٨) **المسيح يعود إلى الأرض ثانية**، د. محمود إبراهيم الديك، شركة دبي الوطنية للاستثمار، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م.

٢٧٩) **المسيحية والتوراة**، شفيق مقار، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، وقبرص، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٢٨٠) **مشاريع إستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، د. أمين عبدالله محمود، عالم المعرفة الكويت، ربيع الثاني ١٤٠٤هـ ــ فبراير ١٩٨٤م.

٢٨١) **المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل ؟**، محمود نعناعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الجزء الأول عام ١٩٧٢م، والجزء الثاني عام ١٩٧٥م.

٢٨٢) **مصر والشرق الأدنى القديم : الجزء الثالث : الشرق الأدنى القديم : سورية ((الفينيقيون، الكنعانيون، الإسرائيليون ، الفلسطينيون، الآراميون))**، د. نجيب ميخائيل إبراهيم ، الطبعة الثالثة ١٩٦٦م، دار المعارف، مصر.

٢٨٣) **معالم التنزيل**، تفسير الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق : محمد عبدالله النمر، و عثمان جمعة ضميرية، و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض،١٤١١هـ.

٢٨٤) **معالم السنن شرح سنن أبي داود**، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، اعتناء : عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١١هـ ــ ١٩٩١م.

٢٨٥) **معجم البلدان**، للعلامة شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي، دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، ١٣٩٧هـ.

٢٨٦) **معجم بلدان فلسطين**، محمد بن محمد شراب، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.

٢٨٧) **معجم المصطلحات الصهيونية**، إعداد : افرايم ومناحم تلمي، ترجمة : أحمد بركات العجرمي، دار الجليل للنشر، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٢٨٨) **معجم مقاييس**، اللغة لأبي الحسين احمد ابن فارس بن زكريّا، اعتناء عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، بدون ذكر تاريخ الطباعة.

٢٨٩) **معركة الإسلام أو ((وقائعنا في فلسطين بين الأمس واليوم))**، محمد محمود الصواف، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م، بدون ذكر الناشر.

٢٩٠) **معركة الوجود بين القرآن والتلمود**، د. عبدالستار فتح الله سعيد، دار الطباعة والنشر الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ، بدون ذكر جهة الطبع.

٢٩١) **المعونات الأمريكية لإسرائيل**، د. محمد عبدالعزيز ربيع، طباعة مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٠م.

٢٩٢) **مفردات ألفاظ القران**، للعلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٧م.

٢٩٣) **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، الجزء السادس، د. جواد علي، دار العلم للملايين بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى، ٩٧٠ م.

٢٩٤) **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ((١٨٣١ ــ ١٩١٤م))**، د. عبدالعزيز محمد عوض، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٢٩٥) **ملحمة فلسطين**، د. عدنان علي رضا النحوي، الطبعة الثانية، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م.

٢٩٦) **الملحوظات على الموسوعة الفلسطينية**، زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

٢٩٧) **ملف إسرائيل ((دراسة للصهيونية السياسية))**، رجاء جارودي، ترجمة : د. مصطفى كامل فودة، دار الشروق، بيروت ن والقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

٢٩٨) **الملل والنحل**، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق : عبدالأمير علي مهنا، و علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م.

٢٩٩) **من يجرؤ على الكلام**، بول فندلي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٠ هـــ ١٩٩٠م.
٣٠٠) **من يحكم في تل أبيب**، د.حامد عبدالله ربيع، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر، بيروت، بدون تاريخ للطباعة.
٣٠١) **من اليهودية إلى الصهيونية ((الفكر الديني اليهودي في خدمة المشروع السياسي الصهيوني))**، أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـــ ١٩٩٣م.
٣٠٢) **منابع الفكر الصهيوني**، مبروك محمد عبدالسميع، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـــ ١٩٩١م.
٣٠٣) **المنظمات الصهيونية المسيحية وخطرها على المسلمين**، أحمد تهامي سلطان، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، بدون ذكر تاريخ الطبع.
٣٠٤) **المنظمات اليهوديّة الأمريكية ونشاطاها في دعم إسرائيل**، لي أوبرين، الترجمة بإشراف : د. محمود زايد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، سلسلة دراسات رقم ٧٦، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
٣٠٥) **المنظمة الصهيونية العالمية ((١٨٨٢ ـــ ١٩٨٢م))**، د. أسعد عبدالرحمن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.
٣٠٦) **المهدي المنتظر**، إبراهيم المشوخي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـــ / ١٩٨٦م.
٣٠٧) **المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة**، د. عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، المكتبة المكية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـــ ١٩٩٩ م.
٣٠٨) **موجز تاريخ الشرق الأدنى**، د. فيليب حتي، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، تشرين ١٩٦٥م.
٣٠٩) **موسكو وإسرائيل**، د. عمر حليق، الدار السعودية للنشر، بدون تاريخ الطباعة.
٣١٠) **موسوعة السياسة**، د. عبدالوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.
٣١١) **الموسوعة الفلسطينية**، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية : أحمد المرعشلي، وعبدالهادي هاشم، وأنيس صايغ، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، المؤسسة في مطابع ميلانو الإيطالية.
٣١٢) **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ((رؤية نقدية))**، د. عبدالوهاب المسيري، بمساعدة سوسن حسين، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة، بدون تاريخ الطبع.
٣١٣) **الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية**، د. عبدالمنعم الحفني، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـــ ١٩٨٠م.
٣١٤) **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ((١٨٩٧ ـــ ١٩٠٩م))**، حسّان علي حلاّق، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـــ ١٩٨٠م.

٣١٥) **موقف العالم الإسلامي من قضية القدس**، فايز فهد جابر، المملكة الأردنية الهاشمية، ١٤٠١هـ — ١٩٨١م.

((ن))

٣١٦) **النبوءة والسياسة**، غريس هالسل، ترجمة : محمد السماك، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

٣١٧) **النبوة والأنبياء**، محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٣١٨) **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة السادسة، ١٤٠٤هـ.

٣١٩) **نحن والصهيونية**، محمد العبدالله الميمان، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م.

٣٢٠) **نحن والفاتيكان وإسرائيل**، أنيس القاسم، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦م.

٣٢١) **نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق**، يوسف رزق الله غنيمة، الورّاق للنشر، لندن، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

٣٢٢) **النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة**، غازي محمد فريج، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ — ١٩٩٠م.

٣٢٣) **النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية ((١٩٣٩ــ ١٩٤٥م))**، د. عبدالرحيم احمد حسين، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٣٢٤) **نشاط الوكالة اليهودية في فلسطين منذ إنشائها وحتى قيام دولة إسرائيل ((١٩٢٢ــ ١٩٤٨))**، د. محمد عبدالرؤوف سليم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٣٢٥) **نظام الحكم في إسرائيل**، ويشمل الكلام عن الأحزاب ومبادئها وآثار حرب أكتوبر عليها، د. عبدالحميد متولي، منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

٣٢٦) **النظام السياسي في إسرائيل**، لواء أ. ج د. فوزي محمد طايل، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، والقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ — ١٩٩٢م.

٣٢٧) **نهاية إسرائيل**، صبري أبو المجد، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣٢٨) **نهاية العالم قريباً**، منصور عبدالحكيم، دار آية للنشر، لا يوجد ذكر جهة الطبع، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٣٢٩) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، للعلامة مجد الدين المبارك بن الأثير الجزري، تحقيق : طاهر احمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٣٣٠) **النهاية في الفتن والملاحم**، للحافظ ابن كثير الدمشقي، اعتناء احمد عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م.

٣٣١) **نهاية اليهود**، محمد عزت محمد عارف، دار عكاظ للطباعة والنشر، جدة الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م.

((هـ))

٣٣٢) **الهجرة اليهودية إلى فلسطين**، وليم فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣٣٣) **الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة**، إلياس سعد، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، نوفمبر ١٩٦٩م.

٣٣٤) **الهجرة اليهودية إلى فلسطين من ((١٨٨٠ إلى ١٩٩٠ م)) جذورها، دوافعها، مراحلها، انعكاساتها**، بسّام محمد العبادي، دار البشير، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٣٣٥) **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، الحافظ ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة : د. محمد احمد الحاج، دار القلم، دمشق، الدار الشامية ن بيروت ن الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.

٣٣٦) **هذه فلسطين**، حسين التريكي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ، ١٩٧١م.

((و))

٣٣٧) **وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، الجزء الأول ((مرحلة الإرهاصات))**، جمع وإعداد: د. سمير أيوب، دار صامد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

((ي))

٣٣٨) **اليهود**، إعداد : زهدي الفاتح، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ ــ١٩٧٢م، و الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م، لا يوجد ذكر جهة الطبع.

٣٣٩) **اليهود أنثروبولوجيا**، د. جمال حمدان، تقديم : عبدالوهاب المسيري، دار الهلال، مصر، ١٩٩٦م.

٣٤٠) **اليهود، تاريخ فساد وانحلال ودمار**، د. توفيق الواعي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ ــ ١٩٩٠م.

٣٤١) **اليهود تاريخ وعقيدة**، د. كامل سعفان، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٨م.

٣٤٢) **يهود الدونمة ((دراسة في الأصول والعقائد والمواقف))**، د. أحمد نوري النعيمي، دار البشير للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.

٣٤٣) **اليهود في البلدان الإسلامية ((١٨٥٠ ــ ١٩٥٠م))**، تحرير : صموئيل أتينجر، تأليف : ميخال أفيطبول وآخرين، ترجمة : د. جمال الرفاعي، مراجعة : د. رشاد الشامي، عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٥م.

٣٤٤) **اليهود في البلدان العربية**، يعقوب خوري، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٠م، بدون ذكر تاريخ الطبع.

٣٤٥) **اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**، د. غوستان لوبون، ترجمة : عادل زعيتر، مطبعة : عيسى الحلبي وشركاه، لايوجد ذكر جهة الطبع، الإيداع بدار الكتب المصرية، ١٩٧٠م.

٣٤٦) **اليهود في السنة المطهرة**، د. عبدالله بن ناصر الشقاري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـــ ١٩٩٦م.

٣٤٧) **اليهود في شبه الجزيرة العربية**، د. محمد أرشيد العقيلي، رسالة ماجستير قدمت إلى الجامعة اللبنانية سنة ١٩٧٢م، الطبعة الأول، ١٤٠١هـــ، ١٩٨٠م، وزارة التربية والتعليم، عمّان، الأردن.

٣٤٨) **اليهود في الشرق الأوسط ((الخروج الأخير من الجيتو الجديد))**، مأمون كيون، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٣٤٩) **اليهود في العالم القديم**، د. مصطفى كمال عبدالعليم، و سيد فرج راشد، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـــ ١٩٩٥م.

٣٥٠) **اليهود في عصر المسيح**، سيد محمد عاشور، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـــ ١٩٩٣م.

٣٥١) **اليهود في القرآن**، عفيف عبدالفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الحادية عشر ، ١٩٨٦م.

٣٥٢) **اليهود في القرآن والسنة**، د. محمد أديب الصالح، دار الهدى للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـــ - ١٩٩٣م.

٣٥٣) **اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان**، د. مصطفى كمال عبدالعليم، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ملتزم الطبع والنشر مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة.

٣٥٤) **اليهود في المعسكر الغربي**، داود عبدالغفور سنقرط، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـــ ـــ ١٩٧٧م.

٣٥٥) **اليهود والإسلام قديماً وحديثاً**، رسالة من مكتب الاستعلامات الفلسطيني العربي بالقاهرة ، تقديم : محمد علي الطاهر، منشورات اللجنة الفلسطينية العربية بمصر، جمادى الأولى، ١٣٥٦هـــ.

٣٥٦) **اليهود والدولة العثمانية**، د. أحمد نوري النعيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البشير، عمّان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـــ ـــ ١٩٩٧م.

٣٥٧) **اليهود واليهودية**، د. عبدالجليل شلبي، دار أخبار اليوم، القاهرة، مارس ١٩٩٧م.

٣٥٨) **يهود اليوم ليسوا يهوداً**، بنيامين فريدمان، ترجمة : زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٣م.
٣٥٩) **اليهودي العالمي ((المشكلة الأولى التي تواجه العالم))**، إعداد : المليونير هنري فورد، تعريب : خيري حمّاد، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، بدون ذكر تاريخ الطباعة.
٣٦٠) **اليهودية ((ضمن سلسلة مقارنة الأديان))**، د. احمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٩٣م.
٣٦١) **اليهودية العالمية وحربها المستمر على المسيحية**، ايليا أبو الروس، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٣٦٢) **اليهودية، عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية**، د. عرفان عبدالحميد فتاح، دار عمّار، عمّان، دار البيارق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـــ ١٩٩٧م.
٣٦٣) **اليهودية في أسفارها المقدسة وموقف الإسلام منها**، د. إبراهيم محمد إبراهيم، مطبعة الأمانة، شبرا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ـــ ١٩٨٦م.
٣٦٤) **اليهودية والصهيونية**، أحمد عبدالغفور عطار، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ ـــ ١٩٧٢م.
٣٦٥) **اليهودية والماسونية**، الشيخ عبدالرحمن الدوسري، دار السنة، الخبر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ .
٣٦٦) **يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب** ، سفر عبد الرحمن الحوالي ، الطبعة الأولى ، رمضان ١٤٢١ هـ ، بدون ذكر مكان الطبع ، ودار النشر .

**** وهناك عدد من المجلات والجرائد مذكورة في أماكن الاستفادة منها في ثنايا البحث.**

فهرس الموضوعات